

الشيعة والتصحيح :

الصراع بين الشيعة والتشيع

العلامة الدكتور موسى الموسوي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
ربيع الكتاب مخصص لشئون التصحيح

عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الامداد

هذا كتاب يدافع عن الاسلام والاسان والعقل
ابتغيت به وجه الله ورضاه وعونه وغفرانه
وقصدت به الشيعة في كل زمان ومكان
فالكل من يتبع نداء البصيح وسعي لاهل مبادئه واحدا
اهدي هذا الكتاب

تقديم

كلمة لابد منها

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله

وبعد ان ولدت ونشأت وترعرعت في بيت الزعامة الكبرى للطائفة الشيعية ودرست وتأديت على يد اكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة الكبرى (١) وحتى هذا اليوم وهو جدنا الامام الاكبر السيد ابو الحسن الموسوي الذي قيل فيه :

« انسى من قبله واتعب من بعده » (٢)

في مثل هذه البيئة المليئة بكل ما قيل ويقال في التشيع والشيعية وبكل الظروف والملابسات التي كانت تحكى عن الخلاف الطائفي بين الشيعية والسنة والذي دام قروناً وقروناً، كنت اعيش الام الخلافات المريرة بين الشيعية والفرق الاسلامية الاخرى واشاهد عواقبها التوخيمة عن كتب وفي ظل خطوات جريئة وعزومة كان جدنا الامام الاكبر يخطوها لتخطي الصعوبات في ارساء العلاقات الصحيحة بين الشيعية والسنة للوصول الى الوحدة الكبرى بين الطائفتين والتي كانت تصطدم بالسياسات الاستعمارية الحاكمة في العالم الاسلامي تساندها عقول متحجرة واناس متعصبون ومتاجرون بالطائفية البغيضة، بدأت ادرك خطورة المهمة وقداستها في نفس الوقت.

وقد زاد ايماني بها عندما بدأت اعرف ان السبب في قتل والذي بين صلاة المغرب والعشاء في الحضرة العلوية في النجف الاشرف وعلى يد مجرم في لبوس رجل الدين الذي ذبحه كالكبش وهو يصلي في المحراب، انما كانت خطة استعمارية لكي تتني السيد ابو الحسن عن خطواته الاصلاحية ولكن السيد ابو الحسن احتمل المصيبة صابراً محتسباً لله وضرب اروع الامثال في تلقين المصلحين درساً لا زال التاريخ الشيعي لا ينساه الا وهو العفو عن القاتل الذي قتل فلذة كبده واعز الناس الى قلبه وذلك ليثبت ان قلب المصلح لا تزلزله العواصف ولا تضعفه المصاعب ولا تتحكم فيه الاحقاد والاثارات وانه يبقى

١- الغيبة الكبرى تعني غيبة الامام المهدي الثاني عشر عند الشيعية الامامية الذي غاب عن الانظار في عام ٣٢٩ هجري. راجع فصل الامام المهدي.

٢- قائل هذا الكلام هو الامام الراحل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله.

كالطود الشامخ يزود عن العقيدة التي يريد إرساءها في المجتمع ولدى الفرد.

وبعد كل هذا كان من الطبيعي ان تتكون لدي فكرة الانطلاق نحو تصحيح الشيعة في بعض عقائدها او اعمالها ولا سيما تلك التي سببت الخلاف مع الفرق الاسلامية الاخرى والتي كانت بحد ذاتها تتناقض مع روح الاسلام والمنطق السليم وهي كما اعتقد كانت ولم تزل وبالا على المذهب الشيعي حيث ادت الى تشويه سمعته ومسخ معالمه في العالم الاسلامي بل وفي العالم كله.

واعتقد في الوقت نفسه ان سرد الاسباب لا يكفي لحل المعضلة فحسب بل لا بد من تقديم حلول عملية اطلب من الشيعة في كل ارجاء الارض ان يلتزموا بها اذا ارادوا خير الدنيا والاخرة معا، وقد وصلت الى نتيجة حاسمة في تتبعي للخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الاخرى هو ان الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) او ان الامام علياً اولى بالخلافة من غيره، لانني ارى الشيعة الزيدية وهي تؤلف طائفة كبيرة تربو على الملايين تعتقد باحقية علي بالخلافة بعد الرسول الكريم ولكن الوثام والاخوة والمحبة يسود بينها وبين اهل السنة والجماعة. فاذاً ان السبب الاساسي في الخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الاخرى ليس هو موضوع الخلافة بل هو موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين وتجريحهم اياهم، الامر الذي لا نجده عند الشيعة الزيدية وبعض الفرق الاخرى ولو اكتفت الشيعة الامامية بسلوك الزيدية لقلت الخلافات ولضائق مساحة الشقاق، ولكن الشيعة الامامية وقعت في الخلفاء الراشدين تجريحاً وانتقاصاً فكانت الفتنة.

وقد كنت ادعو الله في اثناء الليل واطراف النهار ان يلهمني العلم والبصيرة ويمنحني القوة والتوفيق لاداء رسالة التصحيح التي كنت اصبو اليها منذ سني الشباب فكانت نتيجة تلك الدعوات الصالحات هي كتابي هذا :
(الشيعة والتصحيح : الصراع بين الشيعة والتشيع) الذي اقدمه اليوم الى الشيعة في كل زمان ومكان.

انه نداء للشيعة مبعثه الايمان المطلق بالله وبرسالة الاسلام الخالدة وبقوة المسلمين وكرامة الانسان. انه نداء يدعو الى الطرق الاصلاحية الكبرى لمحاولة انتهاء الخلاف الطائفي بين الشيعة والفرق الاسلامية الاخرى الى الابد والى ان تقوم الساعة. انها صرخة لله ولاستيقاظ الشيعة من نوم عميق دام

ألفاً ومائتي عام، انها قصة الصراع المرير بين المسلمين حتى يومنا هذا . انه نداء العقل والايمان الى الشيعة كي تنفض عن نفسها غبار السنين وتثور ثورة لا هواة فيها ولا انتظار على تلك الزعامات المذهبية التي سببت لها هذا التخلف الكبير في الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية وهكذا يدفعني اعتقادي وواجبي أن اوصي ملايين الشيعة وأؤكد عليهم قراءة هذا الكتاب :

«فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل

انما أنا من المنذرين.» النمل ٩٢

صدق الله العظيم

الامامة والخلافة

بدأ الصراع بين الشيعة والتشييع عندما حرفت الشيعة معنى التشيع من حب الامام علي واهل البيت الى ذم الخلفاء الراشدين وتجريحهم بصورة مباشرة، وتجريح الامام علي واهل بيته بصورة غير مباشرة.

الامامة والخلافة

فكرة الخلافة حتى القرن الرابع الهجري

الشيعية والتشيع

الانحراف

التصحيح

عقيدة الشيعة الامامية في الخلافة

كلما تعمقت في الشيعة والتشيع وعقائد الامامية اجد ان هناك هوة عظيمة تفصل بين الشيعة والتشيع قد تصل في بعض الاحيان الى التناقض الصارخ حيث ارى بوضوح ان التشيع شيء والشيعة شيء آخر وكلما تعمقت في تاريخ الصراع بين الشيعة والتشيع تتجلى امامي العصور الثلاثة التي انبثق فيها هذا الصراع مبتدئاً بالعصر الاول وهو عصر ظهور الصراع الفكري بعد الغيبة الكبرى الذي مهد الطريق للعصر الثاني وهو ظهور الدولة الصفوية على يد مؤسسها الشاه اسماعيل الصفوي في عام ٩٠٧ هجري وتأسيس الدولة الشيعية في ايران. ومن ثم العصر الثالث والاخير وهو عصر الصراع الذي نشاهده في حياتنا المعاصرة بين الافكار الشيعية الحديثة والتشيع، تلك الافكار التي عصفت بالمجتمع الشيعي وادت الى نتائج حزينة خطيرة لا تحتملها الارض ولا السماء.

ولكي نضع النقاط على الحروف في رسالتنا اصلاحية هذه لا بد من طرح الافكار بصورتها الحقيقية ومن ثم إنارة الطريق لكي يكون القاريء على بينة من امره.

الامامة هي الحجر الاساسي في المذهب الشيعي الامامي وهكذا في المذهب الزيدي والاسماعيلي (١) ومنها يتفرع كل ما هو مثار للجدل والنقاش مع الفرق الاسلامية الاخرى. فالشيعة الامامية تعتقد ان الخلافة في علي بعد رسول الله (ص) ومن بعد علي في اولاده حتى الامام الثاني عشر الذي هو محمد بن الحسن العسكري الملقب بالمهدي وان رسول الله (ص)

١- الزيدية تعتقد ان الامامة تنفرع من زيد بن علي بن الحسين ابن علي، والاسماعيلية تعتقد ان الامامة تنفرع من اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق.

الامامة واخلاقه

المح إلى خلافة علي من بعده في مواطن كثيرة ونص على ذلك في مواطن أخرى أشهرها في موقع يسمى (غدير خم) عند رجوعه من حجة الوداع حيث عقد البيعة لعلي وقال:

« من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. »

كان ذلك في يوم الثامن عشر من ذي الحجة عام ١٢ بعد الهجرة والشيعية تحتفل بهذا اليوم في كل مكان تتواجد فيه وتطلق على هذا اليوم اسم (عيد الغدير).

اما الفرق الاسلامية الاخرى فتري ان الرسول الكريم (ص) ذهب الى الرفيق الاعلى ولم يستخلف احدا من بعده بل جعل الامر شورى بين المسلمين نزولا عند نص الكتاب في الايتين الكريمتين:

« وامرهم شورى بينهم. » الشورى ٢٧

« وشاورهم في الامر. » آل عمران ١٥٩

هذا هو ملخص الخلاف بين الفريقين. ولكل فرقة اراؤها وادلتها حيث الف علماء الفريقين في هذا الموضوع مئات الكتب المطولة والمختصرة، ولم تنفع تلك الكتب بطولها وعرضها في زحزحة الشيعة عما تعتقدها في الخلافة او زحزحة السنة عما تراها اولى بالاتباع. غير ان المشكلة القصوى هي ان هذا الخلاف الفكري لم يتوقف عند هذا الحد بل اتخذ شكلا خطيرا كلما مرت السنوات وبعد العهد عن عصر الرسالة. ولو ان الخلاف بقي محصوراً عند هذا الحد لكان الخطب هيناً، والعالم الاسلامي لم يشاهد في تاريخه الطويل كثيراً من المحن والمصائب التي حلت به بسبب المتفرعات من فكرة الخلافة والخلاف فيها. وكما اشرنا بصورة مقتضبة في مقدمة الكتاب هو ان الخلاف الفكري تجاوز حدود البحث العلمي والاختلاف في الرأي بل اتخذ طابعاً حاداً وعنيفاً عندما بدأت الشيعة تجرح الخلفاء الراشدين وبعض امهات المؤمنين وذلك بعبارات قاسية وعنيفة لا تليق بان تصدر من مسلم نحو مسلم ناهيك ان تصدر من فرقة اسلامية نحو صحابة الرسول (ص) وازواجه صحابة لهم مكانة كبيرة في قلوب المسلمين، وازواج للنبي عبر الله عنهن بامهات المؤمنين.

وهنا ظهر على ساحة الخلاف عدم التكافؤ بين الفريقين في طريقة التفكير والعقيدة فالفرق الاسلامية كلها تحب عليا وتكرمه شأنه شأن الخلفاء الذين

الإمامة وسننه

سبقوه وتحترم أهل بيت رسول الله (ص) وتصلي عليهم في الصلاة في كل صباح ومساء. ولكن الشيعة لها موقف آخر من خلفاء المسلمين ، موقف فيه العنف والقسوة والكلام الجارح.

فكانت النتيجة ظهور رد فعل عنيف من قبل علماء الفرق الإسلامية الأخرى للدفاع عن أعز وأكرم خلفائهم. فألّف ودوّن كتاب السنة وعلمائهم في الشيعة الكتب المطولة والمختصرة معيرة إياها بالكفر مرة وبالخروج عن الإسلام مرة أخرى وهكذا شغلت فكرة الخلافة حيزاً كبيراً من الكتب الإسلامية عند الفريقين، ولا زالت الأقلام تكتب والمؤلفات تنشر وكأن المسلمين بكل طبقاتهم لا يواجهون مشكلة في هذه الدنيا المليئة بالأحداث والمكائيد والمشاكل الخلافة فحسب.

لكن الحيرة كل الحيرة هي الطريقة التي اتبعتها الشيعة في معالجتها لمشكلة الخلافة فهي تتناقض كل التناقض مع سيرة الإمام علي وسيرة أولاده من أئمة الشيعة. ولذلك تملكني الحيرة والدهشة عندما أرى أن شعار الشيعة هو حب الإمام علي وأولاده ولكنهم يضربون عرض الحائط سيرة علي والأئمة من ولده.

وهنا أود أن أتحدث مع الشيعة بلغتهم وفي نطاق معتقداتهم كي تكون حجة عليهم ولذلك فلا بد من القول أنني أواجه أمرين متناقضين أحدهما التشيع والآخر الشيعة. ومن هنا بدأت استنتج أن ذلك الصراع الذي حدث بين الشيعة والتشيع بعد الغيبة الكبرى مباشرة هو السبب الأساسي لكل الانحرافات التي حدثت في الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى وإلى يومنا هذا . ونحن نعتقد أن ذلك الانحراف سبب الشقاق بين الشيعة وسائر الفرق الإسلامية والذي سنفصله في هذا الكتاب كلا في فصل خاص به.

فكرة الخلافة في عهد الرسول (ص) .

إذا درسنا موضوع الخلافة في عصر الرسول (ص) وبعد وفاته بصورة مستفيضة لوصلنا إلى نتيجة مؤكدة لا يختلف عليها اثنان، هي أن فكرة الأولوية والأفضلية لخلافة النبي الكريم ظهرت بعد وفاته مباشرة فهذا هو عباس ابن عبد المطلب يخاطب الإمام علياً عندما كان مشغولاً بتجهيز النبي (ص) وكفنه :

الإمامة والخلافة

« اعطني يدك لا بايعك حتى يقول القوم عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله. »

فيقول له الامام:

« وهل يطمع فيها طامع غيري ثم انني لا اريد ان اباع من وراء رتاج. »

واجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لينظروا في امر الخلافة وقالت الانصار للمهاجرين:

« منا امير ومنكم امير. »

وكادت تحدث فتنة بين المجتمعين لولا ان الخليفة عمر ابن الخطاب حسم الامر وبايع ابا بكر، فبايعه المسلمون بعد ذلك. وترك سعد ابن عبادة شيخ الخزرج الاجتماع غاضباً لانه كان يرى نفسه اولى بالخلافة من غيره، وتخلف الامام علياً عن البيعة بعض الوقت الا أنه بايع الخليفة الجديد ابا بكراً وهو راض عن البيعة مقبل عليها. غير ان فكرة الاولوية كانت تراود نفس الامام ومعه السيدة فاطمة الزهراء وبعض صحابة الامام وبني هاشم حتى ان الخليفة عمر ابن الخطاب قال لابن عباس وهو يشير الى علي:

« اما والله ان كان صاحبك هذا اولى الناس بعد رسول الله (ص) الا انا خفناه على اثنين حداثة السن وحبه بني عبد المطلب. » (١)

ومرة اخرى نستمع الى الخليفة عمر ابن الخطاب وهو على فراش الموت يشير الى الامام علي ويقول:

« والله لو وليتموه امركم لحملكم على المحجة البيضاء. » (٢)

ومن هنا يمكن القول ان فكرة التشيع لعلي بالمعنى الذي اشرنا اليه ظهرت بعد وفاة النبي (ص) واستمرت حتى القرن الثالث الهجري حيث كان التشيع

١- شرح نهج البلاغة ج ١، ص ١٢٤

٢- شرح نهج البلاغة ج ١، ص ٦٤

الامامة والخلافة

يعني ان الامام علياً اولى بالخلافة واحق بها من غيره ولكن المسلمين نزولاً
لاوامر القرآن الكريم الذي يقول:

« وامرهم شورى بينهم » آل عمران ١٥٩

ارتضوا ابا بكر خليفة والامام ارتضاه كما ارتضاه غيره وبايعه كما بايعه
غيره وهكذا كان موقفه مع الخليفتين عمر ابن الخطاب وعثمان ابن عفان
فبايعهما واخلص لهما في المشورة والرأي.

التشيع في القرن الثاني الهجري

منذ اوائل القرن الثاني للهجرة اخذت فكرة التشيع تمثل مذهباً فقهياً هو مذهب
اهل البيت وقد تجلى هذا المذهب في زمن انبثقت فيه المذاهب الفقهية الكبيرة
الاسلامية الاخرى كالمذهب المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي، وتجلت
مدرسة اهل البيت في مدرسة الامام الصادق الامام السادس للشيععة الامامية.
وقد كانت الفكرة التي تساند مذهب اهل البيت هي الفكرة القائلة بانه اذا كان
الامام علياً اولى بالخلافة من غيره فأولاده ومن ثم حفيده الامام جعفر بن
محمد الصادق الذي كان يعتبر من من افقه فقهاء عصره اجدر بان يتبع في
مسائل الدين وشؤونه من غيره من الفقهاء. وهكذا ظهرت المدرسة الفقهية
الجعفرية الى الوجود في عهد الامام الصادق الذي كان يلقي محاضراته
ودروسه في الفقه وفي علوم اخرى على تلاميذه في المدينة المنورة آنذاك. ولا
بد من الاشارة الى ان التشيع لعلي واهل بيته بدأ يأخذ شكلاً خطيراً بعد مقتل
الامام الحسين الذي احدث رد فعل عنيف في العالم الاسلامي وكانت نتيجته
المباشرة حدوث ثورات متتاليات ادت الى سقوط الدولة الاموية ومن
بعدها المروانية وقيام الخلافة العباسية. وكما نعلم فقد حدثت ثورات متتاليات
باسم التشيع لعلي واهل بيته منها ثورة المختار وثورة مصعب بن زبير وثورة
زيد بن علي بن الحسين التي انتهت الى استشهاده واستشهاد صحبه، كما ان
الثورة التي قطف ثمارها العباسيون والتي اطاحت بالخلافة الاموية في
المشرق الاسلامي الى الابد قد بدأت باسم التشيع لاولاد علي واهل بيت
رسول الله (ص) وابو مسلم الخراساني كان يدعو لاهل البيت في ابان القيام
بثورته ولكنه انحاز الى العباسيين في قصة معروفة جاء ذكرها في كتب
التاريخ.

الإمامة والخلافة

وكان ائمة الشيعة في عهد الخلفاء العباسيين يتمتعون باحترام عظيم لدى المسلمين كما ان فكرة الاولوية والاحقية في خلافتهم كانت تراود كثيراً من الناس، فلولا الرأي العام الاسلامي باحقية اهل البيت بالخلافة لما اختار المأمون العباسي الامام علي الرضا ولياً للعهد، غير ان الرضا توفي في عهد المأمون واستمرت الخلافة في العباسيين. فاذاً ان فكرة التشيع لعلي واهل بيته والتي كانت تظهر بمظاهر مختلفة في المجتمع الاسلامي انذاك كان لها انصارها المتحمسين. ونستنتج من كل هذه المقدمات ان فكرة التشيع كانت موجودة في القرون الثلاثة الاولى بعد الهجرة، وهذه الفكرة كانت تنحصر في النقاط التالية:

اولاً: ان علياً اولى بالخلافة من غيره ولكن المسلمين بايعو الخلفاء الراشدين وعلي بايعهم ثم بايع المسلمون علياً بعد عثمان فلا غبار على شرعية خلافة الخلفاء الراشدين من ابي بكر الى علي.

ثانياً: اظهار العداء للامويين وذلك لموقف معاوية من علي ومقتل الامام الحسين في فاجعة الطف وسب الخلفاء الامويين علياً على المنابر زهاء خمسين عاماً الى ان قام بالامر عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي فنهى عن سب الامام.

ثالثاً: الرجوع الى اهل البيت في الاحكام الشرعية والمسائل الفقهية.

رابعاً: اهل البيت ولا سيما الائمة من اولاد الحسين اولى بالخلافة من الامويين والعباسيين.

بداية الانحراف في الفكر الشيعي

وبعد الاعلان الرسمي عن غيبة الامام المهدي في عام ٢٢٩ هجري حدثت في التفكير الشيعي امور غريبة ادعوها بالصراع بين الشيعة والتشيع او عهد الانحراف، وكانت اولى هذه الامور في الانحراف الفكري ظهور الاراء القائلة بأن الخلافة بعد الرسول (ص) كانت في علي وبالنص الالهي وان الصحابة ما عدا نفر قليل منهم خالفوا النص الالهي بانتخابهم ابا بكر. كما ظهرت في الوقت نفسه اراء اخرى تقول ان الايمان بالامامة مكمل للاسلام وحتى ان بعض علماء الشيعة اضافوا الامامة والعدل الى اصول الدين الثلاثة التي هي:

الامامة والخلافة

التوحيد، النبوة والمعاد وقال بعضهم بأنها من اصول المذهب وليس من اصول الدين وظهرت روايات تنقل عن ائمة الشيعة فيها تجريح بالنسبة للخلفاء الراشدين وبعض ازواج النبي.

ومن الجدير بالذكر انه حتى في خلافة معاوية بن ابي سفيان وعندما كان يامر بسب الامام علياً على المنابر وحتى بعد مقتل الامام الحسين وظهور الثورات الداعية الى الاخذ بالتأثر وفي العهود التي كان التشيع يعصف بالخلافة الاموية ويقصم ظهرها ويمهد الطريق للخلافة العباسية لم نجد اثراً لدى المتشيعين لعلي واهل بيته للاراء الغريبة التي ظهرت فجأة في المجتمع الاسلامي بعد الغيبة الكبرى. تلك الاراء التي ساهم بعض رواة الشيعة وبعض علماء المذهب في بثها ونشرها وغرسها في عقول الساذجين من ابناء الشيعة. وظهرت في الوقت نفسه فكرة التقية التي كانت تأمر الشيعة بان تعلن شيئاً وتضمر شيئاً آخرأ وذلك لحماية الاراء الحديثة التي كانت بحاجة الى الكتمان سواء لنشرها او لحمايتها من السلطة الحاكمة. ولكي يكون لهذه الاراء الغريبة رصيد ديني لا يجوز التشكيك فيها نسبت رواة الشيعة تلك الروايات الغريبة الى ائمة الشيعة ولا سيما الى الامامين الباقر والصادق. ولتثبيت صحة تلك الروايات وعدم الخوض في مضامينها وقبولها كما ذكرت فقد ظهرت فكرة عصمة ائمة الشيعة في ذلك العهد لكي تكون رصيذاً آخرأ يجعل من تلك الروايات الغريبة روايات مقدسة لا تخضع للنقاش والجدل والبحث والنقض. وقد افردنا لتلك الاراء الغريبة الدخيلة والتي لها علاقة مباشرة بتكوين المذهب الشيعي فصولا خاصة سنناقشها فيما بعد في هذا الكتاب، اما الآن فلنعد الى مبحث الامامة والخلافة لكي نناقش المتغيرات التي أحدثتها الرواة وعلماء المذهب فيها بعد الغيبة الكبرى.

ان المتتبع المنصف للروايات التي جاء بها رواة الشيعة في الكتب التي الفوها بين القرن الرابع والخامس الهجري يصل الى نتيجة محزنة جداً وهي ان الجهد الذي بذله بعض رواة الشيعة في الاساءة الى الاسلام لهو جهد يعادل السموات والارض في ثقله. ويخيل الي ان اولئك لم يقصدوا من رواياتهم ترسيخ عقائد الشيعة في القلوب بل قصدوا منها الاساءة الى الاسلام وكل ما يتصل بالاسلام. وعندما نمعن النظر في الروايات التي رووها عن ائمة الشيعة وفي الابحاث التي نشروها في الخلافة وفي تجريحهم لكل صحابة الرسول (ص) ونسفهم لعصر الرسالة والمجتمع الاسلامي الذي كان يعيش في ظل

النبوة لكي يثبتوا احقية علي واهل بيته بالخلافة ويثبتوا علو شأنهم وعظيم مقامهم نرى ان هؤلاء الرواة — سامحهم الله — اساءوا للإمام علي واهل بيته بصورة هي اشد وانكى مما قالوه ورووه في الخلفاء والصحابه. وهكذا تشويه كل شيء يتصل بالرسول الكريم (ص) وبعصره مبتدئاً باهل بيته ومنتهياً بالصحابه. وهنا تأخذني القشعريرة وتمتلكني الحيرة واتساءل: أليس هؤلاء الرواة من الشيعة ومحدثيها قد اخذوا على عاتقهم هدم الاسلام تحت غطاء حبهم لأهل البيت ؟

ماذا تعني هذه الروايات التي نسبها هؤلاء الى أئمة الشيعة وهم صناديد الاسلام وفقهاء اهل البيت ؟ وماذا تعني هذه الروايات التي نسبوها الى أئمة الشيعة وهي تتناقض مع سيرة الامام علي واولاده الائمة وكثير منها يتناقض مع العقل المدرك والفطرة السليمة ؟

وانني لا اشك ان بعضاً من رواة الشيعة ومحدثيها ومن ورائهم بعض فقهاء الشيعة قد امعنوا في هذا التناول على أئمة الشيعة وفي وضع روايات عنهم عندما اعلن رسمياً بحدوث الغيبة الكبرى. ونقل عن الامام المهدي قوله :

« من ادعى رؤيتي بعد اليوم فكذبوه.. » (١)

وهكذا سدت الابواب كلها للاتصال بالامام والسؤال عن صحة الروايات التي نسبت اليه والى اجداده الائمة الطاهرين. وهكذا خلا الجو للمتربصين بالتشيع والاسلام معاً فصفروا ونقروا وكتبت اقلامهم ما شاءت وما ارتأت.

ولكي اكون واضحاً اود ان اضع النقاط على الحروف وابدأ بالخلافة لكي نرى ان ما رووه في حق الخلفاء وصحابه الرسول (ص) يصطدم اصطداماً كبيراً بسيرة الامام علي واهل بيته. ونرى بعد ذلك كيف ان هؤلاء الرواة وبعض علماء الشيعة لتعزيز ارائهم ولتفنيد مواقف الامام الصريحة واهل بيته التي تفند ما نسبوه اليهم ناقضوا مواقف الامام علي والائمة من بعده بصورة ملتوية ظاهراً مليح وباطنها قبيح لكي يثبتوا ارائهم حسب اهوائهم.

موقف الامام علي من الخلافة

قلنا قبل قليل أن التشيع كان يعني حب الامام علي وأهل بيته وإعطاءه حق الأولوية في الخلافة وإعطاء اولاده مثل هذا الحق من بعده ولا اعتقد أن هناك احد لا يعرف الأسباب الدافعة الى هذا الاعتقاد فالامام علي ترعرع ونشأ في بيت الرسول الكريم (ص) وهو يحدثنا عن تلك النشأة بقوله :

« وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرب القريبة والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولد يضمني الى صدره ويكنفني الى فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمسح الشئ ثم يلقمني، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل..» (١)

ويستمر الامام في بيان منزلته عند رسول الله (ص) ويقول :

« ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما. ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلی خير.»

ولنستمع الى الامام مرة اخرى وهو يقول:

« ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن رأسه لعلی صدری، ولقد سالت نفسه في كفي فأمرتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة اعوانی. فضجت الدار

والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي
هيمنة فهم يصلون عليه حتى وأريناه في
ضريحه. فمن ذا الحق به مني حيا وميتا، فأنفذوا

علي بصائرکم.» (١)

وهذا هو الامام علياً يصف نفسه وموقعه من رسول الله (ص) مرة أخرى في
كتاب بعثه الى واليه في البصرة عثمان بن حنيف جاء فيه :

« وانا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع

من العضد.»

وبعد كل هذا فالامام هو زوج الزهراء وابا الحسين وبطل المسلمين ومن اعظم
بناة الاسلام ودافع عن الرسول الكريم ورسالته بقلبه
ولسانه ودمه وعرقه وهو بعد غلام لم يبلغ الحلم وقد شاء الله انه تكون
شهادته حيث كان مولده فقد ولد علي في بيت الله واستشهد في بيت الله.
وقد تكتمل الصورة المشرقة لعلي وجهاده وموقعه من قلب
الاسلام عندما نعلم علم اليقين وحسب الاحاديث المتواترة الصحيحة التي
رواها رواة الشيعة والسنة على السواء في حب الرسول الكريم (ص) لعلي
وتقديره اياه، فالنبي زوجه فاطمة الزهراء بامر من السماء ورفض اولئك الذين
تقدموا لخطبتها بقوله:

« انما انتظر بها القضاء.»

وعندما نزل القضاء تم ذلك الزواج الميمون بين علي وفاطمة.

وفي غزوة الخندق يصف النبي الكريم علياً بجمليتين تضاهيان كل
الاحاديث التي رويت عنه في فضائل علي، حقاً ان كل حرف من تلك الكلمات
الخالدة المشرقات يعتبر وساماً نبوياً ينصبه محمد (ص) على صدر علي
بن ابي طالب انه وسام اعطى الجهاد والاخلاص والتفاني والايمان بالله موقعه
السرمدى في حياة الدهر وتخليد العظماء. والجملتان صدرتا عن الرسول في
خلال ساعة او اكثر منها بقليل، وذلك عندما ذهب علي ليلتقي بعدو الاسلام
وبطل المشركين عمرو بن عبدود والذي كان يبارز لوحده جماعات ورجالا قال
(ص):

« اللهم برز الاسلام كله الى الشرك كله.»

الإمامة والخلافة

وعندما وقع عمرو صريعاً بسيف علي قال (ص) :
« ضربة علي يوم الخندق افضل من عبادة
الثقلين. » (١)

ان المتتبع لحياة الرسول الكريم والامام يصل الى نتيجة اكدية وهي ان
الوشائج التي كانت تربط محمداً (ص) بعلي كانت اقوى بكثير من وشائج
القربى انها صلات روحية مترابطة متماسكة اصلها في السماء وفرعها في
قلبي الرسول (ص) وابن عمه ولذلك لا نستغرب ابداً عندما نلمس في علي
نفحات من نفحات النبي فهذا هو رسول الله (ص) يدافع عن رسالته بكلمته
الخالدة التي قالها للمشركين:

« والله لو وضعت الشمس عن يميني والقمر عن
يساري لترك هذا الامر ما فعلت. »
وهذا هو علي يدافع عن ايمانه بالله ويقول:
« فوالله لو اعطيت الاقاليم السبعة وما تحت
افلاكها ان اعصى الله في نملة اسلبها جلب
شعيرة ما فعلت. »

وبعد كل ما ذكرناه ورويناه فقد يكون من الطبيعي ان يرى علي نفسه
اولى بخلافة محمد (ص) من غيره. ومن الطبيعي ايضا ان تعتقد فئة من
الناس بذلك وتتحمس لها اشد التحمس، وتجذ الفكره لها مؤيدين وانصارا. كما
ان من الطبيعي ايضا ان نقرأ في قلب محمد (ص) ولسانه ما يدل على
استخلاف علي بعد وفاته.

الامام علي يؤكد شرعية بيعه الخلفاء

ولكن هل يعني كل هذا وهذا هو بيت القصيد وحجر الاساس في كل ما يتعلق
بالامامة وشؤونها المتفرعة منها ان هناك نصاً إلهياً بتعيين علي لخلافة
الرسول (ص) ام انها رغبة شخصية من رغبات رسول الله الخاصة ؟
الامام علي كان يقول لا نص عليه من السماء وصحابة علي والذين عاصروه
كانوا يعتقدون بذلك ايضا وقد استمر هذا الاعتقاد حتى عصر الغيبة الكبرى
وهو العصر الذي حدث فيه التغيير في عقائد الشيعة وقلبها رأساً على عقب.

١- أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ ، ص ٣٢ « لمبارزة علي لعمرو افضل من اعمال امتي الي يوم
القيامة. »

ومرة أخرى نقول ان هناك فرقاً كبيراً بين ان يعتقد الامام علي والذين كانوا معه انه اولى بخلافة الرسول الكريم (ص) من غيره ولكن المسلمين اختاروا غيره وبين ان يعتقد ان الخلافة حقه الالهي ولكنها اغتصبت منه. والآن فلنستمع الى الامام علي وهو يحدثنا عن هذا الامر بكل وضوح وصراحة ويؤكد شرعية انتخاب الخلفاء وعدم وجود نص سماوي في امر الخلافة.

« انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر

وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد.

وانما الشورى للمهاجرين والانصار. فان اجتمعوا

على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى. فان

خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما

خرج منه. فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل

المؤمنين. » (١)

وقبل أن أتحدث عن موقف الامام علي بالنسبة للخلفاء الذين سبقوه وقبل أن نسهب في هذا الامر ونستشهد باقوال اخرى للامام حيث ان لهذا الموقف اهميته القصوى في كشف الحقيقة وانارة الواقع لا بد من التفصيل حول رغبات النبي الشخصية وذلك الجانب السماوي الذي كان يصدر عنه بامر من الله وبوحي منه.

الفصل بين الاوامر الالهية ورغبات النبي الشخصية

ان فصل هذين الجانبين في الشخصية المحمدية (ص) يساهم مساهمة كبيرة في اعطاء صورة واضحة عن الجانب الالهي والشخصي في رسول الله (ص). واذا علمنا ان النبي الكريم كان يحاول جاهدا للتفريق بين الجانب الالهي في اقواله وما يصدر عنه من اقوال واعمال لا صلة لها بالسما لعرفنا عظمة النبي وعظمة نفسه الكريمة. فالقرآن الكريم عندما يتحدث عن النبي (ص) بهذه الايات البيئات :

« وما ينطق عن الهوى. ان هو الا وحي يوحى

علمه شديد القوى. » النجم ٥،٤،٣

الإمامة والخلافة

لا شك انه يقصد بذلك انه (ص) عندما يقرأ القرآن ويبلغ المسلمين بالايات الالهية وبالحكام المنزلة عليهم انما ينطق بالوحي وبكلام الله المنزل على قلبه. وهذا هو شرط الايمان بالاسلام وبرسالة محمد (ص) وبالقرآن المنزل عليه.

ولكن القرآن الكريم حتى يبين الفرق الاساسي بين ما هو رغبة من رغبات النبي الخاصة وما هو امر الهي قد حسم الموقف بصورة واضحة وصريحة في ايات العتاب وفي ايات النهي عن امور كان النبي (ص) يرغب الاتيان بها ولنقرأ معاً هذه الايات البينات :

١- « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس.. » المائدة ٦٧

٢- « واذكر ربك اذا نسيت.. » الكهف ٢٤

٣- « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى.. » الأعلى ٧،٦

٤- « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر.. » آل عمران ١٧٦

٥- « ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين.. » الحجر ٨٨

٦- « وما كان للنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض.. » الانفال ٦٧

٧- « عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين.. » التوبة ٤٣

٨- « وما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انه اصحاب الجحيم.. » التوبة ١١٣

٩- « واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق

ان تخشاه.. » الاحزاب ٣٧

١٠- « يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي

- مرضاة أزواجك والله غفور رحيم». التحريم ١
 ١١- «عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك
 لعله يزكى أو يذكر فتنتفه الذكري أما من
 استغنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى
 وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه
 تلهى كلا انها تذكرة». عبس ١ - ١١
 ١٢- «قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
 الحكم اله واحد». الكهف ١١٠
 ١٣- «أنتك ميت وانهم ميتون». الزمر ٣٠

ان من يتدبر في هذه الايات البيّنات سيعلم علم اليقين ان القرآن الكريم يؤكد تأكيدا قاطعا على ان رسول الله (ص) لم يكن ملكا ولا عنصرا سماويا ولا موجودا خارج نطاق هذا الكون وطبائعه انما هو بشر مثل سائر البشر كان يأكل وينام ويصح ويمرض ويحب ويكره ويتزوج وينجب الاطفال حسب الناموس الطبيعي للكون فيسري عليه من التفاعل الطبيعي كل ما هو يسري على سائر افراد البشر. ومن الواضح جدا ان التأكيد على هذا الجانب في رسول الله (ص) انما كان ليثبت للناس ان كل ما يصدر من النبي لا يعني انه وحي او كلام الهي او امر سماوي. اما الناحية الالهية في وجود النبي وهي الاتصال بالمبدأ الاعلى فكان يؤكد لها شخص النبي (ص) عندما كان ينزل عليه الوحي ويطلب من كتبة الوحي ان يدونوا قول الله تعالى. ويبدو واضحا للمتتبع لاخلق الرسول الكريم (ص) كما قلنا قبل قليل انه كان يسعى جاهدا لتأكيد الفصل بين الجانب السماوي والارضي في شخصه وهذه كانت من اكبر السمات الدالة على قوة النبي النفسية وصدقه في الرسالة واخلاصه لربه وعظمة شخصيته وهي خصال لا تضاهيها خصال اي رسول من رسل السماء واي عظيم من عظماء الارض. فهذا الدور البارز العظيم الذي كان يؤديه ليظهر بالمظهر الذي خصه به ربه وبالصفات التي وصفه بها الهه (فهو بشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) ولكنه بشير ونذير ارسله الله للعالمين. فعندما كانت تنزل عليه آيات العتاب كان يقرأها على الناس من موقع الامين القوي وعندما كانت تنزل عليه آيات الثناء كان يقرأها من موقع العبد المطيع، فلم ير النبي في نفسه انتقاصا عندما تلى على المسلمين آيات العتاب التي نزلت عليه كما لم يظهر عليه الخيلاء والتكبر عندما تلى آيات الثناء التي انزلها الله على قلبه.

الامامة والخلافة

وهكذا كانت آيات العتاب والتحذير تعطي للرسول (ص) قوة لا تقل عن قوة آيات المدح والثناء فلا غرو انه (ص) تلقى من ربه كلمات لم تنزل قط على من سبقوه من اولي العزم من الرسل.
« وانك لعلی خلق عظیم. » القلم ٤

ولم يقتصر دور الرسول البارز في فصل موقعه السماوي من البشري الى هذا الحد فحسب بل تجاوزه الى ابعد ما يمكن للمرء ان يتصوره، فعندما هابه رجل من الاعراب التقى به قال له (ص) :

« هون عليك انما انا ابن امرأة كانت تأكل القديد. »

وهذه العظمة الروحية في نكران الذات تتجاوز افاق الارض والسماء وتتجلى في اعظم مظاهرها عندما كسفت الشمس في يوم وفاة ابنه ابراهيم فقال الناس :
« انكسفت الشمس لوفاة ابن رسول الله (ص). »

وسمع الرسول (ص) ما قاله القوم فصعد المنبر وخاطب المسلمين بقوله :
« ان الشمس والقمر ايتان من آيات الله لا تنكسفان لموت احد وانما مات ابراهيم بقضاء وقدر من الله. »

وهكذا كان النبي (ص) يدفع عن نفسه مظاهر القدسية وهالاتها ليثبت عبوديته لله وانه بشر لا يملك لنفسه نفعا ولا ضررا.
« قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا. » يونس ٤٩
ويزيد النبي في العبودية والعبادة حتى انزل الله عليه قوله :
« طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى. » طه ٢-١

الحرية الفكرية والاجتماعية في عهد الرسول (ص)

لكن الوجه الآخر المكمل لهذه السيرة النبوية يتجلى في شيء اخر هو الحرية الفكرية والاجتماعية التي منحها الرسول الكريم لاصحابه وللمسلمين. حقا ان المرء ليطأ طئ رأسه خضوعاً وخشوعاً لعظمة رسول الله (ص) عندما يتابع عصر الرسالة وما فيها من الحريات الفكرية والاجتماعية التي منحها الرسول (ص) لاصحابه وللمسلمين وهذا هو الجانب المكمل للطريقة التي كان يتبعها الرسول الكريم للفصل بين شخصيته كرَسُولِ الله وكمحمد بن عبد الله. ولو ان المتتبعين والمحققين للتاريخ درسوا هذه الناحية في عصر الرسالة وهذا الجانب من سياسة النبي الاجتماعية لسهل عليهم فهم كثير من الغوامض التاريخية المتعلقة بعصر الرسول (ص) وبعد وفاته، ولحلت كثيرا

الامامة والخلافة

من الخلافات الفكرية والمذهبية بين المسلمين التي انتهت الى اراقة الدماء تارة والى الشتم والتنازع بالالقباب تارة اخرى.

لقد منح الرسول (ص) صحابته والمسلمين من الحرية الفكرية والاجتماعية والمساواة منذ ابان دعوته وعند انتشارها وحتى اخر يوم من حياته ما لم نجده في اي عصر اخر ولدى اية امة اخرى ولم نجده حتى في عصرنا هذا لدى ارقى الامم ديموقراطية وحرية. ولا اعتقد انه يوجد في تاريخ الديموقراطية والمساواة قديما وحديثا ان سيد قوم ومؤسس امة وقائد فكر يجلس مع صحابته في صورة دائرية لكي لا يكون لمجلسه الصدر والذيل ويكون كل فرد في ذلك المجلس مساوياً مع رسول الله (ص) في جلسته حتى ان الاعرابي عندما كان يدخل الى مجلس الرسول فلا يميزه بين الصحابة كان يسأل : من هو محمد ؟ فكان الصحابة يشيرون اليه (ص)

ويكفي لذلك العصر فخرا وجلالا ان بروتوكولات الديموقراطية في عصر الفضاء قلدت فكرة المائدة المستديرة لاجتماع الملوك والرؤساء من مجلس الرسول العربي.

والنبي اذا صافح رجلا كان يمسك بيد الرجل حتى يرسلها صاحبها احتراماً منه لذلك الرجل. وكان (ص) كما وصفه علي بن ابي طالب يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخضع بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه. ولعل هذه الديموقراطية والحرية تجلت في اكبر صورها عندما كان الكثير من الناس يستغلونها ويخرجون عن حدود الادب وطوره بالنسبة للقائد الالهي. وكان الرسول (ص) يحتمل ذلك بصبر واناة وابتسامة حتى ان نزل امر الله على المسلمين معاتباً اياهم في ذلك. ولكن حتى الايات الالهية لم تنه نهياً قاطعاً من كيفية تعامل الناس مع الرسول (ص) بل القى الملامة عليهم ووصفهم بالجهل، او وضعت ضريبة غير ملزمة لاولئك الذين يخرجون عن الاحترام اللائق بالنسبة لرسول الله (ص) ولكن الله لم يحرم شيئاً من ذلك ولنقرأ معاً هذه الايات البيّنات :

١ - « يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق

صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

لبعض، ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون. ان

الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك

الإمامة والخلافة

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى. لهم مغفرة وأجر
عظيم. ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرتهم لا يعقلون. ولو انهم صبروا حتى تخرج
اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم»
الحجرات ٢ - ٥

٢- « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان
لم تجدوا فان الله غفور رحيم» المجادلة ١٢

واعتقد ان من الضرورة بمكان ان اثبت في هذا الفصل حادثة اخرى وقعت في
حياة النبي الكريم وكانت لها صلة مباشرة بزوجه السيدة عائشة ام المؤمنين
الا وهي قصة الافك.

ان المتتبع لقصة الافك يتضح امامه صورة كاملة للحرية التامة التي كان
المسلمون يتمتعون بها في الفكر والتعبير والكلام، فكل من يقرأ تاريخ تلك
الحقبة يعلم علم اليقين ان اشاعة الافك عندما انتشرت في المدينة واصبحت
حديث الناس في مجالسهم ونواديهم وكانت تلك الاخبار المحزنة تصل الى
سمع رسول الله لم يصدر منه (ص) ما يوحى بالغضب على صحابته او اهل
المدينة. ولا شك ان الرسول (ص) كان يعلم زيف التهمة الموجهة الى ام
المؤمنين وهي اعز ازواجه بعد السيدة خديجة الكبرى، وابنة صاحبه في الغار
ومن اقرب الصحابة اليه. ولكنه اراد ان لا يستعمل صلاحية القائد او يحد من
صلاحية الامة في التعبير عن الكلام. فالتاريخ لا يشير قط الى ان الرسول
(ص) طلب من أصحابه أن يكفوا عن حديث الأفك او انه اعترض عليهم في
القول او صدر منه ما يشعر المسلمين بانه غاضب عليهم لما يقال في همس
وعلى في ام المؤمنين، او انه أجرى تحقيقاً مع المشتبه بامرهم في اشاعة
الافك وكان للنبي في المدينة اعداء الداء تتجسد في الجالية اليهودية ومن
المنافقين والمتربصين به وبكل ما يحيط به. فلم يتخذ النبي وجود الاعداء بين
ظهور المسلمين ذريعة ليطلب من اهل المدينة الكف عن حديث الافك حتى
يهونوا عليه ولا يتخنوا في الجراح بل بالعكس من كل هذا عالج الافك بالصبر
حتى انه (ص) شاور علي ابن ابي طالب وزيد بن حارثة وبعض الصحابة في
الطريقة التي ينبغي عليه ان يعالج ذلك الامر ولكن ليس مع الافاكين بل مع ام
المؤمنين.

الامامة واخلاقه

ومع ان الوطأة كانت شديدة على السيدة عائشة وعلى ابيها واسرتها، فهزلت ومرضت ولزمت الفراش، وكان هذا اللغط الاجتماعي الغريب يعصر قلبها كلما تصورت ما يقول عنها الآفكون الا ان كل ذلك لم يغير من سياسة النبي العظيم في الحد من اطلاق الحريات الاجتماعية او حمل الناس على السكوت وعدم الخوض في ما يدور في مجالس المدينة ونواحيها. وهنا ظهرت المشيئة الالهية وارادته البالغة فوضعت حدا سماوياً للاحداث الجارحة والاتهامات الباطلة التي ينسبها البعض الى البعض بلا دليل او شاهد او بينة فانزل الله على قلب رسوله (ص) :

« ان الذين جاؤا بالافك عصبية منكم لا تحسبوه
شراً لكم بل هو خير لكم لكل امريء منهم ما
اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب
عظيم .» النور ١٠

وهكذا برأ الرحمن ساحة السيدة عائشة ووضع سبحانه وتعالى حداً للحريات الكلامية الجارحة التي فيها اساءة للناس وحط من كرامتهم.

وهنا نريد ان نستنتج شيئاً اهم من هذه الحادثة وهو ان المجتمع الذي يصل فيه التعبير عن الرأي وحرية الكلام سواء اكان ذلك صحيحاً او سقيماً الى هذه المرحلة بحيث لا يرمى فيه حرمة رسول الله (ص) الذي انقذهم من الضلال والهلاك وهداهم الى خير الدنيا والآخرة وخير البركات حتى ان نزلت آيات التأديب بحق الناس في ذلك المجتمع.

هل يمكن للنبي (ص) ان يحمل مجتمعا مثل هذا على امر وهو مكره عليه الا اذا كان ذلك الامر من الله وينص من كتابه، فحينئذ كانت الحريات الفكرية والاجتماعية كلها تتبخر امام الاوامر الالهية ويصبح الفرد والمجتمع امام اوامر الله ونواهيه عباداً مطيعين منقادين لا يسعهم الا الامتثال لامره والعزوف عن نواهيه.

لقد كان باستطاعة النبي الكريم ان يخلق مجتمعا من المسلمين يطيع ارادته الشخصية لا يحيد عنها اذا امرهم بها، ولكن مثل هذا الامر كان مناقضاً للرسالة التي جاء لاجلها الا وهي الغاء كل العبوديات والتقاليد المتعلقة بها ما عدا عبادة الله الواحد الاحد. وكما نعلم فان الاسلام قد جاء ومحمداً قد بعث للقضاء على كل الرواسب والافكار الجاهلية التي كانت اهم مظاهرها عبادة الفرد للفرد واطاعة الفرد للفرد، وهكذا اخرج الاسلام الناس من ظلمات العبودية

الامامة والخلافة

الفكرية والجسدية الى حيث النور والحرية، ولذلك كان المجتمع الاسلامي الفتي يرى في الدين الجديد كل مقومات الحياة وكرامة الفرد والانسان. انها الرسالة السماوية التي جعلت من ذلك المجتمع الطبقي المؤلف من السادة والعبيد مجتمعاً موحداً يتألف من اناس كلهم سواسية امام الله لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى.

« ان اكرمكم عند الله اتقاكم. » الحجرات ١٣

وكان من نتائج الخروج من عبودية الاصنام والالهة المتفرقة والتخلص من سادة قريش والدخول في عبادة الله الواحد الاحد تلك الحرية التي انعمها الله على المسلمين والتي بفضلها بدأ المجتمع الاسلامي الجديد ينعم بحرية الرأي والتعبير والفكر ما دام لم يكن في تلك الحرية غضب الله وسخطه. وعندما اراد المجتمع الاسلامي ذلك ان يتجاوز القيود المفروضة عليه في التعبير عن الرأي لم يمنعه الرسول (ص) من ذلك حتى لا يعيد الى اذهانهم دور الاطاعة لسادة القوم وكبراءه بل انتظر في ذلك امر السماء ونزول الوحي، وجاء الامر الالهي يقيد المسلمين بالالتزام بالاخلاق الفاضلة وبعدم اشاعة الفحشاء في الذين آمنوا :

« ان الذين يحيون ان تشيع الفاحشة في الذين

« آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة. » النور ١٨

كما امرهم بالالتزام بحرمة المسلمين وعدم الاساءة اليهم بالكلام الجارح والسب المقذع :

« يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى

ان يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى

ان يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا انفسكم ولا

تنازروا بالالقاب بسئ الاسم الفسوق بعد الايمان،

ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون. يا ايها الذين

آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم،

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، ايجب

احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا

الله ان الله تواب رحيم. » الحجرات ١١-١٢

وهكذا تظهر عظمة رسول الله (ص) بكل قداستها وجلالها حيث لا يريد لامته ومجتمعه الا ما يريده الله لهم.

الامامة والخلافة

وهنا اعود لموضوع الخلافة واقول، اذا كان النبي (ص) لم يدافع عن زوجته في اخطراتهم وجهته اليها عصبية جاءت بالافك وهو يعلم انها بريئة منه كل البراءة حتى لا يعيد الناس الى دور الجاهلية واطاعة السادة والكبراء بدون ضابط ومبرر، فلم يكن من المعقول ان يرغم امته على قبول خليفة هو يرتضيه لهم اذا لم يكن في ذلك امر الهي. واذا كان الرسول (ص) يرغب رغبة شخصية ان يكون علياً خليفة من بعده كما تدل على ذلك الاحاديث التي رواها الفريقان باسانيدهما الصحيحة لكنه لم يرغم امته على قبول ذلك الخليفة بنفس الطريقة التي لم يرغم الناس فيها على ان يكفوا عن حديث الافك في اعز ازواجه ولم يرغمهم في الكف عن معاملته بصورة لا تليق برسول الله (ص) عندما كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته او يتناجون بين يديه حتى ان نزلت الآيات الكريمات التي امرت الناس بالتأدب والاحترام للنبي الذي اطلق للناس حرية استغلها البعض استغلالا غير حسن وكريم.

ومرة اخرى نلقي نظرة فاحصة على عهد الرسول الكريم والحرية التي كان المجتمع الاسلامي الفتى ينعم بها الى درجة تجاوزت الحدود ووصلت الى مرحلة خطيرة اغضبت رسول الله (ص) لانها كانت خروجاً على التقاليد المرعية والمتبعة في اطاعة القائد الاعلى اثناء القتال فقد اجمع ارباب السير ان رسول الله (ص) لما مرض مرض الموت دعا اسامة بن زيد بن حارثة فقال له :

« سر الى مقتل ابيك فاوطنهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش، وان ظفرك الله بالعدو فاقلل اللبث وبث العيون وقدم الطلائع.»

فلم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار الا كان في ذلك الجيش، منهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقال :

« يستعمل هذا الغلام على جلة من المهاجرين والانصار. »

فغضب رسول الله (ص) لما سمع ذلك وخرج عاصبا رأسه فصعد المنبر وعليه قطيفة فقال :

« يا ايها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير اسامة، لئن طعنتم في تأمير اسامة فقد طعنتم في تأميري اباه من قبل. وايم الله انه كان خليفا بالامارة وابنه من بعده لخليق بها، وانهما

الامامة والخلافة

لمن احب الناس الي فاستوصوا به خيراً فانه من
خياركم. »

وهكذا نرى بوضوح ان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله كان اكبر من ان
يأمر بمعاقبة قوم طعنوا في القيادة التي اختارها لجيشه وتجاوزوا على
صلاحيات القائد الاعلى الذي هو في الوقت نفسه رسول الله (ص) ومؤسس
امة وباني مجد وقائد عسكري عظيم حيث يصفه الامام علي بقوله :
« كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن

منا اقرب الى العدو منه. »

مثل هذا الرسول العظيم وامام هذه البادرة الخطيرة لم يزجر ولم يهدد ولم يتهم
بالفسق او الخروج عن الاسلام احداً من الذين طعنوا في اماره اسامة وكل ما
قاله في اخر عتابه :

« واستوصوا به خيراً فانه من خياركم. »

كل هذا حتى يثبت للمسلمين ان اختياره لاسامة لم يكن بأمر من الله ولا علاقة
لهذا الاختيار بالسما والوحي بل انه اختيار شخصي ينبع من كفاءة اسامة
وحبه له لقيادة جيش المسلمين، وان غضبه صلى الله عليه وآله للمقالة التي
قالوها لا يحملهم مسؤولية اخروية او عذابا الهيا، ولذلك ختم كلامه صلى الله
عليه وآله معددا الاسباب التي كانت وراء اختياره للقائد الشاب وطلب من
المسلمين ان يسيروا وراءه.

ونذكر هنا رواية رواها ابن عباس عن الخليفة عمر صريحة كل الصراحة
في موقف الصحابة نحو الرغبات الشخصية لرسول الله (ص) والاوامر
الالهية التي كان يصدر بها، فقد روى ابن عباس قال :
« خرجت مع عمر الى الشام في احدى خرجاته
فانفرد يوما يسير على بعير فاتبعته. »

فقال :

« يا ابن عباس اشكو اليك ابن عمك سألته ان
يخرج معي فلم يقبل ولم ازل اراه واجدا، فيم
تظن موجدته ؟ »

فقلت :

« يا امير المؤمنين انك لتعلم. »

قال :

« اظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة. »

قلت:

« هو ذاك انه يزعم ان رسول الله اراد الامر له. »

فقال :

يا ابن عباس واراد رسول الله (ص) الامر له
فكان ماذا اذا لم يرد الله تعالى ذلك. ان رسول الله
اراد ذلك واراد الله غيره فننفذ مراد الله تعالى ولم
ينفذ مراد رسول الله. أو كلُّ ما أراد رسول الله
كان ؟ انه اراد اسلام عمه ولم يرده الله فلم
يسلم. » (١)

وبعد كل ما اثبتناه فان وجود نص الهي في موضوع الخلافة يصطدم بخمس
عقبات رئيسية كل واحدة منها تكفي لهدم الفكرة من اساسها وهذه العقبات
الخمسة هي :

أ - صحابة الرسول (ص) وموقفهم من الخلافة.

ب - اقوال الامام في الخلافة.

ج - بيعة الامام مع الخلفاء واعطاء الشرعية لخلافة الخلفاء الراشدين.

د - اقوال الامام في الخلفاء الراشدين.

هـ - اقوال ائمة الشيعة في الخلفاء الراشدين

١ - صحابة الرسول (ص) وموقفهم من الخلافة

لقد اعطينا صورة واضحة المعالم عن عصر الرسالة في الصفحات السابقة
وبينا مدى الحرية الفكرية والاجتماعية التي كانت تحكم انذاك المجتمع
الاسلامي الفتى واستشهدنا بالآيات الكريمة التي وردت في تقييد تلك
الحرية الكلامية والاجتماعية التي كانت فيها ايداء للنبي وتجريح للمسلمين.
ويجب علينا ايضا ان نذكر بوضوح وصراحة ان الصورة التي رسمناها لذلك
المجتمع الاسلامي الفتى انما كانت صورة عامة لكل الطبقات التي اجتمعت
في المدينة وحواليها وحول الرسول (ص) بما فيهم المنافقين والمؤلفة قلوبهم
وغيرهم من ضعفاء الايمان الذين يخاطبهم الله بقوله :

« قالت الاعراب انا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا

اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا

الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا. ان الله

الإمامة والخلافة

غفور رحيم انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله أولئك هم الصادقون. قل اتعلمون
الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات والارض
والله بكل شيء عليم. يمنون عليك ان اسلموا قل لا
تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للإيمان ان كنتم صادقين.» الحجرات ١٤ - ١٧

ان من يتدبر في هذه الآيات الكريمات يعلم علم اليقين انه في ضمن الأكثرية
التي اشرنا اليها كانت توجد تلك الصفوة المختارة من صحابة رسول الله التي
مشت تحت راية الرسول (ص) ودافعت عن الاسلام بدمها ومالها واشتركت
معه (ص) في بناء مجد الاسلام والدفاع عن الاخطار التي احدثت به. انهم
كبار الصحابة من المهاجرين والانصار الذين كانوا مع النبي في السراء
والضراء يلزمونه ملازمة الظل لصاحبه حتى يكون لهم اسوة في حياتهم
ويحمونه من الاعداء والمتربصين بالاسلام. وهناك صورة مشرقة نيرة لهذه
الصفوة المختارة من امة محمد (ص) في القرآن الكريم تعني كل كلمة منها
صفاء ذلك العصر وعظمته وجلالته وروعته واخلاص الصحابة وتفانيهم في
الاسلام وفي الدفاع عن الرسول (ص) ولنقرأ معا هذه الآية الكريمة :

« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من
الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من اثر
السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في
الانجيل كزرع اخرج شطئه فأزره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجراً عظيماً.» الفتح ٢٩

وهناك وصف آخر لهذا العصر المشرق ولصحابة رسول الله (ص) يذكرها
الإمام علي ونشبهته هنا :

« لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما
ارى احدا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً
وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم

وخذودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر
معادهم، كأن بين اعينهم ركب المعزي من طول
سجودهم، اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل
جيوبهم، ومادوا كما يمد الشجر يوم الريح
العاصف خوفاً من العقاب ورجاء العقاب» (١)

ولنستمع الى الامام وهو يصف مرة اخرى صحابة رسول الله (ص) ومدى
ايمانهم المطلق واللامحدود بنبينهم وبرسالته :

« ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله
نقتل ابائنا وابنائنا واخواننا واعمامنا وما يزيدنا
ذلك الا ايماناً وتسليماً. ومضياً على اللقم.
وصبراً على مضض الالم. وجداً في جهاد العدو.
ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان
تصاول الفحلين. يتخالسان انفسهما ايهما يسقي
صاحبه كأس المنون. فمرة لنا من عدونا ومرة
لعدونا منا. فلما رأى الله صدقنا انزل بعدونا
الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام
ملقياً جرائه ومتبوءاً اوطانه. ولعمري لو كنا نأتي
ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان
عود. وايم الله لتحلبنها دماً ولتتبعنها ندماً» (٢)

وهنا لا بد من هذا السؤال، هل ان مثل هذه الصحابة التي اثنى عليهم الله
هذا الثناء العظيم ومدحهم الامام علياً بهذا الوصف الكبير، خالفوا النص الالهي
في امر ورد فيه تشريع من الله وهم حماة التشريعات الالهية ومنفذيها، وقد
ضحوا بالغالي والرخيص لاجلها ولا سيما لو كان لذلك التشريع صلة مباشرة
بمصالح المسلمين ومستقبل امرهم وارساء القواعد التي بعث رسول الله (ص)
لارسائها؟

وبعد كل هذا و نحن نؤدي رسالة التصحيح في هذا الكتاب بعيدة عن
الاهواء والعصبية وتقاليد الاباء والامهات، انها رسالة موجهة الى الطبقة
المثقفة واصحاب الافكار الحرة من ابناء الشيعة الذين عليهم عقدت الامل في

١- نهج البلاغة ج ١، ص ١٩

٢- نهج البلاغة ج ١، ص ١٠٤

الامامة والخلافة

السير وراء التصحيح، ولذلك ارى ان اعرج على البند الثاني وهو قول الامام علي في الخلافة لنرى بوضوح كيف ان الامام كان يقول بصراحة انه لا نص هناك من الله في الخلافة.

ب - اقوال الامام علي في الخلافة

يقول الامام عليا :

« دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امراً له
وجوه والوان، واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم
ما اعلم ولم اصنع الى قول القائل وعتب العاتب
وان تركتموني فانا كأحدكم ولعلي اسمعكم
واطيعكم لمن وليتموه امركم، وانا لكم وزيراً خير
لكم مني اميراً. » (١)

ولنستمع الى الامام مرة اخرى وهو يخاطب اهل الشورى قبل بيعة عثمان :
« ولقد علمتم اني احق الناس بها من غيري والله
لاسلمن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها
جور الا علي خاصة، التماساً لاجر ذلك
وفضله. » (٢)

وهذا هو الامام يجيب بعض اصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا
المقام وانتم احق به ؟

« وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا
المقام ونحن الاعلون نسباً والاشدون برسول
الله صلى الله عليه وآله نوطاً، فانها كانت اثره
شحت عليها نفوس وسخت عنها نفوس قوم
اخرين والحكم لله والمعود اليه القيامة. » (٣)

ولنقرأ معاً نصوصاً اخرى للامام فيها وضوح وصراحة في رغبته عن الخلافة
وانه كان يدفعها عن نفسه دفعاً ولكنه كان يعتقد بانه احق من غيره بها، ولم
يذكر الامام ان هناك نصاً من الله وتشريعاً الهى ورد في الخلافة، يقول الامام :
« والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في

١- نهج البلاغة ج ١، ص ١٨٢

٢- نهج البلاغة ج ١، ص ١٢٦

٣- نهج البلاغة ج ٢، ص ٦٤

الولاية اربة، ولكنكم دعوتوموني اليها وحملتوموني
عليها، فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما
وضع لنا وامرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن
النبي صلى الله عليه وآله فاقنتيته. « (١)

ويقول في مكان آخر:

« فأقبلتم الي اقبال العود المطافيل على اولادها
تقولون البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها
ونازعتكم يدي فحاذيتموها. « (٢)

ويتحدث الامام مرة أخرى في كتاب بعثه الى مالك الاشتهر جاء فيه :

« فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي
ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه
وآله عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده
فما راعني الا انثيال الناس على ابن ابي قحافة
يبايعونه فامسكت يدي. « (٣)

وبعد ان قرأنا هذه العبارات الواضحات في اعتقاد الامام بأولويته في الخلافة
بعد رسول الله (ص) لا بد وان نقرأ ايضاً ما قاله في شرعية الخلفاء الذين
سبقوه حتى نعلم مدى ايمان الامام واعتقاده بصحة وشرعية بيعتهم.
يقول الامام :

« انها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستأذن
فيها الخيار، الخارج منها طاعن والمروي فيها
مداهن. « (٤)

ويقول في مكان آخر :

« الا وانكم قد نفضتم من حبل الطاعة وثلمتم
حصن الله المضروب عليكم بأضراب الجاهلية.
فان الله سبحانه وتعالى قد امتن على جماعة هذه
الامة فيما عقد بينهم من حبل الالفه التي ينتقلون
في ظلها ويأوون الى كنفها بنعمة لا يعرف احد

١- نهج البلاغة ج ٢، ص ١٨٤

٢- نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٠

٣- نهج البلاغة ج ٢، ص ١١٩

٤- نهج البلاغة ج ٢، ص ٨

الامامة والخلافة

من المخلوقين لها قيمة، لانها ارجح من كل ثمن
واجل من كل خطر. واعلموا بأنكم صرتم بعد
الهجرة اعراباً وبعد الموالاتة احزاباً. ما تتعلقون من
الاسلام الا باسمه ولا تعرفون من الايمان الا
رسمه. «(١)

ولنستمع الى الامام مرة اخرى وهو يؤكد شرعية الخلافة والامامة بعد ان
اجتمعت الامة عليها اجماعاً مصغراً حيث يجب على عامة المسلمين والاكثرية
الفائبة اطاعة الخليفة المنتخب :

« ولعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى
يحضرها عامة الناس فما الى ذلك سبيل. ولكن
اهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد
ان يرجع ولا للغائب ان يختار. «(٢)

ج - بيعة الامام مع الخلفاء والتأكيد على شرعية الخلفاء الراشدين

لقد اسهبنا في ذكر النصوص الواردة من الامام علي حول الخلافة وعدم
ذكر كلمة واحدة بوجود نص الهي فيها والآن لا بد ان نخرج على موضوع آخر
وهو اذا كانت الخلافة بنص سماوي وكان هذا النص في علي، هل كان بإمكان
الامام ان يغض النظر عن هذا النص ويبايع الخلفاء ويرضخ الامر لم يكن من
حقهم ؟

لقد علل علماء الشيعة في الكتب العديدة التي افوها بيعة الامام علي مع الخلفاء
بامرين : فهناك من ذهب الى ان الامام علياً بايع الخلفاء خشية منه على ضياع
الاسلام وايجاد الفرقة التي كانت تؤدي الى هدم الاسلام، فلذلك ترك حقه
ورضخ لخلافة خلفاء غصبوا حقه . والتعليل الثاني انه بايع الامام الخلفاء
خشية منه على نفسه وعمل بالتقية التي سنطرق الى ذكرها في مواطن
عديدة.

اما الذين عللوا بيعة الامام بالخوف على الاسلام من الضياع لان الناس
كانوا على حديث عهد بالاسلام ولم يكن الاسلام بعد صلب العود فيدحضه

١- نهج البلاغة ج ٢، ص ١٥٤

٢- نهج البلاغة ج ٢، ص ٨٦

الإمامة والخلافة

بيعة علي مع عثمان التي كانت في عصر امتدت فيه الخلافة الإسلامية من الشرق حتى بخارى ومن الغرب حتى شمال أفريقيا، وكانت الخلافة الإسلامية تحكم أكبر رقعة من الأرض المسكونة في ذلك العصر.

وبعد فإن أغرب الأمور وأعظمها خطراً في مبحث الخلافة والتي لم يتحدث عنها كل من أسهب فيها من رواة الشيعة وعلمائها ومن الفرق الإسلامية الأخرى هي أنهم لم يبحثوا الخلافة الإلهية بصورة مستقلة عن الإمام علي ولا عن الخلفاء الذين سبقوه بل ربطوها ربطاً وثيقاً بالأشخاص والأسماء. ويدهشني ويحيرني حقاً هذا التحوير في الخلافة لأنها إذا كانت تبحث بصورة مستقلة عن شخص علي لكانت تصطدم بعقبة كبيرة تنسف كل القواعد التي بنيت في عصر الصراع بين الشيعة والتشييع.

وإذا كانت الخلافة تبحث حقاً في العقيدة الإسلامية بغض النظر عن هو المراد بأن يتولاها لما واجه المسلمون ما واجهوه من الحيرة والضياع في شؤون الخلافة وما ترتبت عليها. وهذا هو بيت القصيد لما أريد أن اذهب إليه وهو أن الخلافة بعد الرسول (ص) وإن شئت فقل الإمامة إذا كانت بنص الهي وفيها أمر من السماء سواء أكان علي هو المراد بتوليها أو غير علي لكانت كل المبررات والأقوال التي ذكرتها رواة الشيعة وعلماء المذهب الإمامي (والتي تنصب كلها على أن الإمام علي بايع الخلفاء الذين سبقوه للحفاظ على الإسلام من الضياع وخوفاً من ارتداد الناس بعد الرسول أو للتقية) تذهب ادراج الرياح وتصبح هباءً منبثاً، لأن الخلافة عندما تكون بنص الهي وبأمر من الله لا يستطيع أحد مهما كان مقامه أو منزلته في الإسلام أن يقف ضدها أو يخالفها للمبررات التي يتصورها أو يعتقد بها فلم يكن باستطاعة علي أو غير علي من الصحابة أن يوقف نصاً إلهياً صدر بالوحي.

فاذا كان محمد وهو رسول الله (ص) لا يستطيع ولا يحق له أن يتكلم في أداء الرسالة الإلهية أو يخفيها كما صرحت بذلك الآية الكريمة :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من

الناس. » المائدة ٦٧

فكيف يستطيع من هو دون مرتبة الرسول (ص) أن يغض النظر عن النص الإلهي أو يخفيه، وهل هناك أمر إلهي أكثر صراحة ووضوحاً لإبلاغ الرسالة والوحي من الآيات الكريمات التالية:

الامامة والخلافة

« وان تكذبوا فقد كذبت امم من قبلكم وما على
الرسول الا البلاغ المبين. » العنكبوت ١٨
« فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً ان عليك
الا البلاغ. » الشورى ٤٨

« فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به
صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز، او جاء معه
ملك، انما انت نذير والله على كل شيء وكيل. »

هود ١٨

ان ربط الخلافة بالخليفة وعدم التفريق بينهما هو الذي مهد الطريق للرواية من
الشيعة كما قلنا ان يدونوا ما شاءوا في ابان عصر الصراع بين الشيعة
والتشيع، فالامام لم يكن مشرعاً ولم يكن يدعي ذلك، ولا اجتهد امام النص
حتى ان يجتهد امام نص الخلافة ويسكت عنها كما انه لا يستطيع ان ينقضه
لانه هو موضوع ذلك النص.

فالخلافة اذا كانت الهية وسمائية كانت حقاً عاماً للمسلمين ودستوراً
سماوياً لهم بغض النظر عن الشخص الذي يتولاها.

ومع كل ما فصلناه في الخلافة وانها لو كانت بالنص الالهي لم يستطع احد
مهما كان شأنه ان يعمل خلافتها او يتجاهلها او ينكرها، الا اننا امام فئة كبيرة
من علماء المذهب الشيعي وقد اغفلوا هذا الامر اغفالا، ولذلك ذهبوا الى تأويل
بيعة الامام بالتقية او الخوف او انه ارغم على امر لا يعتقد به وخلاف ارادته.

وهنا يأتي دور اولئك الذين ارادوا تحطيم الامام علماً وشخصيته والطعن
فيه بصورة غير مباشرة، وهكذا تحطيم كل ما يتعلق بعصر الرسالة وصحابة
الرسول (ص) لان الطريق الوحيد في اظهار عصر الرسالة بما فيه كبار
صحابة رسول الله بالمظهر القاتم هو اعطاء صورة عن خروج ذلك المجتمع
الاسلامي عن اوامر الله الصريحة. وهذا الامر يتوقف على تصوير الخلافة في
علي بنص الهي ومخالفة الصحابة كلهم لهذا النص مع علمهم بذلك وابلاغ
الرسول (ص) اياهم ثم اعطاء صورة عن الامام علي وهو صاحب الحق في
صورة رجل مخادع مDAHن مجامل كان مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه طيلة
خمسة وعشرين عاماً في ظاهر الامر كمستشار امين وكصديق حميم مطبأ
في مدحهم وقائلاً خير الكلام بحقهم ولكنه في واقع الامر غير معتقد بما يقول
وغير مؤمن بما يفعل حتى انه زوج ابنته ام كلثوم لعمر ابن الخطاب وهو مرغم

الامامة والخلافة

عليه، وسمى اولاده أبا بكر وعمر وعثمان وهو غير راض عن تسميتهم، وهكذا دواليك.

هذه خلاصة ما كتبه بعض علماء الشيعة ورواه بعض رواة احاديث الشيعة - سامحهم الله - عن الامام علي نصاً وتلويحاً. ولست ادري ماذا يكون موقف هؤلاء يوم القيامة اذا احتكم الامام ربه فيهم، كما اني اعتقد جازماً ان بين هؤلاء الاكثرية توجد فئة غير قليلة ساهمت في تغيير مسار الفكر الاسلامي الموحد الى طريق الشقاق والنفاق ولضرب الاسلام والمسلمين بما فيهم علي وعمر، مع انهم في ظاهر الامر كانوا يظهرون بمظهر حماة المذهب الشيعي، الا ان الغرض كان هدم المذاهب كلها وان شئت فقل الطعن في الاسلام. فحتى في اوائل القرن الرابع الهجري وهو عصر الغيبة الكبرى لا نجد اي اثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الامام علي او انها حق الهي اغتصب منه، او ان صحابة رسول الله (ص) اشتركوا وساهموا في ذلك الامر، وهكذا وكما قلنا تغيرت فكرة الاولوية بخلافة علي الى فكرة الخلافة الالهية ومخالفة النص الالهي.

ولا شك ان دخول الفلسفات اليونانية الى الفكر العربي والافكار الفلسفية الاخرى التي لعبت دوراً كبيراً في تأسيس المدرستين الاعتزالية والاشعرية كانت وراء الصراع بين الشيعة والتشيع وازهار الشيعة بالمظهر الذي نحن عليه الآن. ولا شك ايضاً ان عرض الخلافة بالصورة التي عرضها علماء المذهب مستنديين على روايات رواة الشيعة كان سبباً لانعزال المذهب الشيعي عن سواه وابتعاده عن المذاهب الاخرى محتفظاً بحالة انعزالية وهجومية بعيدة عن كل الفة وانسجام مع الفرق الاسلامية الاخرى. وكان لا بد لابقاء المذهب محصوراً على الطائفة وعدم الانسجام بينها وبين الفرق الاخرى هو ايجاد حالة من التنافر تمنع كل تقارب وتقريب مع الآخرين ولذلك اخذت الشيعة تسلك طريق تجريح الخلفاء الراشدين وذمهم مستندة على الروايات التي وضعها الرواة على لسان ائمة الشيعة مخلفة وراءها من الخراب والدمار ما لا يحصىه الا الله.

ونحن هنا نتحدث مع الشيعة بالمنطق الشيعي البحت ولذلك نثبت اقوالا للامام علي في حق الخلفاء الراشدين ثم نستشهد بما يقول الامام عن نفسه ثم نسأل انفسنا، هل ان مثل هذا الامام بايع الخلفاء وهو مرغم عليه وغير راض

الامامة والخلافة

عنه او انه خادع المسلمين في عمله والخلفاء في بيعته، وهل انه قال كلاماً لا يعتقد فيه وعمل عملاً لا يؤمن به ؟

احقاً ان الشيعة تحب علياً وهي التي نسبت اليه مثل هذه الامور او انها سلكت هذا الطريق الشائك حتى تثبت حقها في استلام السلطة وتأسيس الدولة ولو ادى ذلك الى التضحية بسمعة علي وجلالة قدره وعظمة نفسه وعلو مقامه ؟

د - اقوال الامام علي في الخلفاء الراشدين

ولنستمع الى الامام علي وهو يتحدث عن الخليفة عمر ابن الخطاب:

« لله بلاء عمر فقد قوّم الامد. وداوى العمد. خلف الفتنة. واقام السنة. ذهب نقي الثوب. قليل العيب. اصاب خيرها. وسبق شرها. ادى الى الله طاعته. واتقاه بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي. » (١)

ومرة اخرى يخاطب الخليفة عندما استشاره في الخروج الى غزو الروم بنفسه:

« انك ان تسر الى هذا العدو بنفسك. فتلقهم بشخصك فتتكب. لا تكن للمسلمين كائفة دون اقصى بلادهم وليس بعدك مرجع يرجعون اليه. فابعث اليهم رجلاً مجرباً واحفز معه اهل البلاء والنصيحة. فان اظهر الله فذاك ما تحب. وان تكن الاخرى كنت رداء للناس ومثابة للمسلمين. » (٢)

ويستشير الخليفة عمر ابن الخطاب علياً ابن ابي طالب مرة اخرى للشخص

لقتال الفرس بنفسه فينصح الامام الخليفة بعدم الخروج ويقول له :

« والعرب اليوم وان كانوا قليلاً فهم كثيرون بالاسلام وعزيزون بالاجتماع. فكن قطباً واستدر الرحي بالعرب واصلهم دونك نار الحرب... ان الاعاجم ان ينظروا غداً يقولوا... هذا اصل العرب... فاذا قطعتموه استرحتم. فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك... واما ما ذكرت

١ - نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٢٢

٢ - نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٨

من عددهم فاناً لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة
وانما كنا نقاتل بالنصر والمعونة.» (١)

وهذا هو الامام علي يتحدث مع الخليفة عثمان ابن عفان ويصفه بصفات
الصحابي المقرب الى رسول الله (ص) :

« ان الناس ورائي وقد استنفروني بينك وبينهم.
والله ما ادري ما اقول لك. ما اعرف شيئاً تجهله.
ولا ادلك على امر لا تعرفه. انك لتعلم ما نعلم. وما
سبقناك الى شيء فنخبرك عنه. ولا خلونا بشيء
فنبلفكه. وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا
وصحبت رسول الله (ص) كما صحبنا. وما ابن
ابي قحافة ولا ابن الخطاب اولى بعمل الحق منك.
وانت اقرب الى رسول الله (ص) وشيعة رحم
منهما. وقد نلت من صهره ما لم ينال. فالله الله
في نفسك. فانك والله ما تبصر من عمي ولا تعلم
من جهل.» (٢)

ومرة اخرى يتحدث الامام حول الخليفة عثمان مع ابن عباس فيقول :

« يا ابن عباس ما يريد عثمان الا ان يجعلني جملاً
ناضحاً بالغرب. اقبل وادبر. بعث الي ان اخرج ثم
بعث الي ان اقدم. ثم هو الآن يبعث الي ان اخرج.
والله لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون
أثماً.» (٣)

ويذكر الامام علي موقفه من الخليفة عثمان ابن عفان في كتاب بعثه الى
معاوية ابن ابي سفيان يقول فيه:

« ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان، فلك ان
تجانب عن هذه لرحمك منه، فايذا كان اعدى له
واهدي الى مقاتلة. امن بذل له نصرته فاستقده
واستكفه. امن استنصره فتراخى عنه وبث

١- نهج البلاغة ج ٢، ص ٣٠

٢- نهج البلاغة ج ٢، ص ٤٨

٣- نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٣٣

الامامة والخلافة

المنون اليه... وما كنت لاعتذر من اني كنت انقم
عليه احداثاً، فان كان الذنب ارشادي وهدايتي له
قرب ملوم لا ذنب له.» (١)

وهذا هو ابو سفينان شيخ الامويين يزور الامام علياً في داره ويقول له :
« غلبكم على هذا الامر ارنذل بيت في قریش. اما
والله لاملئنها خيلاً ورجلاً، اعطني يدك لا بايعك.»
فيقول له الامام :

« ما زلت عدو الاسلام واهله فما ضر ذلك
الاسلام واهله شيئاً انا رأينا ابا بكر اهلاً لها انما
تريد الفتنة.» (٢)

فان كان هذا هو موقف الامام من الخلفاء الراشدين وهو يصرح بذلك فهل
نستطيع ان نقول ان الامام كان يظهر شيئاً ويضمّر شيئاً آخر ؟ معاذ الله من
ذلك. فان كان الامام يريد ان يظهر شيئاً ويضمّر شيئاً آخر لما كان له ذلك
الموقف الذي لا ينساه تاريخ الانسان الى الابد، انه موقف صدق واخلاص
وايمان من رجل هو مع الحق والصدق قبل كل الاعتبارات وبعدها ويضحى في
سبيلهما مهما كانت التضحيات غالياً، ففي يوم الشورى عرض عبد الرحمن
بن عوف على الامام علي الخلافة بقوله :

« ابايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة
الشيخين.»

فقال الامام :

« كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي.»

فكرر عبد الرحمن ابن عوف المقالة نفسها وكرر الامام الاجابة نفسها الى
ثلاث مرات ثم انحاز عبد الرحمن الى عثمان وعرض عليه الخلافة بالصورة
التي عرضها على الامام فقبلها عثمان وتمت البيعة له.

فهل علي الذي يغض النظر عن خلافة اسلامية كان لواؤها يرفرف على
اكبر رقعة من الارض المسكونة في ذلك التاريخ لاجل كلمة واحدة هي (نعم)
وهو لا يريد الايفاء بها بجامل او يخادع او يقول شيئاً ويضمّر غيره او يبايع

١- نهج البلاغة ج ٣، ص ٣٠

٢- علي امام المتقين - عبد الرحمن الشراقي ج ١، ص ٦٦

الامامة واخلافة

الخلفاء ويقول في مدحهم الكلام الكثير ويقف معهم موقف الناصح الامين وهو لا يعني كل هذا ؟

ومع ان هذه الصورة الرائعة المشرقة لموقف الامام علي في تلك اللحظة الخالدة في تاريخ الاسلام تكفي عن الاسهاب في فضائل علي وصدقه واخلاصه وعزوفه عن الدنيا، ولكننا نسجل هنا بعض الاقوال الصادرة عن الامام حول نفسه واخلاصه وتفانيه في الله، يقول الامام :

« فوالله لو اعطيت الاقاليم السبعة وما تحت افلاكها على ان اعصى الله في نملة اسلبها جلب شعيرة، ما فعلت. وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. » (١)

ويقول الامام في مكان آخر :

« هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها أكلها، ومجنتي الثمرة لغير وقت ايناعها كالزراع بغير ارضه. فان اقل يقولوا حرص على الملك، وان اسكت يقولوا جزع من الموت. هيهات بعد اللتيا والتي، والله لا ابن ابي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي امه. » (٢)

ويقول في ضمن رسالة بعثها الى والي البصرة عثمان ابن حنيف جاء فيها :

« فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً. ولا ادخرت من غنائمها وفراً. ولا اعددت لبالي ثوبي طمراً..... اقنع من نفسي بأن يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر وجشوبة العيش، او ابيت مبطاناً وحولي بطون غرثى واكباد حرى. فهيهات ان يقودني هواي الى تخير الاطعمة ولذائذها ولعل بالنجد او اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع..... وكأني بقائلكم يقول : ان كان هذا قوت ابن ابي طالب لقعد به

١- نهج البلاغة ج ٢، ص ٢١٨

٢- نهج البلاغة ج ١، ص ٤٠

الامامة والخلافة

الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان. الا
وان الشجرة البرية اصلب عوداً والروائع الخضرة
ارق جلوداً، وانا من رسول الله صلى الله عليه
وأله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.
فوالله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت
عنها» (١)

ويقول الامام في مكان آخر :

« والله لئن ابيت على حسك السعدان مسهدا.
وأجر في الاغلال مصفدا. أحب الي من ان القي
الله ورسوله (ص) يوم القيامة ظالماً لبعض
العباد وغاصباً لشيء من الحطام.» (٢)

وهذا هو عبد الله ابن عباس يدخل على علي بذيقار فيرى الامام يخصف نعله
فيسأله الامام : ما قيمة هذا النعل ؟
فيقول: لا قيمة لها يا امير المؤمنين.
فيقول الامام:

« والله لهي احب الي من امارتكم الا ان اقيم حقاً
او ادفع باطلا.»

ولا بد ان اذكر ايضا موقف الامام علي من السيدة عائشة بعد حرب الجمل
فقد كرم الامام السيدة ام المؤمنين واکرمها اكراماً يليق بزوجة الرسول (ص)
حينما اعادها من ساحة الحرب مصحوبة بعدد من النساء القرشيات.

اما الشيعة فلن تغفر للسيدة عائشة خروجها على الامام في تلك الحرب،
وهذا هو سبب موقفها المعارض لام المؤمنين. ولست اريد ان اذكر في هذا
المجال المبررات التي ذكرها انصار السيدة عائشة في تبريرهم لخروجها على
الامام، ولا الاراء التي ذكرها علماء الشيعة في تبرير موقفهم المناهض لام
المؤمنين، فهذه امور معروفة ذكرت في عشرات المجلدات من الكتب ولا فائدة
من تكرارها فنحن في غنى عنها، ولكنني اريد انهاء هذا الصراع الفكري
بالمنطق الشيعي البحت، وهو ان الامام برأ ساحة السيدة عائشة من الحرب

١- نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٢٠

٢- نهج البلاغة ج ٢، ص ٢١٦

التي قادتها، والإمام هو الخليفة الذي كان يقضي بين الناس بالحق ولا يحيد عنه قيد أنملة. فإذا كان الإمام قد القى اللوم على فئة استغلوا سذاجة أم المؤمنين وأخرجوها من دارها لتقود حركة مناهضة للخليفة المنتخب والشرعي، فيعني هذا أن السيدة عائشة بريئة من كل ما يتعلق بحرب الجمل وذيلها في نظر الإمام، ولذلك أمر باكرامها وأرجاعها إلى المدينة بالصورة التي أجمعت عليها كتب التاريخ ليثبت برائتها من تلك الحرب في نظر القاضي العادل الذي هو الإمام. فلا يحق لأحد أن يطعن أو يجرح السيدة عائشة متحدياً عمل الإمام ورأيه الذي يؤكد بصريح العبارة عندما يتحدث عن حرب الجمل واخفاق أم المؤمنين في قيادتها فيقول :

« ولها. (أي للسيدة عائشة) بعد حرمتها الأولى

والحساب على الله تعالى. » (١)

وفي مواطن كثيرة يلقي الإمام علياً المسؤولية على الذين استغلوا حرم رسول الله (ص) وجروها ورأئهم حسب تعبيره. (٢)

أن من حسن التوفيق أن بعض علماء الشيعة وقف موقفاً لائقاً بأم المؤمنين ونهى عن تجريحها. فقد قال السيد مهدي الطباطبائي وهو من علماء القرن الثاني عشر في أرجوزته الفقهية مخاطباً السيدة عائشة :

« أيا حميراء سبك محرم. لاجل عين الف عين يكرم » (٣)

هـ- اقوال ائمة الشيعة في الخلافة والخلفاء الراشدين

ونختتم هذا الفصل باعطاء صورة واضحة المعالم عن موقف ائمة الشيعة حول الخلافة وعدم وجود نص الهي فيها ليكون البحث متكاملًا كما قلنا في مقدمة هذا الفصل.

أن الإمامة إذا كانت الهيئة كما تذهب الشيعة وانها في اولاد علي حتى الإمام الثاني عشر لعين الإمام ابنه الحسن خليفة وإماماً من بعده ولكن الذي اتفق عليه الرواة والمؤرخون أن الإمام عندما كان على فراش الموت وذلك بعد أن ضربه ابن ملجم المرادي بالسيف المسموم وسئل عن الشخص الذي يستخلفه قال:

١- نهج البلاغة ج ٢، ص ٤٨

٢- نهج البلاغة ج ٣، ص ٨٤

٣- كان الرسول الكريم ينادي السيدة عائشة بالحميراء .

الامامة والخلافة

« اترككم كما ترككم رسول الله (ص) ».

وبعد وفاة الامام اجتمع المسلمون واختاروا ابنه الحسن وبايعوه خليفة للمسلمين ولكن الامام الحسن صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة. والامام علل الصلح بأنه لحقن دماء المسلمين.

فيا ترى لو كانت الخلافة منصبةً الهياً هل كان يستطيع الامام الحسن ان يتنازل عنه بذريعة حقن الدماء ؟

فكما نعلم انه لا مكان لحقن الدماء عندما يكون هناك دفاع عن امر الله وشريعته. وماذا يعني اذن الجهاد والقتال في سبيل الله لارساء دينه وشريعته واوامره ونواهيه. ان حقن الدماء امام حق الهي وسماوي يتناقض مناقضة صريحة مع هذه الآية الكريمة:

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة. يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن. ومن اوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به. وذلك هو الفوز العظيم. »
التوبة ١١١

والامام الحسين عندما ثار وهو يريد الاطاحة بخلافة يزيد بن معاوية واستشهد في كربلاء ومعه اولاده وصحابته، لم يذكر قط بأنه يدافع عن خلافة سماوية اغتصبها يزيد بل كان يقول انه اولى بالخلافة منه وان مثله لا يبايع يزيدا وانه ثار لاحياء دين رسول الله (ص) الذي انحرف على يد يزيد.

كما اننا لم نجد في اقوال الامام علي بن الحسين الملقب بالسَّجَّاد اية عبارة تدل على كون الخلافة الهية. وبعد الامام السَّجَّاد ياتي دور الامام محمد الباقر والذي في عهده بدأ يتبلور مذهب اهل البيت الفقهي الذي اكمله ابنه الامام جعفر الصادق، فنحن لا نجد اثراً لفكرة الخلافة الالهية في عهديهما ولا في عهد ائمة الشيعة الاخرى حتى الغيبة الكبرى.

وهناك شيء جدير بالاهتمام لا بد من التركيز عليه لتفنيد كل الروايات التي ذكرها بعض رواة الشيعة في تجريح الخلفاء الراشدين بما فيهم الخليفة ابا بكر، وهو ان الامام الصادق الذي يعتبر رئيس ومؤسس المذهب الجعفري الامامي الاثنى

عشري قال مفتخراً وفي مواطن عديدة:

« اولدني ابو بكر مرتين.»

فالامام الصادق ينتهي نسبه الى ابي بكر عن طريقين. عن طريق والدته فاطمة بنت قاسم بن ابي بكر، وعن طريق جدته اسماء بنت عبدالرحمن بن ابي بكر التي هي ام فاطمة بنت قاسم بن محمد بن ابي بكر. ولكن الغريب ان رواتنا — سامحهم الله — رووا عن هذا الامام الذي يفتخر بجده ابي بكر روايات في تجريح هذا الجد لا تعد ولا تحصى. فهل يعقل ان يفتخر الامام بجده من جهة ويطعن فيه من جهة اخرى ؟ ان مثل هذا الكلام قد يصدر من السوقي الجاهل ولكن معاذ الله ان يصدر من امام يعتبر افقه واتقى اهل عصره وزمانه.

وهكذا نرى ان رواة الشيعة ساهموا مساهمة فعالة ولكن بصورة غير مباشرة حتى في الاساءة الى ائمة الشيعة الذين يدعون انهم من انصارهم وانهم الفوا كتباً عديدة لاحياء تراثهم. ونحن نسمي عصر تأليف تلك الكتب وما جاء فيها من الروايات الملفقة بالعصر الاول لظهور الصراع بين الشيعة والتشيع. واعتقد اننا اسهنا القول في الخلافة وكل ما يتعلق بها، وان الذي علينا الآن هو التحدث عن الفكرة التصحيحية التي ننادي بها وننشدها ونرغب من ابناء الشيعة الامامية ان يسيروا عليها وينضوا تحت لوائها.

وندعو ان تقف الشيعة بكل ما اوتيت من جهد وقوة في وجه المرتزقين بالاقلام والالسنه والدعوات المفرقة ونطلب من الطبقة الواعية المثقفة من ابناء الشيعة التي نعقد عليها الآمال في نجاح مسيرتنا التصحيحية التي ندعو اليها ان تكون منار الهداية للاكثرية التي آمنت بما سمعت من دعاة التفرقة واصحاب العقول المتحجرة والنفوس المريضة والاهواء والمصالح.

التصحيح

وهنا ابدأ بتحديد النقاط الاساسية للتصحيح واملي معقود لضمائه على الطبقة الواعية المثقفة من اصحاب العقول النيرة التي اشرت اليها اعلاه. ١- ان موضوع الخلافة يجب وينبغي ان لا يخرج عن اطاره الحقيقي الذي نص عليه القرآن الكريم.

« وامرهم شورى بينهم.»

وان ننظر الشيعة الى الخلفاء الراشدين بنفس النظرة والطريقة التي اقرها

الامامة والخلافة

الامام علي نزولا عند نص القرآن الكريم واجماع المسلمين. وان الخلفاء الراشدين من بناء الاسلام الاوائل وقد اجتهدوا في مدة خلافتهم فاصابوا واخطأوا وخدموا الاسلام ما استطاع كل واحد منهم الى ذلك سبيلا.

فالخليفة الاول ابو بكر حفظ الاسلام من خطر الردة بحزمه وصبره وصرامته. تلك الردة التي كانت السبب في الحروب التي استشهد فيها عشرون الف صحابي للدفاع عن الاسلام وابلى المسلمون فيها بلاء حسنا. وهذا هو الامام علي يقف على باب ابي بكر في يوم وفاته ويخاطبه بقوله:

« رحمك الله يا ابا بكر كنت اول القوم اسلاما،
واخلصهم ايمانا واشدهم يقينا واعظمهم غناء
واحفظهم على رسول الله (ص)، وانسبهم
برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا، فجزاك
الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين
خيرا. صدقت رسول الله حين كذبه الناس
وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا
واسماك الله في كتابه صديقا، والذي جاء
بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون يريد
محمدا ويريدك. وكنت والله للاسلام حصنا
وعلى الكافرين عذابا، لم تقلل حجتك ولم تضعف
بصيرتك ولم تجبن نفسك، وكنت كالجبل الذي
لا تحركه العواصف. كنت كما قال رسول الله
ضعيفا في بدنك قويا في امر الله متواضعا في
نفسك عظيما عند الله، جليلا في الارض، كبيرا
عند المؤمنين ولم يكن لاحد عندك مطمع، ولا
لاحد عندك هوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى
تاخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تاخذ
الحق له، فلا حرمننا الله اجرک ولا اضلنا
بعدک.» (١)

١- الصديق اول الخلفاء - عبدالرحمن الشرقاوي.

والخليفة الثاني عمر بن الخطاب اعطي للاسلام قوة عظيمة بفتوحاته ومواقفه الخالدة في توسيع الرقعة الاسلامية شرقا وغربا وهو الذي ارسى قواعد الاسلام في بلاد واسعة شاسعة منها فارس وفلسطين والشام ومصر.

والخليفة الثالث عثمان بن عفان صاهر الرسول مرتين ولولا انه رجل يمتاز عن كثير من اقرانه لما زوجه الرسول بنتين. وكان له جهاد كبير في ابان الدعوة الاسلامية وكفاه فخرا انه كان من اغنياء قريش يملك الف ابل من حمر النعم باعها وصرف ثمنها في سبيل دعوة الرسول (ص) وعلى المسلمين وقدر ثمن تلك الابل بمليون سكة ذهبية في ميزان ذلك العصر. وكان عصره عصرا امتدت فيه الفتوحات الاسلامية حتى وصلت الى تخوم الهند. واذا اخفق في الخلافة في اواخر حياته الا انه قتل وهو شيخ بلغ الثمانين وهو مكب على قراءة القرآن الكريم.

ولا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في اكثر كتب الشيعة، الكلام الذي يغير كل الموازين الاسلامية والاخلاقية ويناقض حتى كلام الامام علي ومدحه وتمجيده في حقهم كما اثبتناه قبل قليل. ويجب على الشيعة ان تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول، فالنبي (ص) صاهر ابا بكر وعمر، وعثمان صاهر النبي مرتين، وعمر بن الخطاب صاهر عليا وتزوج من ابنته ام كلثوم. ولا اطلب من الشيعة في هذه الدعوة التصحيحية ان تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الامام عليا اكثر مما قاله الامام في حقهم. فلو التزمت الشيعة بعمل الامام علي لانتهى الخلاف وساد الامة الاسلامية سلام فكري عميق فيه ضمان الوحدة الاسلامية الكبرى.

٢- غربلة الكتب الشيعية التي ذكرت روايات عن ائمة الشيعة في ذم الخلفاء الراشدين واعادة طبع تلك الكتب منقحة مغربلة مما ورد فيها.

٣- على الشيعة ان تعتقد جازمة ان كل الروايات التي ذكرتها كتب الشيعة في حق الخلفاء وفي وجود نصوص الهية في موضوع الخلافة هي روايات وضعت بعد عصر الغيبة الكبرى وذلك بعد ان سدت الابواب كلها في الوصول الى آخر امام للشيعة وهو المهدي كما قلنا، فلذلك لا نجد اثرا للروايات الجارحة في حق الخلفاء الراشدين وموضوع النص الالهي في الخلافة الى عصر الامام الحسن العسكري وهو الامام الحادي عشر للشيعة الامامية حيث كان

الامامة والخلافة

باستطاعة الشيعة ان تتصل بالامام مباشرة وتسأله عن صحة ما ينسب الى آبائه الائمة من الروايات. ولكن بعد الاعلان الرسمي عن غيبة الامام الثاني عشر وتكذيب كل من ادعى رؤيته بعد الغيبة بنص صريح صدر منه وضع بعض الرواة روايات باسم ائمة الشيعة لتعذر الوصول الى الامام والسؤال عن صحتها وسقمها فكان ما كان من حديث واحاديث تندى منها الجباه.

٤- ان تخرج الشيعة من الانطواء على نفسها وتسلك طريق الامام عليا ان كانت حقاً من انصاره وتسمي اولادها باسماء الخلفاء الراشدين وتسمي بناتها بأسماء ازواج النبي واقصد السيدة عائشة وحفصة بالذات لأن الشيعة تعترف عن هذين الاسمين، فالامام علي قد سمى اولاده ابا بكر وعمر وعثمان، وائمة الشيعة سلكوا الطريق نفسه وكم من بنات الائمة سمين بعائشة وحفصة هذا بغض النظر عن ان التسمية باسماء الخلفاء الراشدين خروج من جاذبة الفرق والانطواء على الطائفية والدخول الى صفوف الوحدة الكبرى مع المسلمين.

ويعز على المصلحين من ابناء الاسلام ان لا يصادفوا في البلاد الشيعة اناساً من الشيعة يحملون اسماء الخلفاء، واذا ما طاف احد البلاد الشيعة بطولها وعرضها لا يصادف هذه الاسماء الا نادراً، ففي ايران مثلاً وفي البلاد الشيعة التي يكثر فيها الخلاف مع الفرق الاسلامية الاخرى لا نجد لمثل هذه الاسماء اثراً يذكر.

هـ- ان تعلم الشيعة في كل مكان تتواجد فيه على هذا الكوكب ان السبب الحقيقي والاساسي لتخلفها الفكري والاجتماعي هو السير وراء زعاماتها المذهبية واطاعتها اطاعة عمياء جعلتهم كالاغنام تساق الى حيثما تريد وان تلك الزعامات هي التي سببت للشيعة شقاء وعناء ومحنة سعتها سعة السماوات والارض.

ومع انني استثني بعض هذه الزعامات من هذه القاعدة الا ان الاكثرية منهم كانت ولا زالت هي الماسكة بزمام البدع الفكرية في عقول الشيعة من عصر الغيبة الكبرى والى هذا اليوم. ولاشك ان التكوين الفكري المغلق لهذه الزعامات والامتيازات المالية الكبيرة التي حصلوا عليها من اموال الشيعة باسم الخمس في ارباح المكاسب تلك البدعة التي سنشير اليها في الفصل الخاص بها والقدرة المطلقة التي زعموها لانفسهم في التحكم برقاب الشيعة كانت السد المنيع لرفع الغطاء عن العيون المحجبة والترفع عن الدنيا وحطامها، وكأنهم لم

يسمعوا كلام الله حيث يقول :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً
في الأرض ولا فساداً. والعاقبة للمتقين.»
القصص ٨٢

ورسول الله (ص) يقول :

« آخر ما يخرج من رأس الصديقين حب الجاه.»

وحتى هذا اليوم فان الزعامات المذهبية الشيعية لعبت بالشيعية كالكرة
فرمتها باقدامها هنا وهناك وهم بها ساخرون وجعلت منها امة يسخر بها العالم
وتضحك منها الامم.

ومع انني ساذكر في فصل من فصول التصحيح (١) شواهد وادلة
لاستغلال الزعامات المذهبية الشيعية للشيعية عبر التاريخ وحتى هذا اليوم وفي
كل مكان تتواجد فيه هذه الامة المسكينة الا انني وفي كل فصل سأضع
النقاط على الحروف كي لا يختلط الحديث بالحديث ولا الفكرة بالفكرة.

التقية

انني اعتقد جازماً انه لا توجد امة في العالم
اذلت نفسها واهانتها بقدر ما اذلت الشيعة
نفسها في قبولها لفكرة التقية والعمل بها. وها
انا ادعو الله مخلصاً واتطلع الى ذلك اليوم الذي
تربأ الشيعة حتى عن التفكير بالتقية، ناهيك عن
العمل بها ؟

التقية

من الصعب علي جداً ان اتصور معنى التقية بالمفهوم الشيعي الخالص وكما وردت في الكتب الشيعية وتبناها بعض علماء المذهب الامامي وساروا عليها منذ الغيبة الكبرى وحتى كتابة هذه السطور.

ولست ادري كيف تدّعي الشيعة بأنها من انصار الامام الحسين سيد الشهداء وامام الثائرين وهي تعمل بالتقية وتعتقد بها وترتضيها لنفسها، ثم لست ادري ما هذا التناقض الغريب في معتقدات الشيعة وحسب الصورة التي رسمتها لهم زعاماتهم عبر القرون. فمن ناحية يعتقدون بأن سيرة ائمة الشيعة قد تكون حجة عليهم ولكنهم يضربون بها عرض الحائط عندما يصل الامر الى التقية ويتحدثون عن وجوب العمل بها لا سيما امام الفرق الاسلامية الاخرى.

لقد اراد بعض علمائنا رحمهم الله ان يدافعوا عن التقية (١) ولكن التقية التي يتحدث عنها علماء الشيعة واملتها عليها بعض زعاماتها هي ليست بهذا المعنى اطلاقاً انها تعني ان تقول شيئاً وتضمّر شيئاً آخرأ او تقوم بعمل عبادي امام سائر الفرق الاسلامية وانت لا تعتقد به ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد به في بيتك. وقبل ان افصل الحديث في ظهور فكرة التقية بالصورة التي رسموها والاسباب التي كانت وراء انتسابها الى ائمة الشيعة، ينبغي ان نمعن النظر قليلاً في عمل ائمة الشيعة وفي حياتهم الخاصة والعامة لكي نرى انهم

١- يدافع العالم الشيعي الكبير السيد محسن الامين رحمه الله في كتابه (الشيعة بين الحقائق والادهام) ص ١٦٨ بقوله:

والدليل عليها العقل والنقل فقد قضى العقل بجواز دفع الضرر بها بل بلزومه واتفق عليها جميع العقلاء ونص عليها الكتاب العزيز والسنة المطهرة فمن الكتاب آيات منها قوله تعالى في سورة آل عمران آية ٢٧

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ».

اما الامام الرازي فقد قال في تفسير هذه الآية :

التقية انما تجوز فيما يتعلق في اظهار الموالاة والمعاداة وقد تجوز فيما يتعلق باظهار الدين فاما ما يرجع ضرره الى الغير كالقتل فذلك غير جائز البته.

وفي مذهب الشافعي ان التقية بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركيين حلت التقية محاماة عن النفس. والتقية جائزة لصون النفس. وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل لقوله

(ص) : « حرمة المسلم كحرمة دمه » ولقوله « من قتل دون ماله فهو شهيد ».

وقال الباقر فيما رواه الكليني في اصول الكافي :

« انما حلت التقية ليحقق بها الدم فاذا بلغ الدم فليس تقية ».

التقية

كانوا ابعد الناس عن التقية واكثر الناس مقتاً لها. ولنعلم بعد ذلك انه لم يكن من المعقول ان لا يعمل ائمة الشيعة بالتقية وهم يأمرون اتباعهم وشيعتهم بالعمل بها.

ولقد ذكرنا في الفصل السابق صورة واضحة المعالم عن حياة الامام علي وصراحته في الحق ولا نريد تكرارها هنا.

اما ابنه الحسن وهو الامام الثاني للشيعة (١) فكان ابعد الناس من التقية ومخادعة الناس وصلحه مع معاوية يشهد بذلك. فصلح الحسن عمل ثوري وخروج على الرأي العام المحيط بالامام في عصره، فقد لاقى الامام الحسن معارضة صريحة من كثير من شيعة ابيه الذين كانوا لا يريدون الصلح، حتى ان سليمان ابن سرد وهو من كبار شيعة علي خاطب الامام الحسن بقوله : « السلام عليك يا مدل المؤمنين.. »

والمعارضون للصلح كانوا اقوياء واشداء ونال الامام الحسن منهم الكثير، ولكن لم يفت كل ذلك في عضده وقاوم المعارضة مقاومة الابطال. فياترى لو كانت للتقية مكان في قلب الحسن هل كان يصالح معاوية ام كان يستجيب لنداء الذين كانوا يحثونه على قتاله حتى يبايعه معاوية كخليفة منتخب وشرعي للمسلمين ؟

ثم يأتي دور الامام الحسين الذي ثار ضد يزيد بن معاوية ولم يقبل بنصح اولئك الذين نصحوه بالبقاء في مدينة الرسول ومنعوه من السير الى العراق. وكل من يتابع الثورة الحسينية يعلم بوضوح ان شهادة الامام الحسين واولاده واصحابه وسبي اهل بيته كانت كلها تتجسد امام الحسين قبل المعركة وكان يعلم بها علم اليقين فالحسين جمع اصحابه في ليلة العاشر من محرم وقال لهم بأن غداً سيكون القتال وانه مقتول لا محالة وانه حل البيعة من اصحابه وطلب ان يترك ساحة القتال من شاء منهم في ذلك الليل المظلم وقال لهم :

« اتخذوا الليل جملاً وارحلوا الى مصائركم.. »

فرحل منهم من رحل وبقي منهم من بقي ليستشهد مع الحسين ويسجل اسمه في سجل الخالدين.

١- اطلاق تسمية ائمة الشيعة على هذه الصفوة المختارة من اهل بيت رسول الله هو اطلاق مجازي في حين ان المسلمين كلهم يحترمون اهل بيت الرسول ويرون فيهم القدوة الصالحة.

فهل في مثل هذه الثورة تجد الشيعة أثراً للتقية او كل ما يمت الى التقية بصلة ؟

ثم يأتي دور الامام علي ابن الحسين الملقب بالسَّجَّاد، وهو الذي عاصر ملحمة كربلاء ولم يشترك بالقتال بسبب المرض الذي الزمه الفراش وقد اسر في ضمن من اسر بعد مقتل ابيه وحمل على جمل اقتب مقيداً بالسلاسل من كربلاء الى الشام ولاشك ان تلك الصورة الحزينة المليئة بالدماء والدموع والتي شاهدها السجّاد في يوم عاشوراء والذل والهوان الذي احتمله وهو يسير مع الاسرى بين كربلاء ودمشق كانت عالقة في ذهنه ليل نهار وقد انصرف الامام السجّاد الى العبادة وكان يكثر من البكاء في اثناء الليل واطراف النهار حتى لقب بالبكاء.

انه كان من الطبيعي لذلك الحزن السرمدي الذي كان يعصر قلب الامام ان تتجلى في كلامه وخطبه عبارات تدحض الخلافة الاموية الحاكمة التي كانت حتى ذلك الحين تسبب جده الامام علياً على المنابر بعد كل صلاة. فقد ترك الامام السجّاد لنا اربعة وخمسون دعاء جمعت كلها في كتاب واحد وسميت تلك الادعية (الصحيفة السجّادية).

ان من يقرأ هذه الادعية يعلم علم اليقين كيف ان التقية كانت ابعد شيء الى قلب السَّجَّاد فقد نسب الامام في ادعيته تلك الخلافة الاموية الحاكمة نصاً ومضموناً.

انها حقاً ادعية ثورية صدرت من امام شاهد اضخم الثورات الاسلامية حجماً واقلها زماناً، فاذا لم يستطع ان يشترك فيها بدمه فهاهو اشترك فيها بلسانه كالسيف البتار. وهذا هو الامام السجّاد مرة اخرى يطوف بالبيت ويفسح الحجيح له الطريق اجلالاً واکراماً، والخليفة هشام ابن عبد الملك يرى كل ذلك ويطوف بين الطائفين والناس في شغل عنه والامام يرى الخليفة ولا يبالي به، فيغتاز الخليفة لما رأى من الامام وما رأى من الناس في الامام فيسأل متجاهلاً :

من هذا ؟

مشيراً الى السَّجَّاد، وتشاء المقادير ان يكون الفرزدق الشاعر حاضراً الموقع فيرتجل قصيدته العصماء مخاطباً الخليفة :

وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من انكرت والعجم

التقية

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا الامام التقي الطاهر العلم
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لقب الركن منه موضع القدم
يغضي حياء ويغضي من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم

ان من يمعن النظر في هذا اللقاء الجاف بين الامام والخليفة الحاكم الذي اغضب هذا الاخير سيعلم علم اليقين ان التقية وكل ما يمت اليها بصلة لم تجد الى قلب الامام سبيلا.

ثم يأتي دور الامام الباقر وابنه الامام الصادق وهما اللذان اسسا المدرسة الفقهية التي سميت باسم الفقه الجعفري وكان الامامان يدرسان في المدينة في جامع الرسول (ص) ويدليان بأرائهما الفقهية وينشران مذهب أهل البيت بلا خوف ولا وجل. فالباقر عاصر الخلافة الاموية والصادق عاصر نهاية الخلافة الاموية وبداية الخلافة العباسية وكانت الخلافة الاموية والعباسية على اختلاف مع الامامين ولا ترتضي بمدرسة اهل البيت الفقهية، ولكن الامامين اديا الرسالة، وقد تخرج عليهما فقهاء وعلماء كثيرون. وهكذا نرى ان الامامين كانا يؤديان الواجب غير متهيبين من السلطة التي كانت على خلاف معهما.

ومن الغريب ان بعض رواة الشيعة روت عن الامام الصادق روايات في وجوب التقية على شيعته في حين انه وشيعته لم يكونوا بحاجة اليها، فالامام كان يدرس في مسجد الرسول (ص) وحوله آلاف من التلاميذ والطلاب والمستمعين. وليت شعري ان اعرف كيف يمكن لمدرسة فقهية بهذه السعة وكثرة الطلاب والتلاميذ ان تبني على التقية واية تقية استعملها الامام في بناء مدرسته الفقهية التي كان يضع اساسها امام المسلمين وبصورة علنية بما فيهم المحب المخلص والعدو الشامت.

والامام موسى ابن جعفر لم يكن على وفاق مع الخليفة العباسي هارون الرشيد وقضى سنوات في سجن الخليفة ببغداد. فلو كان موسى ابن جعفر يسلك طريق التقية ويخادع الخليفة الذي كان ابن عمه وكانت تتحكم بينهما صلات القربى لما حدث له ما حدث.

وعندما آلت الخلافة الى المأمون العباسي عين الامام علي ابن موسى الملقب بالرضا ولياً للعهد، وعلي الرضا هو الامام الثامن للشيعة الامامية، غير ان الامام قضى نحبه في عهد المأمون واستمرت الخلافة في العباسيين. وبعد

التقية

وفاة الامام الرضا زَوْجَ الخليفة المأمون العباسي ابنته ام الفضل لابن الرضا محمد الجواد لكي لا تنقطع المودة بين الخليفة العباسي والبيت العلوي. وهذان الامامان الاب والابن اللذان كان احدهما ولياً للعهد والآخر صهراً للخليفة لم يكونا بحاجة الى العمل بالتقية ولم يطلبوا من الشيعة ان يتخذوا من التقية وسيلة لمآربهم.

وبعد الامام الجواد يأتي دور علي وابنه الحسن العسكري الامام العاشر والحادي عشر للشيعة، وقد سكنا عاصمة الخلافة العباسية وعاصرا عهد المتوكل وابنه المعتصم، وكان بيت الامامين مؤثلاً للزوار وكانا يقومان بشؤون المسلمين الدينية ونشر مذهب اهل البيت. ومن يتابع حياة هذين الامامين يعلم انهما كانا من ابعد الناس عن التقية ايضاً ومع ان عيون الخلفاء كانت تراقبهما وتراقب حركاتهما ودعواتهما الى مذهب اهل البيت التي كانت في الحقيقة معارضة للخلافة العباسية الا ان الامامين لم يباليا بذلك وسلكا طريق الحق في اداء رسالتهما.

لقد اوردنا هذه الخلاصة من حياة ائمة الشيعة لنثبت ان فكرة التقية التي ظهرت بالمفهوم الشيعي الخاص انما ظهرت في اواسط القرن الرابع الهجري وهو بعد الاعلان عن غيبة الامام الثاني عشر وانها ظهرت في مستهل ظهور عصر الصراع بين الشيعة والتشيع وعندما ارادت الزعامات الشيعية المذهبية والسياسية والفكرية ان تتخذ العمل السري وسيلة للقضاء على الخلافة العباسية الحاكمة والاعلان بعدم شرعيتها. وكان من الطبيعي ان يضاف الى فكرة التشيع لعلي واهل بيته عنصراً جديداً يدعم الفكرة دعماً كبيراً فاضيفت فكرة النص الالهي كما قلنا الى الخلافة واصبحت منذ ذلك الحين تشغل حيزاً كبيراً من صميم العقيدة. ويمكن القول ان العمل السري المذهبي بدأ من عصر ظهرت التقية فيه بمظهر الواجب الشرعي الذي يجب ان يتبعه كل من له فكرة دينية ويخشى ان يجهر بها امام السلطة الحاكمة او الاكثرية الاسلامية ولذلك كانت للتقية دور كبير في اسناد الزعامات المذهبية الشيعية التي ظهرت بعد الغيبة الكبرى. فبالتيقية استمرت تلك الزعامات في نشاطها وفي مامن من السلطة الحاكمة كما ان الاموال كانت تصل اليها تحت غطاء التقية ايضاً، وهكذا اخذت التقية تسري في الفكر الشيعي والعمل الشيعي طيلة قرون عديدة واخذت طابعاً حزيناً في تكوين الشخصية الشيعية. وانني لا اشك من ان التقية كانت من اهم الاسباب التي ادت الى التخلف الفكري والاجتماعي

التقية

والسياسي للمجتمعات الشيعية اينما وجدت ، فقد سرت في دمائهم ومنعتهم من الظهور بالمظهر الذي كانوا عليه خوفاً او خجلاً. وحتى في ايران القطر الشيعي وعندما كانت السلطة الحاكمة شيعية خالصة كان الشعب الايراني يسلك طريق التقية كواجب ديني لمواجهة بطش السلطان واستبداده فيضمّر لهم بالقلب ما يناقضه في العلن، وهكذا تميز الشعب الايراني الشيعي كسائر نظرائه من الشيعة بازدواجية الشخصية.

وانني لا اشك ابدأ أن التقية قاتلتها الله لعبت دوراً كبيراً في ابقاء الشيعة بعيدة عن الفرق الاسلامية الاخرى كما انها سببت في رميها بامور عجيبة وغريبة ما انزل الله بها من سلطان وهي بريئة منها. ولكن الدفاع عن تلك الاتهامات والالوهام لاقى صعوبة بالغة بسبب اشتهاار الشيعة بالتقية ورميهم باخفاء الحقيقة في كل شيء. ومما يحزن له قلبي ويعصره عصراً هو ان التقية في الفكر الشيعي تجاوزت عامة الناس واستقرت في اعماق قلوب القادة من زعماء المذهب الامر الذي كان السبب في دعوتنا لتخليص الشيعة من تلك الزعامات. فعندما يرتضي القائد الديني لنفسه ان يسلك طريق الخداع مع الناس في القول والعمل باسم التقية فكيف ينتظر الصلاح من عامة الناس ؟

وفي الوقت الذي اكتب فيه هذه السطور وفي عهد وطأت اقدام الانسان على سطح القمر واصبحت الحرية الفكرية والكلامية مقدسة تدافع عن مكثونات الانسان وعقائده خيراً كانت او شراً، يعيش المجتمع الشيعي بقيادة زعاماته مغلقاً على نفسه بالتقية فيظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر. فلا اعتقد انه يوجد زعيم شيعي واحد في شرق الارض وغربها يستطيع ان يعلن رأيه حتى في كثير من البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي خوفاً ورهبة من الجماهير الشيعية التي دربتها الزعامات تلك على العمل بتلك البدع فاصبحت جزءاً من كيانه. فمثلاً وليس على سبيل الحصر الشهادة الثالثة (اشهد ان علياً ولي الله) التي يتفق عليها علماء المذهب الشيعي بأنها بدعة لم تكن معروفة في عهد الرسول (ص) والصحابة وحتى في عهد الامام علي وائمة الشيعة وكلهم يجمعون على ان من قالها في اذان الصلوات بقصد (الورود) اي انه وارد في الشريعة عمل عملاً محرماً واتى ببدعة. مع كل هذا لا يجراً احد منهم ان يشير الى هذا الامر قولاً او كتابة. كما انه لا يوجد زعيم شيعي واحد يستطيع ان يصارح جمهور المسلمين بحقيقة الخلاف السائد بين الشيعة والسنة والعمل على رفعه.

التقية

وكما قلنا فان من اهم عناصر الخلاف الموجودة بين الشيعة والسنة هو تجريح الشيعة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول (ص) وبعض ازواجه. واذا لم يرفع هذا العائق من قائمة الخلاف فسيبقى الخلاف مستحكماً بين الفريقين الى ابد الابد، فلا المؤتمرات الاسلامية تجدي ولا الكلمات الاصلاحية الرنانة تنفع ولا خطب المصلحين توقف ثورة الحقد والغضب الكامنة في هذا التجريح المستشري في العقول والقلوب وبطن الكتب وهمس الهامسين.

وهنا ايضاً يسلك زعماء المذهب طريق التقية ايضاً في معالجتهم لهذا الامر فينسبون التجريح والسب والشتم الى جهال الشيعة في حين ان كتب الرواة والمحدثين والعلماء والفقهاء من الشيعة الامامية هي التي ذكرت تلك الاقوال ومنها تسربت الى قلب عامة الشيعة ولسانها. فيا ترى هل تقع الملامة على الخاصة ام على العامة ؟

ولا اعتقد ان زعيماً دينياً واحداً من زعماء المذهب الشيعي قديماً وحديثاً قد قام بغرلة الكتب الشيعية من الروايات التي تنسب زوراً الى الائمة في تجريح الخلفاء وغيرها من الروايات التي يحكم العقل السليم بطلانها وعدم صدورها من الامام، مع ان علماء المذهب كلهم مجمعون ايضاً بان الكتب التي يعتمدون عليها في الشؤون المتعلقة بالمذهب فيها روايات باطلة غير صحيحة وهم يدعون بان هذه الكتب تجمع بين طياتها الصدق والخرف والصحيح والسقيم. ومع ذلك لم يسلك هؤلاء الزعماء طريق اصلاح مثل هذه الروايات . فاذا كانت زعامتنا الشيعية تتصف بالشجاعة وتؤمن بالمسؤولية الملقاة على عاتقها في رفع الخلاف لتحملت مسؤولية الخلاف بكاملها ولعملت على ازالة مثل هذه الروايات من بطون الكتب وعقول الشيعة وافتحت صفحة جديدة في تاريخ الاسلام ولعم الخير على جميع المسلمين.

اما الفرار من المسؤولية والصاقها بالعوام من الناس تهرباً من الحقيقة والواقع تحت غطاء شرعية التقية فهذا امر يوحى بالاسف الشديد.

وعندما اكتب هذه السطور هناك آلاف مؤلفة من الشيعة الامامية يعملون بالتقية في اعمالهم الشرعية فهم يحملون معهم التربة الحسينية التي يسجدون عليها في مساجدهم ولكنهم يخفونها في مساجد الفرق الاسلامية الاخرى وكثير منهم يقيمون الصلوات في مساجد السنة مقتدياً بامام المسجد واذا عادوا الى بيوتهم اعدوا الصلاة عملاً بالتقية معتمدين على روايات نسبت الى

التقية

ائمة الشيعة في التقية وافتوا علماء الشيعة مستندين عليها في وجوب التقية ولكل هذا نحن نحث الشيعة الى اتباع التصحيح الآتي:

التصحيح

ينبغي على الشيعة في كل الارض ان تقف من التقية موقف الانسان الكريم الذي يحترم عقيدته وذاته ويجب ان يكون متصفاً بالاباء والشيم التي هي من الاخلاق الفاضلة ، وان يفكر ملياً في الآثار النفسية التي تحدث له هذه الازدواجية في الشخصية والاضطراب بين القول والفعل والتي تتنافى مع الصدق وتتناقض مع صفات المسلم المخلص. فأى كلام او عمل يصدر من الانسان وفيه رياء او خداع لا بد وان فيه مغايرة مع المنطق او عمل الجماعة والاكثرية، ولذلك يجب على المسلم الحقيقي ان يقلع عن كلام او عمل لا يستسيغه المجتمع الاسلامي سرّاً كان او جهراً، وان يترفع من الظهور بمظهر الانسان المرائي المخادع.

ان على القواعد الشيعية ولاسيما المثقفين منهم ان يحاسبوا زعاماتهم المذهبية حساباً عسيراً في سوقهم اياهم على هذا الدرب الشائك لاغراض في نفوسهم.

ان على الشيعة ان تجعل نصب اعينها تلك القاعدة الاخلاقية التي فرضها الاسلام على المسلمين وهي ان المسلم لا يخادع ولا يداهن ولا يعمل الا الحق ولا يقول الا الحق ولو كان عليه، وان العمل الحسن حسن في كل مكان والعمل القبيح قبيح في كل مكان. وليعلموا ايضاً ان ما نسبوه الى الامام الصادق من انه قال :

« التقية ديني ودين ابائي »

ان هو الا كذب وزور وبهتان على ذلك الامام العظيم.

الامام المهدي

ان فكرة ظهور رجل من آل محمد يملأ الأرض
قسطاً وعدلاً فكرة جميلة ومليئة بالآمال الخيرة
ولكن علماء الشيعة الصقوا بالامام المهدي
جناحين اثقلا كاهل الشيعة في كل زمان
ومكان. وهذان الجناحان هما بدعة الخمس في
ارباح المكاسب وبدعة ولاية الفقيه فالاولى
تعني دفع ضريبة مالية ما انزل الله بها من
سلطان، والثانية تعني عبودية الانسان
للانسان بلا قيد ولا شرط

الامام المهدي

الاجتهاد والتقليد الخمس ولاية الفقيه

تعتقد الشيعة الامامية ان الامام الحسن العسكري وهو الامام الحادي عشر للشيعة عندما توفي عام ٢٦٠ هجري كان له ولد يسمى محمداً له من العمر خمس سنوات وهو المهدي المنتظر. وهناك روايات اخرى تقول ان المهدي ولد بعد وفاة والده الامام العسكري ومهما كان الامر فان المهدي تسلم منصب الامامة بعد والده وبنص منه وبقي مختفياً عن الانظار طيلة خمس وستين عاماً. وكانت الشيعة تتصل به في هذه الفترة عن طريق نواب عينهم لهذا الغرض والنواب هم : عثمان ابن سعيد العمري وابنه محمد ابن عثمان وحسين ابن روح وآخرهم علي ابن محمد السيمري.

وهؤلاء النواب الاربعة لقبوا بالنواب الخاص، والفترة هذه تسمى بعصر الغيبة الصغرى. وفي عام ٣٢٩ هجري وقبيل وفاة علي ابن محمد السيمري بشهور قليلة وصلت رقعة اليه بتوقيع الامام المهدي جاء فيها :

« لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد ان يأذن الله، فمن ادعى رؤيتي فهو كذاب مغتر.»

وهذا العام هو بداية الغيبة الكبرى. ومنذ ذلك الحين انقطع اتصال الشيعة بالامام بصورة مباشرة وغير مباشرة، وحتى اذا ادعى احد ذلك فالشيعة تكذبه بسبب النص الوارد في آخر خطاب ورد اليهم من الامام المهدي.. هذه هي خلاصة عقيدة الشيعة الامامية في المهدي المنتظر، ولا تزال الشيعة في كل عام وفي يوم الخامس عشر من شهر شعبان تحتفل بولادة المهدي احتفالاً كبيراً، وهو الامام الوحيد الذي تحتفل الشيعة بيوم ولادته فقط اما الائمة الآخرين فتكون الاحتفالات في ايام مولدهم ووفاتهم على السواء.

وفكرة المهدي وظهور قائد في آخر الزمان يملأ الارض قسطاً وعدلاً بعد ان

ملئت ظلماً وجوراً موجودة في كثير من الاديان. وهناك احاديث روتها كتب الصحاح عن النبي الكريم عن ظهور مهدي من ولده في آخر الزمان ولكن ليس على نحو التعيين. اما الشيعة فتستند على روايات نسبت الى ائمتها ان المهدي المنتظر الذي اخبر به الرسول الكريم (ص) انما هو ابن الامام الحسن العسكري (١). ونحن هنا لا نريد ان ندخل في ذلك الجدل البيزنطي القديم حول المهدي واعطاء تفسير عقلي لبقائه آلاف السنين في هذه الدنيا، فنحن معاشر الشيعة كسائر الفرق الاسلامية الاخرى ما دمنا نعتقد بالغيب وان الله قادر على كل شيء فلا نجد صعوبة في الاعتقاد بأن انساناً ما يعيش في هذه الدنيا خارجاً عن القوانين الطبيعية آلاف السنين، فالقرآن الكريم صريح بأن نوحاً عاش في قومه ألفاً الا خمسين عاماً واصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، وان الله رفع عيسى ابن مريم اليه وهو حي في رحابه، ولنقرأ معاً هذه الآيات البيّنات :

« ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة

الا خمسين عاماً، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون. »

العنكبوت ١٤

« ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا

تسعا. » الكهف ٢٥

« وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول

الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان

الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم من علم الا

اتباع الظن. وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان

الله عزيزاً حكيماً. » النساء ١٥٧ - ١٥٨

وفكرة المهدي بحد ذاتها فكرة جميلة، فهي توحى بالخير المحض والتطلع الى عالم مليء بالخيرات والفضائل والحسنات، عالم مثالي طالما دعا اليه

١ - ذكر الترمذي في صحاحه ان النبي (ص) قال:

« لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي. »

وفي مسند احمد ابن حنبل عن النبي (ص) :

« لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي. » سيرة الائمة الاثنى عشر ج ٢، ص ٥٤٣ - هاشم الحسيني.

افلاطون في جمهوريته والفارابي الفيلسوف الاسلامي في مدينته الفاضلة مضافاً الى تلك النظرية المثالية قيماً اسلامية رفيعة.

ولو ان الاعتقاد بوجود المهدي بقي محصوراً في الايمان بوجود امام غائب من نسل رسول الله (ص) يظهر في يوم ما ويملاً الارض قسطاً وعدلاً لكان المسلمون بخير، ولكن مع الاسف الشديد ان فقهاء المذهب الجعفري الصقوا الى المهدي جناحين شوخوا بهما صورة المهدي الرفيعة الوضاعة، وهذان الجناحان بدعتان كبيرتان الصقتا بالمذهب الشيعي في عهد ظهور الصراع بين الشيعة والتشيع وهما تتناقضان مناقضة صريحة واضحة مع نصوص القرآن الكريم وسيرة الرسول (ص) وعمل الامام علي والائمة من بعده. البدعة الاولى هي تفسير الخمس في ارباح المكاسب والبدعة الثانية هي ولاية الفقيه في المجتهدين. ان الزعامات المذهبية التي تولت امور الشيعة الدينية بعد الغيبة الكبرى بسبب فتح باب الاجتهاد ولا زالت هي الماسكة بزمام العقيدة الشيعية حتى هذا اليوم كانت وراء هاتين البدعتين.

اما الخمس فيكاد يكون من المتفق عليه عند علماء المذهب الشيعي انها تشمل ارباح المكاسب والغنائم معاً. الا ان تفسير الغنينة بأرباح المكاسب ظهر بعد الغيبة الكبرى بقرن ونصف في الكتب الشيعية. اما ولاية الفقيه فهناك من علماء المذهب من عارضها ولكن لها انصارها. الا ان المجمع عليه عندهم ان نوعاً من الولاية التي تشبه صلاحية القضاة في تعيين الوصي على المجنون والطفل القاصر تكون من صلاحيات المجتهدين. وقبل ان نتحدث عن البدعتين الملصقتين بالامام المهدي لا بد من اعطاء صورة واضحة عن الفكرة الاجتهادية عند الشيعة وعلاقة الشيعة بالامام المهدي حسب ما صورته علماء المذهب.

الاجتهاد والتقليد

يستند علماء الشيعة الامامية على فتح باب الاجتهاد بمرسومين صدر عن الامام المهدي قبيل غيبته، والمرسومان وان كانا يختلفان في المضمون الا انهما يتفقان في المفهوم وهما :

- ١- المرسوم الاول : « واما من الفقهاء من كان صائناً لنفسه. حافظاً لدينه. مخالفاً لهواه. مطيعاً لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه. »
- ٢- المرسوم الثاني : « واما الحوادث الواقعة فارجعوا الى رواة احاديثنا. »

على هذين المرسومين (حيث اولهما يختص بالمجتهدين والثاني يختص بعوام الشيعة) يعتمد علماء المذهب بفتح باب الاجتهاد وعدم الاخذ بأراء الاموات من الفقهاء وعليهما يستند المجتهدون في وجوب التقليد على عوام الشيعة.

وبعد الغيبة الكبرى تصدى لشؤون الشيعة الدينية علماء المذهب واحداً تلو الآخر، ولم تنقطع القيادة المذهبية بين المجتهدين والعامّة وان شئت قل بين القاعدة والقمة حتى كتابة هذه السطور وذلك بسبب فتح باب الاجتهاد ووجوب تقليد العوام لرأي المجتهدين. اما الفرق الاسلامية الاخرى فسدت هذا الباب لصعوبات بالغة تعترض العمل الاستنباطي، اللهم الا السلفية حيث انهم لم يسدوا باب الاجتهاد على انفسهم، وفقهاء السلفية يجتهدون في الفروع الفقهية التي لا نص فيها وتخضع لادلة الاستنباط من الكتب والسنة والاجماع والقياس. اما علماء الشيعة فاستبدلوا القياس بالدليل العقلي واتخذوه الاصل الرابع من اصول الاستنباط ومن اغرب الامور ان فقهاء الشيعة ينسبون انفسهم الى المذهب العقلي في استنباط الاحكام الشرعية ولكنهم في الحقيقة ابعد الناس عن استعمال العقل في طريقة الاستنباط.

وليت شعري ان اعرف كيف يستند علمائنا - سامحهم الله - على العقل في فهمهم للاحكام الشرعية ولاستنباطهم المسائل الفقهية وهم يسلمون بلا جدل ولا نقاش بروايات نسبت الى ائمة الشيعة وجائت في الكتب التي يعتبرونها صحيحة وموثوقة وهي تتناقض مع العقل. نعم اذا اخذنا بعين الاعتبار ان المقصود من استخدام العقل عند فقهاء الشيعة انما هو استخدام الادلة العقلية التي اسس عليها علم اصول الفقه - في التصور الشيعي - العلم الذي لعلماء الشيعة باع طويل في تأسيسه وتأليفه وهي كيفية استخدام الادلة العقلية لفهم الاحكام الشرعية وبغض النظر عن منطوقها مثل مبحث الظن والقطع والاستصحاب والتعادل والتراجيح وغيرها من الابحاث الاصولية التي ذكرها علماء اصول الفقه في كتبهم. واصول الفقه علم جميل بحد ذاته و مزاياه العقلية، ومع الاسف البالغ ان الفقهاء لم يستخدموها في اللباب بل استخدموها في القشور.

وقبل ان اتحدث في النظرية الاجتهادية اود ان اذكر هنا امرين لا بد من الاشارة اليهما:

الامر الاول : اود ان اشير الى ذلك الخطأ الرهيب الذي وقع فيه كتاب وباحثون

الامام المهدي

كتبوا والفوا ونشروا عن الشيعة في السنوات الاخيرة، فقد عرّفوا الشيعة بالاصولية او الامامية الاصولية وفسروها بأن الشيعة تريد العودة الى القهقري لانهم ترجموا كلمة الاصول بالجدور وزعموا ان الشيعة تعود الى الجدور والماضي في العقيدة. ولم يدركوا قط ان الاصولية لا تعني العودة الى الجدور بل تعني ان الشيعة الامامية تستخدم قواعداً عقلية اسمها اصول الفقه لاستنباط الاحكام الشرعية في العمل الاجتهادي، ولذلك لُقّبوا بالاصوليين. وهناك مئات الكتب الفت في اصول الفقه وكلها تبحث عن المباحث العقلية التي ذكرت بعضها قبل قليل.

الامر الثاني : ان هناك فئة صغيرة من الشيعة تسمي نفسها (الاخباريين) وهم الذين لم يستخدموا علم الاصول او بالاحرى الادلة العقلية في استنباط الاحكام الشرعية، وان العملية الاجتهادية تتم عندهم بالكتاب والسنة والاجماع. ومن اشهر علمائهم الشيخ حر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة) الذي يعتبر من اهم المصادر الشيعية في الفقه.

ولنعد مرة اخرى الى الطريقة الاجتهادية التي تمتاز الشيعة بها عن غيرها ونود ان نضيف هنا بأن الطريقة الاجتهادية بحد ذاتها امر حسن وجميل يتلاءم مع التطور الاجتماعي والفكري فكما تسير البشرية نحو الافضل وتتحرك نحو الاكمل لا بد وانها تصادف اموراً حديثة هي بحاجة الى قوانين جديدة لم تذكر في المباحث الفقهية من قبل. فالعملية الاجتهادية تسهل استنباط القوانين الشرعية اذا لم تتعارض مع اصول العقيدة، فاذا كان المجتمع متحركاً فلا بد وان تتحرك القوانين الاجتماعية معه عندما لا تتعارض مع الكتاب والسنة والاجماع. فلو كان علماء الشيعة يسيرون في العمل الاجتهادي كفقهاء المذهب الجعفري يبينون حلال الله وحرامه شأنهم شأن سائر فقهاء المسلمين الذين وقفوا انفسهم لله لم يتخذوا على عملهم اجراً ولم يريدوا عليه جزاء ولا شكوراً لكانت الشيعة بخير ولكانت الامة الاسلامية على احسن ما يرام. ولكن مع الاسف الشديد ان فقهاءنا عن عقيدة او عن جهل او ضرورة اضافوا بدعتين صريحتين الى العمل الاجتهادي ومسخوا كل معالم الاخلاص والعمل لله وهما قلنا الجناحان الخفاقان على رؤوس الشيعة ما دامت السماوات والارض — الخمس في ارباح المكاسب وولاية الفقيه.

الخمس

تقول الآية الكريمة :

« واعلموا ان ما غنتم من شيء فان لله خمسة
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل. » الانفال ٤١

يقول فضل ابن الحسن الطبرسي وهو من اكابر علماء الامامية في القرن
السادسي الهجري في تفسير هذه الآية الكريمة :

« اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن
يستحقه على اقوال احدهما ما ذهب اليه اصحابنا
وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم، سهم لله
وسهم للرسول (ص) وهذان السهمان مع سهم
ذي القربى للامام القائم مقام الرسول (ص)
وسهم لیتامی آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم
لابناء سبيلهم لا يشاركونهم في ذلك غيرهم لان الله
سبحانه حرّم عليهم الصدقات لكونها اوساخ
الناس وعوضهم من ذلك بالخمس.... وقال
اصحابنا ان الخمس واجب في كل فائدة تحصل
للانسان من المكاسب وارباح التجارة وفي
الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو
مذكور في الكتب. ويمكن ان يستدل على ذلك
بهذه الآية. » (١)

ان تفسير الغنيمة بالارباح من الامور التي لا نجدها الا عند فقهاء الشيعة
فالآية صريحة وواضحة بأن الخمس شرعت في غنائم الحرب وليس في ارباح
المكاسب واطهر دليل قاطع على ان الخمس لم يشرع في ارباح المكاسب هو
سيرة النبي الكريم (ص) وسيرة الخلفاء من بعده بما فيهم الامام علي وحتى
سيرة ائمة الشيعة حيث لم يذكر ارباب السير الذين كتبوا سيرة النبي الكريم
(ص) ودونوا كل صغيرة وكبيرة عن سيرته واوامره ونواهيه ان الرسول
(ص) كان يرسل جباته الى اسواق المدينة ليستخرج من اموالهم خمس الارباح
مع ان ارباب السير يذكرون حتى اسامي الجبابة الذين كان الرسول (ص)
يرسلهم لاستخراج الزكاة من اموال المسلمين. وهكذا فان الذين ارخوا حياة

الخلفاء الراشدين بما فيهم الامام علي لم يذكروا قط ان احداً منهم كان يطالب الناس بخمس الارباح او انهم ارسلو جبابة لاخذ الخمس. وحياة الامام علي معروفة في الكوفة فلم يحدث قط ان الامام بعث الجبابة الى اسواق الكوفة ليأخذوا الخمس من الناس او انه طلب من عماله في ارجاء البلاد الاسلامية الواسعة التي كانت تحت امرته ان يأخذوا الخمس من الناس ويرسلونها الى بيت المال في الكوفة. كما ان مؤرخي حياة الائمة لم يذكروا قط ان الائمة كانوا يطالبون الناس بالخمس او ان احداً قدم اليهم مالا بهذا الاسم.

وكما قلنا قبل قليل ان هذه البدعة ظهرت في المجتمع الشيعي في اواخر القرن الخامس الهجري فمنذ الغيبة الكبرى الى اواخر القرن الخامس لا نجد في الكتب الفقهية الشيعية باباً للخمس او اشارة الى شمول الخمس في الغنائم والارباح معاً. وهذا هو محمد ابن الحسن الطوسي من اكابر فقهاء الشيعة في اوائل القرن الخامس ويعتبر مؤسس الحوزة الدينية في النجف، لم يذكر في كتبه الفقهية المعروفة شيئاً عن هذا الموضوع مع انه لم يترك صغيرة او كبيرة. من المسائل الفقهية الا وذكرها في تأليفه الضخمة.

لقد سنت هذه السنة السيئة في عصر كانت فيه الخلافة العباسية والسلطة الحاكمة لا تعتقد بشرعية مذهب اهل البيت وبالنتيجة لا تعترف بفقهاءهم لكي تخصص لهم مرتبات يعيشون منها كما كانت الحالة بالنسبة لسائر فقهاء المذاهب الاخرى. ولم تكن الشيعة حتى ذلك التاريخ متماسكة بالمعنى المذهبي حتى تقوم باعالة فقهاءها فكان تفسير الغنيمة بالارباح خير ضمان لمعالجة العجز المالي الذي كان يقلق حياة فقهاء الشيعة وطلاب العلوم الدينية الشيعية انذاك. ولكن هذا لا يعني ان الشيعة لم تساهم في اعالة الفقهاء وطلاب العلوم الدينية ففي العراق وهو المهد الاول للشيعة توجد حتى اليوم املاك وبنائات وارضيات وقفت في القرن الخامس الهجري على الامور الخيرية للشيعة. وبعد ان اسست هذه البدعة اضيفت اليها احكام مشددة لكي تحمل الشيعة على التمسك بها وعلى تنفيذها ولم يكن من بد في حمل الشيعة على قبول اعطاء الخمس وهو الامر الذي ليس من السهل على احد ان يرتضيه الا بالوعيد. فدفع الضرائب في اي عصر ومصر وفي اي مجتمع مهما كان شأنه من الثقافة والديموقراطية والحرية يواجهه امتعاض من الناس. وبما ان فقهاء الشيعة لم تكن لهم السلطة لكي يرضخوا العامة على استخراج الخمس من ارباح

مكاسبهم طوعاً ورغبة فلذلك اضافوا اليها احكاماً مشددة منها الدخول الابدي في نار جهنم لمن لم يؤد حق الامام وعدم اقامة الصلاة في دار الشخص الذي لم يستخرج الخمس من ماله او الجلوس على مائدته وهكذا دواليك. كما ان فقهاء الشيعة افتوا بأن خمس الارباح الذي هو من حق الامام الغائب كما مرت الاشارة اليه يجب تسليمه الى المجتهدين والفقهاء الذين يمثلون الامام. وهكذا سرت البدعة في المجتمع الشيعي تحصد اموال الشيعة في كل مكان وزمان. وكثير من الشيعة حتى هذا اليوم يدفع هذه الضريبة الى مرجعه الديني وذلك بعد ان يجلس الشخص المسكين هذا امام مرجعه صاغراً ويقبل يده بكل خشوع وخضوع ويكون فرحاً مستبشراً بأن مرجعه تفضل عليه وقبل منه حق الامام.

وبعض فقهاء الشيعة ومن بينهم الفقيه احمد الاردبيلي وهو من ابرز فقهاء عصره حتى انه لُقّب بالمقدس الاردبيلي افتوا بعدم جواز التصرف بالخمس في عهد الغيبة الكبرى. كما ان بعض فقهاء الشيعة وهم قليلون افتوا بأن الخمس ساقط من الشيعة مستندين على رواية عن الامام المهدي :

« ابحنا الخمس لشيعتنا. »

غير ان الاكثرية من فقهاء الشيعة ضربوا عرض الحائط آراء الاقلية واجمعوا فيما بينهم على وجوب استخراج الخمس.

وكم اتمنى ان يترفع الفقهاء والمجتهدون عن اموال الشيعة ولا يرتضون لأنفسهم ان يكونوا عالة عليهم بذريعة ما انزل الله بها من سلطان.

ان بعض علماء الشيعة يدافع عن اخذهم الخمس من اموال الشيعة بانها اموال تصرف على المدارس الدينية والحوزات العلمية والشؤون المذهبية الاخرى. ولكن المناقشة ليست في ان تلك الاموال تصرف كيف ولماذا ؟ بل المناقشة اصولية وواقعية ومذهبية وهي ان تلك الاموال تؤخذ زوراً وبطلاناً من الناس، وحتى اذا صرفت في سبيل الله فأنها غير شرعية لا يجوز التصرف فيها. لقد كان باستطاعة فقهاء الشيعة ان يبنوا انفسهم على الاكتفاء الذاتي وان يكون الفقيه معتمداً على نفسه شأنه شأن ارباب الصناعات الاخرى، كما ان باستطاعتهم الحصول على اموال لتنمية العلم والعلماء ولكن بأسم التبرعات والهبات لا بأسم الواجب الشرعي واوامر السماء. وعندما اكتب هذه السطور اعرف مجتهداً من مجتهدي الشيعة لا زال على قيد الحياة وقد ادّخر من الخمس ما يجعله زميلاً لقارون الغابر او القوارين المعاصرين. وهناك مجتهد شيعي في

الامام المهدي

ايران قتل قبل سنوات معدودة كان قد اودع باسمه في المصارف مبلغاً يعادل عشرين مليون دولاراً اخذها من الناس طوعاً او كرهاً باسم الخمس والحقوق الشرعية، وبعد التي واللتيا ومحاكمات كثيرة استطاعت الحكومة الايرانية وضع اليد على تلك الاموال كي لا يقتسمها الورثة فيما بينهم. هذه صورة محزنة من آثار بدعة الخمس التي تبناها فقهاء الشيعة.

ان الزعامات المذهبية الشيعية استطاعت البقاء مستقلة عن السلطات الحاكمة حتى في البلاد الشيعية بسبب هذا الرصيد الذي لا ينضب، فما دامت الزعامة المذهبية الشيعية ترى نفسها شريكة مع القواعد الشيعية في ارباح مكاسبها في اي زمان ومكان فان الاستقرار الفكري لا يجد الى المجتمع الشيعي سبيلاً والسبب واضح ومعروف لأن هذه الزعامات بسبب هذه الميزانيات الضخمة التي لا يحتاج الحصول عليها الى الجباة وعمال الضرائب بل تأتيها طائفة مخلصه استطاعت ان تجعل من زعامة الشيعة صرحاً سياسياً يحرك الشيعة في الاتجاه الذي تريده، فلذلك نرى ان تلك الزعامات استخدمت الشيعة في كثير من اغراضها السياسية والاجتماعية عبر التاريخ.

وفي ايران القطر الشيعي كانت لنتائج هذا التفاعل بين الشيعة وزعمائها الدينيين اثار سيئة لا تعد ولا تحصى، ولقد وصلت الامور الى ابعد ما يتصور من سوء عندما اضيفت الى بدعة الخمس في ارباح المكاسب بدعة ولاية الفقيه.

وقبل ان نبحث ولاية الفقيه بصورة مسهبة نود ان نضيف هنا لتكون امانة على التاريخ وصادقين في رسالتنا هو ان بعض الزعامات الشيعية خدم الفكر الاسلامي وخدم قضايا وطنية في محاربة الاستعمار او الاستبداد الحاكم مرات ومرات، ولكننا عندما نقارن بين استخدام اولئك البعض نفوذها في سبيل المصالح العامة وبين استخدام الاكثرية نفوذها في سبيل المصالح الخاصة ونضعها في ميزان لنرى ان كفة المصالح الخاصة تتأرجح على المصالح العامة بصورة تدهش المرء وتوحي اليه بالاسى والحزن.

ولاية الفقيه

ولاية الفقيه هي الجناح او البدعة الثانية التي اضيفت الى سلطة

الذين يدعون انهم نواب الامام المهدي في عصر الغيبة الكبرى، وهذه الفكرة بالمعنى الدقيق فكرة حلولية دخلت الفكر الاسلامي من الفكر المسيحي القائل ان الله تجسد في المسيح، والمسيح تجسد في الحبر الاعظم. وفي عصر محاكم التفتيش في اسبانيا وايطاليا وقسم من فرنسا كان البابا يحكم المسيحيين وغيرهم باسم السلطة الالهية المطلقة حيث كان يأمر بالاعدام والحرق والسجن، وكان حراسه يدخلون البيوت الآمنة ليل نهار ليعيثوا بأهلها فساداً ونكراً. وقد دخلت هذه البدعة الى الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى واخذت طابعاً عقائدياً عندما اخذ علماء الشيعة يسهبون في الامامة ويقولون بأنها منصب الهي انيط بالامام كخليفة لرسول الله (ص). وبما ان الامام حي ولكنه غائب عن الانظار ولم يفقد سلطته الالهية بسبب غيبته فان هذه السلطة تنتقل منه الى نوابه لان النائب يقوم مقام المنوب عنه في كل شيء.

وهكذا اخذت فكرة ولاية الفقيه تشغل حيزاً كبيراً في افكار فقهاء الشيعة، غير ان كثيراً منهم انكروا الولاية بالمعنى الذي تقدم ذكره وقالوا ان الولاية خاصة بالرسول (ص) والائمة الاثنى عشر من بعده ولا تنتقل الى نواب الامام، وان ولاية الفقيه لا تعني اكثر من ولاية القاضي الذي يستطيع تعيين امين على وقف لا متولي له او نصب قيم على مجنون او قاصر. ويبدو ان فكرة ولاية الفقيه مع تبني بعض فقهاء الشيعة لها لم تجد الفرصة المواتية للخروج من حيز الفكر الى حيز العمل الا بعد ان استلم السلطة في ايران الشاه اسماعيل الصفوي وهو العصر الذي عبرنا عنه بعصر الصراع الثاني بين الشيعة والتشيع.

والشاه اسماعيل ينحدر من اسرة صوفية كان مقرها مدينة اردبيل الواقعة في شمال غربي ايران، وكان اجداده من اقطاب الحركة الصوفية التي شعارها حب علي واهل بيته، وكان لهم نفوذ قوي في مقاطعة اذربيجان التركية وفي عام ٩٠٧ هجري استطاع الشاه اسماعيل ان ينصب نفسه ملكاً على ايران بعد ان كانت الحروب العثمانية الايرانية قد انهكت ايران تماماً.

ولاشك انه كانت وراء الشاه اسماعيل الذي توج رسمياً وهو بعد في سن الثالثة عشرة قيادات صوفية قوية تحرك الملك الفتى الى مأربها. ولم تكن ايران شيعية عند استلام الشاه اسماعيل السلطة اللهم الا مدناً قليلة منها قم وقاشان ونيسابور، فأعلن الشاه المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لايران وبدأت

الامام المهدي

جحافل الصوفية تتحرك بين المدائن الايرانية تنشد الاشعار والمدائح في حق علي واهل بيته وتحث الناس على الدخول في المذهب الشيعي. واعمل الشاه اسماعيل السيف في رقاب الذين لم يعلنوا تشيعهم، ومن طريف القول ان نذكر هنا ان سكان مدينة اصفهان كانوا من الخوارج فعندما وصلهم امر الشاه بقبول التشيع او قطع الرقاب طلبوا منه ان يمهلهم اربعين يوماً ليكثر فيها من سب الامام علي ثم يدخلوا في المذهب الجديد فأمهلهم الشاه كما ارادوا، وهكذا انضمت اصفهان الى المدن الشيعية الاخرى.

ومع ان الشاه اسماعيل كان شيعياً بقرارة نفسه وبحكم نشأته ومقامه الصوفي الا ان اعطاء الصفة الشيعية الخالصة لايران كان يهم النظام الجديد كثيراً فالحروب العثمانية وان كانت في حقيقتها حروباً اقليمية لها جذورها الماضية الا ان الاستمرار في هذه الحرب كان يصطدم بفكرة حرمة حرب المسلم مع المسلم وقتل المسلم للمسلم الامر الذي كان يلاقي معارضة داخل ايران، وكانت فكرة الانضمام للخلافة العثمانية والرضوخ لامر الخليفة الذي كان يلقب بأمر المؤمنين امراً له انصاره. ولكن المذهب الجديد الذي املاه الشاه على الشعب الإيراني اعطى تماسكاً قوياً للايرانيين وقضى على كل الآمال التي كانت تراود الخليفة العثماني لضم ايران الى خلافته، وفي حين ان الشاه كان يرى نفسه قطباً صوفياً وملكاً اسس للشيعية مجداً لم يؤسس احد مثله من قبل الا انه رضخ لولاية الفقيه وطلب من علي ابن عبد العال الكركي العاملي كبير علماء الشيعة ببجل عامل بلبنان ان يحكم له دعائم السياسة والملك ويجيزه الجلوس على كرسي الملك والحكم باسم الولاية العامة التي هي من صلاحيات الفقيه. ولا زالت الكتب التاريخية تحتفظ بالنصوص الواردة في اجازة الكركي للشاه.

ان رجوع الشاه الى عالم شيعي في جبل عامل بلبنان في ابان حكمه لاسناد نظامه دليل قاطع على ان الزعامة المذهبية الشيعية كان مقرها انذاك في جبل عامل الموطن الثاني للشيعة بعد العراق. ولذلك لا نستغرب ابداً عندما نعلم ان حفيد الشاه اسماعيل وهو الشاه عباس استقدم من جبل عامل العالم الشيعي الكبير الشيخ بهاء الدين الى مقر عاصمته اصفهان ليكون المرجع الرسمي للبلاد ولقبه بشيخ الاسلام.

ومن كل ما اسلفناه يظهر بوضوح ان فكرة ولاية الفقيه كانت موجودة في الفكر الشيعي وعليها كانت تبني فكرة عدم شرعية الخلافة الاسلامية او اية

حكومة اخرى الا اذا اجازها وباركها الفقيه الذي يمثل الامام الحي الغائب المنسوب بأمر الله.

ومنذ ان ادخل الشاه اسماعيل الصفوي الايرانيين في المذهب الشيعي وحتى كتابة هذه السطور فان للزعامة المذهبية الشيعية نفوذ واسع وكبير في ايران ويحظى باحترام عظيم من قبل الملوك والحكام. ومع ان العلاقات بين الزعامة المذهبية والزعامة السياسية المتمثلة بالملوك والحكام كانت على خير ما يرام عبر التاريخ الا انه كان يحدث في بعض الاحيان صراع بينهما ينتهي بانتصار احدهما على الآخر.

ومنذ ان استطاع الشاه اسماعيل ان يجعل من ولاية الفقيه منصبا يعلو على مقام الشاه وكل المناصب الاخرى لم يحدث قط ان فقيهاً من فقهاء الشيعة رشح نفسه للحكم مباشرة. وفكرة ولاية الفقيه بالمفهوم الذي ظهر في تاريخنا المعاصر ومن الناحية التطبيقية لم تكن تدور في خلد الفقهاء. فلم يستخدم الفقهاء في ايران حقهم في ولاية الفقيه اكثر من الوقوف في وجه السلطان الحاكم اذا ما حصلت بينهم المجابهة او الوقوف مع السلطان في مجابهة لاعداء. وقبل اقل من قرنين وعندما اراد الشاه فتح علي القاجار ان يغزو القيصر في عقر داره كان كبير مجتهدي الشيعة السيد محمد الطباطبائي الملقب بالمجاهد يتقدم جيوش الشاه وقواده لغزو روسيا، وقد افتى بالجهاد باسم ولاية الفقيه، وعندما دحرت ايران في تلك الحرب وتنازل الشاه عن سبعة عشر مدينة كبيرة من اهم المدن الايرانية الى روسيا تنازلاً لا رجعة فيه وعاد الجيش المهزوم الى ايران ومعهم السيد المجاهد استقبلهم الايرانيون بهتافات الخزي والعار ورموا على رأس السيد المجاهد وحاشيته وابلا من الجيف والاسواخ استنكاراً منهم لموقف زعيم ديني يقود ايران نحو الهلاك والكارثة التي لن تنسى.

وفي تاريخنا المعاصر وهو عهد الصراع بين الشيعة والتشيع بدأت ولاية الفقيه تظهر على مسارح الاحداث في البلاد الشيعية بصورة حادة وعنيفة اخذت تعصف بكل القيم الاسلامية والانسانية على السواء، ولعل من اهم المفارقات التي تدين هذه النظرية هي حدوث ذلك الصراع الرهيب بين الفقهاء انفسهم حول الفكرة واضطهاد القوة الحاكمة للقوة الفقهية المحكومة.

ومع اننا في رسالتنا التصحيحية هذه لا نريد ان نسمي الاشخاص ونعدد الاسماء حتى لا نفقد صفة الحياد التي هي من اهم شروط التوفيق في كل

الامام المهدي

رسالة هي لله، ولكن الاحداث التي نشير اليها هي من الوضوح بمكان ويعرفها كل شيعة ملم بأحداث العالم الشيعي. فأحداثها وقعت امام اعينهم او على مسمع منهم، فلذلك نحن واثقون بأنه لا يوجد شيعة واحد من الذين كتب هذا الكتاب لاجلهم يطالبنا بتوثيق ما يتضمنه هذا الفصل بذكر الاسماء والمصادر لان احداث ولاية الفقيه وما رافقها من المآسي في المجتمعات الشيعية سواء اكانت في ايران او غيرها لهي اظهر من الشمس في رائعة النهار.

واعود الآن الى البحث في ولاية الفقيه من الناحية النظرية والعملية معاً، فأساس النظرية لدى فقهاء الشيعة يرتكز على الآية الكريمة :

« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول

واولي الامر منكم. » الانفال ٥٩

ويقول علماء الشيعة ان المقصود من اولي الامر في الآية الكريمة انما هو الخليفة او الامام الشرعي الذي هو الامام علي ومن بعده اولاده حتى الامام المهدي، وفي غيبة الامام المهدي تكون الولاية للفقهاء المجتهدين الذين يحلون محل الامام وهم النواب العامون.

وخطأ هذا التفسير اوضح من وضوح الشمس فقبل كل شيء تصطدم نظرية ولاية الفقيه بنص صريح جاء في القرآن الكريم وضع صلاحية الفقهاء بعبارة واضحة وصريحة. ومن دواعي الاسف والحزن ان كل اولئك الذين اسهبوا في بطلان نظرية الفقيه لم يذكروا هذه النقطة الجوهرية التي تدحض فكرة ولاية الفقيه من اساسها وتنسفها نسفاً ابدياً حتى قيام الساعة. فالآية الكريمة التي تفند ولاية الفقيه وتنص على مقدار صلاحيته هي :

« فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في

الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم

يحذرون. » التوبة ١٢٢

فالآية صريحة ان واجب الفقيه هو التبليغ والارشاد في شؤون الدين وليست في الآية اشارة الى وجوب اطاعة الفقيه او ولايته. فليت شعري كيف خفيت هذه الآية الكريمة على العلماء والباحثين ونحن معاشر الشيعة كسائر المسلمين نجمع اجمعاً عاماً على انه لا اجتهد امام النص.

اذن فكرة ولاية الفقيه تتعارض مع نص الكتاب ومن يعارض النص الالهي يعتبر خارجاً عن الاسلام. ولنعد الى الآية الكريمة مرة اخرى:

« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه
الى الله والرسول. »

ان من يقرأ هذه الآية الكريمة من غير ان يقطع اجزائها حسب رغبته يعلم علم اليقين ان اطاعة اولي الامر تختلف عن اطاعة الله ورسوله (ص) وانها اطاعة محددة وفي نطاق صلاحيات انيطت بالوالي حسب طبيعة عمله حتى ان الحكم في التنازعات بين المسلمين سلب عنه كما تنص الآية. ثم ان الآية واضحة وصريحة انما نزلت في الذين عينهم الرسول (ص) في عهده كولاية ينوبون عنه في شؤون المسلمين. فالآية نزلت في عهد الرسول (ص) وهي تخص عهده والاشارة اليه اشارة شخصية لا عمومية.

ولكن حتى اذا اخذنا بعموم الآية وانه تشمل اولي الامر بعد عصر الرسول (ص) فانها واضحة في عدم وجوب اطاعة اوامرهم في التنازعات التي تحدث بين المسلمين، الامر الذي يقلل من شأن اولي الامر ويفقدهم صلاحية الولاية العامة او الولاية المطلقة.

وليت شعري ان اعرف كيف استدل المستدلون بهذه الآية على ولاية الفقيه واعطائه حق التحكم في شؤون المسلمين السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية؟ فاذا كان لا يحق لاولي الامر التدخل في تنازعات المسلمين كما نص عليه الكتاب حتى لا يتخذ اسم الله ورسوله ذريعة لكي يحكم المجتمع الاسلامي حسب اهوائه وعقائده بدون الاخذ بالشورى فهل يمكن القول ان نائب اولي الامر يتمتع بحقوق اكثر من المنوب عنه ؟

وفي ايران وهي مهد ولاية الفقيه في التاريخ المعاصر الذي عبرنا عنه بعصر الصراع الثالث بين الشيعة والتشيع استطاعت ولاية الفقيه ان تحتل الصدارة في الدستور الايراني الجديد وتحتل اهم المواقع الاساسية منه كما استطاعت ان تسيطر على السلطة المطلقة في البلاد. ولكن مع كل هذا لم يستطع حماة الدستور والذين وضعوه والذين دافعوا عنه من حل التناقضات الصارخة بين التطبيقات العملية وبين النظرية الفقهية ولذلك اصبحت النظرية في نظر المجتمع الشيعي نظرية مهلهلة ضعيفة وركيكة مع القوة المادية الهائلة التي تساندها، ولعل من اولى هذه المفارقات والتناقضات الصارخة والتي تتساءل الشيعة عنها في كل مكان هي :

هل ان ولاية الفقيه منصب ديني ام منصب سياسي ؟
فإذا كانت منصباً دينياً لا يخضع للانتخاب ولا يخضع للعزل ولا يخضع للتفريق فكل من بلغ مرتبة الفقاها اتصف بصفة الولاية وشملته الحصانة ويجب على المسلمين اطاعة اوامره والرضوخ لولايته. ولكن حدث ان فقهاء نُكِبوا وأُهينوا وسُجِنوا وشُردوا ولا زال بعضهم قيد الاسر والسجن بسبب مواقفهم الفكرية او السياسية من سلطان الفقيه الحاكم.

اما اذا كانت ولاية الفقيه منصباً سياسياً فلماذا ربط بالدين وبالمذهب وظهر في مظهر العقيدة ووجوب الطاعة لصاحبه.؟

ثم كيف يمكن من الناحية العملية ان يتصور المرء ولاية الفقيه عندما يتضارب الفقهاء بينهم في الآراء وكلهم في مدينة واحدة؟ فلمن ياترى يجب على المسلمين ان يستجيبوا ويطيعوا وكيف يجمعوا بين اراء متضاربة او متناقضة ؟

حقاً ان اسناد قانون كهذا الى الاسلام اهانة الى ذلك الدين القيم الذي ارسله الله ليرفع من القيم الانسانية.

ونظرية ولاية الفقيه تجاوزت ايران وتسربت الى مناطق شيعية اخرى وبدأت تعصف بالشيعية هناك كما عصفت بها في ايران. واني اخشى ان يعم البلاء على الشيعة في كل مكان ويهزم هذا لا استقرار بعده، فلو علمت الشيعة بالفجائع التي ارتكبت باسم ولاية الفقيه ولا زالت ترتكب لاقتلعت ظل الفقهاء من كل ديار يحلون فيها ولفرت منهم فرار الشاة من الذئب. فأثناء كتابة هذه السطور هناك في ايران القطر الشيعي رد فعل عنيف بالنسبة للمذهب وما رافقه من سلطة الفقهاء والمرجعية المذهبية وذلك بعد ان عانى الشعب الايراني من ولاية الفقيه ما عاناه. انه عناء يهدد المجتمع الشيعي في ايران بالخروج من الاسلام افواجاً افواجا.

ولذلك انني ادعو الله مخلصاً ان تصل رسالتي الاصلاحية الى يد الشيعة في ايران وذلك قبل قوات الاوان وليعلموا ان طريق الخلاص ليس الهدم والانكار فقط بل البدء بالبناء والاصلاح.

ولكي لا يتصور القاريء الكريم انني اقصد شخصاً خاصاً من الفقهاء الذين امسكوا زمام السلطة باسم ولاية الفقيه بل اود القول ان الفكرة الشمولية تعم الجميع ولا تقصد فرداً خاصاً. فنحن عندما نعمن النظر بدقة وتفحص في

الاحداث المؤلمة التي تجري على الساحة الاسلامية والشيعية نرى ان ولاية الفقيه تلعب دوراً بارزاً في احداث تتناقض مع مبادئ الاسلام الصريحة، وان الاكثرية من الفقهاء لم يقفوا موقفاً مناهضاً منها، فالاكثرية بين مؤيد او محايد اللهم الا القليل منهم والذين لا يتجاوز عددهم عدد اصابع اليد الواحدة.

التصحيح

اذا استطاعت الشيعة ان تنفذ الطرق التصحيحية التي نحن نطالبها بها للخلاص من الامور الثلاثة التي اشرنا اليها في هذا الفصل والتي هي تخصم في الصميم لسلكت شوطاً كبيراً في طريق التصحيح واراحت نفسها واستراحت من قيود قيدهم بها عباد الله مخالفاً لاوامر الله. والامور الثلاثة هي:

اولاً : التقليد

وهو الاخذ برأي المجتهد والعمل عليه في المسائل الشرعية، والاكثرية الساحقة من الشيعة تعود الى المجتهدين في المسائل الشرعية وقلما يوجد بيت لا توجد فيه رسالة من الرسائل الفقهية التي الفها المجتهدون لعوام الناس وتسمى بالرسالة العملية مع اضافة اسماء اليها مثل (ذخيرة الصالحين) (سراط النجاة) او (ذخيرة العباد) وامثالها، وان المتتبع لهذه الرسائل العملية يجد ان هؤلاء الفقهاء منذ قرون عدة وحتى هذا اليوم دونوا في اول صفحة من رسائلهم المشار اليها هذه العبارة :

« يجب على كل مكلف عاقل ان يكون مجتهداً او

مقلداً او محتاطاً اي عارفاً بموارد الاحتياط وعمل

العامي في الفروع من غير تقليد باطل عاطل.»

وتعني هذه النظرية التي اجمع عليها فقهاء الامامية منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم ان الذي يعمل بالاحتياط هو في حل من التقليد والاخذ برأي غيره. والعمل الاحتياطي يعني ان يعلم المكلف موارد الاختلاف في المسائل الفرعية ويختار الاقرب منها الى الصواب.

اما في اصول العقيدة فلا يجوز التقليد ويجب ان يكون المسلم معتقداً ومؤمناً بها عن بصيرة ودراية.

فالحل الذي نعرضه على الشيعة ونطلب منهم ان يلتزموا به لضمان سعادتهم في الدنيا والآخرة هو ان يعملوا بالاحتياط وليس في العمل الاحتياطي اي خروج على المذهب او مغايرة لاجماع فقهاء الشيعة الامر الذي يسد على الفقهاء

الامام المهدي

ابواب حث الشيعة على النهوض ضد التصحيح او تخويفهم بعذاب الله في يوم القيامة.

اما اذا حدثت للشيعة مسائل مستحدثة وهي قليلة جداً واعني بها المسائل التي لم تتطرق اليها ابواب الفقه من قبل فحينئذ يمكن استشارة مجتهد او مجتهدين لحلها، وها انا بحول الله وقوته سأضمن للشيعة اصدار رسالة عملية فقهية تحتوي على الآراء الاحتياطية في المسائل التي هي عامة البلوى وذلك بمساعدة علماء وفقهاء اخلصوا لله في نياتهم ولا يريدون عليه جزاء ولا شكورا.

الثاني : الخمس

لقد وقع فقهاء الامامية في مأزق عظيم عندما اجمعوا ان نصف الخمس وهو حق الله ورسوله والامام الغائب ويجب ان يعطى للمجتهد الذي يقلده الشيعي العامي والنصف الآخر يقسمه على الفقراء الهاشميين واليتامى وابناء السبيل منهم، فقد غاب عنهم ان كان هذا هو الحكم الشرعي بالنسبة للمقلدين من العوام ولكن ما هو الحكم بالنسبة للمحتاط الذي لم يأخذ برأي فقيه واحد فهل ان الخمس ساقط عنه ام انه يستطيع التصرف فيه كما يشاء.

ومن هنا يظهر ان بدعة الخمس بالمفهوم الشرعي مع اصرار الفقهاء عليها لم تكن دقيقة وفيها فجوات تحكي ببطلانها بوضوح.

ان بدعة الخمس بالمفهوم الشيعي انما هو مفهوم مخالف لسنة الرسول والخلفاء الراشدين وائمة الشيعة لان الخمس في الاسلام هو الخمس في الغنائم وليس في ارباح التجارة والمكاسب قط .

ومن هنا اطالب الشيعة في هذه الرسالة التصحيحية واحثهم على ان لا يدفعوا هذه الضريبة التي ما انزل الله بها من سلطان لاي فقيه وتحت اي غطاء ولكنني احثهم على المساهمة في الامور الخيرية ومساعدة الفقراء والمؤسسات الاجتماعية والعلمية مباشرة وبلا وسيط وليعلموا ان الأمم التي وصلت الى قمة المجد انما وصلت اليها بالسخاء والعطاء. واذا ارادت الشيعة ان تساعد الفقراء والمجتهدين ورجال الدين فنعمنا وهذا حسن وجميل ولكن على ان تكون مساعدة شخصية لقضاء مآربهم الخاصة لا لكي يكونوا وسطاء في توزيع الاموال على الغير كما هو شأنهم حتى كتابة هذه السطور.

الثالث : ولاية الفقيه

وهنا اكرر ما قلته من قبل وهو انني اعتقد انه لم يسبق لفكرة دينية في التاريخ البشري كلفت البشرية من الدماء والاحزان والآلام والدموع بقدر ما كلفته ولاية الفقيه عند الشيعة منذ ظهورها وحتى هذا اليوم. ولا اعتقد اننا بحاجة لكي نطلب من الشيعة ان تقاوم هذه الفكرة وتقف ضدها فالفكرة ولله الحمد بدأت تنسف نفسها بنفسها، وعندما يبدأ الهدم الداخلي يتفاعل في نظرية او فكرة بسبب فشلها في التطبيق او بسبب المآسي التي ترتكب باسمها تكون النظرية في طريقها الى الاضمحلال والزوال التام.

الغلو

« ولا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا

اهواء قوم قد ضلوا من قبل، واضلوا كثيراً

وضلوا عن سواء السبيل..» المائدة ٧٧

عندما يصل الانسان الى مرحلة التكامل ويعلو
على الملائكة فهو في غنى عن الخزعبلات
والاوهام التي تنسج حوله وتشوه صورته
الوضاءة.

الغلو

الغلو النظري الغلو العملي

الغلو النظري

هناك مظاهر كثيرة للغلو تبدأ بالغلو النظري وتنتهي بالغلو العملي. والغلو النظري بكل اختصار اعتقاد الانسان في حق انسان آخر انه قادر على الاتيان بكرامات او معجزات او امور خارقة وغير عادية لا يستطيع الاتيان بها عامة الناس.

كما ان الايمان بتأثير انسان ما حياً كان ذلك الانسان او ميتاً في حياة الآخرين خيراً او شراً وفي الدنيا والآخرة هو مظهر كبير من مظاهر الغلو.

والغلو النظري المسطور في كتب الروايات والاحاديث ونسبة الامور العجيبة والخارقة الى الائمة والاولياء والمشايخ كانت السبب في تنمية الغلو العملي وما يصدر من عامة الناس في مقابر الائمة والاولياء والمشايخ في اظهار العبودية وتقديم النذورات وطلب الحاجة المباشرة منهم وامور اخرى لا تعد ولا تحصى.

وفكرة الغلو تحتل قلوب كثير من الناس حتى من غير المسلمين، وتشارك الفرق الاسلامية الاخرى الشيعة في غلوهم بالنسبة للائمة والاولياء نستثنى منهم (السلفية) الذين استطاعوا ان يحطموا القيود التي قيدت عقول الناس وقلوبهم على السواء.

غير ان الشيعة سبقت الفرق الاسلامية الاخرى في هذا المضمار كثيراً ويعود هذا الاسراف في الغلو الى كتب الروايات التي لم تهذب وموقف الفقهاء من تلك الروايات وعدم تفنيدهم لمحتواها. فقد ذكرت كتب الشيعة والتي تعتبر موثوقة قصصاً في معجزات الائمة وفي كراماتهم هي لا تقل عن تلك التي نجدها في كتب روايات الفرق الاسلامية الاخرى عن المشايخ والاولياء وشيوخ الصوفية.

ولا اريد ان ادخل في ذلك الجدل العقيم، هل ان هذه الروايات صادقة ام انها من نسج الخيال ؟ وانها حيكت في عصر كانت اذهان العامة لا ترتضي ولا

الغلو

تطمئن الا ان تسمع قصصاً مثيرة عن حياة كبرائهم، ولكن النقطة الاساسية والتي ارتكز عليها في هذا البحث هي اننا نحن كمسلمين وكأمة نعتقد بأن المعطيات العقلية هي اكثر المعطيات اتباعاً وقبولاً وهي التي تغنينا عن السير اشواطاً وراء السراب. ونحن معاشر الشيعة بالذات قد اتخذنا المذهب العقلي جزءاً من استنباط احكامنا الفقهية، وهناك رواية ذكرها الكليني في (اصول الكافي) متواتراً عن الامام الصادق جاء فيها :

« ان اول ما خلق الله العقل، فقال له اقبل فأقبل.
ثم قال له ادبر فأدبر. ثم قال : فبعرزتي وجلالي
بك اعاقب وبك أثيب.»

ومن هنا اتخذت الشيعة تلك القاعدة العقلية التي تقول :

« كل ما حكم به العقل حكم به الشرع.»

اي ان المستقلات العقلية التي لا يجد العقل الا بدأً من قبولها او رفضها فالشرع يحكم بذلك. وها انا اسأل :

اين موقف العقل من هذه الخزعبلات التي رواها الرواة بالنسبة لائمتنا من المعجزات والكرامات ؟ واين العقل من هذا الغلو الجارف الذي يمنع المرء من ذكر الله والتوجه اليه ؟

ثم لماذا ونحن الشيعة لا نعطي لائمتنا حقهم في المرتبة الرفيعة التي يحتلونها ؟ وهي الوصول الى مرتبة الانسان الكامل الذي هو معجزة تفوق كل المعجزات الاخرى، فقد جاء في الحديث عن الرسول الكريم (ص) :

« ان الله خلق الانسان ورَّكب فيه العقل والشهوة
وخلق الملائكة ورَّكب فيها العقل، وخلق البهائم
ورَّكب فيها الشهوة، فمن غلب عقله على شهوته
فهو اعلى من الملائكة، ومن غلبت شهوته على
عقله فهو ادنى من البهائم.»

ان هذه المرتبة الانسانية الكبرى التي انعم الله بها على الائمة وعباده الصالحين حيث بلغوا مرتبة هي اعلى من الملائكة تغنيهم ورب الكعبة من ان تنسج حولهم الخزعبلات ما تضحك الثكلى. ثم ان الغلو في بعض الاحيان يجتاز مرحلة المدح وينقلب ذماً فمثلاً :

ان العصمة التي نسبت الى الائمة كما قلنا في فصول سابقة كان الغرض منها

تثبتت تلك الروايات الكاذبة التي تتنافى مع العقل والمنطق والتي نسبت الى الامام كي يُسد باب النقاش في محتواها على العقلاء والاذكياء ويرغم الناس على قبولها لانها صدرت من معصوم لا يخطيء.

ولكن العصمة في حقيقة حالها انما هي تنقيص من حق الامام لا مدح فيه لأن تفسير العصمة بالمفهوم الشيعي تعني ان الائمة منذ ولادتهم وحتى وفاتهم لم يرتكبوا معصية بارادة الله، وهذا يعني فقدانهم الارادة في تفضيل الخير على الشر، ولست ادري اية فضيلة تكتب للمرء عند الله اذا لم يستطع القيام بعمل الشر بسبب ارادة خارجة عن ذاته. نعم اذا كانت العصمة تعني ان الائمة مع القدرة على الاتيان بالمعاصي لن يأتوا بها لعلو في نفوسهم وملكة قوية في اخلاقهم وحاجز يحجزهم عن معصية الله فهذا كلام معقول يتلائم مع المنطق والعقل. ولكن في هذه الحالة لا نستطيع القول ان هذه النفسية تخص اشخاصاً معدودين وانها خاصة لائمتنا فقط بل انها صفة يستطيع كل انسان ان يتصف بها اذا التزم حدود الله واطاع اوامره وانتهى عن نواهيه وحسبنا كتاب الله الذي اعطى لنا مثلاً رائعاً وصورة بليغة لهذه العناية الالهية في سورة يوسف :

« وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك. قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون. ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه. كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين.»
يوسف ٢٢ - ٢٣

والعلم اللدني (١) من هذا النوع ايضاً فما هي الفضيلة في اقتباس العلوم بلا جهد ومثابرة وسعي، وادهى من ذلك ان بعض علمائنا ذهبوا الى ابعد من ذلك وقالوا ان الامام يعلم كل شيء وله معرفة بكل العلوم والفنون، ولست ادري ايضاً ما هي الفضيلة بالنسبة اليه ان يكون مهندساً او ميكانيكياً او عالماً باللغة اليابانية. انما الفضيلة بالنسبة للامام ان يكون فقيهاً ورعاً وعالماً ربانياً في شؤون الدين وفي هذا كل الفضل. ثم اذا كان القرآن الكريم يقول في رسوله الذي ارسله للناس ضياءً ونورا :

١ - يقصد بالعلم اللدني العلم الذي يحصل للمرء بالالهام وبدون جهد ومثابرة.

« قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » الإسراء ٨٥ .

وينفي عنه العلم بالغيب بقوله :

« قل لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير. »

الاعراف ١٨٨

فكيف تسوغ لنا نفوسنا ان ننسب الى ائمتنا صفات تعلو على صفات رسول الله (ص) اما المعاجز والكرامات التي كانت تصدر عن الانبياء في حين وآخر ويشير اليها القرآن الكريم فانها كانت تحدث في عهد التحديات الانسانية لرسالات السماء وفي عهود كانت البشرية لا تستطيع درك المفاهيم العقلية والفضائل العليا بلغة المنطق والاستدلال وكان لا بد من حملها الى طريق الايمان فأنعم الله على انبيائه وكرمهم بالمعاجز ليكونوا حجة على الناس وارسل الله رسوله (ص) بالمعجزة الخالدة وهو القرآن الكريم، انها المعجزة الابدية التي تبقى ما شاء الله لها ان تبقى.

وبمحمد ختمت الرسالة وختمت المعجزات واكمل الدين واتمت النعمة وجاء قول الله صريحاً وجلياً :

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي

ورضيت لكم الاسلام ديناً. » المائدة ٣

ومرة اخرى ونحن نتحدث عن الغلو النظري عند الشيعة قبل الغلو العملي ونترك الباب مفتوحاً لسائر الفرق الاسلامية الاخرى ان تتحدث هي عن الغلو الحاكم في قلوب ابنائها وفي بطون كتبها.

ان المؤسف حقاً هو ان الغلو النظري مثل العملي دخل الى اعماق القلوب عن طريق فقهاء المذهب والمجتهدين فالمسؤولية الاولى والاخيرة تقع على عاتقهم لانهم هم الذين قادوا العوام على الطريق، فهناك امور نسبتها كتب الشيعة الى الائمة وتبناها فقهاء المذهب وذكرتها كتب الروايات الموثوقة عندهم مثل (اصول الكافي) و (الوافي) و (الاستبصار) و (من لا يحضره الفقيه) و (وسائل الشيعة) وغيرها من اهم الكتب والمصادر الشيعية، وفي كثير منها الغلو وفي كثير منها الحط من قدر الائمة ولكن بصورة غير مباشرة، ومع اننا نستثني بعض علمائنا وبعض مراجعنا حيث اتخذوا موقفاً منصفاً ومعتدلاً من الغلو النظري والعملي، غير ان الاكثريه منهم ساروا على درب الغلو من الفه الى يائه. ولعل من اهم مواضع الغلو :

الغلو

- ١- العصمة
- ٢- العلم اللدني
- ٣- الالهام
- ٤- المعاجز
- ٥- الاخبار بالغيب
- ٦- الكرامات
- ٧- تقبيل الاضرحة وطلب الحاجات

وهنا اود القول بكل صراحة ووضوح هو انني عندما اطلب غربة الكتب الشيعة وتهذيبها من الروايات التي تسيء الى العقل الانساني بدلا من ان تصقله اطلب في الوقت نفسه من علماء الفرق الاسلامية الاخرى ان تهذب وتغربل بدورها كتبها من الروايات التي جاءت فيها وهي لا تقل عن الغرابة والسخف من الروايات التي دُونت في كتب روايات الشيعة.

الغلو العملي

ان الغلو العملي يتجسد في طلب الحاجات الدنيوية والاخرية من الأئمة والاستغاثة بهم بصورة مباشرة. كما ان تقبيل الاضرحة هو امر شائع في مراقد الأئمة والاولياء معا.

حقاً لقد سئمت من المناقشة والمناظرة مع فقهاءنا — سامحهم الله — حول تقبيل الاضرحة وطلب الحاجات من الأئمة وقراءة الزيارة (١) امام قبورهم بدلا من قراءة القرآن الكريم فلم اسمع منهم الا تكراراً لكلمات قيلت وقيلت، فقد ارادوا ان يجدوا العذر في تقبيل الاضرحة بتقبيل الرسول الكريم (ص) الحجر الاسود في حين ان عمل الرسول (ص) كان يعتبر سنة لموقع خاص ومقام خاص حتى ان الخليفة عمر ابن الخطاب وقف امام الحجر مخاطباً له :

« انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكنني رأيت رسول الله يقبلك فاقبلك. »

وان الرسول (ص) لم يسمح ابداً ان يقبل احد يده بل كان يصافح زائريه والقادمين اليه، كما اننا لم نسمع ولم نقرأ ان الامام علياً سمح لاحد ان يقبل

١- افردنا فصلاً خاصاً لهذا الموضوع .

الغلو

يده او رداءه. وهذا هو الامام الصادق وقد اغضبه رجل عندما اراد ان يقبل عصاه التي يتوكأ عليها بذريعة انها عصا رسول الله (ص) فقال له غاضباً :

« ويحك (وهو يشير الى يده) هذا لحم ودم
رسول الله فلماذا تقبل ما لا يضررك ولا ينفعك.»

ومن الغريب في استدلال علمائنا بتقبيل النبي الكريم للحجر الاسود وجواز تقبيل الاضرحة بالقياس عليه هو انهم من اشد الناس معارضة للقياس في استنباط الاحكام الشرعية، وكما نعرف جعلوا الدليل العقلي بدلا من القياس في استنباط الاحكام ولكنهم اخذوا به عندما رأوا مصلحة في ذلك.

لقد زرت مقابر الاولياء في كثير من البلاد الاسلامية فرأيت الزائرين فيها على النمط الذي نراه في مشاهد أئمتنا، ودخلت كنائس المسيحيين في كثير من بلاد العالم فرأيت الناس فيها كما هي فهم يتبركون بتمثال المسيح وبأقدام العذراء وقد تركوا الله جانبا ويطلبون منهما العون في الدنيا والآخرة. ودخلت معابد البوذيين والشننتو ومعابد الهنود والسيخ فرأيت ما رأيته من قبل في مشاهد المسلمين والمسيحيين معاً من تقديم القربان وطلب الحاجة وتقبيل التماثيل والركوع والخضوع والخشوع امامها.

وهكذا رأيت البشرية تعوم في سراب من الاوهام. وحقاً اكبرت اولئك العلماء من المسلمين امثال ابن حزم الاندلسي ومن حذا حذوه من الذين منحهم الله عقولاً جبارة اتخذوها مناراً وهداية لهم وللآخرين فسبقوا عصورهم بقرون وقرون ووقفوا موقف الساخر الغاضب من هذه الاعمال. ولنقرأ معاً هذه الآيات البيّنات وقد عالجت هذه الامور بصراحة ووضوح :

١- « قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسني السوء ان انا الا بشير ونذير لقوم يؤمنون.» الاعراف ١٨٨

٢- « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك.» هود ٣١

٣- « قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب

الا لله. النمل ٦٥

٤- « واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب

دعوة الداعي اذا دعاني. البقرة ١٨٦

٥- « وقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس له

نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد. ق ١٦

التصحیح

ومرة اخرى نعود الى الفكرة التصحيحية الكبرى وهي غريلة الكتب وتنقيحها وتهذيبها من الشوائب والاخبار غير الصحيحة التي جاءت فيها. واذا ذكرنا اعلاه بعض اسماء الكتب التي يعتبرها فقهاء الشيعة كتباً معتبرة والتي الفت في عهد الصراع الاول بين الشيعة والتشييع ولكن من المهم ان نذكر ايضاً ان الكتب التي الفت في العهد الثاني من الصراع اي في عهد الدولة الصفوية لهي ادهى بكثير من تلك التي كتبت في وقت متقدم. فلقد جمعت بعض هذه الكتب بين صفحاتها من عجائب الامور والاقوال ما لا يرتضيه اي عاقل واي محب لاهل بيت الرسالة. ولعل من نافلة القول ان نذكر هنا على وجه التحديد

موسوعة بحار الانوار الضخمة التي وضعها المولى محمد باقر المجلسي باللغة العربية وفي مجلدات تربو على العشرين. ان هذه الموسوعة هي بحق من اكثر الموسوعات نفعا وضررا، فهي في الوقت الذي تجمع في طياتها تراثاً علمياً غنياً وتمد الباحثين والعلماء به فهي تحتوي ايضاً على اقوال ضارة ومواضيع ركيكة اضررت بالشيعة والوحدة الاسلامية اعظم الضرر واكبره. ومع ان المؤلف يعترف في مقدمة كتابه الذي سماه بحاراً لأنه كالبحر الذي يوجد فيه الصدف والخزف، فكتابه ايضاً يحتوي على الضار والنافع شأنه شأن البحر، ولكن مع الاسف ان الخزف الموجود في كتاب البحار قد اضر الشيعة والوحدة الاسلامية اكثر من اي أثر آخر الف حتى الآن في التاريخ الشيعي.

لقد خصص المؤلف شطراً كبيراً من موسوعته في معاجز ائمة الشيعة وهي مليئة بالافكار الغلوئية التي تحتوي على قصص في المعاجز والكرامات تنسب الى ائمتنا. حقاً انها حكايات تصلح لتسلية الاطفال.

والجانب الآخر الهدام في هذه الموسوعة هو التركيز على الطعن وتجريح الخلفاء الراشدين وبصورة مقذعة في بعض الاحيان، الامر الذي اتخذه تجار

الغلو

الطائفية البغيضة فرصة مواتية لاثارة العداء بين الشيعة والسنة ولا زالت الكتب التي تؤلف ضد الشيعة تركز تركيزاً مباشراً على كتب المجلسي. والمجلسي ألف كتباً باللغة الفارسية ايضاً وهي لا تقل في محتواها عن موسوعته العربية، ولا شك ان عصر المجلسي وتأييد النظام الحاكم للمذهب الشيعي ولعلماء المذهب كان من اهم عوامل تأليف موسوعة مثل (بحار الانوار) الكتاب الذي كان يضمن الخلاف الابدي بين الشيعة في ايران وبين الاكثرية الساحقة من المسلمين الذين كانت الخلافة الاسلامية المجاورة لايران تحكمهم باسم امير المؤمنين. والمجلسي الذي ولد في عام ١٠٣٧ هجري وتوفي في عام ١١١١ هجري كان معاصراً للشاه سليمان والسلطان حسين من الملوك الصفويين وعُيِّن برتبة شيخ الاسلام وانيطت به الشؤون الدينية في ايران بأمر الشاهين الذين حكما ايران في ازهى عصور الدولة الصفوية.

وقبل اكثر من ثلاثين عاماً عندما ارادت دار للنشر في ايران ان تجدد طبع موسوعة البحار في مئة مجلد امر الامام الطباطبائي البروجردي الزعيم الاعلى للطائفة الشيعية انذاك ان يخضع الكتاب للتهذيب والتنقيح ويجرد من كل الروايات والقصص التي فيها تجريح للخلفاء الراشدين ولكن الناشر الذي كان من اكبر تجار الطائفية وبتعاون مع جهات مشبوهة بدأ بطباعة الموسوعة من المجلدات الضخمة التي لا تحتوي على تلك الروايات والقصص المضرة متجاهلاً التسلسل الوارد في الموسوعة وتم طبع المجلدات الضارة بعد وفاة الامام البروجردي وعرضت في المكتبات الاسلامية لتكون وقوداً جديداً لاثارة الضغناء والشحناء بين المسلمين. ولقد انبئت اخيراً ان الموسوعة طبعت مرة اخرى في لبنان بمساعدة جهة لها اتصال عميق بالدوائر الاستعمارية التي كانت سياستها الدائمة فرق تسد .

وفي معرض حديثنا عن غربة كتب روايات الشيعة لابد من ان نذكر هنا وبكل صراحة ان الدفاع الذي يقدمه بعض فقهاءنا لصحة الروايات التي نريد غربلتها هو ان علم الدراية او علم الرجال يساند صحة صدور تلك الروايات عن ائمة الشيعة وصدور بعض المعجزات والكرامات عنهم.

وليت شعري ان افهم ايهما افضل للقبول والاتباع علم الدراية والرجال ام كتاب الله الكريم وسنة رسوله وبعدهما العقل والمنطق والبرهان، ورسول الله

(ص) يقول :

« كل ما وافق الكتاب فخذوه وما عارضه

فانذروه..» (١)

وقبل ان اختتم هذا الفصل لابد من الاشارة الى موضوع له من الاهمية بمكان فقد دأب كثير من فقهاءنا والمعنيين بالشؤون الشيعية في رفضهم لقبول غربة الكتب المشار اليها من المواضع التي تقصم ظهر الوحدة الاسلامية ان يتذرعوا بالقول ان كتب السنة ايضاً مليئة بما يجرح الشيعة وترميهم بالزندقة والكفر والخروج عن الاسلام.

لقد صارحننا فقهاءنا من الشيعة وقلنا لهم ان كتبكم طعنت و جرحت الخلفاء الراشدين الذين لهم مكانة كبرى في قلوب المسلمين، وازواج النبي (ص) وصحابته، والسنة لا تقول مثل هذا الكلام في ائمة الشيعة بل تكرمهم وتذكر فضائلهم. ولكن حينما يريد علماء السنة الدفاع عن اعز و اكرم فئة ترى فيها امتداداً لرسول الله (ص) وقد ذكرتها الكتب الشيعية بما لا يليق بمكانتها فلا بد وان توجه السهام نحو صدور اولئك الذين دونوا مثل تلك الاقوال في كتبهم. ومن هنا نستطيع القول ان وطأة الكتب الشيعية وما فيها من كلام جارح على الخلفاء هي اقسى واشد كثيراً على السنة مما تقوله السنة في الشيعة نفسها. وبما اننا نريد بعون الله واراده ان ننهي هذا الخلاف الى الابد ونقدم حلولاً تصحيحية تضمن إنهاء ما عاجلا او اجلا فكان لا بد من سلوك طريق الصراحة، ونحن هنا في موقف امام الله والتاريخ والمسلمين جميعاً. فلذلك نقول انه توجد في بعض الكتب التي ألفها كُتّاب السنة طعنات او جرحاً في حق بعض أئمة الشيعة ونقصد بأئمة الشيعة هنا أئمة آل البيت ووصفهم بعبارة ائمة الشيعة هو وصف مجازي دأب عليه الاصطلاح والا فإن أئمة آل البيت كالحسن والحسين وزين العابدين وغيرهم من آل البيت هم أئمة لأهل السنة ايضاً. ومن يجرح هؤلاء يعتبر مجروحاً في موازين اهل السنة ايضاً. ومن الواضح انني لا اقصد باولئك الكتاب الخوارج الذين لهم موقف واضح وصريح من الامام علي. ومع انني اعترف ان كتباً من هذا النوع نادرة جداً الا أنها تؤخذ كراس رمح يمنع القيام بالحركة التصحيحية ويستغلها المتاجرون بالطائفية الذين لا يريدون ان تتم الوحدة الاسلامية الكبرى فيستندون على

الغلو

مثل تلك الكتب النادرة التي لا تتداولها الايدي كثيراً ولكن وجودها يعتبر ذريعة.

وانني ادعو الله مخلصاً ان يوفق المصلحين من امة محمد (ص) بغربة امثال تلك الكتب ايضاً حتى تكون مهمتنا شاملة وعامة.

زيارة مراقد الائمة

وحتى الآن لم اسمع جواباً شافياً من فقهاءنا
سامحهم الله في تفضيل كلام المخلوق على
الخالق.

زيارة مراقد الائمة

لقد فصلنا في مبحث الغلو وجه الاشتراك بين الشيعة وسائر الفرق الاسلامية في زيارة مراقد الائمة وقبور الاولياء نستثني منهم السلفية كما اشيرنا. وفي هذا الفصل نتحدث عن مورد الاختلاف بينهم وهو الذي تنفرد به الشيعة عما سواها في زيارتها لقبور ائمتها. لقد غيرت الشيعة مسار الزيارة لمراقد الائمة التي يجب ان تكون لله الى زيارة سياسية اعلامية تثقيفية ومذهبية.

انني وعندما اكتب هذه السطور هناك عشرات الآلاف من الشيعة تزور مراقد الائمة في ايران والعراق والمدينة المنورة كل يوم وفي آناء الليل واطراف النهار. وعلى ما اعتقد لا يوجد بين هذه الاكثرية الساحقة شيوعي واحد يقرأ فاتحة الكتاب او سوراً من القرآن الكريم عندما يدخل الى العتبات ويقف امام قبر من قبور الائمة. ان العادة جرت للشيعة ومنذ قرون ان تقرأ امام قبور ائمتها عبارات مطولات اسمها (الزيارة) التي تجمع بين طياتها مدحاً للائمة والثناء عليهم والتنديد بأعدائهم ثم قليل من الدعاء. وقلما يوجد بيت للشيعة لا يتوفر فيه كتاب (مفاتيح الجنان) وهو الكتاب الذي يحتوي على مئات من الزيارات للائمة ولاولادهم وكلها على نمط مشابه وبفارق صغير في بعض الاحيان. ولنقرأ معاً بعض المقاطع من (الجامعة الكبيرة) وهي من اهم الزيارات شأناً وتقرأ عند قبر كل امام من الائمة وهي من المطولات، فقد روى الصدوق في كتابه (الفقيه) ان الامام العاشر علي ابن محمد الجواد علم احد خواصه وهو موسى ابن عبدالله النخعي بهذه الزيارة :

« السلام عليكم يا اهل بيت النبوة وموضع
الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي
.....وامناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة
المرسلين وعتره خيرة رب العالمين.....اشهد
انكم الائمة الراشدون المهديون المعصومون
المكرمون المقربون المتقون

زيارة مراقد الائمة

الصادقون.....الراغب عنكم مارق واللازم لكم
لاحق والمعترض في حقكم زاهق والحق معكم
وفيكم ومنكم واليكم وانتم اهلك ومعدنه وميراث
النيرة عندكم وآيات الخلق اليكم وجسابهم عليكم
وفضل الخطاب عندكم وعزائمه فيكم.....من
والاكم فقد والى الله ومن عاداكم فقد عادى الله
ومن احبكم فقد احب الله ومن ابغضكم فقد
ابغض الله.....اشهد الله واشهدكم انني موال لكم
ولاولياكم، مبغض لاعدائكم ومعاد لهم سلم لمن
سالكم وحرب لمن حاربكم، بكم يسلك الى
الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب
الرحمن.»(١)

وهكذا تستمر الزيارة بمثل هذه العبارات وتختتم بعد ذلك بدعاء قصير.

ان الزيارة التي ذكرنا مقاطعاً صغيرة منها هي اكثر الزيارات اعتدالاً
ومضموناً الا ان هناك زيارات اخرى وكثيرة فيها عنف وشدة وفي بعضها
تجريح للخلفاء الراشدين، لكن الطابع العام في هذه الزيارات هو التنديد بظالمي
آل محمد والاعتراف بفضل علي واولاده واحقيتهم بالامامة. وهناك زيارات
كثيرة ايضاً تخص الامام الحسين تحتوي على التنديد بالامويين مع السب
الصريح في حق كثير منهم بسبب قتلهم الحسين. ولا شك ان مقتل الامام
الحسين في واقعة كربلاء وسب الامام علياً على المنابر الذي بدأ به معاوية ابن
ابي سفيان واستمر حتى خلافة عمر ابن عبد العزيز عام ٩٩ هجري الذي رفع
السب يعتبر من اهم الاسباب التي ادت الى ظهور رد فعل عنيف من قبل
الشيعة وهو اعطاء السب والشتم صفة دينية وقانونية ادخلت في الزيارات
التي تُقرأ امام قبور الائمة واولادهم وحتى هذا اليوم. ومن خلال تفحصي
للزيارات التي ذكرتها كتب الزيارات مثل (مزار البحار) و (مفتاح الجنان)
و (ضياء الصالحين) و (مفاتيح الجنان) وغيرها يبدو لي واضحاً ان اسماء
الخلفاء الراشدين دخلت في بعض هذه الزيارات صراحة او تلميحاً في وقت
متأخر عن العصر الذي كتبت فيه هذه الزيارات فلذلك لا نجد لهم ذكراً الا في
قليل منها.

زيارة مراقد الأئمة

ان من يفكر ملياً بالأسباب الكامنة وراء وضع هذه الزيارات وشيوع قراءتها امام قبور الأئمة والانصراف الكامل عن قراءة القرآن الكريم الذي هو كلام الله وله الشرف كل الشرف على كلام المخلوق ليعلم بوضوح ان الغرض منها انما هو نشر الثقافة المذهبية والتركيز على اهم مبادئها وهو احقية الأئمة بالخلافة من سواهم. ويجب علينا ان نذكر ايضاً ان زيارة قبر الامام الحسين بدأت بعد مقتله بأربعين يوماً حيث وصلت الى كربلاء أول قافلة تضم اهل بيته وبعض صحابته للسلام عليه واستمرت تلك القوافل بالوفود الى كربلاء عاماً بعد عام وحتى هذا اليوم.

وعندما نعود الى الاسباب الكامنة التي كانت وراء تلك الاجتماعات التي كانت تحصل عند قبر الامام الحسين باسم زيارته لنعلم انها كانت لقاءات بين الشيعة تفد الى قبر الحسين من اقاصي البلاد لكسب الثواب ولنشر المذهب الشيعي والتنديد بالخلافة التي تجسدت في الامويين في باديء الامر ثم في العباسيين بعدهم وانها في نفس الوقت كانت تظاهرات شيعية لتوحيد الصفوف ونشر اهداف المذهب الشيعي.

ولهذا فأنني لا استغرب ابداً عندما اقرأ في كتب الروايات التي هي بين ايدينا روايات تنسب الى ائمة الشيعة تحت الناس على زيارة الامام الحسين وقد جاء في بعضها :

« لكل خطوة يخطوها الزائر في سبيل زيارة الحسين له قصر في الجنة. »

وحتى انهم جعلوا لكربلاء مقاماً اعلى من الكعبة وقد قال احد شعراء الشيعة :

وفي حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان علو الرتبة

كما ان روايات اخرى قالت :

« ان من بكى على الحسين او تباكى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. »

ان مثل هذه الروايات وانتسابها الى الأئمة اعطت حيوية خارقة في السعي للوصول الى كربلاء مع صعوبة الاسفار ومشاقها وخطورتها في تلك العهود، ولذلك كانت كربلاء في عهد الخلافة الاموية والعباسية تشهد المظاهرات

الشيعة الكبرى في شهر محرم وصفر ولا سيما العاشر من محرم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين. وكان المجتمعون يحتشدون بصمت امام القبر ويوحدون صفوفهم في قراءة الزيارات التي كانت عملية تثقيفية وراءها حكماء وعلماء احكموا فيها وضع الخطة التي تجمع الشيعة على خط واحد لا تنقسم عراه.

وحقاً كان المخططون في وضع تلك الزيارات عباقرة استطاعوا تفهم النفسية الشيعة في عهد الامويين والعباسيين تفهماً مطلقاً فجاءت تلك الزيارات وتداولها تداولاً عاماً في المواسم الخاصة بمثابة استمرار منظم في مقاومة الخلافة. وهكذا اصبح التثقيف المذهبي عن طريق تلك الزيارات عاماً وشائعاً وشاملاً رغماً عن ارادة السلطة الحاكمة. لقد حدث كل ذلك في عهد لم تعرف فيه الصحافة ولا المدارس العامة ولا الاعلام الشامل ولا وسائل الطباعة ولا التنظيمات الحزبية، ولذلك لا نجد غرابة عندما نعلم ان المتوكل العباسي منع الناس من زيارة الامام الحسين وأمر بحرق قبره حتى يخفي معالمه عن الناس.

واليوم وبعد ان انتهى كل شيء ولا يوجد للامويين ولا للعباسيين وخلافتهم اثر في العالم الاسلامي ولا لذلك التطاحن الفكري حول الخلافة والخلفاء فهل نحن معاشر الشيعة نرغب ان نسير في الطريق نفسه الذي سرنه عليه زهاء ثلاثة عشر قرناً ونقف امام قبور الأئمة ونردد كلاماً رددناه قروناً وقروناً لا فائدة ترجى من وراءه ولا اثر يترتب عليه ؟ اللهم الا بعض المقاطع من الدعوات الخالصة التي تشكل جزءاً صغيراً من الزيارة فحسب. ثم الى متى سنفضل كلام المخلوق على الخالق ؟ وما هي الفائدة التي يجنيها الأئمة انفسهم من قراءة هذه الخطب الرنانة امام قبورهم ؟

ليس من الافضل حقاً ان نأخذ بسنة النبي الكريم (ص) ونقلوا آيات من الذكر الحكيم امام قبور أئمتنا ؟ فان فيها الثواب والرحمة وفيها النور والهدى ليس للزائر فحسب بل حتى للمزور وان كان نبياً او اماماً.

التصحيح

من كل ما اسلفناه يظهر بوضوح ان هذه الزيارات التي ملأت كتب الزيارة ويحتفظ بها كل شيعي في بيته ويقرأها عندما يدخل مشهداً من مشاهد اهل

زيارة مراقد الائمة

البيت انها زيارات تثقيفية وضعت في عهد كانت الشيعة فيه بحاجة الى التثقيف المذهبي. واني لا اشك ان الامام علياً اذا كان يستمع الى بعض الفقرات التي جاءت في تلك الزيارات وفيها اعطاء الائمة صفات تفوق صفات البشر وتكون قريبة من صفات الله او شريكة معه فقد كان يجري الحد على قارئها وواضعها على السواء.

وهنا اود ان اطلب من الشيعة في كل الارض ان تفكر ملياً في زيارتها لقبور الائمة بهذه العبارات التي لا تجدي خيراً لهم ولا للائمة كما اود ان احمل المسؤولية مرة اخرى على الزعامات المذهبية التي عودت الشيعة على هذا الطريق فحتى هذا اليوم لم اصادف مرجعاً من مراجع الشيعة وهو يدخل مشهداً من مشاهد الائمة يفضل قراءة القرآن الكريم على تلك الزيارات عندما يقف امام المشهد. ولست ادري لماذا نحن معاشر الشيعة نترك كلام الله ونركز الى كلام المخلوق وحتى على فرض صحة صدورها من الامام فلماذا نفضل كلامه على كلام الله ؟

واذا كان الغرض من الزيارة الحصول على ثواب الآخرة فقراءة القرآن الكريم تضمن ذلك الثواب، واذا كان الغرض منها اكرام الامام فقراءة القرآن تضمن له ذلك ايضاً.

وانني لعل علم ويقين ان هذه النظرة التصحيحية ستواجه ذلك الجواب التقليدي الذي طالما سمعناه من فقهاءنا — سامحهم الله — وهو ان هذه الزيارات وردت من ائمتنا فلا بد انهم كانوا اعرف منا بالامر. ومع انني هنا لا استطيع ان اناقش ائمتنا وبيننا وبينهم حاجز الحياة والموت، ولكنني لو كنت في زمن الامام علي ابن محمد وكنت داخلاً معه الى مشهد الامام الحسين وسمعته يقرأ زيارة الوارث والجامعة وهو امام القبر لاجريت معه الحوار التالي :

انا : يا ابن رسول الله هل هذه الزيارة هي كلام الله ام كلام المخلوق ؟
الامام : كلام المخلوق.

لسألت ثانية : هل كلام المخلوق افضل من كلام الله ؟
الامام : كلام الله.

ولسألت مرة اخرى : فلماذا فضلت كلام المخلوق على كلام الله ولم تقرأ القرآن الكريم ؟

ولست ادري ماذا كان يجب الامام عند الوصول الى هذه النقطة.

ان تصور مثل هذا الحوار لا يعني انني اعتقد صدور هذه الزيارات من أئمة الشيعة ولكنني ذهبت الى ابعد الاحتمالات لكي اسد الطريق على الذين يتذرعون بعمل الامام في كل شيء. واختتم هذا الفصل بحديث روتة كتب الصحاح عن رسول الله (ص) الذي قال:

« تركت فيكم الثقليين، كتاب الله وسنتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابداً.»

اما الشيعة فتروي : (١)

« تركت فيكم الثقليين كتاب الله وعترتي اهل بيتي. ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابداً.»

فما احسن وافضل واجمل للشيعة ان تأتمر بأمر رسول الله (ص). وتجمع بين كتاب الله والعتره في مكان واحد حسب الرواية التي ترويها عن رسول الله (ص).

١- ذكر بعض كتب الصحاح ايضاً مثل الترمذي ما روتة كتب الشيعة

ضرب القامات في يوم عاشوراء

لم تشوه ثورة مقدسة في التاريخ كما شوهت
الشيعة ثورة الحسين بذريعة حب الحسين.

ضرب القامات في يوم عاشوراء

الضرورة تملني ان نفرد فصلاً خاصاً في ضرب السلاسل على الاكتاف وشج الرؤوس بالسيوف والقامات في يوم العاشر من محرم حداً على الامام الحسين.

وبما ان هذه العملية البشعة لا زالت جزءاً من مراسيم الاحتفال باستشهاد الامام الحسين وتجري في ايران وباكستان والهند وفي النبطية بلبنان في كل عام وتكون السبب في حدوث صراع دموي بين الشيعة والسنة في اجزاء من الباكستان تذهب ضحيته المئات من الارواح البريئة من الفريقين، كان لابد من الاسهاب حولها بصورة مستقلة.

كما قلنا في فصل سابق ان الشيعة تحتفل بيوم عاشوراء منذ قرون عديدة وماعدا قراءة الزيارات التي اسهبنا في ذكرها كان الشعراء ينشدون قصائد امام القبر حتى ان الشاعر العربي الشريف الرضي عندما القى قصيدته العصماء امام قبر الحسين والتي جاء في مطلعها :

كربلاء لا زلت كرباً وبلاء

ووصل الى هذا البيت :

كم على تربك لما صرعوا من دم سال ومن قتل جرى

بكى وبكى حتى اغمي عليه. والثابت ان ائمة الشيعة كانوا يحتفلون بيوم العاشر من محرم فيجلسون في بيوتهم يقبلون التعازي من المعزين ويطعمون الطعام في ذلك اليوم، وكانت تلقى امامهم خطب أو قصائد في ذكرى شهادة الحسين واهل بيت رسول الله (ص) وفضائلهم.

وفي كربلاء وحول قبر الحسين كان الزوار يمرون على هيئة مواكب وأحاد وهم يقرأون الزيارات التي اشرنا اليها مع بكاء ونحيب كجزء مكمل للاحتفال والزيارة، انها العادة التي لازالت جارية في المجالس التي تقام للامام الحسين في العالم الشيعي فلا بد من ختمها بالبكاء لان :

« من بكى او تباكى على الحسين وجبت عليه الجنة. »

كما جاء في بعض الروايات التي تنسب الى الائمة، ومعاذ الله ان يصدر من الامام كلاماً كهذا.

كما ان الشيعة كانت تلبس السواد في شهر محرم وصفر حداداً على الحسين، وهذه العادة اخذت بالتوسع في عهد الصراع الاول بين الشيعة والتشيع وعندما اخذت تظهر الشيعة على مسرح الاحداث السياسي والاسلامي كقوة تريد الاطاحة بالخلافة الحاكمة وكان للبويهيين الذين حكموا ايران والعراق بأسم حماة الخلافة العباسية دوراً بارزاً في تنمية الاحتفالات في ايام عاشوراء ولكن هذه الاحتفالات اخذت طابعاً عاماً واصبحت جزءاً من الكيان الشيعي عندما استلم السلطة الشاه اسماعيل الصفوي وادخل ايران في التشيع وخلق فيها تماسكاً مذهبياً للوقوف امام اطماع الخلافة العثمانية المجاورة لايران كما اشرنا اليه. وكان البلاط الصفوي يعلن الحداد في العشر الاول من محرم من كل عام، ويستقبل الشاه المعزين في يوم عاشوراء، وكانت تقام في البلاط احتفالات خاصة لهذا الغرض تجتمع فيها الجماهير ويحضرها الشاه بنفسه، كما ان الشاه عباس الاول الصفوي الذي دام حكمه خمسين عاماً وهو اكبر الملوك الصفويين دهاء وقوة وبطشاً كان يلبس السواد في يوم عاشوراء ويلطخ جبينه بالوجل حداداً على الامام الحسين وكان يتقدم المواكب التي كانت تسير في الشوارع مرددة الاناشيد في مدح الامام ثم التنديد بقتلته.

ولا ندري على وجه الدقة متى ظهر ضرب السلاسل على الاكتاف في يوم عاشوراء وانتشر في اجزاء من المناطق الشيعية مثل ايران والعراق وغيرهما ولكن الذي لاشك فيه ان ضرب السيوف على الرؤوس وشج الرأس حداداً على الحسين في يوم العاشر من محرم تسرب الى ايران والعراق من الهند وفي ابان الاحتلال الانجليزي لتلك البلاد وكان الانجليز هم الذين استغلوا جهل الشيعة وسذاجتهم وحبهم الجارف للامام الحسين فعلموهم ضرب القامات على الرؤوس.

وحتى الى عهد قريب كانت السفارات البريطانية في طهران وبغداد تمول المواكب الحسينية التي كانت تظهر بذلك المظهر البشع في الشوارع والازقة، وكان الغرض وراء السياسة الاستعمارية الانجليزية في تنميتها لهذه العملية البشعة واستغلالها ابشع الاستغلال هو اعطاء مبرر معقول للشعب البريطاني وللصحف الحرة التي كانت تعارض بريطانيا في استعمارها للهند ولبلاط

ضرب القامات في عاشوراء

اسلامية اخرى واطهار شعوب تلك البلاد بمظهر المتوحشين الذين يحتاجون الى قيم ينقذهم من مهامه الجهل والتوحش فكانت صور الموكب التي تسير في الشوارع في يوم عاشوراء وفيها الآلاف من الناس يضربون بالسلاسل على ظهورهم ويدمونها وبالقامات والسيوف على رؤوسهم ويشجونها تنشر في الصحف الانجليزية والاوروبية، وكان الساسة الاستعماريون يتذرعون بالواجب الانساني في استعمار بلاد تلك هي ثقافة شعوبها ولحمل تلك الشعوب على جادة المدنية والتقدم.

وقد قيل ان ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي في عهد الاحتلال الانجليزي للعراق عندما زار لندن للتفاوض مع الانجليز لانهاء عهد الانتداب قال له الانجليز: نحن في العراق لمساعدة الشعب العراقي كي ينهض بالسعادة وينعم بالخروج من الهمجية. ولقد اثار هذا الكلام ياسين الهاشمي فخرج من غرفة المفاوضات غاضباً، غير ان الانجليز اعتذروا منه بلباقة ثم طلبوا منه بكل احترام ان يشاهد فيلماً وثائقياً عن العراق، فاذا به فيلم عن الموكب الحسينية في شوارع النجف وكربلاء والكاظمية تصور مشاهد مروعة ومقززة عن ضرب القامات والسلاسل وكأن الانجليز قد ارادوا ان يقولوا له هل ان شعباً مثقفاً له من المدنية حظ قليل يعمل بنفسه هكذا ؟

وهنا اذكر كلاماً طريفاً مليئاً بالحكمة والافكار النيرة سمعته من احد اعلام الشيعة ومشايخهم قبل ثلاثين عاماً. لقد كان ذلك الشيخ الوقور الطاعن في السن واقفاً بجواري وكان اليوم هو العاشر من محرم والساعة اثنتي عشرة ظهراً والمكان هو روضة الامام الحسين في كربلاء، واذا بموكب المطيرين الذين يضربون بالسيوف على رؤوسهم ويشجونها حداداً وحزناً على الحسين دخلوا الروضة في اعداد غفيرة والدماء تسيل على جباههم وجنوبهم بشكل مقزز تقشعر من رؤيته الابدان، ثم اعقب الموكب موكب آخر وفي اعداد غفيرة ايضاً وهم يضربون بالسلاسل على ظهورهم وقد ادموها، وهنا سألني الشيخ العجوز والعالم الحر :

ما بال هولاء الناس. وقد انزلوا بأنفسهم هذه المصائب والآلام ؟

قلت : كأنك لا تسمع ما يقولون، انهم يقولون « واحسيناه » اي لحزنهم على الحسين.

ثم سألني الشيخ من جديد : أليس الحسين الآن في « مقعد صدق عند مليك

ضرب القامات في عاشوراء

مقتدر ؟

قلت : نعم .

ثم سألني مرة أخرى : اليس الحسين الآن في هذه اللحظة في الجنة « التي عرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين » ؟

قلت : نعم . ثم سألني : أليس في الجنة « حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » ؟ قلت : نعم .

وهنا تنفس الشيخ الصعداء وقال بلهجة كلها حزن والم : ويلهم من جهلة اغبياء لماذا يفعلون بأنفسهم هذه الافاعيل لاجل امام هو الآن في « جنة ونعيم ويطوف عليه ولدان مخلدون بأكواب واباريق وكأس من نعيم ».

في عام ١٣٥٢ هجري وعندما اعلن كبير علماء الشيعة في سوريا السيد محسن الامين العاملي تحريم مثل هذه الاعمال وابدى جراً منقطعة النظير في الافصاح عن رأيه وطلب من الشيعة ان يكفوا عنها لاقى معارضة قوية من داخل صفوف العلماء ورجال الدين الذين ناهضوه ووراءهم « الهمج الرعاع » على حد تعبير الامام علي . وكادت خطواته الاصلاحية تفشل لولا ان تبني جدنا السيد ابو الحسن وبصفته الزعيم الاعلى للطائفة الشيعية موقف العلامة الامين ورأيه في تلك الاعمال معلناً تأييده المطلق له ولفتواه.

ولقد اعطى موقف جدنا بعداً كبيراً للحركة الاصلاحية التي نادى بها السيد الامين، ومع ان كثيراً من الفقهاء والمجتهدين وقفوا موقفاً معارضاً للسيد ابو الحسن كما وقفوا للامين من قبل الا ان السيد ابو الحسن تغلب على الجميع في آخر المطاف بسبب مقامه الرفيع وصموده . واخذت الجماهير تطيع فتوى الزعيم الاكبر وبدأت تلك الاعمال تقل رويداً رويداً وتختفي من على الساحة الشيعية الا انها لم تندثر تماماً حيث بقيت لها مظاهر ضعيفة وهزيلة حتى ان توفي جدنا رحمه الله في عام ١٣٦٥ هجري واخذت بعض الزعامات الشيعية الجديدة تحت الناس على تلك الاعمال من جديد فبدأت تنمو مرة اخرى في العالم الشيعي ولكنها لم تصل الى ما كانت عليه قبل عام ١٣٥٢ هجري.

وبعد ان اعلنت في ايران الجمهورية الاسلامية وتولت ولاية الفقيه السلطة صدرت الاوامر باحياء تلك الاعمال كجزء من السياسة المذهبية واخذت الجمهورية الاسلامية الفتية تساعد الفئات الشيعية في كل الارض وتحثهم

ضرب القامات في عاشوراء

مالياً ومعنوياً لآحياء هذه البدعة التي ادخلتها السياسة الاستعمارية الانجليزية الى العالم الاسلامي الشيعي قبل مائتي عام وذلك لتظهر وجه الاسلام والمسلمين بالمظهر الكالح وتبرر استعمارها لبلاد الاسلام كما قلنا من قبل.

وعندما اكتب هذه السطور تشاهد المدن الايرانية والباكستانية والهندية والبنانية مع الاسف الشديد في يوم العاشر من محرم من كل عام مواكباً تسير في شوارعها بالصورة التي رسمناها، وقبل ان تنتهي ساعات ذلك اليوم فان صوراً من تلك الهمجية الانسانية والجنون المفزع تعرض على شاشات التلفزة في شرق الارض وغربها لتعطي قوة لاعداء الاسلام والمتربصين بالاسلام والمسلمين معا.

التصحیح

ان على الطبقة المثقفة من الشيعة الامامية ان تبذل قصارى الجهد لمنع الجهالة من القيام بمثل هذه الاعمال التي مسخت وشوهت ثورة الامام الحسين. وعلى الوعاظ والمبلغين ان يقوموا بدور اكثر وضوحاً ورؤية، والحقيقة التي اود ان اذكرها بكل صراحة ووضوح هي ان السبب الذي حدا بالحسين للاستشهاد في يوم عاشوراء كان اعلى وأجل بكثير من الصورة التي ترسمها الشيعة عن ذلك. فالحسين لم يستشهد لتبكي الناس عليه وتلطم الخدود وتصوره بالبائس المسكين وانما اراد الامام ان يعطي درساً بليغاً في الايثار عن النفس والحزم والعزم والشجاعة في مقارعة الظلم والاستبداد. فلذلك ان الاحتفال في شهادة الامام الحسين ينبغي ان يكون احتفالاً يتناسب مع مقام الحسين بعيداً عن الغوغاء والجهالة والاعمال التي تضحك وتبكي في آن واحد. وما اجمل الاحتفالات التثقيفية التي فيها تلقى الخطب والقصائد البليغة وسيرة الرسول واهل بيته وصحابته في الجهاد والتضحية في سبيل الله.

وهكذا يجب ان نبني انفسنا في ذكرى الحسين لا ان نهدمها ويجب ان نعطي للحسين حقه في ساحة النضال لا ان نشوه ونسيء اليه. هذا ان كنا حقاً من انصار الحسين ومحبيه.

الشهادة الثالثة

اجمع فقهاء الشيعة على ان من قال الشهادة
الثالثة بقصد (الورود) فقد عمل عملا محرما.

الشهادة الثالثة

يقول السيد المرتضى وهو من اكابر علماء الشيعة الامامية فى القرن الخامس الهجري ان من قال فى اذان الصلوات « اشهد ان علياً ولي الله » فقد اتى بعمل محرم. ومن هذا الرأي يبدو لي ان الشهادة الثالثة دخلت فى اذان الصلوات بعد القنبة الكبرى ولكنها لم تظهر ظهوراً رسمياً على مسرح الاحداث المذهبية الا بعد ان ادخل الشاه اسماعيل الصفوي ايران فى التشيع وامر المؤذنين بادخال الشهادة الثالثة فى اذان الصلوات ومن على المأذن. وهكذا اعطي للامام علي موقعه الثابت بعد رسول الله (ص) فى الخلافة. ومنذ ذلك الحين ومساجد الشيعة فى العالم تسير على الطريقة التى نمّاها ووسّعها الشاه الصفوي لا نستثنى مسجداً واحداً من مساجد الشيعة فى شرق الارض وغربها.

ومن الغريب فى هذه الظاهرة ان فقهاءنا — سامحهم الله — يجمعون اجماعاً مطلقاً وتاماً على ان هذه الشهادة ادخلت فى اذان الصلوات فى وقت متأخر وانها لم تكن معروفة حتى القرن الرابع الهجري وانهم يجمعون ايضاً على ان الامام علياً اذا كان على قيد الحياة ويسمع اسمه يذكر فى اذان الصلوات لكان يجري الحد الشرعي على من يقول ذلك.

ومع كل هذا لم يمنع احد من فقهاءنا الثالثة فحسب بل وقف موقف المعارض لتلك القلة القليلة من فقهاءنا الذين عارضوا هذه البدعة ورموهم بالخروج من التشيع والبراءة من علي واولاده، وخذلوهم خذلاً وببلا تقتفيهم العوام والجهال بذلك.

وهنا تظهر تلك العصبية العمياء التى تسود قلوب بعض الفقهاء والجهال معاً حيث يكون بعضهم لبعض ظهيرا.

لقد سئمت حقاً من المجادلة فى هذه المسألة مع فقهاءنا فهناك اجوبة تعودوا عليها منذ قرون خلت ولا جديد فيها فهم يقولون ان الشهادة الثالثة ليست جزءاً من الصلاة حتى تفسدها فلذلك لا مانع من ادخال الشهادة الثالثة فيها.

وقد قلنا لهم ان المسألة ليست ما اذا كانت الشهادة الثالثة جزءاً من الصلاة ام

لا بل هو اخطر من ذلك بكثير فالآذان صيغة اقرها الرسول (ص) فصارت سنة توقيفية لا يجوز الحذف منها ولا الاضافة اليها حتى لو كانت للكلمات الاضافية موقع من الصحة والصدق والحقيقة.

ثم قالوا : ان الشهادة الثالثة اصبحت شعاراً للشيعة.
فقلنا لهم : ان شعار الاسلام اهم من شعار التشيع، وهل ان الشيعة شيء والاسلام شيء آخر حتى تحتاج الى شعار تعرف به ؟
وهنا ارادوا ان يلقوا المسؤولية على عاتق غيرهم فقالوا :
لا نستطيع ان نطلب من الشيعة رفض الشهادة الثالثة في آذان الصلوات لأنها اصبحت جزءاً من كيانها وهي متعلقة بها تعلق الطفل بشدي امه فكلما يذهب هباء منبثاً.

قلنا لهم : لو انكم اجتمعتم على رأي واحد وبينتم حكم الله بصراحة وشجاعة لم يتخلف عنه اثنان. ثم ان واجبكم هو بيان حكم الله وليس تنفيذه.
وقالوا ايضاً : ان الخليفة عمر ابن الخطاب رفع من الآذان حي على خير العمل وجعله الصلاة خير من النوم.

قلنا لهم : اولا الجواب النقضي لا يغني من الحق شيئاً ثم لو صح هذا الأمر لما اقره الامام علياً في عهد خلافته وامر باستبدال الجملة بغيرها، وفي منطقكم عمل الامام حجة على صحتها. ثم ايضاً ان المجمع عليه عندكم ان الشهادة الثالثة لم تكن موجودة في عهد الرسول (ص) ولا الائمة وانها اضيفت الى الآذان في وقت متأخر.

ولكن عبارة « الصلاة خير من النوم » امر اختلافي فالفرق الاسلامية ما عدا الشيعة تجمع على انها وردت في عهد الرسول (ص) بخلاف الشيعة التي تنسبها الى الخليفة عمر ابن الخطاب، والفرق كبير بين مسألة اجماعية لا يختلف عليها اثنان ومسألة اختلافية فيها آراء مختلفة ومتضاربة.

التصحيح

انني لا اشك ابدأ ان الشهادة الثالثة والتي اصبحت الآن جزءاً من آذان الصلاة عند الشيعة في مساجدها قد تجاوزت عمل الفرد واخذت طابعاً عاطفياً واجتماعياً ومذهبياً ليس من السهل تغييره ولا سيما وان هناك في المنطقة دولة

الشهادة الثالثة

مذهبية تنمي العواطف المذهبية وتستغلها في صراعها السياسي مع دول المنطقة المجاورة التي معظم سكانها من السنة. ولذلك تلاقي عملية التصحيح داخل ايران صعوبة بالغة شأنها شأن سائر الخطوات الاصلاحية التي نادينا بها.

وقد يأتي يوم يتغير فيه نظام الجمهورية الاسلامية المتطرف في ايران الى نظام معتدل تكون مبادئه وحدة المسلمين ومصلحة الاسلام فحينئذ تكون الاستجابة لنداء التصحيح حتى في الشهادة الثالثة امراً طبيعياً. ولكن في الوقت الحاضر يجب علينا ان نطلب من الشيعة في اي مكان آخر من الارض يصله نداء التصحيح ان تسعى جاهدة للعودة الى الأذان الذي كان شائعاً في عهد الرسول (ص) والامام علي وائمة الشيعة وان الواجب الملقى على عاتق الطبقة الواعية والمنقفة من ابناء الشيعة ان تؤدي دورها في الاصلاح وتصحيح المذهب الذي تنتمي اليه.

ومرة اخرى وانا ابدي ياساً وقنوطاً من فقهاءنا ان يقولوا الحق ويقفوا معنا في هذا الخندق، بل هم بالعكس من ذلك من اشد الناس تأييداً لهذه البدعة والعمل بها في مساجدهم.

فوالله لو كان الامام علي على قيد الحياة ويسمع اسمه يذكر على المآذن في آذان الصلاة لأجرى الحد على المسبب والمباشر معاً فما بالنا نحن نؤدي عملاً في سبيل علي وهو لا يرتضيه!

ومرة اخرى نطالب الشيعة في الحركة التصحيحية ان تعود الى الأذان الذي اذنه بلال الحبشي في مسجد رسول الله (ص) وفي حضور رسول الله (ص) وصحابته بما فيهم عليا، وان يطلبوا من المؤذنين في مساجد الشيعة ان يلتزموا بذلك، فاذا ما التزم المؤذنون به في المساجد فانه يفتح طريقه الى ابعد من ذلك ويدخل الى البيوت الشيعية كما دخل في بيت علي والزهاء من قبل.

الزواج المؤقت

كيف تستطيع امة تحترم شرف الامهات
اللواتي جعل الله الجنة تحت اقدامهن وهي
تبيع المتعة او تعمل بها.

الزواج المؤقت

يقصد بالمتعة الزواج المؤقت الذي تعمل به الشيعة في ايران وقد يُعمل به في مناطق اخرى حيثما توجد فيها لو استطاعت اليه سبيلا. وهنا اريد ان اقول ان الدخول في الجدل الفقهي العقيم الذي مرت عليه قرون عديدة وحفظته بطون الكتب الفقهية والتفاسير وسواها لا فائدة ترتجى من ورائه. ولكنني مع كل هذا اود ان اضع صورة مختصرة امام القراء عن هذا النزاع الفقهي واعرج بعد ذلك على الاخطار الهائلة التي تحدث بالشيعة اجتماعياً واخلاقياً وانسانياً اذا لم تنبذ هذه الفكرة السيئة من اساسها. وانا احمل الفقهاء المسؤولية الاولى والاخيرة في سوق الشباب من ابناء الشيعة الى هذا الدرب الشائك المشين، وعلى عاتقهم تقع المسؤولية كل المسؤولية.

يقول فقهاء الشيعة — سامحهم الله — ان المتعة كانت مباحة في عهد الرسول الكريم (ص) وفي عهد الخليفة ابي بكر وفي شطر من عهد الخليفة عمر ابن الخطاب حتى ان حرمها وامر المسلمين بالكف عنها، وهم يستدلون على ذلك بروايات عديدة رويت في كتب الشيعة وبعض كتب السنة.

اما الفرق الاسلامية الاخرى فتقول انها كانت عادة جاهلية عمل الناس بها في السنوات الاولى من عصر الرسالة حتى ان أمر النبي (ص) بتحريمها في يوم خيبر او في حجة الوداع شأنها شأن الخمر الذي حُرِّم بعد سنوات من بعثة النبي الكريم ونزلت فيه آيات التحريم.

هذه هي خلاصة النزاع الفقهي والجدل الذي يدور حول المتعة منذ اكثر من الف عام.

ومن المؤسف حقاً ان بعض اعلام الشيعة انبرى للدفاع عن الزواج المؤقت والفوا في ذلك الكتب وهم بذلك فخورون ورافعون الرؤوس. ولا اعتقد انني احتاج الى عناء كثير لتوضيح الصورة الحقيقية لهذه البدعة المخلة بالذوق والكرامة ولكنني قبل ذلك اود ان افند النظرية الفقهية التي تقول بالجواز ثم اعرج على اكثر من ذلك لتري الشيعة فداحة الخطب وعظمة المصيبة.

ان الزواج المؤقت او المتعة حسب العرف الشيعي وحسبما يجوزه فقهاءنا هو ليس اكثر من اباحة الجنس بشرط واحد فقط وهو ان لا تكون المرأة في

الزواج المؤقت

عصمة رجل وحينئذ يجوز نكاحها بعد اداء صيغة الزواج التي يستطيع الرجل ان يؤديها في كلمتين ولا تحتاج الى شهود او انفاق عليها وللمدة التي يشاؤها مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة لنفسه وهو الجمع بين الف زوجة بالمتعة تحت سقف واحد.

ان النظرية الفقهية القائلة بأن المتعة حُرِّمت بأمر من الخليفة عمر ابن الخطاب يفندها عمل الامام علي الذي اقر التحريم في مدة خلافته ولم يأمر بالجواز وفي العرف الشيعي وحسب رأي فقهاءنا عمل الامام حجة لاسيما عندما يكون مبسوط اليد ويستطيع اظهار الرأي وبيان أوامر الله ونواهيه. والامام علي كما نعلم اعتذر عن قبول الخلافة واشترط في قبولها ان يكون له اجتهاده في ادارة الدولة. فاذن اقرار الامام علي للتحريم يعني انها كانت محرمة منذ عهد الرسول (ص) ولولا ذلك لكان يعارضها ويبين حكم الله فيها وعمل الامام حجة على الشيعة ولست ادري كيف يستطيع فقهاءنا ان يضربوا بها عرض الحائط.

وكما قلنا قبل قليل سأترك الجدل الفقهي جانباً لنلقي نظرة فاحصة على المتعة من زوايا اخرى بالغة الاهمية ثم اضع الصورة امام الطبقة المثقفة الواعية المنصفة من ابناء الشيعة الامامية الذين عليهم اتوكأ في تطبيق التصحيح وفيهم الامل وعليهم الرجاء في قيادة مسيرة التصحيح والاصلاح. ان الاسلام الذي جاء لتكريم الانسان كما تقول الآية :

«ولقد كرَّمنا بني آدم» الاسراء ٧٠

ويقول رسول الاسلام (ص):

« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق»

هل يقضي بقانون فيه من اباحة الجنس والخط من كرامة المرأة ما لا نجده حتى لدى المجتمعات الاباحية في التاريخ القديم والحديث ؟ وحتى لويس الرابع عشر في قصره بفرساي وسلاطين الاتراك وملوك الفرس في قصورهم لم يجسروا عليها.

وبني آدم في الآية الكريمة يشمل الرجل والمرأة على السواء والاخلاق التي جاء رسول الله (ص) ليتم مكارمها للجنسين على السواء، فأين يكون موقع المرأة وكرامتها والاحتفاظ بأخلاقها من قانون المتعة ؟ ان موقعها من هذا القانون هو الذل والهوان وشأنها كالسلعة التي يستطيع الرجل ان يكسدها واحدة فوق الاخرى وبلا عد ولا حد. ان المرأة التي شرفها الله ان تكون اما

تنجب اعظم الرجال والنساء على السواء ومنحها مرتبة لم يمنحها لغيرها حيث جعل الجنة تحت اقدامها كما قال الرسول الكريم (ص)

« الجنة تحت اقدام الامهات »

هل يليق بها ان تقضي اوقاتها بين احضان الرجال واحداً بعد الآخر باسم شريعة محمد ؟

لقد اراد بعض فقهاءنا — سامحهم الله — ان يصوروا المتعة وكأنها فضل من الله حيث شرع قانوناً شرعياً يمنع الرجل من الوقوع في البغاء ولكن غرّب عن بالهم ان الاسلام ليس دين الرجال فحسب بل انزل للناس كافة بما فيها النساء، وان القوانين الالهية والشرائع السماوية لم تنزل لارضاء شهوات الناس واشباع غرائزهم تحت غطاء الشريعة والقانون.

ان الاسلام جاء ليخرج الناس من اباحية الجاهلية ويقيدهم بالفضيلة والاخلاق لا ان يمنح الجاهلية ومظاهرها قداسة التشريع والقانون الالهي.

ان الاسلام الذي حرّم الجمع بين اكثر من اربعة ازواج وجعل في تعدد الزوجات شرطاً من اقصى الشروط كما تصرّح به الآية الكريمة :

« وان خفتم الا تعدلوا فواحدة. » النساء ٣

والعمل بالعدالة بين الازواج امر صعب ويكاد يكون عسيراً في بعض الاحيان وقد يستفاد من وضع شرط كهذا هو تقييد الرجل كي لا يسلك طريق التعدد ويسير في وادي الشهوات اكثر مما تقتضيه الطبيعة الانسانية والحاجة البشرية وتنظيم الاسرة والنسل ومصلحة الامة. ومن هنا جاء التشديد في الكره من الطلاق كما قال رسول الله (ص) :

« ان ابغض الحلال عند الله الطلاق. »

وقيّد الطلاق بشروط وقيود عسيرة منها حضور شاهدين عادلين حتى يقع الطلاق.

ان ديناً سماوياً هذا هو موقفه الصريح والثابت من الزواج وشروطه هل يعقل ان يناقض قانونه هذا بوضع قانون آخر فيه من الاباحية المطلقة ما تزلزل السموات والارض ويجعل للناس الخيار فيهما ؟

وهنا اضع امام القاريء صورتين للزواج احدهما متفق عليه عند المسلمين جميعاً بما فيهم الشيعة وهو الزواج الدائم والثاني هو الزواج المؤقت او المتعة والذي يفتي بجوازه فقهاء الشيعة الامامية فقط واطلب من الشيعة ان يقولوا كلمتهم فيه :

الزواج المؤقت

الزواج المؤقت المتفق عليه عند الشيعة الامامية فقط

- ١- يتم الزواج بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد.
- ٢- الرجل في حل من نفقة الزوجة.
- ٣- يجوز للرجل الجمع بين اعداد لا تحصى وبلا شرط.
- ٤- الزوجة لا تراث الزوج.
- ٥- موافقة الاب ليس شرطاً في كل الاحوال.
- ٦- مدة الزواج المؤقت قد تكون لربع ساعة وقد تكون ليوم وقد تكون لتسعين عاماً وحسب ما يقترحه الرجل وتقبله المرأة.

شروط الفسخ

- ١- يقع الطلاق واسمه فسخ العقد بدون حضور شاهدين وبكلمة فسخت او وهبت المدة.
- ٢- عدة فسخ المدة بالنسبة للمرأة هو عدة الجارية بعد عتقها، اي نصف عدة الحرة.
- ٣- الفسخ يقع في كل الاحوال.
- ٤- الرجل في حل من نفقة الزوجة في عدة الفسخ.

شروط الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة

- ١- يتم الزواج بين الزوجين بتلفظ صيغ العقد امام شاهدين.
- ٢- يجب على الزوج نفقة الزوجة بما فيها المسكن والملبس.
- ٣- لا يجوز للرجل ان يجمع اكثر من اربعة ازواج وبشروط صعبة.
- ٤- الزوجة تراث الزوج في حالة الوفاة.
- ٥- موافقة الاب شرط في صحة زواج الباكر.
- ٦- مدة الزواج الدائم ديمومة الزوجين على قيد الحياة.

شروط الفسخ

- ١- يقع الطلاق بحضور شاهدين عدلين وبتلفظ صيغة الطلاق.
- ٢- عدة الطلاق بالنسبة للمرأة ثلاثة شهور وعشرة ايام.
- ٣- الطلاق لا يقع اذا كانت المرأة في حالة قرء.
- ٤- يجب على الزوج نفقة الزوجة المطلقة في مدة عدتها.

ان نظرة فاحصة على هذا الجدول الذي رسمناه تغنينا عن الاسهاب في المتعة من المفساد والمخاطر الاجتماعية واعتقد جازماً ان نداء التصحيح سيجمع حوله من ابناء الشيعة كل من كان له قلب او عقل يستطيع ان يدرك بهما فداحة الخطب والهوان والسخرية في امر هو اظهر من ظهور الشمس في منتصف النهار.

التصحيح

المسألة هنا اخطر بكثير من التصحيح. انها حالة مذهلة من السوء دخلت الى الفكر الشيعي وحتى الروايات التي تقول بالحلية سواء ان ذكرتها كتب الشيعة او غيرها وحتى التي تقول انها كانت مباحة حتى ان حرّمها الخليفة عمر ابن الخطاب اعتبرها كلها روايات تشوه صورة الاسلام المضيئة. وقد ادركت الفرق الاسلامية الاخرى خطورة الفكرة ومفاسدها الاجتماعية والاخلاقية الكبيرة فوقفوا منها موقفاً يتسم بالحق والعدل والفضيلة. اما فقهاؤنا فلم يدركوا خطورة الفكرة او ادركوها ولكن حرصاً منهم على مخالفة جمهور المسلمين التي وضعت في فضلها رواية نسبت الى الامام الصادق زوراً وبهتاناً والتي تقول : « الرشيد في خلافهم » اي الرشيد في خلاف رأي السنة والجماعة، احلوا المتعة للعينة المقيتة واجازوها.

واضافة الى هذه العقدة المستعصية لدى فقهاؤنا في استنتاجاتهم الفقهية فان فكرة الزواج المؤقت على ما يبدو لي استخدمت في حث الشيعة ولا سيما الشباب منهم للالتفاف حول المذهب لما فيها من امتيازات خاصة لا تقرها المذاهب الاسلامية الاخرى. ولا شك ان الاغراء الجنسي المباح باسم الدين يستقطب الشباب واصحاب النفوس الضعيفة في كل عصر ومصر، ولذلك فاني لا استغرب ابداً عندما اقرأ في كتب رواياتنا روايات تنسب الى ائمتنا في فضل المتعة وثوابها وحث الناس على العمل بها. وموقفي من هذه الروايات واضح وصريح اشرت اليه في مواطن عديدة من الكتاب.

وهنا كله يتجه الى خلاص الامة الشيعية منها باذن الله وارادته، وانني عندما اكتب هذه السطور لا ينتابني اليأس ولو للحظة واحدة بالنسبة لمستقبل الشيعة وموقفها من التصحيح والركون المطلق الى مبادئه.

الزواج المؤقت

نعم قد يلاقي التصحيح صعوبات في بادئ الامر ولكن كلمة الحق تشق طريقها في آخر الامر، وان التفاف الطبقة الواعية المثقفة التي تستطيع ان تجرد نفسها من الرواسب الفكرية التي لقنتها بها الالباء والامهات والفقهاء والمشايخ يكون خير ضمان لمستقبل الشيعة في العالم.

واعود مرة اخرى الى الزواج المؤقت واسأل الفقهاء الذين يفتون بجواز المتعة واستحباب العمل بها، هل انهم يرضون شيئاً كهذا بالنسبة لبناتهم واخواتهم وقريباتهم ام انهم اذا سمعوها اسودت وجوههم وانتفخت اوداجهم ولم يكظموا لذلك غيظاً ؟

لقد اراد العالم الكبير السيد محسن الامين العاملي ان يدافع عن كلام قريب لما ذهب اليه بقوله : « اذا كانت المتعة مباحاً فلا يلزم ان يفعلها كل احد فكم من مباح ترك تنزهاً ترفعاً » . (١)

ولكنني اقول : ان من الواضح ان المسألة ليست بهذه الصورة اي الذين لا يرتضونها لبناتهم واخواتهم وقريباتهم ليس في حدود التنزه والترفع بل لانهم يرون فيها امرأ مهيناً مشيناً يتنافى وكرامة العائلة وشرف الاسرة وقد تسيل الدماء في بعض المناطق الشيعية اذا ما سأل المرء شيئاً كهذا من فقيه هو سيد قومه وحتى في ايران حيث تكون العملية جارية في بعض مدنها توجد مناطق لا يستطيع المرء ان ينبس بكلمة حول المتعة. اما في غير ايران ولاسيما في البلاد العربية التي تقطنها الشيعة فالحديث عن المتعة مهلك ويؤدي الى اسالة الدماء. ولست ادري تفاصيل الامر في باكستان والهند وافريقيا ولكن في كل هذه المناطق لا يغير الفقيه فتواه فهو يجوزها اذا ما سأل عنها ولكنه يخضع للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها فتثور ثورته ويقيم الدنيا ويقعدها اذا ما طلب منه يد ابنته بالزواج المؤقت. وهكذا نرى بوضوح ان المسؤولية الاولى والاخيرة في العمل بهذا الامر المقيت تقع على عاتق الذين اباحوا اعراض المسلمات ولكنهم احصنوا اعراضهم واهدروا شرف المؤمنات ولكنهم صانوا شرف بناتهم. وفي كل هذا عبرة لمن كان له قلب.

السجود على التربة الحسينية

السجدة على التربة الحسينية ظهرت في
العصر الثاني من الصراع بين الشيعة والتشييع
ثم امتدت نحو أفاق اوسع عمت الشيعة جميعاً.

السجود على التربة الحسينية

قلما يوجد بيت للشيعة لا توجد فيه التربة التي تسجد عليها الشيعة في صلواتها وهي من تراب كربلاء المدينة التي استشهد الحسين فيها ورفاته الطاهرة مدفونة فيها.

وانني اعلم جيداً ما يقوله فقهاؤنا حول السجود على التربة الحسينية حيث فرقوا بين ما يسجد له وما يسجد عليه. وان السجود على التربة ليس سجوداً لها بل سجوداً عليها لان السجدة في المذهب الشيعي لا يجوز ان تكون الا على التراب ومشتقاته ولا يجوز السجدة على الملبوس والمخيوط والمأكول.

ان السجود على التربة الحسينية كما نعرفها بل يعرفها الشيعة انفسهم لا تتوقف عند هذا الحد الفقهي او انه سجود على التراب وحسب بل المسألة ابعد من ذلك بكثير، فكثير من الذين يسجدون على التربة يقبلونها ويتبركون بها وفي بعض الاحيان يأكلون قليلاً من تربة كربلاء للشفاء في حين ان اكل التراب حرام في الفقه الشيعي ثم انهم صنعوا من التراب هيئات مختلفة يحملونها في جيوبهم وينقلونها معهم في اسفارهم ويعاملونها معاملة تقديس وتكريم.

وحتى كتابة هذه السطور هناك ملايين من الشيعة في شرق الارض وغربها تلتزم بالسجود على تربة كربلاء ومساجدها مليئة بها، ويعملون بالتقية عندما يقيمون الصلاة في مساجد الفرق الاسلامية الاخرى حيث يخفونها ولا يظهرونها خوفاً من اعتراض غيرهم عليها. وقد التبس الامر على كثير من غير الشيعة فظنوا ان هذه التربة اصنام تسجد الشيعة عليها وقد كادت الفتن تحدث في مساجد بلاد لم تعرف شيئاً عن التربة الحسينية ومظاهرها ولست ادري متى دخلت هذه البدعة في صفوف الشيعة فالرسول الكريم (ص) ما سجد قط على تربة كربلاء ولا الامام علي ولا الأئمة من بعده سجّدوا على شيء اسمه تربة كربلاء. وتقديس التراب لم يكن شيئاً مألوفاً عند المسلمين. ومن الجائز ان هذه الظاهرة اخذت في التوسع منذ عهد الصفويين وعندما اخذت القوافل تزور كربلاء في مراسيم خاصة وتعود محملة بأثار من قبر الامام الحسين.

وهناك بدعة اخرى اضيفت الى استعمال التربة تتجاوز البدع الاخرى انها

السجود على التربة الحسينية

فتوى الفقهاء بجواز اقامة الصلاة التمام للمسافرين بدلا من القصر عندما يكونوا في الحائر الحسيني بخمسة عشر ذراعاً حول القبر. ومن المجمع عليه عند فقهاءنا ان الواجب على المسافر هو اتيان الصلاة قصراً ولكنهم استثنوا الحائر الحسيني من هذه القاعدة. ولست ادري كيف استطاع فقهاءنا - سامحهم الله - الاجتهاد في امر لم يكن لموضوعه ومحموله اثر في عهد الرسول الكريم (ص) وبعد ان اكملت الشريعة الاسلامية وتوفي الرسول (ص) وانقطع الوحي فيا ترى ان الرسول (ص) اجاز للمسافر الخيار بين القصر والاتمام في حائر الحسين قبل ان يكون هناك شيء بهذا الاسم : ام ان قانوناً الهياً شرع لموضوع لم يكن له اثر في وقته ؟

نعم ان هناك روايات تنسب الى ائمة الشيعة تقول بمثل هذا الخيار للمسافر وعلى تلك الروايات بنى فقهاءنا فتاواهم التي افوتوا بها.

وقد تعني هذه الفكرة الخطيرة ان الامام عند فقهاءنا يكون مصدر التشريع لا كما كان المتشيعون لاهل البيت يعتقدون في الائمة قبل ظهور الصراع بين الشيعة والتشيع وعندما كان التشيع يعني ان ائمة اهل البيت ادري بأحكام الاسلام من غيرهم لأن في بيتهم نزل الكتاب كما اشرنا اليه اكثر من مرة. ومن المؤسف حقاً ان وجود فكرة كهذه تخالج قلوب كثير من فقهاءنا وان لم يبيحوا بها والا فماذا يعني الفتوى بجواز الخيار للمسافر بين القصر والاتمام في صلواته عندما يكون في حائر الحسين ؟ وعلى اي اساس او قاعدة شرعية امتاز الحائر الحسيني بهذا الامتياز ونزل فيه حكم الهى وسموي قبل وجود الحائر بنصف قرن ؟

ومرة اخرى نكرر القول بأن الطريق الوحيد الخلاص من هذا التخلف الفكري العميق الذي احاط بنا قروناً ويحيط بنا من كل جانب حتى في يومنا هذا هو غربلة كتبنا من امثال هذه الروايات التي تنسب الى ائمة هداة مهديين هم منها براء. وهكذا غربلة الفقهاء انفسهم فكثير منهم وراء هذه البدع وتنميتها فالائمة لم يستحدثوا قوانيناً من عندهم واحكاماً لم يكن لها اثر في كتاب الله وسنة رسوله (ص) ولم يدعوا قط شيئاً كهذا بل كل ما امتازوا به انهم اعرف بكتاب الله وسنة جدهم رسول الله (ص) وتلقوا العلم في بيت الرسالة ومهبط الوحي واخذوا احكام الشريعة كابراً عن كابر.

السجود على التربة الحسينية

التصحيح

إذا كانت الشيعة تلتزم بالقاعدة الفقهية التي تبناها فقهاؤنا في السجود على مطلق التراب ومشتقاته وكان فقهاؤنا أيضاً يلتزمون بهذه الفتوى لم يكن الخطب فادحاً وكانت الفرق الإسلامية الأخرى تنظر إلى هذا الرأي بعين الاحترام والقبول.

غير أن الشيعة جرياً على عمل فقهاؤنا تجاوزت هذه القاعدة الفقهية واتخذت منها ديدناً خاصاً وهو السجود على تراب موضع خاص وهو كربلاء وصنعت من ترابها اشكالاً مختلفة مطولة ومربعة ودائرية تحملها معها في السفر والحضر على السواء لتسجد عليها كلما حان وقت الصلاة. ولقد تعودت الشيعة أن تخفي التربة عندما تصلي في مساجد الفرق الإسلامية الأخرى عملاً بالتقية أو خوفاً من حدوث بلبلة حولها أو خجلاً من الاكثرية التي تنظر إلى هذا الأمر بنظرات الاستغراب والسخرية.

انه حقاً مدعاة للحنن والالام والاسف ان تنزل الشيعة نفسها إلى هذه الدرجة من التدني لالتزامها بعمل ما انزل الله به من سلطان. فلم يكن شيئاً أكثر مقتاً عند الله من هذه الازدواجية في عبادته.

فاذا كانت الشيعة ترى نفسها على حق في السجود على تربة كربلاء فلماذا تخشى من الجهر بها امام اخوان في الدين يجمعهم كتاب واحد ونبي واحد وقبلة واحدة وصلاة واحدة ؟ وان كانت على غير حق فلماذا هذا الاصرار عليه ولماذا ينتابها الخجل والوجل منه ؟

وكما قلنا فان الدور الكبير لظهور هذه الظاهرة الشاذة يعود إلى الفقهاء واعلام المذهب الذين عودوا الشيعة عليها وهم عليها سائرون حتى كتابة هذه السطور. والحركة التصحيحية التي ننادي بها لا تعني اننا نحث الشيعة على عدم السجود على التراب، فرسول الله يقول :

« جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً. »

ورسول الله (ص) كان يسجد على التراب في مسجده بالمدينة، ولكننا نود القول ان تفضيل ارض على ارض حتى اذا ثبت في الشرع لا يعني الالتزام بالسجود على تلك الارض والا لكان المسلمون يحملون معهم تراب مكة والمدينة والقدس ليسجدوا عليها.

السجود على التربة الحسينية

ان على الشيعة ان تكسر طوق التبعية الفكرية في امور فرضت عليها وهي ترى بطلانها كما ترى الشمس حتى تنضم الى الصف الاسلامي العريض دخولا متكافئاً رافعة الرأس قوية الحجة لا دخولا فيه ذل التقية والازدواجية في الشخصية وغمض العين عن الكرامة في سبيل بدع هي اعرف بها من غيرها.

واعود مرة اخرى واقول : نحن لا نطلب من الشيعة اكثر من العمل على ما اجمع عليه فقهاء المسلمين بما فيهم فقهاء الشيعة في صحة السجود على الارض ومشتقاتها مثل الخشب والحصى والخيزران. فلتسجد على ما يصح السجود عليه من بين هذه الاشياء وبذلك تقتدي برسول الله (ص) وبالامام علي والائمة الذين لم يسجدوا قط على شيء اسمه تربة كربلاء وتترك هذا الالتزام الذي يتضمن كل ابعاد الفرقة والبدعة على السواء. وانني لا اشك ان الفرق الاسلامية الاخرى اذا ما علمت بهذه النظرية الفقهية التي منشؤها الاجتهاد فانها قد تضمن مسجداً يتلائم مع التزام الشيعة في مساجدها وقد توفر لهم الحصر او ما شابهها من مشتقات الارض والاشجار وذلك لرفع الحرج عن اخوان لهم في الدين.

الارهاب

الشيعية هي الطائفة الاسلامية الوحيدة التي
سلمت نفسها الى زعاماتها المذهبية بلا قيد ولا
شرط كي تركلها بأقدامها في ساحات الوغى
مرة وساحات الغيلة والارهاب مرة اخرى.

الارهاب

لقد استغلت القيادات المذهبية الشيعة المسكينة عبر التاريخ فصنعت منها طائفة تعصف بها رياح البدع من كل جانب مستغلة سذاجتها وايمانها بمراجعتها الدينيين وحتى هذه اللحظة فالشيعة هي الطائفة الاسلامية الوحيدة التي سلمت نفسها بلا قيد وشرط وحدود وقيود وسؤال وجواب الى قياداتها المذهبية تركلها بأقدامها في ساحات الوغى تارة وساحات الارهاب والغيلة تارة اخرى. ولذلك اخذ المجتمع الانساني في هذه السنوات الاخيرة ينظر الى المذهب الشيعي وكأنه المذهب الذي يأمر اتباعه بشن الحروب وبالارهاب والاغتيال. وكثيراً ما كانت الاخبار التي تنشر حول الشيعة في الصحف واجهزة الاعلام العالمية تتجاوز الطائفة وتلحق بسمعة الاسلام ضرراً بالغاً لعدم تمييز المجتمع الانساني بين الشيعة وسواها من الفرق الاسلامية الاخرى فكان الارهاب الذي يمارس بحسب على الاسلام ويعم المسلمين جميعاً.

ان تاريخ الغيلة والارهاب يعود الى قرون خلت وليس بجديد في تاريخنا المعاصر ولكن ظهوره في بلاد الشيعة وباسم الشيعة يعود الى مئة عام او اقل منها بقليل ولكن المؤسف والمحزن ان الغيلة منذ ظهورها في العالم الشيعي والارهاب الذي اضيف اليه في السنوات الاخيرة كلها كانت باسم المذهب وورائها فقهاء اعلام ومجتهدون عظام. فقد اغتال ميرزا رضا الكرمانى الشاه ناصر الدين في عام ١٣١١ هجري وبأمر من استاذة السيد جمال الدين الافغانى، ومنذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا شهدت ايران بصفة خاصة اغتالات مذهبية وارهاباً متقطعاً حسب الظروف السياسية والاحوال وكان وراءها مجتهدون وفقهاء.

ولكن الجدير بالعبرة ان العدالة الالهية تجسدت في هذه الدنيا لكي تعطي درساً لأولئك الذين غرسوا هذه الفكرة في النفوس باسم الدين فقد انقلب الارهاب على الذين كانوا وراءه وبالا ليس مثله وبال حيث مارس اعداء الفقهاء الطريقة نفسها في المواجهة معهم فاغتالوا من علماء المذهب وفقهاءه في غضون ست سنوات من عمر الزمان (١٤٠٠ - ١٤٠٦ هجري) عدداً يتجاوز

اضعافاً مضاعفة من الذين راحوا ضحية الغيلة والارهاب والفتوى الدينية طيلة
مائة عام.

وهكذا انقلب الارهاب وبالا على الذين كانوا وراءه وجعل حياتهم جحيماً لا
تطاق. حدث كل هذا بعد ان استلم السلطة في ايران فقهاء المذهب الذين باركوا
الارهاب وكانوا دعامته.

ولكي اضع النقاط على الحروف اود القول بصراحة انني عندما رأيت
الطوايع البريدية الجديدة التي اصدرتها الجمهورية الاسلامية الايرانية وعليها
صور الارهابيين مثل ميرزا الكرمانى ومجتبى نواب صفوي زعيم جماعة
فدائيان اسلام التي اغتالت عدداً من رؤساء الوزارات وغيرهم بفتوى احد
المجتهدين ندبت حظ الشيعة الامامية وحتى حظ الدولة التي تتظاهر بالتشيع
وترى نفسها حامي حماها.

وهنا اود ان اعلن بصراحة وبلا خوف ولا وجل ان كتابنا هذا ليس كتاباً
سياسياً وليس الغرض منه المواجهة مع اية دولة او جهة سياسية ولا المواجهة
مع الجمهورية الاسلامية الايرانية او النظام الحاكم فيها. ولذلك اقول واشهد
الله انني لم اقصد من هذه الرسالة الا الاصلاح في العقيدة الشيعية المحدثه
والمستحدثة على السواء ولذلك تجنبت الدخول في المواجهة مع الاسماء
والاشخاص. ولكن الضرورة في بعض الاحيان تملي علي ان اقول كلمة الحق
والنصيحة وواجهها حتى الى دولة او حكومة قد تستجيب لنداء الاصلاح وقد
لا تستجيب، ولكن كلمة الحق يجب ان توجه للجميع وكما قال الرسول الكريم
(ص) :

« الساكت عن الحق شيطان أخرس »

فيا ترى كيف تستطيع دولة ان تكسب الاحترام الدولي والثقة العالمية
وتحترمها الشعوب الآمنة الحرة وهي تتظاهر بأنها دولة عقائدية اتخذت المذهب
الشيعي شعاراً لها وهي تفتخر بالارهابيين وتتخذ صورهم رمزاً لنظامها ؟
ثم قد تكون وطأة هذا الشعار شديدة على الملايين من الشيعة في العالم وهي
لا ترتبط بتلك الدولة ولا تؤمن بنظامها او سياستها، وكيف تستطيع الشيعة ان
تدافع عن عقيدتها وتنفي عنها الارهاب عندما تكون الدولة الناطقة باسمها
اتخذت الارهاب شعاراً لها ؟

الارهاب

وارجو ان يسمع كلامي هذا الحاكمون في ايران ويعلموا جيداً ان نفوس الشيعة في ايران لا تشكل الا ثلث الشيعة في العالم والبقية الباقية منتشرة في ارجاء الارض الفسيحة ولكل فئة منهم هويتهم وجنسياتهم ولغتهم وان الدولة الشيعية الايرانية لا ولن تستطيع ان تتحدث باسم الشيعة جميعاً بل وحتى باسم الشيعة في ايران، فلذلك يجب عليها ان لا تقوم بأعمال تسيء الى سمعة الاكثرية من هذه الطائفة كما فعلت حتى الآن وان تلتخ سمعتها اكثر مما فعلت.

وندائي للحاكمين في ايران ان لا يسيئوا الى الشيعة اكثر مما اساؤوا اليها فقد كفى الشيعة ذلاً.

ورجائي من الشيعة ان ينبروا للدفاع عن انفسهم وكرامتهم امام المجتمع البشري ويعلنوا برائتهم من الارهاب الذي تمارسه عناصر على الابرياء باسمها.

وتارة احدث نفسي واقول : ليست الفكرة الارهابية التي ظهرت منذ مائة عام في ايران وباركها بعض فقهاءنا هي من بقايا (قلعة الموت) التي اتخذها حسن الصباح في القرن السادس الهجري مقراً لنشر المذهب الاسماعيلي بالقوة تارة وبالحشيش ومشتقاتها تارة اخرى ؟ وانها امتداد للفرق الاغتيالية التي كانت تجوب البلاد الاسلامية لاغتيال اعداء الاسماعيليين ؟ وكلنا نعلم ان الوزير نظام الملك قتل بطعنة اراهابي من تلك الجماعة وبأمر مباشر من رئيسها حسن الصباح. وهناك وجه شبه كبير بين المقدمات والنتائج التي اتبعتها الفرق الاغتيالية الصباحية والفرق الاغتيالية المتطرفة عند بعض الشيعة.

وهنا اخاطب الشيعة مرة اخرى واقول لهم :

اذا كانت الهلوسة الصباحية وما رافقها من اعمال قام بها الحشاشون من جماعته في منتصف القرن السادس الهجري قد احدثت في العالم الاسلامي فساداً ونكراً فانها ايضاً قصص مفجعة تعود الى استغلال فئة جهل السذج من الناس بالاسلام ومبادئه اما في عصر القفزات الكبرى نحو العلم ووضوح المفاهيم الاسلامية العليا للجميع فان الحجة قائمة على الشيعة كي تسلك طريق الحق والعقل وان لا تأتمر بأوامر فيها سخط الله ورسوله (ص) .

اذا كان الارهاب حسناً فلماذا لا يرتضيه المخططون له لأنفسهم ولذويهم ؟ وعندما ينكشف امره يتبرأون منه، والاسلام بريء من الارهاب وتعاليم

الارهاب

الاسلام تناقضه، فاذا كان للارهابيين ولمن وراءهم اطماع سياسية يريدون تنفيذها فعليهم ان لا يستغلوا اسم الدين والمذهب وتكون لديهم الشجاعة الكافية لكي يتحملوا وزر اعمالهم لا ان يحملوها لمذهبهم ولدينهم.

التصحيح

لقد وضع القرآن الكريم دستورَه الابدي في حرمة الارهاب بكل اشكاله وصوره ولا سيما عندما يؤخذ البريء مكان المذنب وقال :

« ولا تزر وازرة وزر اخرى. » الزمر ٧

ان هذه الجملة البليغة تعطي نوراً واشراقاً لكل من يتخذ القرآن له اماماً وهادياً. واذا ما نظرنا الى سيرة ائمة الشيعة وعملهم نرى انهم كانوا ابعد الناس عن الارهاب واكثرهم مقتاً له، وهذا هو الامام الحسين يخاطب الفئة التي هجمت على خيام حرمة واهل بيته في يوم عاشوراء بكلام لم ينساه التاريخ فقد قال لهم :

« يا شيعة ابي سفيان، ان لم يكن لكم دين ولن تخافوا المعاد فكونوا احراراً في دنياكم. ان النسوة ليس عليهن جناح. »

وهكذا وضع الامام الحسين وهو سيد الشهداء والامام الذي اشتهرت الشيعة بالحب الجارف نحوه الخط الفاصل بين الشجاعة والجبن، وبين الكرامة الانسانية التي فيها رضى الله والعمل المقيت الذي فيه سخط الله، وبهذه العبارات البليغات الصريحة امر الحسين المسلمين سواء كانوا من شيعة او شيعة غيره ان يسلكوا طريق الكرامة حتى في معاملة الاعداء واسرى الحرب وان لا يسيئوا الى الاطفال والنساء حتى وان كانوا هم في حالة حرب مع رجالهم.

وهذا هو مسلم ابن عقيل سفير الحسين الى اهل الكوفة يابى من قتل عبيد الله ابن زياد غيلة وذلك بعد ان هيا له هاني ابن عروة الفرصة وقال :

« نحن اهل بيت لا نغدر. »

وعبيد الله ابن زياد قدم الى الكوفة بعد ان بايع اهلها مسلم ابن عقيل كسفير

الارهاب

للحسين ولكنهم خذلوه وانضموا الى الوالي الجديد ولم يبق لمسلم ان يقاتل حتى يقتل او يغتال ابن زياد ويعود الى السلطة من جديد، ولكنه رفض ان يقوم بعمل لا تقره الكرامة والرجولة حتى وان كان في ذلك مصرعه وخيبة المهمة التي انيطت به.

وهكذا نرى ان النتائج مهما كانت لها من الاهمية فلا تبررها مقدمات دينية مثل الغيلة والغدر في دستور الاسلام الخالد وفي عرف اهل بيت رسول الله (ص) ولنستشهد مرة اخرى بعمل الامام علي والذي تقول الشيعة انها تقتدي به ويعتقد بعض فقهاءنا ولاسيما اولئك الذين يرون انفسهم من انصار الارهاب بان عمل الامام حجة ونقول لهم ان الامام نهى اصحابه عن القيام بأي عمل يتنافى مع الكرامة الانسانية حتى انه امر برفع الحواجز التي وضعها جيشه على نهر الفرات في حرب صفين لمنع جيش الشام من الحصول على الماء ونهى عسكره من القيام بأي عمل يتنافى مع السيرة المتبعة في الحروب بين الرجال. وعندما قتل الثائرون الخليفة عثمان ابن عفان وعلم الامام بذلك لطم الحسين على خدهما لعدم منعهما الثائرين من التقرب الى الخليفة المقتول وكما نعلم فلقد كان للحسين مقام عظيم عند الامام علي عبر عنه في احدى حروبه وعندما كانا يتقدمان صفوف المحاربين بقوله :

« املكوا عني الغلامين فاني اخاف ان ينقطع بهما

نسل رسول الله. »

وعندما تلقى نظرة فاحصة على عصر الرسول الكريم (ص) نعلم علم اليقين ان الارهاب لم يكن معروفاً لديهم وعندما هدد ابو لؤلؤ الخليفة عمر ابن الخطاب بقوله :

« ساصنع لك رحي. تتحدث عنها العرب. »

قال الخليفة :

« هددني ابن المجوسية. »

ولكنه لم يفعل شيئاً بالنسبة اليه ولم يأمر بحجزه او ابعاده.

ولهذا يمكن القول ان فكرة الاغتيالات لم تكن تراود نفوس المسلمين في عصر الرسالة والخلفاء الراشدين، ولم تكن معروفة لديهم، ولذلك لم ينظر المسلمون

الارهاب

اليها بنظرة الجد والحزم ، وبعد اغتيال الخليفة عمر ابن الخطاب على يد ابو لؤلؤ لم يأخذ سلفيه عثمان وعلي الحذر مما اصاب الخليفة فكان قتل الخليفة عثمان اشبه ما يكون بالغيلة والامام علياً قتل على يد خارجي اسمه ابن ملجم وفي اثناء صلاة الصبح، ولقد قيل له اكثر من مرة ان يأخذ حذره من الخوارج ولكنه كان يرفض ذلك بقوله :

« كفى بالموت حارساً.»

ولذلك نستطيع القول بعد كل هذا ان البيئة الاسلامية الصحيحة كانت ترفض ان تنسب اليها شيئاً باسم الغيلة والارهاب ولذلك لم يعط لعمل كهذا شرعية الوقاية منه بل نظرت اليها كحركة اجرامية عابرة والاسلام منها براء والمسلمون في مقت منه وانها اعمال لا يقوم بها الا اناس على شاكلة ابولؤلؤ المجوسي وابن ملجم الخارجي وامثالهما نادر وقليل.

واعود مرة اخرى الى الارهاب واقول : ان الاعمال الارهابية ورائها مخططون يعرفون النفسية القلقة التي يتصف بها المتطوعون للعمل الارهابي فهم يستغلون تلك النفوس ويمنونهم بحور عين وكأس من معين مضافاً اليهما دروساً في الشجاعة والبطولات والتخليد في التاريخ واخذ الثأر وهكذا يرسلون ضحاياهم الى حيث العمل الارهابي وهم يجلسون بعيداً عن حلبة الصراع ليقطفوا ثمار النتائج التي يرومون اليها فهم يقضون اوقاتهم في القلاع الحصينة الآمنة واتباعهم في ساحات الانتحار ينفذون انزال الدمار بالابرياء والممتلكات باسم الله ورسوله والامام علي.

صلاة الجمعة

اعتقد جازماً ان فقهاءنا اجتهدوا امام النص
الصريح بسبب واحد الا وهو ايجاد الفرقة في
الصف الاسلامي الكبير وحمل الشيعة على
عدم التلاحم مع الفرق الاسلامية الاخرى في
صلاة يوم الجمعة.

صلاة الجمعة

« يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله، وذروا البيع، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. » الجمعة ٩

بهذا النص الصريح القاطع شرع الاسلام صلاة الجمعة وفرضها على كل من يؤمن بالله ورسوله وكتابه. غير ان الاكثرية من فقهاء الشيعة - سامحهم الله - اجتهدوا امام النص الصريح وقالوا بالخيار بين صلاة الظهر والجمعة، و اضافوا ان شرط اقامة الجمعة انما هو حضور الامام الذي هو الامام المهدي ففي عصر الغيبة تسقط الجمعة من الوجوب العيني ويكون للمسلمين الخيار في الاتيان بها او بصلاة الظهر.

وقالت فئة اخرى من فقهاءنا ان صلاة الجمعة حرام في عصر الغيبة ويقوم مقامها صلاة الظهر، وهناك قلة من فقهاءنا وبعضهم في القمة مثل الشيخ حر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة) الذي افتى بوجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة.

ولا اريد ان ادخل ايضاً في جدل فقهي عقيم لم يحل منذ الف عام عند فقهاء المسلمين ولن يحل اذا ما اردنا ان نتحدث بلغة الروايات التي يستند عليها فقهاء الشيعة.

ان كل ما قيل ويقال في اسقاط صلاة الجمعة في عهد غيبة الامام يصطدم بنص صريح لا اجتهاد فيه وذلك اذا كنا ملتزمين بدستور الاسلام فنحن امام دستور ثابت وصريح وواضح لم يكن مقيداً بقيود او مشروطاً بشروط . ولست ادري كيف استطاع فقهاءنا ان يجتهدوا في نص قرآني بليغ وواضح بالاستناد الى روايات نسبت الى ائمة الشيعة، وموقفي من هذه الروايات كلها الموقف نفسه بالنسبة لكل الروايات الموضوعة، فأنا لا اشك ابداً بأن كثيراً من تلك الروايات وضعت في العصر الاول من الصراع بين الشيعة والتشيع وذلك كي يمنع الشيعة من الحضور في صلوات الجمعة التي هي في حقيقتها تظاهرة اسلامية كبرى وعدم الاختلاط بسائر الفرق الاسلامية والمشاركة معها في شعار الاسلام العظيم.

وهناك دليل واضح لما ذهب اليه من الرأي قد خفي على كل أولئك الذين كتبوا في صلاة الجمعة وارخوها، وهو ان ملوك الصفويين الذين كانوا حماة التشيع في ايران وكثير من البدع التي الصقت بالتشيع انما الصقت به بمباركتهم وسياستهم كانوا من اشد انصار صلاة الجمعة، واكبر المساجد الايرانية واطنمها بنيت في عهد ملوك الصفويين، وكان المسجد الرئيسي يسمى (مسجد الجمعة) ولا يوجد مدينة كبيرة في ايران الا وفيها مسجد من هذا الطراز. وكان امام المسجد ذلك يلقب (امام الجمعة) ويعين بمرسوم خاص من الشاه، وكان هذا المنصب منصبا محترما يناط بكبير العلماء او شيخ الفقهاء في كثير من الاحيان، وكان هذا المنصب موجودا في بلاط الاسرة المالكة حتى ان انقرضت الملكية في ايران قبل بضع سنوات ويعني هذا ان فكرة حرمة صلاة الجمعة في عصر الغيبة لم تطرح الا في بلاد كان الاحتكاك شديدا فيها بين الشيعة وغيرها من الفرق الاسلامية الاخرى حتى تنثني الشيعة من الالتحام بالركب الاسلامي الموحد، ولكن في ايران حيث كانت الاكثرية من الشيعة فان الفقهاء لم يعارضوا صلاة الجمعة وكانت تقام في مساجد البلاد بطولها وعرضها. غير ان فكرة الخيار بين الجمعة او صلاة الظهر كانت موجودة فقهيا وكانت هناك في المدن الايرانية مساجد تصلى فيها الجمعة واخرى تصلى فيها صلاة الظهر.

وحتى كتابة هذه السطور فان بعض فقهاء الشيعة من الاحياء يفتون بوجوب صلاة الجمعة وعدم سقوطها في عصر الغيبة ولكن عدد هؤلاء لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة وكانوا عبر التاريخ الفقهي يعدون بين القلة القليلة.

وبعد ان استلم الفقهاء السلطة في ايران اصبحت صلاة الجمعة في ضمن سياسة الدولة الاساسية وعينت ولاية الفقيه لكل مدينة اماما يسمى (امام الجمعة) كما كان يفعل الشاه من قبل واستحدثوا تسمية جديدة لها وهي (الصلاة العبادي السياسي) فالخطباء في خطبة صلاة الجمعة يتحدثون عن قضايا الساعة والسياسة ومشاكل البلاد وسواها، ولا يعنيني ابدأ ماذا يقال في خطبة الجمعة لأن المهم هو العمل بالفريضة اما ما يقوله الخطباء فهذا شيء يعود اليهم، ولكن الذي يعنيني ان صلاة الجمعة لازالت متروكة في كثير من المناطق التي يسكنها الشيعة خارج ايران ولا يصلونها يوم الجمعة في مساجدهم، ومن هنا اود ان اطلب التصحيح والقضاء على هذه الظاهرة التي تتناقض مع روح الاسلام واهدافه ونص القرآن الكريم.

التصحيح

اذا ترك الاتيان بهذا الفرض الى ائمة المساجد في المناطق التي تسكنها الشيعة فهذه الفريضة تبقى متروكة لقرون اخرى لأن ائمة مساجد الشيعة في كثير من الاحيان يأتمرون بأمر فقيه او مرجع من مراجع الشيعة وامام كهذا لا يستطيع ان يخرج من فتوى المرجع الذي نصبه في هذا المقام ولا سيما ان حياته المادية منوطة بعمله والاطاعة لمولاه. ولذلك فان على القاعدة الشيعية ان تفرض على ائمة مساجدها صلاة الجمعة وان تطلب منهم الاتيان بهذه الفريضة واذا لم يستجيبوا فعليهم ان يصلوا في مساجد اخرى تصلى فيها الجمعة فهذه الفريضة الالهية لا تسقط بحال ويجب الاتيان بها في كل الاحوال. واني لا اشك ابداً ان الطبقة الواعية المثقفة من ابناء الشيعة اذا ما التزمت بهذا الشعار الاسلامي العظيم فانها ستقضي على مظهر كبير آخر من مظاهر التفرقة التي نهى الله ورسوله الكريم (ص) عنها وهم بذلك يجددون عصر الوحدة الاسلامية الكبرى ويكونوا من حماته.

تحريف القرآن

القول بتحريف القرآن يناقض الايمان به .

تحريف القرآن

لست ادري كيف يستطيع المرء ان يقول بتحريف القرآن وهو امام نص صريح يدحض كل الاقوال حول التحريف، ولست ادري ايضاً كيف يستطيع احد ان يكون مؤمناً بالقرآن وهو يدلي رأياً يناقض ما جاء فيه والآية الكريمة :

« انا نحن نزلنا الذكر وانّا له لحافظون. » الحجر ٩

تغنيا عن الاستدلال بعدم تحريف القرآن المنزل على محمد رسول الله (ص). فالوعد الالهي صريح بأنه تعالى يحفظ الذكر الحكيم من اي تلاعب او تحريف او اضافة والقائلون بالتحريف يشكلون عدداً من علماء الفرق الاسلامية كلها الا ان علماء الشيعة ومحدثيهم يشكلون الاكثرية المطلقة بين هؤلاء. وقد ذهب رهط من علماء الشيعة الى عدم التحريف واستشهدوا بالآية الكريمة التي اوردها ولكن ذهب آخرون الى التحريف باصرار وعناد منهم النوري الذي ألف كتاباً اسماه (فصل الخطاب في تحريف الكتاب) وذكر في الكتاب المذكور عبارات زعم انها آيات قرآنية محرّفة، والمتتبع المنصف لا يشك ابداً ان السبب الذي حدى بالمحدثين ان يذهبوا الى تحريف الكتاب هو الاستدلال بآيات منصوصة في امامة علي كانت مذكورة في السور والآيات المحرّفة على حد زعمهم، وبذلك كان بعض اعلام الشيعة يدافع عن عدم وجود نص الهي في القرآن حول الامامة بتلك الآيات المزعومة التحريف.

وتحريف القرآن يصطدم بعقبة كبيرة لدى اعلام الشيعة ايضاً وهو اقرار الامام علي في ايام خلافته بهذا القرآن الموجود بين ايدي المسلمين، فلو كانت هناك سور او آيات محرّفة لتحدث عنها الامام علي واشتبها في القرآن.

ان فكرة تحريف القرآن ليست من الافكار التي تظهر على الساحة الشيعية كفكرة عامة ذات ابعاد خطيرة لأن الاكثرية الساحقة من الشيعة لم تقترب الى هذا البحث ولا تؤمن به بسبب موقف كثير من فقهاءنا من عدم التحريف، ولكن الفكرة تأخذ طابعاً حزيناً عندما ينشر الناشرون كتباً ألفها بعض علمائنا في التحريف وتوزع الكتب تلك على الناس او تستل منها مقتطفات لتذكر في كتب اخرى ويطلع عليها المسلمون جميعاً.

ومن هنا نوجه نداء التصحيح الى كل الناشرين في البلاد الشيعية كي

تحريف القرآن

يقلعوا عن نشر كتب كهذه لأنها كتب تخالف كتاب الله ونصوصه وتضر بسمعة الاسلام وكتابه الكريم الذي هو الدستور الخالد للمسلمين فاذا ما اصابه وهن اصابهم واذا اصابته قوة اصابتهم.

وكما قلنا فان الرأي السائد لدى الاكثرية من فقهاء الشيعة هو عدم التحريف، ولكن هذا الرأي يعقبه رأي آخر هو من الغرابة بمكان ولا توجد له ادلة الا في الروايات التي يرويها رواة الشيعة، ونحن في حركتنا التصحيحية لا نستطيع ان نغفل آراء شاذة كتلك وعلينا ان نشير اليها لكي يكون التصحيح جامعاً ومانعاً وهنا نذكر رأياً لكبير علماء الشيعة وهو الامام الخوئي الذي يقول في تفسيره (البيان) ص ٢٥٩، وذلك بعد ان استعرض آراء فقهاء المسلمين ومحدثيهم بما فيهم الشيعة حول التحريف في القرآن او عدم وقوعه ما هو نصه :

« ومما ذكرناه قد تبين للقاريء ان حديث تحريف القرآن، حديث خرافة لا يقول به الا من ضعف عقله او من لم يتأمل في اطرافه حق التأمل او من لجأ اليه، يحب القول به والحب يعمي ويصم، واما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته.»

واما الرأي الثاني الذي اشرنا اليه فهو في ص ٢٢٢، من الكتاب المذكور وجاء فيه :

« ان وجود مصحف لأمر المؤمنين عليه السلام يغير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه، وتسالم العلماء والأعلام على وجوده اغنانا عن التكلف لأثباته، كما ان اشتغال قرآنه عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود وان كان صحيحاً الا انه لا دلالة في ذلك على ان هذه الزيادات كانت من القرآن وقد اسقطت منه بالتحريف بل الصحيح ان تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل وما يؤول اليه الكلام او بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد.»

تحريف القرآن

وبهذه العبارات يريد فقيهنا اثبات مصحف للامام علي يختلف عن القرآن ولكنه في الوقت نفسه يضيف جملة محيرة وهي :

« او بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد.»

ولست ادري ما هذا الاصرار على تسمية شرح للقرآن او تفسير له بالمصحف ثم ما هو هذا الاجماع الذي يدّعيه بقوله :

« تسالم العلماء الاعلام على وجوده اغنانا عن التكلف لاثباته.»

ومتى اجمعت العلماء على ذلك اللهم الا نفر قليل استندوا على كلام ينسب الى الامام علي ذكره الطبرسي في الاحتجاج.

والمحقق المتتبع لكلمات الامام وسيرته يشك كل الشك في صدور كلام مثل ذلك عن الامام لما فيه من غرابة المحتوى، ثم ماذا تعني تلك الجملة المحيرة هل ان القرآن له شرح الهي صادر من الله ولكنه ليس جزءاً من القرآن فيكون القرآن المنزل من الله مؤلفاً من متن وشرح متنه في يد الجميع وشرحه عند الامام علي فقط .

واذا لم تخونني الذاكرة فقد ناقشت موضوع هذا المصحف مع العلامة الكبير الخوئي ولم يأت بشيء اكثر من الاستشهاد على رواية الطبرسي، وانتهى الحوار الى جدل عنيف وحاد ارجو من الله ان يغفر لي اذا ما تجاوزت على حرمة استاذ درست عليه الفقه واصول الفقه بعض الوقت وذلك في ايام دراستي عندما كنت في النجف.

ان فقهاءنا وعلمائنا يستدلون على وجود مصحف للامام علي برواية يذكرها الطبرسي في كتاب الاحتجاج وهي ان الامام قال :

« يا طلحة ان كل آية انزلها الله تعالى على محمد
(ص) عندي باملاء رسول الله وخطيدي وتأويل
كل آية انزلها الله تعالى على محمد (ص) وكل
حلال او حرام او حكم تحتاج اليه الامة الى يوم
القيامة فهو عندي مكتوب باملاء رسول الله وخط

تحريف القرآن

يدي حتى ارش الخدش.» (١)

وكما قلنا في هذه الرواية ضعف واضح وغرابة مذهلة ومنها تتفرع اسئلة عديدة لا عد لها ولا حصر، وقبل كل شيء لماذا خص الرسول الكريم (ص) الامام علياً بتعليم احكام تحتاج اليها امته الى يوم القيامة ولكن لم يخبر بها امته بل اخفاها عليهم والقرآن الكريم يقول :

«وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً، ولكن
اكثر الناس لا يعلمون.» سبأ ٢٨

ويقول في موضع آخر :

« اليوم اكملت لكم دينكم ... الآية » المائدة ٣

ولماذا لم يتحدث الامام علي عن تلك الاحكام في خلافة الخلفاء الذين سبقوه او في زمن خلافته ولماذا اخفى احكاماً تحتاج اليها الأمة الى يوم القيامة وفيها حلاله وحرامه وحتى ارش الخدش. حقاً انه اضطراب مغل بالتعقل نقرأه في عقول الذين وضعوا روايات كهذه ونسبوها الى الامام علي وادعى منه ان فقهاءنا - سامحهم الله - استندوا عليها وحكموا عليها حكم المسلمات.

التصحيح

ان كل ما قيل وذكر في الكتب الشيعية عن مصحف الامام علي ليس اكثر من اضعاف هالة من الغلو على شخصية الامام علي حسب زعم الذين كانوا وراء وضع هذه الاساطير واثبات ان الامام علياً انما هو تالي تلو واحق بخلافة الرسول (ص) من غيره ولذلك يحتفظ بمصحف خاص لا يحتفظ به غيره. هذا في ظاهر الامر ولكنهم في الحقيقة اساوا الى الامام من ناحية اخرى فعرفوا الامام بأنه يخفي احكاماً الهية فيها حدوده وحلاله وحرامه وكل ما تحتاج اليه الامة الى يوم القيامة ولم يدلي بها الا لأولاده الذين هم الائمة، والائمة بدورهم اخفوها عن المسلمين وحتى عن شيعتهم الى ان اختفت كل تلك العلوم باخفاء الامام الثاني عشر.

تحريف القرآن

وهكذا نرى ان الحب الجارف عندما يتجاوز حده ينتهي الى الاساءة المطلقة والشيء اذا تجاوز حده انقلب الى ضده. ومن هنا ننطلق مرة اخرى لفكرة التصحيح ولمقارنة الاوهام التي نسجت حول الامام علي وسائر ائمة الشيعة.

حقاً لقد وضعوا حول الشمس نجوماً خافتة وزعموا انها تزيد الشمس اشراقاً وتوهجاً فكان شأنهم شأن اولئك الذين وصفهم الله بقوله :

« الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم

يحسبون انهم يحسنون صنعا. » الكهف ١٠٤

ومع اننا نعتقد ان أغلب الروايات الموضوعة عن الائمة وضعت بعد الغيبة الكبرى وهو العصر الذي نسميه بعصر الصراع الأول بين الشيعة والتشيع، إلا أن المتتبع المنصف لا يجد بداً من القول ان في عهد ائمة الشيعة ايضاً وضعت روايات عنهم كما ان وضع احاديث عن الرسول الكريم (ص) كان يشغل بال المسلمين بعد عصر الرسالة غير أن الروايات الموضوعة التي كانت تنسب الى ائمة الشيعة في حال حياتهم لم تكن ذات ابعاد خطيرة بسبب وجودهم بين الناس واستطاعة الناس من الوصول اليهم والسؤال عنها وهذا هو الامام الصادق يروي عن رسول الله (ص) انه قال :

« ان على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا،

فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله

فدعوه. »

ويقول ابن ابي يعفور انه سأل الامام الصادق عن اختلاف الحديثين يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به فقال :

« واذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من

كتاب الله او من قول رسول الله (ص) والآ

فالذي جائكم به اولى به. » (١)

ويروي ابن ابي عمير عن الامام الصادق ايضاً انه قال :

تحريف القرآن

« من خالف كتاب الله وسنة محمد (ص) فقد كفر. » (١)

ويقول الامام في مكان آخر :

« كل شيء مردود الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف. » (٢)

وهكذا وضع الامام الصادق الطريق الواضح للفصل بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة وهكذا الفصل بين الروايات الصحيحة والكاذبة حتى يسد الباب على البدع التي تظهر في الدين وباسم الدين.

وقبل ان انهي هذا البحث اود ان اشير ايضاً الى ان بعض علماء الشيعة تحدث في كتبه عن مصحف فاطمة مضافاً الى مصحف علي، وموقفنا من هذا الرأي هو الرأي نفسه في مصحف علي وفيما اسلفناه الكفاية.

١- الكافي ج ١، ص ٧٠

٢- الكافي ج ١، ص ٦٩

الجمع بين الصلاتين

اقامة الصلوات في اوقاتها اقتداء بسيرة رسول
الله (ص)، والقرآن الكريم يقول :
« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا. »
الاحزاب ٢١

صدق الله العظيم

الجمع بين الصلاتين

تنفرد الشيعة الامامية بالجمع بين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء في الحضر.

وموقفي من هذا الخلاف الفقهي يختلف تماماً عن غيره من المسائل الفقهية إلا أن هذه الظاهرة التي تنفرد بها الشيعة قد تضر بالوحدة الاسلامية الكبرى ولاسيما أن الأكثرية من فقهاء الشيعة يفتون باستحباب اتيان الصلوات في اوقاتها المحددة ولكن من الناحية العملية يذهبون الى الجمع، وقد جرت العادة في مساجد الشيعة على هذا النحو ايضا.

والصلوات الخمس فرضت لأوقات محددة وسميت بها، فوقت العصر يختلف عن الظهر والعشاء من الناحية الزمانية يختلف عن المغرب، ولاشك أن هناك حكمة بالغة الهية في فرض الصلوات في هذه الاوقات الخمسة وجعلها عمود الدين ومن اهم الشعائر الاسلامية.

وكان الرسول (ص) يصلي في مسجده بالمدينة في الاوقات الخمسة وهكذا الخلفاء بعده بما فيهم الامام علي وهكذا كانت سيرة ائمة الشيعة. واذا ما جمع الرسول (ص) بين الصلاتين مرة او مرتين في غير سفر فقد كان لضرورة او للترخيص اما عمله (ص) فكان هو الالتزام بالاوقات الخمسة.

وليت شعري ان اعرف هل هناك سبب يجدي بالخير في التظاهر بهذا الاختلاف مع الاكثرية الساحقة من المسلمين ام انه عمل سنّه اناس كان غرضهم عزل الشيعة عن كل مظاهر الوحدة ؟ ثم سار عليه الفقهاء وائمة المساجد وهم يعلمون او لا يعلمون. ونحن في العملية التصحيحية نهتم بجمع الشمل من الناحية النظرية والعملية على السواء ورسالتنا هي القضاء الأبدي على كل مظاهر الفرقة الفكرية والعملية وكل ما يدور حولهما وهذا لا يتم إلا بالعودة الى عصر الرسالة والتمسك بسنة رسول الله (ص) على الطريقة التي كان (ص) يؤديها. ولا اعتقد انه يوجد بين المسلمين شخص واحد يفضل على عمل رسول الله (ص) وسنته عمل الآخرين وأرائهم. ومن هنا نحن نهيب بأئمة مساجد الشيعة وبالشيعة انفسهم ان يلتزموا بالصلوات في اوقاتها ويضعوا نصب اعينهم الصلوات الخمس التي كان رسول الله (ص) يؤديها

في مسجده بالمدينة ومعه صحابته من المهاجرين والأنصار، وأن لا يشذوا
عن طريق رسمه للمسلمين نبي الاسلام ففي الاقتداء به وبسنته عزهم
وكرامتهم وشوكتهم وهذا هو الامام علي يكتب الى امراء البلاد حول الصلاة
واوقاتها وقد جاء في كتابه :

« اما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس
من مريض العنز وصلوا بهم العصر والشمس
بيضاء حية وصلوا بهم المغرب حين يفطر
الصائم وصلوا بهم العشاء حين يتوارى
الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل
يعرف وجه صاحبه. » (١)

الرجعة

وعندما تمتزج الاسطورة بالعقيدة والالوهام
بالحقائق تظهر البدع التي تضحك وتبكي في أن
واحد.

الرجعة

هناك موضوعان يحتلان موقعاً صغيراً في عقيدة الشيعة الامامية ولا اثر لهما في الحياة الشيعية الاجتماعية والفكرية اللهم الا انهما يثيران الجدل والبحث حول المذهب كلما اراد قوم ان لا يترك صغيرة او كبيرة من الفجوات الا وقد احصاها، انهما الرجعة والبداء وقد كنا نود ان نغفل هذين الباحثين في كتاب التصحيح ولكن رأيت من الافضل ان نفرد لكل بحث منهما فصلاً خاصاً به بصورة مقتضبة ولاسيما بعد ان كثرت الكتابات وانتشرت المقالات حول المذهب الشيعي في الآونة الاخيرة وسلطت الاقلام والصحف الضوء على الشيعة ومذهبها وما ينتسب اليها فكما قلنا فان موضوعي الرجعة والبداء وان كانا لا يحتلان الموقع الهام والاساسي في العقيدة الشيعية حتى ان بعض اعلام المذهب فندوا الفكرتين وان الاكثرية الساحقة من الشيعة لا تعرف شيئاً عنهما ولا تدرك مغزاهما ولاسيما فكرة البداء وما يحيط بها من جدل عقلي اثاره بعض اعلام الشيعة في مؤلفاتهم الا ان هناك كتب الفت في الموضوعين وتبناهما بعض الاعلام ايضاً ولكن الادهى من كل هذا ان فكرتي الرجعة والبداء وردتا في الزيارات التي تقرأها الشيعة امام مشاهد وقبور ائمتها في كل صباح ومساء ولم يحدث قط ان الزعامات المذهبية العليا المسيطرة على قلوب وعقول الشيعة اعترضت على هذه الجمل والعبارات او طلبت حذف هذه المضامين من الزيارات تلك او فندت محتواها في حين ان بعض تلك الزعامات كان يبدي امتعاضاً او انكاراً لفكرة الرجعة والبداء في مجالسه الخاصة ولكنه لم يبد الرأي فيها علناً ولذلك رأيت ان الواجب يملي علي ان اكمل كتاب التصحيح بالرجعة والبداء وابدأ بأولها

تعني الرجعة في المذهب الشيعي ان ائمة الشيعة مبتدئاً بالامام علي ومنتهاً بالحسن العسكري الذي هو الامام الحادي عشر عند الشيعة الامامية سيرجعون الى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي ارسى قواعده بالعدل والقسط الامام المهدي الذي يظهر قبل رجعة الائمة ويملا الارض قسطاً وعدلاً ويمهد الطريق لرجعة اجداده وتسلمهم الحكم وان كل واحد من الائمة حسب التسلسل الموجود في امامتهم سيحكم الارض رداً من الزمن ثم يتوفى مرة اخرى ليخلفه ابنه في الحكم حتى ينتهي الى الحسن العسكري وسيكون بعد

ذلك يوم القيامة، كل هذا تعويضاً لهم عن حقهم الشرعي في الخلافة والحكومة التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة. والذين كتبوا في الرجعة من اعلام الشيعة فسروا الآية الكريمة :

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض

يرثها عبادي الصالحون. » الانبياء ١٠٥

ان الغرض من العباد الصالحين انما هم ائمة الشيعة.

هذه خلاصة الفكرة اشرفنا اليها باجمال كما انه لا بد من القول ايضاً ان الذين افوا الكتب في الرجعة واستشهدوا على وقوعها بالروايات التي ذكرها بعض كتب الروايات المنسوبة الى ائمة الشيعة لم يكتفوا الى هذا الحد من القول برجعة ائمة الشيعة فقط بل اضافوا عليها افكاراً اخرى وكلها ايضاً مستوحاة من تلك الروايات الموضوعية التي اشرفنا اليها اكثر من مرة وقالوا ان الرجعة لا تشمل ائمة الشيعة فحسب بل تشمل غيرهم وذكروا اسماء نفر غير قليل من صحابة الرسول (ص) زعموا انهم من اعداء الائمة والذين منعوهم من الوصول الى حقهم في الحكم كل هذا حتى يتسنى للائمة الانتقام منهم في هذه الدنيا.

وقد يخيل الي أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة ووضعوا الروايات لاثباتها لم يقصدوا منها رجعة الائمة بقدر ما كانوا يقصدون رجعة الاعداء حسب زعمهم وذلك للانتقام منهم لأن هذه الفكرة كانت توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والفرق الاسلامية الاخرى تفرقة لا لقاء بعدها ولو ان الذين كانوا وراء فكرة الرجعة كانوا مخلصين لائمة الشيعة لم يصورهم بهذا المظهر الراغب في الحكم حتى ان الله سيعيدهم الى هذه الدنيا الفانية مرة اخرى ليحكموا فيها بعض الوقت وهم ائمة لهم جنة عرضها كعرض السماوات والارض اعدت للمتقين، والامام علي يقول :

« والله ان دنياكم هذه لاهون عندي من ورقة في

فم جرادة تقضمها. »

ومهما يكن من امر فنحن مع كل الاسف امام افكار من هذا النوع وقد الف فيها بعض اعلامنا كتباً واشتملت الفكرة حيزاً من العقيدة ولو لم يكن جزءاً منها، والفكرة شبيهة مع فاروق كبير الى الفكرة التناسخية التي جاء بها فيثاغورس

الرجعة

وتبناها الفيثاغوريون ولها انصارها حتى اليوم وظهرت في مظاهر مختلفة وتعابير متفرقة ودخلت الى بعض العقائد البدائية وغيرها ولكن الذين الفوا وصنفوا حول رجعة ائمة الشيعة لم يستعملوا المضامين التي استعملها الفيثاغوريون في صحة التناسخ او بالاحرى انتقال الروح من جسد الى جسد آخر لأن التناسخين لا يعتقدون بوحدة الموضوع في عودة الشخص الى الدنيا بعد الموت ويعتقدون بتعدد الحياة والموت بصور شتى وانماط مختلفة ولكن فكرة الرجعة تحتفظ بوحدة الموضوع ولا تكون لأكثر من مرة غير قابلة للتكرار حيث يكون بعدها الموت الثاني ومن ثم البعث والنشور، ومن هنا اود القول ان الذين كانوا وراء فكرة الرجعة لعلمهم كانوا من المتأثرين بالفلسفة الفيثاغورية وادخلوا الفكرة في المذهب وذلك بعد اجراء تحوير اسلامي عليها شأنهم شأن كل المبدعين في العقائد والمذاهب ولست ادري ايضاً متى دخلت فكرة الرجعة على وجه التحديد الى الاوهام والفت حولها الكتب الا ان الذي لاشك فيه ان ظهور مثل هذه الافكار البعيدة عن التعقل ظهرت في عهد الصراع الأول بين الشيعة والتشيع حيث كانت السذاجة هي الطابع الغالب على الناس والميل الى الافكار الغلوئية البعيدة عن المنطق كان له سوق رائج ، والبدعة هذه تختلف عن البدع الاخرى التي اضيفت الى الافكار الشيعية حيث لم يترتب عليها تنظيم سياسي عملي او اجتماعي او اقتصادي اللهم الا شيء واحد قد يكون هو السبب في اختلاق فكرة الرجعة وهو كما قلنا استكمال العداء وتمزيق الصف الاسلامي بمثل هذه الخزعبات التي دونت وقيلت في انتقام الائمة من صحابة الرسول الذين خالفوا النص الالهي في امر الامامة والخلافة فكل حديث من هذا النوع كان ولا يزال يزيد في تأجيج نار الفتنة ويضر بالوحدة الاسلامية ويقضي على كل بادرة من بوادر اللفة والتقريب وهنا اود ان اذكر قصة حدثت لي قبل سنوات عديدة عندما كنت في النجف مقيماً فقد جاءني احد المشايخ وطلب مني ان ابتاع منه كتاباً قد فرغ لتوه من تأليفه وطبعه اسمه (الشيعة والرجعة) فسألته عن فحواه

فقال : اثبات رجوع الائمة الى هذه الدنيا.

فسألته من جديد : ومتى يكون ذلك ؟

فقال : بعد ظهور المهدي الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً.

فسألته مرة اخرى : اذن ما هي الفائدة من رجوعهم لأن القسط والعدل قد

الرجعة

استتبنا والائمة اعلى شأننا واجل قدراً من ان يطلبوا الحكم للحكم والامام علي
يقول :

« ان دنياكم هذه اهون عندي من عفة عنز الا ان

اقيم حقاً وابطل باطلا.»

فقال الشيخ وقد ملكته الدهشة : ولكن في كتبنا روايات تثبت رجوع الائمة.
فصحت في وجهه: الم يكن من الافضل ان يترك هذا الامر للمهدي حتى يقول
كلمته فيه ؟

فولى الشيخ هارباً وهو يقول : واديناها!

التصحيح

لقد قلت قبل قليل ان فكرة الرجعة لا تشغل حيزاً مهماً في عقيدة الشيعة
الامامية ولكن كثيراً منهم يقرأون زيارة الجامعة الكبيرة التي هي من اهم
الزيارات وتعتبر موثوقة عند الشيعة وفيها عبارات صريحة في الرجعة ولم يحدث
قط ان فقيهاً من فقهاءنا او زعيماً دينياً من زعمائنا وقف مفنداً لهذه الجملة
بصریح القول والعبارة والشجاعة او امر بحذفها او فسرّها تفسيراً ملائماً مع
العقل ان كان هناك مجال للتفسير.

وزيارة الجامعة التي اشرنا الى مقتطفات منها في فصل زيارة مشاهد
الائمة وهي التي تقرأها الشيعة امام قبور ومشاهد ائمتها عندما تذهب للسلام
عليهم فقد جاء في احدى فقرات هذه الزيارة هذه العبارة :

« مؤمن باياكم مصدق برجعتكم منتظر لامركم

مرتقب لدولتكم.» (١)

ولاشك ان الغرض من عبارة رجعتكم ليس البعث والنشور لأن في هذا الامر
يشارك الناس جميعاً حسب عقيدتنا الاسلامية التي هي الاصل الثالث من
اصول الدين ويأتي بعد التوحيد والنبوة . انن فان الغرض من الرجعة هو
الرجعة الثانية الى هذه الدنيا وعلى هذه العبارة استند كثير من اعلام المذهب
الشييعي في اثبات الرجعة فكان شأنهم شأن من بنى على رواية موضوعة او
جملة موضوعة بناءً شاهقاً من الاوهام وهنا نذكر جملة لأرسطو قالها في
استاذة افلاطون ساخرا من نظرية المثل التي نادى بها فقال :

الرجعة

« ان مثل افلاطون في مثله كمن صعب عليه ان
يعد كمية من الاشياء فضاغفها كي يسهل عليه
عدها. »

وهكذا فإن بعض فقهاءنا عندما يصعب عليهم فهم جملة أو دركها لتناقضها
مع أصول الإسلام والعقل فبدلاً من أن يطرحوها أرضاً ويجنبون العوام من
الناس من أمرها يضاعفون في شرحها وتفسيرها وبذلك يضيفون بدعة إلى
بدعة وضلالاً إلى ضلال فتزيد الطين بلة ويعم الشر الجميع .

ان غربة كتب الزيارة من كل هذه العبارات والمضامين التي تتغاير
وتتناقض مع العقل السليم وروح الاسلام ولاسيما تلك العبارات والجمل التي
فيها تنقيص وتجريح وذم بالنسبة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول تقع في
دائرة التصحيح العملي وان على الشيعة في كل الارض ان تعي ما تقرأ كل
الوعي وان لا تردد ما وضع تحت يدها من مطبوع او مخطوط بذريعة انها
صدرت من احد ائمة الشيعة، واني لا اشك ان كثيراً من الزيارات التي نسبت
الى ائمتنا لو كان قد وصل الى علمهم لأجروا حد الكذب والافتراء على واضعها
وان اشد الناس عذاباً يوم القيامة المفترون.

« ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب

وقد خاب من افترى. » طه ٦٠

البداء

فكرة البداء تتناقض مع قول الله تعالى :
« وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن
ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا
اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من
مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين. »
يونس ٦٠

البداء

تفسير الخطأ بالخطأ يعني الاستمرار فيه وعدم الخروج منه حتى قيام الساعة ومن هنا اود القول انه لو كانت لبعض علمائنا الشجاعة العلمية وخلوص النية ونقاء الفكر وصفاء الذهن لما ساروا في درب شائك لتفسير كلام موضوع او جملة موضوعة او فكرة تتنافى مع اصول العقيدة والبيديات العقلية معاً فالقول بالبداء والاصرار عليه والابقاء عليه في كتب الزيارات والروايات معاً هو النموذج الاكمل في الاصرار على العزة بالاثم وما دامت الحالة هذه فطريق الخلاص من الاوهام صعب وعسير والعناية الالهية لا تشمل قوماً قال تعالى فيهم :

« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. » لقمان ١٩

وكما قلنا قبل قليل وفي فصل الرجعة ان مفهوم البداء غامض عند الاكثرية الساحقة من ابناء الشيعة الامامية بل لا يعرفون شيئاً عن فحواها وحتى اذا ما سألتهم عن معنى الكلمة فهم يحIRON جواباً، ولكن مع كل هذا وهو من دواعي الاسف والحزن العميق فيما وصلت اليه حال هذه الامة بفضل زعاماتها المذهبية ان هناك عشرات الآلاف من الشيعة وان شئت فقل مئات الآلاف منهم يكررون الجملة الآتية :

« السلام عليكم يا من بدا لله في شأنكما. » (١)

وذلك عندما يدخلون الى مرقد الامامين العسكريين في سر من رأى للسلام على الامامين العاشر والحادي عشر عند الشيعة. ان الشيعة ترد هذه العبارات كلما دخلت في صورة أحاد او جماعات الى مرقد الامامين علي النقي والحسن العسكري وهي لا تعرف معنى البداء ولا الجملة القائلة :

« يا من بدا لله في شأنكما. »

ولا الاسباب التي كانت وراء وضع الجملة تلك ولا تعرف الخطورة الكامنة في هذا الكلام الذي فيه انتقاص من سلطان الله وعلمه وارادته وحكمته، ولكن

الادهى من ذلك انه لم يحدث حتى هذا اليوم ان انبرى عالم من علمائنا لحذف هذه الجملة من الزيارة او المنع من قراءتها شأنها شأن المئات من العبارات والجمال التي ملئت كتب الزيارات والروايات وكلها تتناقض كما قلنا اكثر من مرة مع اساس العقيدة وروح الاسلام.

اما معنى البداء والفكرة التي بين ثناياه وما تعنيه في زيارة الامامين العسكريين هو ان الامامة حسب التسلسل الموجود في عقيدة الشيعة الامامية تنتقل من الاب الى الابن الاكبر مستثنى من هذه القاعدة الحسن والحسين فالامامة بعد الامام الحسن انتقلت الى الامام الحسين ولم تنتقل الى الابن الاكبر للحسن وذلك لنص ورد عن رسول الله (ص) حيث قال :

« الحسن والحسين امامان قاما او قعدا »

فقد حدث ان اسماعيل وهو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق الامام السادس عند الشيعة قد توفي في عهد ابيه فانتقلت الامامة الى اخيه موسى بن جعفر الابن الاصغر للصادق وهذا التغيير في مسار الامامة التي هي منصب الهي يسمى بداء حصل لله تعالى فانتقلت الامامة الالهية بموجبه من اسماعيل الى موسى بن جعفر ومن ثم الى اولاده ولم تأخذ الطريق الطبيعي لها الذي هو انتقال الامامة من الاب الى الابن الاكبر.

ولكن السؤال المحير هنا لماذا سمي تغيير مسار الامامة بداء ونسبوا شيئاً كهذا الى الله تعالى لاثبات امر لم يكن اثباته بحاجة الى انتقاص من سلطان الله، الجواب هنا يكمن في تلك الملابس والظروف التي حصلت في عهد الصراع الاول بين الشيعة وانتشيع فالامامة عندما تكون الهية لا تخضع للانتخاب المباشر ولا يتغير مسارها بموت الامام الشرعي فحينئذ تنتقل الامامة هذه حسب الناموس الالهي الذي لا يتغير من الاب الى الابن ولهذا قيلت في الامامة انها تكوينية اي لا تخضع لمتغيرات الزمان والمكان شأنها شأن العلة والمعلول الذاتيين الذين لا ينفك احدهما عن الآخر وهذا يعني ان الامام الاب لا سلطة له في تعيين الامام الذي سيخلفه لانه معين بارادة الله. وهذا الصراع الفكري حدث بين الشيعة انفسهم قبل ان يمتد نحو آفاق اوسع قبيل عصر الغيبة الكبرى مباشرة وذلك عندما بدأ المذهب الاسماعيلي يظهر على ساحة الافكار الاسلامية ويهدد وحدة الشيعة بالتمزق الداخلي وكان المذهب الاسماعيلي يرى ان الامامة الالهية مستمرة بالصورة التي ارادها الله منذ الازل وهي في نسل علي واولاده حسب التسلسل السني وهذا يعني ان

البداء

الامام الأب لا سلطة له في تعيين الإمام الذي سيخلفه لأنه معين بإرادة الله فإذا مات الوريث الشرعي الذي هو إسماعيل فلا يحق لأبيه الصادق أن يعين موسى ابنه الأصغر بل تنتقل الإمامة إلى الابن الأكبر من ظهر إسماعيل وبما أن الشيعة تبنت فكرة الإمامة الإلهية بالصورة نفسها فلكي تخرج من هذا المأزق قالت بفكرة البداء لكي تلقي مسؤولية انتقال الإمامة من إسماعيل بن جعفر إلى موسى بن جعفر على الله وليس على الإمام الصادق ولتفنيده العقيدة الإسماعيلية. وكما يعلم الجميع فإن الإمامة لازالت مستمرة عند الإسماعيليين حتى هذا اليوم والإمام عندهم حي حاضر ومن نسل إسماعيل ولم يحددوا عن هذا المنحنى الفكري الذي أملاه عليهم مذهبهم قيد انملة.

ونعود الى فكرة البداء فنقول انها ظهرت في ابان ظهور الفرقة الاسماعيلية التي اخذت تناهض الشيعة وتخرق وحدتها ولذلك لا نجد اثراً لفكرة البداء حتى اوائل القرن الثالث الهجري، واول امام يخاطب بشموله للبداء هو الامام العاشر ومن بعده الحادي عشر للشيعة في حين انه كان من الاجدر والاولى ان يخاطب الامام موسى بن جعفر بشموله للبداء حيث كان هو موضوعه فلا الامام موسى ولا ابنه علي الرضا ولا حفيده محمد الجواد قد خطبوا بكلمة فيها اشارة الى حصول البداء بحقهم الامر الذي يؤكد لنا ان اللجوء الى تبني فكرة البداء انما حصل عندما اخذ التيار الاسماعيلي يشق طريقه الى الوجود والظهور في اوائل القرن الثالث الهجري وهو عصر الامام العاشر والحادي عشر للشيعة.

لقد التجأ بعض اعلام الشيعة الى البداء حتى يشبثوا تغيير مسار الامامة من اسماعيل الى موسى بن جعفر في حين ان الامامة وانتقالها من كابر الى كابر وبالصورة التي رسمتها الشيعة قبل عهد الصراع بين الشيعة والتشيع لم تكن بحاجة الى القول بالبداء وتغيير الارادة الالهية فب وفاة مرشح الامامة تنتقل الامامة الى المرشح الثاني حسب ما يوصي به الامام الصادق الذي شاهد وفاة ابنه المرشح للامامة ولاشك انه قال كلمته في الامام الذي يتولى شؤون الفتيا والفقه بعده وفي كلام الامام وتعيينه الوارث الشرعي فصل الخطاب.

ان موضوع البداء احتل جانباً من الكتب الشيعة وافرد له بعض الاعلام فصولاً او كتباً يدافع عن معنى البداء وفحواه، وانتهى الجدل ذاك الى الابحاث الفلسفية والكلامية التي احتلت اجزاء كثيرة من الكتب الكلامية في الارادة

الالهية وهكذا الآجال الحتمية والمقدرة والقدر الذي يدفعه الحذر والبلاء الذي تدفعه الصدقات وما الى ذلك من كلام يعرفه اهل العلم والفضيلة وكل من الم بالصراع الفكري بين الاشاعرة والمعتزلة وغيرهم من مفكري الاسلام كما ان بعض اعلام الشيعة وجد الحل للخروج من مأزق البداء بالتفصيل بين النسخ التشريعي والنسخ التكويني وقال ان البداء هو النسخ في التكوين، ولست ادري ان الذين كتبوا في البداء هل وجدوا في الآية الكريمة :

« يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب.. »

الرعد ٢٨

حلا لتلك المعضلة ان كانت معضلة ام لا ؟ ومهما يكن من امر فان الذين كتبوا والفوا في البداء لم يضيفوا الا اوهاماً على اوهام وسفسطة الى سفسطة ولو انهم وجدوا حل المعضلة بالآية الكريمة التي اسلفناها لكان لهم خير طريق للخروج من مأزق وضعوا انفسهم فيه ولم ينته الامر بهم للخروج منه الى الطعن في سلطان الله وانه تعالى كان يريد شيئاً ثم بدا له غيره.

التصحيح

لقد قلنا ونؤكد ان القواعد الشيعية لن تواجه مشكلة فكرية باسم البداء وحتى مع قرائتها للجملة التي اشرنا اليها فهي تمر عليها مر الكرام ولا تعيرها اهتماماً لما فيها من ابهام وغموض ولكن الذي لاشك فيه ان الفكرة وردت في اكثر من مكان والشيعة تتداول العبارة في كل صباح ومساء عندما تذهب للسلام على الامامين في سر من رأى ولاشك ايضاً انه لم يحدث قط حتى هذا اليوم ان مرجعاً من مراجع الشيعة او عالماً من علمائها امر بحذف هذه الجملة من كتب الزيارات التي تربو على العشرات من المجلدات كما انه لم توجد فئة من اعلامنا تستنكر هذه الجملة اجمالاً او تفصيلاً بالعلن والجهر ولاشك ايضاً ان فكرة البداء من الافكار الموضوعية والعبارة ايضاً من الموضوعات التي نسبت الى الائمة وادخلت في الكلام الذي يقال امام قبري الامام العاشر والحادي عشر ويعود وضعه على وجه التأكيد الى عهد الصراع الاول بين الشيعة والتشيع كما اثبتناه قبل قليل ومن هنا نؤكد مرة اخرى الى غربة كل الموروثات التي ورثناها من الماضي وادخلت في العقيدة الشيعية سواء كانت فيها انتقاص في حق الله تعالى او في حق رسوله او خلفائه او ائمة الشيعة الذين هم ائمة المسلمين ايضاً وهنا نصل ايضاً الى نتيجة بالغة الخطورة وهي ان الذين كانوا وراء الصراع بين الشيعة والتشيع لم يتورعوا في سبيل نياتهم

البداء

واهدافهم حتى من التطاول على القدرة الالهية وصفاته كي يحققوا اهدافاً تتناقض مع اساس العقيدة والعقل والمنطق، واملي بالله كبير وادعوه مخلصاً ان ينجلي هذا الليل المظلم وتشرق شمس الحقيقة على القلوب الصافية المستعدة لتقبل الحق فتسعى جاهدة لارساء اهداف التصحيح كل حسب قدرته وجهده وبذلك تعود الشيعة الى عصر الرسالة الاولى وتنعم بخلق جديد.

التصحيح بين القبول والرفض

تصحيح الافكار الدخيلة والآراء المهلكة وغير
السليمة يفرضها القرآن الكريم وسنة رسول
الله (ص) والعقل والفطرة السليمة، ولا شك ان
المواعظ البالغة التي تستمد من هذه الينابيع
تستقطب القلوب الصافية والنفوس المستعدة
وترشد اهلها الى الحق افواجا.

التصحيح بين القبول والرفض

ان الفكرة التصحيحية التي نادينا بها لأول مرة في تاريخ الشيعة والتشيع لاشك وانها ستلاقي ردود فعل مختلفة على صعيد العالم الشيعي وذلك حسب البيئة التي يصل اليها نداء الاصلاح. ومن الطبيعي أن فئات من رجال الدين والمتاجرين بالطائفية وفي مقدمتهم كثير من الزعماء الدينيين سيقاومون الفكرة التصحيحية بكل ما لديهم من قوة وجهد.

وقد نعذر هؤلاء لما يصدر منهم من ردود فعل قد تكون بعضها عنيفة لأن خطر التصحيح يهدد مجدهم وسلطانهم وكياناً بنوا عليه امالا عريضة وسيعة طيلة قرون وقرون. غير أن الذي لاشك فيه هو أن الأكثرية الساحقة من الطبقة الواعية المثقفة من ابناء الشيعة ستستجيب لنداء التصحيح وتقف وراءه كالبنيان المرصوص لأن فيه عز الدنيا وخير الآخرة معا.

وهنا اود ان اوجه نصيحة الى الطبقة الواعية التي بنينا آمال التصحيح عليهم وأقول لهم ان كلمة الحق تدعم نفسها بنفسها ولا تحتاج الى العنف والقسوة في الدعوة اليها ولنا في رسول الله (ص) اسوة حسنة حيث يخاطبه سبحانه وتعالى بقوله :

« ولو كنت فظاً غليظ القلب لأنفضوا من حولك. »

آل عمران ١٥٩

ويخاطبه في مكان آخر ويقول :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة،

وجادلهم بالتتي هي احسن. » النحل ١٢٥

فلذلك يجب على كل فرد يأخذ على عاتقه واجب الدعوة الى التصحيح ان يسلك طريق الحسنى وعدم الشدة والعنف في مخاطبة غيره ولا سيما الشيوخ والطاعنين في السن فليس من السهل على اناس بلغوا من السن عتيا ان يقلعوا عن عادة في القول او الفعل تعودوا عليها منذ سنين الصبا ودُربوا عليها تدريباً. فمثلاً وليس على سبيل الحصر، هل يا ترى أن انساناً ما تعود منذ نعومة اظفاره ان يستعين بغير الله وينادي ذلك الغير بكلمة (يا) نبياً كان

التصحيح بين القبول والرفض

المنادى او اماماً او ولياً يستطيع ان يقلع عن هذه العادة والعقيدة معاً بين عشية وضحاها ؟

وكثير من الشيعة ينادون غير الله في طلب المعونة، ولست ادري لماذا نحن معاشر الشيعة نترك الله القادر على كل شيء ونستعين بغيره وهو الذي امرنا بالاستعانة به :

« اياك نعبد واياك نستعين. » الفاتحة ٥

وهو الذي يخاطب عباده بقوله :

« ادعوني استجب لكم. » غافر ٦٠

ويقول سبحانه في مكان آخر :

« ونحن اقرب اليه من حبل الوريد. » ق ١٦

وليس على سبيل الحصر ايضاً، فهل يا ترى ان من السهل ان تحمل الشيعة على الاقلاع من السجود على التربة الحسينية التي صنعت في اشكال مختلفة كما اشرنا اليها وهي ترى ان زعمائها الدينيين يسجدون عليها في صلواتهم ومساجدهم مليئة بها ؟

وهل يا ترى ان من السهل ان تحمل الشيعة على الاقلاع من تسمية اولادها بالعبودية لغير الله ؟ وهذه ظاهرة لا نجدها عند اية فرقة اخرى من الفرق الاسلامية وحتى غير الاسلامية. والشيعة هي الطائفة الوحيدة التي تسلك العبودية لغير الله حتى في تسمية اولادها.

واذا تصفحنا تاريخ ائمة الشيعة مبتدئاً من الامام علي حتى آخر أئمتهم لم نجد احداً منهم عبداً ولده لغير الله في التسمية، ولست ادري منذ متى بدأت الشيعة تسمي اولادها بهذه التسميات التي تتناقض مع روح الاسلام، فالعبودية لله وليس لغيره، والانسان لا يكون عبداً لأنسان آخر مهما كان شأن ذلك الأنسان عند الله.

واعود مرة اخرى لأؤكد على الطبقة الداعية للتصحيح واقول ان تغيير هذا المنحنى الفكري عند الشيعة الامامية لا يمكن ان يحدث بين عشية وضحاها بل يحتاج الى زمان ومثابرة وصبر وثقيف حتى يدخل في القلوب ولذلك فان

التصحيح بين القبول والرفض

المسؤولية خطيرة يجب السير عليها خطوة بعد خطوة ولا سيما ان فكرة التصحيح تلاقي مقاومة عنيفة من قبل اولئك الذين اشرنا اليهم في مقدمة هذا الفصل كما ان علينا ان لا نغفل ابداً تلك القوى الاستعمارية التي لا تزال تتربص بالمسلمين ولا تريد وحدتهم وتسعى للتفرقة بينهم فهي تحاول جاهدة وعن طريق اقلام مأجورة عاشت على الفرقة واثارة الضغناء ان تقارع حركة التصحيح وهي لا تدخر جهداً في سبيل ذلك، وهناك فئات ساذجة عبر الامام علي عنهم بقوله :

« همج رعاع يميلون مع كل ربح، اتباع كل ناعق،
لم يستضيئوا بنور الله.»

وهي تسير في ركب زعاماتها المذهبية وتأتمر بأمرها وهي المنفذة لكل البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي عبر القرون .

ان هذه القوى كلها تجتمع كيد واحدة لتضرب حركة التصحيح ولكنني اقول مسبقاً ان التصحيح اقوى منهم بكثير وسينتصر عليهم في نهاية المطاف، وذلك لأن مقارعة التصحيح والوقوف ضده يرتطم بجدار صلب ضخم لا ولن تستطيع اية قوة ان تنفذ منه وذلك لأننا وضعنا قواعد التصحيح على كتاب الله وسنة رسوله (ص) وعمل وأقوال الامام علي الذي اتخذها فقهاء المذهب الشيعي حجة على انفسهم ثم على دعامة العقل الذي اعتبره علماء الشيعة الركن الرابع من اركان استنباط الاحكام الشرعية، وهذه الدعائم الاربعة حجة على علماء الشيعة لا ولن يستطيعوا ان يحدوها او يقارعوها.

وهنا لا بد من العودة على البدء والاشارة الصريحة الى أن كتب روايات الشيعة ولاسيما تلك التي تعتبر صحيحة وموثوقة على حد تصور فقهاءنا وهي لا تخلو كما قلنا من روايات تنسب الى أئمتنا وهي تتناقض مع ضروريات الاسلام واصوله وتتناقض مع الادلة الاربعة التي اعتبرها فقهاء الشيعة اساس الاستنباط للأحكام الفقهية.

ان مثل تلك الروايات الموضوعة في هذه الكتب والتي نسبت الى أئمة الشيعة ، الذين هم أمروا بنبذ كل رواية تنسب اليهم اذا كانت تخالف كتاب الله وسنة رسوله قد تؤخذ كذريعة للوقوف ضد التصحيح واهدافه.

ولذلك نحن نهيب بالطبقة الواعية المثقفة التي نعتبرها السند الأول والأخير

التصحيح بين القبول والرفض

لحركة الاصلاح ان تحكم كتاب الله ورسوله والعقل في كل رواية يستند عليها بعض فقهاءنا وعلماؤنا لتثبيت البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي وأن يكون كل فرد هو الحكم والقاضي في كل ما يلقي على مسامعه من غث او سمين او صحيح او سقيم باسم الروايات الواردة عن أئمة الشيعة، وهذه هي الطريقة الوحيدة للخلاص من سلاسل قيّدت عقول الشيعة وقلوبهم عبر القرون.

لقد سمع العالم قبل اكثر من عام زعيماً من زعماء المذهب الشيعي يخطب امام الجماهير الشيعية في طهران وينقل كلامه عبر الأثير وهو يقول :

« ان جبرائيل كان ينزل على السيدة فاطمة
الزهراء بعد وفاة ابيها ويحدثها عن قضايا
كثيرة.. »

والمسلمون يعتقدون ان هذا الكلام يتناقض مع ضروريات الاسلام وعقائده الاساسية فالوحي قد انقطع بعد وفاة رسول الله (ص). غير ان هذا الكلام ورد على لسان هذا الفقيه استناداً على تلك الروايات الموضوعية التي طالما طلبنا غريبة الكتب الشيعية منها. ولكن الادهي من ذلك ان كلاماً كهذا لم يلق مجابهة من قبل نظراء ذلك الفقيه واقرانه بل اذعنوا لصحة هذه الرواية بالسكوت الذي هو من علائم الرضى. ولذلك نحن دائماً نُحْمَلُ بعض زعماء المذهب وعلماؤه المسؤولية الكبرى على تلك البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي ووقفوا منها موقف المؤيد او المسالم. وهذا هو الامام علي يخاطب رسول الله (ص) عندما كان يلي غسله وتجهيزه بقوله :

« بآبي انت وامي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع
بموت غيرك من النبوة والأنباء واخبار السماء. » (١)

وبعد كل هذا فماذا تكون الطريقة التي تسلكها الفئات التي ترفض التصحيح عندما تخذلهم البيانات وتقارعهم الحجج.

هناك طريق واحد تسلكه عادة اصحاب النفوس المريضة والمأجورين والجهلاء انه طريق التجريح والطعن في صاحب الدعوة والرأي شأنهم شأن اولئك الذين ذكرهم الله في محكم كتابه بقوله :

« ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة
انكاثاً تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم ان تكون امة
هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبين لكم
يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. » النحل ٩٢

« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا
هدي ولا كتاب منير. ثاني عطفة ليضل عن سبيل
الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب
الحريق. » الحج ٩

صدق الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اجاز للعلماء ما اجاز وصلى على محمد وآله بجاز الحقيقة وحقيقة
ربعة فان جباي العالم الفاضل ثمة الاسلام الاقاوية حفيد المرحوم
آية الله العظمى السيد الحسين بن المصطفى رضا الله عليه من بذل
جهده في تحصيل العلم الشرعي حتى حاز بجله لمرتبة رتبة ملكة الاجتهاد
مقرنته بالصلاح والسماء وقد اجزئت له لاهلية ان يروى عنه
ما صحت له روايته من مشايخ العظام فلهذا سمي الكرام . ان
رئيسه من صالح الدعوة لئلا ان . والله سبحانه يوفقه ويرعاه

ب. ط. و
محمد الحسين
كاشف
الغطاء

صدر من مدرستنا العلمية
بالنجف الاشرف

١٣٧١

صورة من الشهادة العليا في الفقه الاسلامي (الاجتهاد) التي نالها المؤلف قبل
ثلاثين عاما من المرجع الديني الاعلى زعيم الحوزة العلمية في النجف الاشرف
الشيخ محمد الحسين ال كاشف الغطاء رحمه الله عليه.

تنبيه هام

لكي تبقى رسالة التصحيح مستمرة في التقدم لقد اخذ المجلس الاسلامي الاعلى على عاتقه اصدار مجلة شهرية تهتم بشئون التصحيح واهدافه ومبادئه وان المجلة سوف تنشر المقالات والكلمات التي تصلها حول التصحيح بغض النظر عن الاتجاه الذي يسير فيه صاحبها على شرط ان يكون صاحب المقالة او الكلمة من ذوي الاختصاص بشئون الدين والفقه والعلوم الاسلامية. كما ان العلماء المشرفين على المجلة سيجيبون على الاسئلة التي توجه اليهم حول التصحيح على شرط ان تكون الاسئلة موجزة.

الرسائل تعنون الى المجلس الاسلامي
الاعلى على العنوان البريدي التالي

POST-TEL CENTER
2210 Wilshire Blvd., Suite 451
Santa Monica, CA 90403
U.S.A.

الفهرس

٧ - ٥	تقديم
٥٠ - ٨	الامامة والخلافة
	عقيدة الشيعة الامامية في الخلافة. التشيع في القرن الثاني الهجري. بداية الانحراف في الفكر الشيعي. موقف الامام علي من الخلافة. الفصل بين الاوامر الالهية ورغبات النبي الشخصية. الحرية الفكرية والاجتماعية في عهد الرسول (ص). صحابة الرسول (ص) وموقفهم من الخلافة. بيعة الامام مع الخلفاء. اقوال الامام واقوال ائمة الشيعة في الخلفاء الراشدين. التصحيح.
٥٩ - ٥١	التقية
٧٨ - ٦٠	الامام المهدي
	الاجتهاد والتقليد. الخمس. ولاية الفقيه.
٨٩ - ٧٩	الغلو
	الغلو النظري. الغلو العملي.
٩٦ - ٩٠	زيارة مراقد الائمة
١٠٢ - ٩٧	ضرب القامات في يوم عاشوراء
١٠٦ - ١٠٣	الشهادة الثالثة
١١٣ - ١٠٧	الزواج المؤقت
١١٨ - ١١٤	السجود على التربة الحسينية
١٢٥ - ١١٩	الارهاب
١٢٩ - ١٢٦	صلاة الجمعة
١٣٦ - ١٣٠	تحريف القرآن
١٣٩ - ١٣٧	الجمع بين الصلاتين
١٤٥ - ١٤٠	الرجعة
١٥١ - ١٤٦	البداء
١٥٧ - ١٥٢	التصحيح بين القبول والرفض

الاعتقاد، وهذه وجهة كانوا يحملونها تجاه أصحاب النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الثلاثة، وأكثر من ذلك لم يكونوا يعتقدون محاربة معاوية وأصحابه خروجاً عن الإسلام وطغياناً وظلماً وعدواناً، ولأجل ذلك بايع معاوية أكبر أبناء عليّ سبط رسول الله - الإمام المعصوم حسب زعم الشيعة - ووافقه على ذلك أبناؤه الآخرون مع ما فيهم الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وغيرهم كما سيأتى بيانه، وصاهروه وأسرته وعاونوه على أمور الخير والبر، وقبلوا منه الهدايا والصلوات كما ذكرنا قريباً، إلا من تأثر من السبئية أو دخل في ذلك الحزب الملعون على لسان عليّ - رضى الله عنه - وأبنائه .

ثم ولم يكن الشيعة عامة آنذاك يشتمون أصحاب النبي ﷺ ولا الخلفاء الراشدين الثلاثة ولا يطعنون فيهم ولا ينقصونهم، فلقد ذكر ابن خلكان في ترجمة يحيى بن معمر: كان شيعياً من القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم» (٥٦) .

ولقد أقر بذلك شيعي معاصر حيث قال :

إنى خلال مراجعتى كتب التاريخ لم أرفى الفترة التى تمتد من بعد وفاة النبى حتى نهاية خلافة الخلفاء من عمد إلى الشتم من أصحاب الإمام، وإنما هناك من قيّم الخلفاء وقيّم الإمام وحتى فى أشد جمحات عاطفة الولاء لم نجد من يشتم أحداً من تقدم الإمام بالخلافة . . . يضاف لذلك أنه حتى فى الفترة الثانية أى فى عهود الأمويين كان معظم الشيعة يتورعون عن شتم أحد من الصحابة أو التابعين» (٥٧) .

(٥٦) وفيات الاعيان : ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٥٧) هوية التشيع لأحمد الوائلى : ص ٤١ .

فرو السیعة، تاریخها وعقائدها

اجتمع شيعة علي رضي الله عنه بعد استشهاده حول ابنه الحسن رضي الله عنه، وجعلوه إماما لهم في اليوم الثالث بعد انتقال أبيه من دار الدنيا إلى دار الآخرة^(١).

وأول من بايعه كان قيس بن سعد بن عباد^(٢).

وعند ذاك ظهرت السبئية من جديد بكل قوة وأظهروا العقائد التي طالما أخفوها خوفا من بطش علي رضي الله عنه، وحذرا من يقطته ومراقبته الأفكار الهدامة ومن يريد بثها في صفوف شيعته، ومعاقتهم معاقبة شديدة، ولقد ذكر مؤرخ شيعي حيث قال:

إن بدعة السبئية في الغلو ظهرت على عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عندما مربقوم يأكلون في شهر رمضان نهارا، فقال لهم: أسفر أنتم أم مرضى؟ قالوا لا ولا واحدة منها، قال: فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل نهارا في رمضان؟ فقالوا له: أنت أنت، يومئون إلى ربوبيته. فاستتابهم واستأنى ووعدهم فأقاموا على قولهم. فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها طمعا في رجوعهم، فأبوا فحرقهم وقال: ألا ترونى قد حفرت لهم حفرا:

(١) مروج الذهب للمسعودي الشيعي ج ٢ ص ٤٢٦.

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٩١.

إنى إذا رأيت شيئاً منكراً أوقدت نارى ودعوت قنبراً فلم يبرح عليه السلام من مكانه حتى صاروا حمماً. ثم استترت هذه المقالة سنة أونحوها، ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهودياً يستتر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبئية، وقالوا: ان علياً لم يمت» (٣).

وبمثل ذلك القول قال أقدم من كتب عن الفرق من الشيعة النوبختى حيث قال:

فلما قتل علي عليه السلام افرقت التى ثبتت على إمامته وأنها فرض من الله عز وجل ورسوله عليه السلام فصاروا فرقاً ثلاثة، فرقة منهم قالت:

إن علياً لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملاء الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهى أول فرقة قالت فى الإسلام بالوقوف بعد النبى صلى الله عليه وآله من هذه الأمة وأول من قال منها بالغلوه وهذه الفرقة تسمى (السبائية) أصحاب «عبد الله بن سبأ» وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابه وتبرأ منهم وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقربه فأمر بقتله فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين! أتقتل رجلاً يدعو إلى حاكم أهل البيت والى ولايتك والبراءة من أعدائك فصيره الى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال فى إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله فى علي

(٣) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين الشيعى ص ٥٤- ٥٥، ابن ابى الحديد ج ٢

عليه السلام بمثل ذلك ، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البرآة من أعدائه وكاشف مخالفه ، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض»^(٤).

وأورد مثل هذا كل من ألم بتاريخ الشيعة وفرقه سواء كان من الشيعة أم من السنة . كما ذكرناه فيما قبل من مؤلفي الشيعة وكتبهم . ولقد ذكر ظهور السبئية من جديد والمجاهرة بعقائدهم الخبيثة بعد مقتل علي رضي الله عنه من كتب علماء السنة في الفرق من عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق^(٥) والأشعرى في مقالات الإسلاميين^(٦) والرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين^(٧) والأسفرائيني في التبصير^(٨) والشهرستاني في الملل والنحل^(٩) وابن حزم الظاهري في الفصل^(١٠) وأبو الحسن البلطى في التنبيه^(١١) والجرجاني في التعريفات^(١٢) والمقریزی في الخطط^(١٣).

فذكر كل واحد منهم أن عبد الله بن سبأ رجع بعد شهادة علي رضي الله عنه من منفاه وأظهر عقائده في عليّ آنذاك ، فيقول

(٤) فرق الشيعة للتوبختي ص ٤٣ - ٤٤ ط . النجف .

(٥) ص ٢٢٥ و ٢٣٣ .

(٦) ج ١ ص ٨٥ .

(٧) ص ٥٧ .

(٨) ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٩) ج ٢ ص ١١ الهوامش .

(١٠) ج ٤ ص ١٨٠ .

(١١) ص ٢٥ و ١٤٨ .

(١٢) ص ٧٩ .

(١٣) ج ص

الأسفرائيني :

ثم إن عليا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شماتة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنفى ابن سبأ إلى سباط المدائن ، فلما قتل علي رضى الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا» (١٤).

وكذلك قال الشهرستاني :

إنما أظهر عبد الله بن سبأ بعد انتقال علي عليه السلام واجتمعت عليه جماعته» (١٥).

فحاربه الحسن رضى الله عنه وحارب أفكاره وعقائده دأب أبيه كما ذكر ابن أبي الحديد الشيعي :

ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فمظهرها ، واتبعه قوم فسموا السبئية ، وقالوا : إن عليا عليه السلام لم يمت ، وإنه في السماء ، والرعد صوته والبرق ضوءه ؛ وإذا سمعوا صوت الرعد ، قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ! وقالوا في رسول الله صلى الله عليه وآله أغلظ قول ، وافتروا عليه أعظم فرية ، فقالوا : كتم تسعة أعشار الوحي ، فنقض عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه في رسالته ، التي يذكر فيها الإرجاء ، رواها عنه سليمان بن أبي شيخ ، عن الهيثم بن معاوية ، عن عبد العزيز بن أبان ، عن عبد الواحد بن أيمن المكي ، قال : شهدت الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية يملئ هذه الرسالة ، فذكرها وقال فيها : ومن قول هذه السبئية : هدينا لوحى ضل عنه الناس ، وعلم خفى عنهم ؛ وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتم تسعة أشعار الوحي ؛ ولو كتم

(١٤) الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ .

(١٥) الفصل ج ٢ ص ١١ . الهوامش .

صلى الله عليه وآله شيئاً مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد، وقوله تعالى : ﴿تبتغي مرضات أزواجك﴾ (١٦).

ولكن لم يكن محاربته إياهم مثل محاربة أبيه، فبدأ السبئية يزرعون بذور الفتنة والفساد ويثون سموم الخلاف والشقاق والفرقة بكل حرية وانطلاقة، وخاصة بعد أن تحاذل الشيعة عن الحسن وبعد تفرقهم عنه ودخول بعضهم في السبئية وميول بعضهم إلى معاوية والتحاق البعض الآخرين بالخوارج وغيرهم، ولقد صور هذه الأحوال شيخ الشيعة المفيد والأربلي الشيعي والمجلسي في كتبهم وهم يذكرون تحرك معاوية الى العراق :

«وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عدى يأمر العمال بالمسير واستنفر الناس للجهاد فتشاقلوا عنه ثم خفوا ومعه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، فسار حتى أتى حمام عمر ثم أخذ إلى دير كعب فنزل سباط دون القنطرة وبات هناك فلما أصبح أراد (ع) أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له ل يتميز بذلك أوليائه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام فأمر بهم أن ينادى بالصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق واثمنه على الوحي

صلى الله عليه وآله .

أما بعد : فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقه ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة ، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمتي ولا تردوا علي رأبي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا . قال : فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا : نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه ، فقالوا : كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه وانهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عائقه ، فبقى جالساً متقلداً السيف بغير رداء ، ثم دعا بفرسه فركبه واحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده فقال : ادعوا إلي ربيعة وهمدان فدعوا فاطافوا به ودفعوا الناس عنه عليه السلام وسارومعه شوب من غيرهم ، فلما مرفى مظلم سابط بدر إليه رجل من بني اسد يقال له الجراح بن سنان فاخذ بلجام بغلته وبيده مغول وقال الله أكبر أشركت يا حسن ! كما أشرك أبوك من قبل ، ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم ثم اعتنقه الحسن عليه السلام وخرا جميعاً إلى الأرض ، فوثب إليه رجل من شيعة الحسن (ع) يقال له عبد الله بن خطل الطائي فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه فاكب عليه آخر يقال له ظبيان بن عمارة فقطع أنفه فهلك من ذلك ، وأخذ آخر كان معه فقتل ، وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فاقره الحسن عليه السلام على ذلك ، واشتغل الحسن عليه السلام

بنفسه يعالج جرحه ، وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له في السرواستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به وبلغ الحسن عليه السلام ذلك وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضى الله عنه وكان قد انقذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة ليلقى معاوية ويرده عن العراق وجعله أميراً على الجماعة ، وقال : إن أصبت فالأمير قيس بن سعد ، فوصل كتاب قيس بن سعد يخبره انهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الحبوية بازاء مسكن وإن معاوية أرسل إلى عبيد الله ابن العباس يرغبه في المسير اليه وضمن له ألف ألف درهم يعجل له منها النصف ويعطيه النصف الآخر عند دخوله إلى الكوفة ، فانسل عبيد الله في الليل إلى معسكر معاوية في خاصته ، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم ، فصلى بهم قيس بن سعد رضى الله عنه ونظر في أمورهم فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له وفساد نيات المحكمة فيه بما اظهروه له من السب والتكفير له واستحلال دمه ونهب أمواله ، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصته من شيعة أبيه وشيعته ، وهم جماعة لا تقوم لإجناد الشام ، فكتب إلى معاوية في الهدنة والصلح ، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه ، فاشتراط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة وعقد له عقوداً كان الوفاء بها مصالح شاملة ، فلم يثق به الحسن «ع» وعلم باحتياله بذلك واغتياله غير انه لم يجد بدا من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وانفاذ الهدنة لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له ، وما انطوى عليه كثير منهم في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه ، وما كان من خذلان ابن عمه له ومصيره إلى

عدوه وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة . فتوثق «ع» لنفسه من معاوية بتوكيد الحجة عليه والأعذار فيما بينه وبينه عند الله تعالى وعند كافة المسلمين واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين «ع» والعدول عن القنوت عليه في الصلاة وإن يؤمن شيعته رضى الله عنهم ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ، ويوصل إلى كل ذى حق منهم حقه فاجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهده عليه وحلف له بالوفاء» (١٧) .

وزاد على ذلك ابن أبى الحديد الشيعي :

لما أراد الحسن أن يرتحل إلى المدائن قام فخطب الناس فقال : أيها الناس ؛ إنكم بايعتموني على أن تسالموا من سالمته وتحاربوا من حاربت ، وإنى والله ما أصبحت محتملا على أحد من هذه الأمة ضعينة في شرق ولا غرب ، ولما تكرهون في الجماعة والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون في الفرقة ، والخوف والتباغض والعداوة ، وإن عليا أبى كان يقول : لا تكرهوا إمارة معاوية ؛ فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الرءوس تنذر عن كواهلها كالحنظل . ثم نزل .

فقال الناس : ما قال هذا القول إلا وهو خالع نفسه ومسلم الأمر لمعاوية ، فثاروا به فقطعوا كلامه ، وانتهبوا متاعه ، وانتزعوا مطرفا عليه ، وأخذوا جارية كانت معه ، واختلف الناس فصارت طائفة معه ؛ وأكثرهم عليه ، فقال : اللهم أنت المستعان ، وأمر بالرحيل ، فارتحل الناس ، وأتاه رجل بفرس ، فركبه وأطاف به بعض أصحابه ، فمنعوا الناس عنه وساروا ، فقدمه سنان بن الجراح الأسدي إلى مظلم سابط ، فأقام به فلما دنا منه تقدم إليه يكلمه ، وطعنه في فخذه بالمعول طعنة كادت تصل إلى

(١٧) الارشاد للمفيد ص ١٨٩ - ١٩١ ، جلاء العيون للمجلسي ص ٩٠ وما بعد ، كشف الغمة للاربلج ج ٢ ص ٦٥ ط . بيروت ، ومثل ذلك في تاريخ يعقوبى الشيعي ص ٢١٤ - ٢١٥ ، مروج الذهب ص ٤٣١ .

العظم، فغشى عليه وابتدره أصحابه» (١٨).

ولقد صرح المؤرخون والكتاب من الشيعة بأن الذين غصبوا الحسن وانهبوا مزاربه وما فيها وجرحوه كانوا من ساباط المدائن، وهى المحل الذى نفى إليه عبد الله بن سبأ من قبل علي رضى الله عنه، وكانوا متأثرين بأفكاره وعقائده والساعين فى الفرقة والاختلاف، ومن بينهم كان فريسة السبئية المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى كان له شأن فيما بعد والذى أظهر نفس العقائد التى تلقنها من عبد الله بن سبأ اليهودى الماكر الخبيث ومن السبئية الماكرة الخبيثة، ولقد ذكر المؤرخون أن الحسن بن علي رضى الله عنه دخل المدائن ونزلها وهو جريح على علم المختار :

فقال له المختار وهو شاب: هل لك فى الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تأخذ الحسين بن علي وتقيده وتبعثه إلى معاوية، فقال له عمه: قبحك الله وقبح ما جئت به، أغدر بابن بنت رسول الله ﷺ (١٩).

ولما رأى الحسن ذلك ومعاملة السبئية من جانب، وتحاذل الشيعة من جانب، وإراقة الدماء من ناحية أخرى رأى الصلح خيراً، ولقد ذكر المؤرخ الشيعى يعقوبى:

وحمل الحسن الى مدائن وقد نزع نزفا شديدا، واشتدت به العلة، فافترق الناس عنه، وقدم معاوية الى العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلة، فلما رأى الحسن أن لا قوة به، وأن اصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن

(١٨) شرح النهج لابن أبى الحديد ج ١٦ ص ٣٦.

(١٩) الطبرى ج ٦ ص ٩٢، ابن الاثير ج ٣ ص ٢٠٣، ابن كثير ج ٨ ص ١٤، واللفظ له.

دماءكم بآخرنا ، وقد سالت معاوية ، وان أدري لعله فتنة لكم وممتع الى حين» (٢٠) .

ولم يكتف الحسن بصلحه مع معاوية وتسليمه الأمر له ، بل وأكثر من ذلك بايعه على رؤس الأشهاد وبمن معه من اخوانه وقادة جيشه كما ذكر الرجالي الشيعي المشهور ، الكشي عن جعفر بن الباقر أنه قال :
ان معاوية كتب الى الحسن عليه السلام أن أقدم أنت والحسين وأصحاب علي ، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وقدموا الى الشام فأذن لهم معاوية وأعد لهم الخطباء فقال : يا حسن قم فبايع ، ثم قال للحسين عليه السلام : قم فبايع ، فقام فبايع ، ثم قال : يا قيس قم فبايع ، فالتفت الى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره فقال : يا قيس انه إمامي - يعنى الحسن عليه السلام» (٢١) .

وذكر مثل هذا شيعي متعصب المجلسي في كتابه (جلاء العيون) الفارسي (٢٢) وثقة محدثي الشيعة العباس القمي في تاريخه الفارسي الكبير منتهى الآمال (٢٣) وكذلك ابن أبي الحديد الشيعي في كتابه شرح نهج البلاغة (٢٤) .

وعندئذ افترق الشيعة بفرق أخرى :

«لما وادع الحسن معاوية وأخذ منه المال الذي بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته فدخلوا في مقالة جمهور الناس وبقي سائر أصحابه على إمامته إلى أن قتل ، فلما تنحى عن محاربة معاوية وانتهى الى مظلم ساباط وثب عليه رجل من هنالك يقال له الجراح بن سنان فأخذ بلجام دابته ثم قال الله أكبر اشركت كما

(٢٠) تاريخ البعقوبى ج ٢ ص ٢١٥ .

(٢١) رجال الكشي ص ١٠٢ .

(٢٢) ج ١ ص ٣٩٥ .

(٢٣) ص ٣١٦ .

(٢٤) شرح النهج ج ١٦ ص ٣٨ .

أشرك أبوك من قبل وطعنه بمعول في أصل فخذة فقطع الفخذ الى العظم ، فاعتنقه الحسن وخرا جميعاً فاجتمع الناس على الجراح فوطئوه حتى قتلوه ثم حمل الحسن على سرير فأتى به المدائن ، فلم يزل يعالج بها في منزل سعد بن مسعود الثقفي حتى صلحت جراحته ثم انصرف الى المدينة فلم يزل جريحاً من طعنته كاظماً لغيظه متجرعاً لريقه على الشجا والأذى من أهل دعوته حتى توفي عليه السلام في آخر صفر سنة سبع وأربعين وهو ابن خمس وأربعين سنة وستة أشهر ، وقال بعضهم أنه ولد سنة ثلاث من الهجرة من شهر رمضان وإمامته ست سنين وخمسة أشهر» (٢٥) .

ففرقة ثبتوا مع الحسن بعد هذا الصلح وبايعوا معاوية رضى الله عنه معه ، وأطاعوا وأخلصوا له الوفاء طيلة حياتهم من سنة إحدى وأربعين الى سنة ستين من الهجرة ، وكان على رأس هؤلاء أولاد علي رضى الله عنه وأهل بيته من الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس وأبناء عقيل وجعفر وغيرهم من الهاشميين الكبار من أسرة النبي ﷺ يعتقدون نفس الاعتقادات التي كان يعتقدوها المسلمون عامة من أصحاب النبي ﷺ بدون تكفير أحد وتفسيق أحد من المسلمين ، متحدين متفقين ، ناسين الخلافات التي حدثت ، ومعرضين عن الوقائع التي وقعت ، متأخين متزوجين فيما بينهم كما ذكرنا ذلك مفصلاً فيما سبق ، وفرقة مالت عن الحسن والحسين وقالت بإمامة محمد بن الحنفية وعرفت بعد ذلك بالكيسانية وقويت بعدما صالح الحسن معاوية وازدادت قوتها وشوكتها وحملت نفس الأفكار التي كانت تحملها السبئية ، وتطورت فيما بعد تطوراً سريعاً ، وتشعبت منها فرق شيعية كثيرة أخرى

كما سنذكرها فيما بعد، ولقد ذكرها النوبختي الشيعي في الفرق التي نشأت بعد قتل علي رضي الله عنه وعدها من إحدى الثلاث التي كانت في عهد الحسن، فانه قال:

فلما قتل علي عليه السلام افرقت التي ثبتت على إمامته . . . فصاروا فرقا ثلاثا، أولا: السبئية، وثانيا: فرقة قالت بإمامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسموا الكيسانية، وانما سموا بذلك لأن المختار بن أبي عبيد الثقفي كان رئيسهم وكان يلقب كيسان وهو الذي طلب بدم الحسين بن علي صلوات الله عليهما وثأره حتى قتل من قتلته وغيرهم من قتل وادعى أن محمد بن الحنفية أمره بذلك وأنه الإمام بعد أبيه، وإنما لقب المختار كيسان لأن صاحب شرطته المكنى بابي عمرة كان اسمه وكان أفرط في القول والفعل والقتل من المختار جداً، وكان يقول أن محمد بن الحنفية وصي علي بن أبي طالب وأنه الإمام وأن المختار قيمه وعامله، ويكفر من تقدم علياً ويكفر أهل صفين والجملة، وكان يزعم أن جبرئيل عليه السلام يأتي بالوحي من عند الله عز وجل فيخبره ولا يراه، وروى بعضهم أنه سمي بكيسان مولى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الذي حمله على الطلب بدم الحسين بن علي عليه السلام ودله على قتلته وكان صاحب سره ومؤامرتة والغالب على أمره» (٢٦).

وبذلك صرح الشهرستاني:

ومن قالوا إن الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلام فمنهم من قال: إنما نص على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية . . . وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية فقال بالنص

(٢٦) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٤-٤٥، ومثل ذلك ورد في رجال الكشي ص ١١٧.

على الحسن والحسين وقال: الإمامة في الأخوين الحسن والحسين» (٢٧).
وبذلك القول قال القاضي النعمان (٢٨) الشيعة الفاطمي أو الاثنا
عشرى على اختلاف الأقوال:

واختلفوا وكثر الكلام، فقال قوم:

انه الامام بعد علي والوصي بنا وأسقطوا الحسن والحسينا
ثم غلوا فيه فقالوا: لم يمت بل هوفى شعب برضوى قد ثبت
بين اسود فيه وكلوا به يأتيه قالوا رزق من ربه (٢٩)
وقد ذكر الكيسانية من السنة كل من البغدادى فى الفرق بين
الفرق (٣٠) والأشعرى فى مقالات الاسلاميين (٣١) والملطى فى التنبيه (٣٢)
والرازى فى اعتقادات فرق المسلمين والمشرىين (٣٣) والاسفرائينى فى
التبصير (٣٤) وابن خلدون (٣٥) وابن حزم فى الفصل (٣٦) والمقرىزى
وغيرهم.

وفرقه تركت التشيع مطلقا بعد صلح الحسن مع معاوية رضى الله
عنهما ولم يعدوا أنفسهم من الشيعة فيما بعد:

(٢٧) الملل والنحل ج ١ ص ٢٨- ٢٩ الهوامش .

(٢٨) هو أبو حنيفة النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن الحيوان التميمى المغربى ،
عاش فى النصف الأول من القرن الرابع من الهجرة، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٤هـ، وصلى عليه الإمام
الفاطمى المعز لدين الله، وهو من الأعلام الثلاثة من الدعاة الفاطميين، وهو علمهم وأسبقهم وقدمهم،
عاصر أربعة من الخلفاء الفاطميين من المهدي مؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب إلى المعز لدين الله فى
مصر) مقدمة تأويل الدعائم ص ١٢، ١٣).

وينسبه الشيعة الاثنا عشرية إلى طائفتهم (أنظر مستدرك الوسائل للنورى الطبرسى وغيره).

(٢٩) الارجوزة المختارة للقاضى النعمان ص ٢٢٤- ٢٢٥ ط.

(٣٠) ص ٣٨.

(٣١) ج ١ ص ٨٩.

(٣٢) ص ٢٩ و ١٤٨.

(٣٣) ص ٦٢.

(٣٤) ص ٣٥.

(٣٥) ص ١٩٨.

(٣٦) ج ٤ ص ١٧٩.

لما واعد الحسن معاوية وأخذ المال الذى بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته ، فدخلوا فى مقولة جمهور الناس» (٣٧) .

وأما السبئية فلقد انتشرت انتشارا فظيعا فى هذا العصر ، كما أقر بذلك مؤرخ شيعى بقوله :

فقد ظهرت هذه البدعة الضالة وسرت سريان الوباء الى نفر من أهل العراق - ثم ذكر أسباب انتشارها فيهم نقلا عن ابن أبى الحديد لأنهم - كانوا من ركافة البصائر وضعفها على حال مشهور فلا عجب من مثلهم أن تستخفهم المعجزات - التى رأوها من علي (ع) ، فيعتقدوا فى صاحبها أن الجوهر الالهى قد حل فيه . وقد قيل إن جماعة من هؤلاء من نسل النصارى واليهود ، وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول فى أنبيائهم ، فاعتقدوا فيه عليه السلام مثل ذلك . ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا ادخال الالحاد فى دين الاسلام» (٣٨) .

الشيعة أيام الحسين رضى الله عنه

ولما توفى الحسن رضى الله عنه واجتمع الشيعة حول أخيه الحسين رضى الله عنه حدثت حادثة كبيرة ، ووقعت كارثة عظيمة ، ألا وهى خروج الحسين على يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه وقتله فى كربلاء . ونقف برهة يسيرة قبل أن نذكر تفرق الشيعة بعد هذه الكارثة لسرد وبيان تحاذل الشيعة وغدرهم عن الحسين ، فلقد ذكر اليعقوبى المؤرخ الشيعى

(٣٧) فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٦ .

(٣٨) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين ص ١٠٥ .

الغالى أن يزيد بن معاوية لما تولّى الخلافة بعد أبيه كتب الى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة بن أبى سفيان أن يأخذ البيعة من الحسين بن علي رضى الله عنهما ولما طلب الوليد منه ذلك :

فخرج الحسين الى مكة، فأقام بها أياما، وكتب أهل العراق اليه، ووجهوا بالرسل على أثر الرسل، فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هانىء بن أبى هانىء، وسعيد بن عبد الله الخثعمي :

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين، أما بعد فحيّ هلا، فان الناس ينتظرونك، لا إمام لهم غيرك، فالعجل ثم العجل والسلام» (٣٩).

والمؤرخ الشيعي الآخر المسعودي يكتب :

ولما مات معاوية راسل أهل الكوفة (٤٠) الى الحسين بن علي : انا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك، ونحن نموت دونك، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة» (٤١).

(٣٩) تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٤١، ٢٤٢، ومثل ذلك في الارشاد للمفيد ص ٢٠٣ * وكشف الغمة للاربلى ج ٢ ص ٣٢.

(٤٠) نعم الكوفة التى كان مركزا للشيعه ومرتعا خصبيا حتى قالوا فيها :

وأما الكوفة وسوادها فهناك شيعه على بن ابى طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف.

وأما الجزيرة فحرورية مارقة. وأما أهل الشام فليس يعرفون الا أبى سفيان وطاعة بنى مروان. . . . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليها أبوبكر وعمر (عيون الأخبار للرضاء نقلا عن الشيعة فى التاريخ).

وروا عن جعفر أنه قال :

ان الله عرض ولايتنا على أهل الامصار فلم يقبلها الا أهل الكوفة (بصائر الدرجات ج ٢ الباب العاشر).

وايضا ما رواه الكليني فى كافيه عن عبد الله الوليد الكندى :

قال : دخلنا على ابى عبد الله عليه السلام فى زمن مروان، فقال : من أنتم؟ فقلنا : من أهل الكوفة، فقال : ما بلدة من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة، ولا سيما هذه العصابة، ان الله جل ذكره هداكم لأمر جهله الناس وأحببتمونا وأبغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس، فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا (الروضة من الكافى)

(٤١) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٤.

وكتبنا أخرى : فقد اخضرت الجنات ، وأينعت الثمار ، فاذا شئت فاقبل على جند لك مجندة» (٤٢) .

ولما تواترت الرسائل وكثرت ، واشتد طلب الكوفيين :
وجه إليهم مسلم بن عقيل بن أبى طالب وكتب إليهم ، وأعلمهم
أنه إثر كتابه ، فلما قدم مسلم الكوفة اجتمعوا إليه ، فبايعوه وعاهدوه
وعاقده ، وأعطوه المواثيق على النصر والمشايعة والوفاء (٤٣) .
وزاد المفيد : فبايعوه وهم يبيكون ، وتجاوز عددهم ثمانية عشر
ألفا» (٤٤) .

وبعد أيام وصل إليه من مسلم بن عقيل :
ان لك مائة ألف ، ولا تتأخر» (٤٥) .

فتحرك نحو الكوفة ، فأتاه ابن العباس من بنى هاشم وقائد
جيوش علي رضى الله عنه ومستشاره الخاص والرجل المجرب المحنك
الذى كان يعرف شيعة زمانه حق المعرفة فقال له - كما نقل المسعودى
الشيعى - :

يا ابن عم ، قد بلغنى أنك تريد العراق ، وإنهم أهل غدر ، وإنما
يدعونك للحرب ، فلا تعجل ، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت
المقام بمكة فاشخص الى اليمن ، فانها فى عزلة ، ولك فيها أنصار
وإخوان ، فأقم بها واث دعائك ، واكتب الى أهل الكوفة وأنصارك
بالعراق أن يخرجوا أميرهم ، فان قووا على ذلك ونفوه عنها ، ولم يكن بها
أحد يعاديك أتيتهم ، وما أنا لغدرهم بآمن ، وان لم يفعلوا أقمت بمكانك
إلى أن يأتى الله بأمره ، فان فيها حصونا وشعوبا ، فقال الحسين : يا ابن

(٤٢) اعلام الورى للطبرسى ص ١٠٢٢٣ الارشاد للمفيد ص ٢٢٠ .

(٤٣) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٤٤) الارشاد ص ٢٢٠ .

(٤٥) الارشاد للمفيد ص ٢٢٠ .

عم ، انى لأعلم أنك لى ناصح وعلى شفيق ، ولكن مسلم بن عقيل كتب إلى باجتماع أهل المصر على بيعتى ونصرتى ، وقد أجمعت على المسير اليهم ، قال : انهم من خبرت وجربت ، وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدا مع أميرهم - ما أصدقه وما أحنك به وأخبر بهم - انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم إليك ، وكان الذين كتبوا إليك أشد من عدوك ، فان عصيتنى وأبيت إلا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك ، فوالله انى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه» (٤٦) .

هذا ما قاله عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، وله من المنزلة والمقام عند علي رضى الله عنه ما لا يخفى على أحد حتى كتب مفيد الشيعة :

كان أمير المؤمنين يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن العباس» (٤٧) .

وهذا ما كان يحمل من الشيعة ، وكيف لا وقد قال فيهم علي رضى الله عنه نفسه : لوددت أن معاوية صاربنى بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ منى عشرة منكم وأعطانى رجلا منهم» (٤٨) .

ثم أيد ابن عباس أبو بكر بن هشام فى وصف الشيعة بالغدر والخيانة وعدم الخروج إليهم كما نقله الشيعة المسعودى : دخل أبو بكر بن الحارث بن هشام على الحسين فقال : يا بن عم ، إن الرحم يظائرني عليك ، ولا أدري كيف أنا فى النصيحة لك ، فقال : يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش ولا يتهم ، فقل ، فقال أبو بكر : كان أبوك أقدم سابقة ، وأحسن فى الاسلام أثراً ، وأشد بأساً ، والناس له أرجى ، ومنه أسمع

(٤٦) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٥ .

(٤٧) الارشاد للمفيد ص ١٤ .

(٤٨) نهج البلاغة

وعليه أجمع ، فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام وهو أعز منه ، فخذلوه ، وتناقلوا عنه ، حرصاً على الدنيا ، وضناً بها ، فجرعوه الغيظ ، وخالفوه حتى صار الى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه ، ثم صنعوا بأخيكم بعد أبيك ما صنعوا ، وقد شهدت ذلك كله ورأيت ، ثم أنت تريد أن تسير الى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى ، والناس منه أخوف ، وله أرجى ، فلو بلغهم مسيرك إليهم لاستطغوا الناس بالأموال ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك من وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره ، فاذكر الله في نفسك ، فقال الحسين : جزاك الله خيراً يا ابن عم ، فقد أجهدك رأيك ، ومهما يقض الله يكن ، فقال : إنا لله وعند الله نحسب يا أبا عبد الله ، ثم دخل على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي والي مكة وهو يقول :

كم نرى ناصحاً فيعصى وظنين المغيب يلقى نصيحاً
فقال : وما ذاك ؟ فأخبره بما قال للحسين ، فقال : نصحت له ورب الكعبة» (٤٩) .

ثم ونقل القصة بكاملها من الشيعة أنفسهم كي يعرف ويدرك خيانة القوم وجبنهم . فيذكر المسعودي :

واتصل خبر مجيء مسلم الكوفة بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة ؛ فخرج من البصرة مسرعاً حتى قدم الكوفة على الظهر ، فدخلها في أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها ، وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل بن زياد يسلم على الناس فيقولون ؛ عليك السلام يا ابن رسول الله ! قدمت خير مقدم ،

حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم اشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله مالي وما لك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم، وحسر اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانة، وحصبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر، ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانيء بن عروة المرادي، ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه، فوجه محمد بن الأشعث ابن قيس الى هانيء، فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره فأغلظ له ابن زياد القول، فقال هانيء: إن لزياد أيبك عندي بلاء حسناً، وأنا احب مكافأته به، فهل لك في خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟ قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك، فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر انفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هانيء بيده الى قائم سيف شرطي من تلك الشرط، فجاذبه الرجل، ومنعه السيف، وصاح أصحاب هانيء بالباب: قتل صاحبنا، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه في بيت الى جانب مجلسه، وأخرج اليهم ابن زياد شريحاً القاضى، فشهد عندهم أنه حى لم يقتل، فانصرفوا، ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانيء، أمر منادياً فنادى «يامنصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع اليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار الى ابن زياد، فتحصن منه، فحصره في القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كنده، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد، فبقى

حائراً لا يدري أين يذهب، ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجه، حتى انتهى الى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقاها ماء فسقته، ثم سأله عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته، وجاء ابنها فعلم بموضعه، فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فأعلمه، فمضى ابن الاشعث الى ابن زياد فأعلمه» (٥٠).

فقتله وقتل هانىء بن عروة وهو يصيح :

يآل مراد، وهو شيخها وزعيمها، وهو يومئذ يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً فشلا وخذلانا» (٥١).

فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحربن يزيد التميمي فقال له : أين تريد يا ابن رسول الله ؟ قال : أريد هذا المصر، فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره، ثم قال : ارجع، فاني لم أدع خلفي خيراً ارجوه لك، فهم بالرجوع فقال له أخوة مسلم : والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل كلنا، فقال الحسين : لا خير في الحياة بعدكم» (٥٢).

ثم قال للناس :

أما بعد فانه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة وعبد الله بن يقطرو قد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس معه ذمام فتفرق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقى في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفريسير ممن انضموا إليه وإنما فعل ذلك لأنه (ع) علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما

(٥٠) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٥٧، ٥٨.

(٥١) مروج الذهب ص ٥٩.

(٥٢) ايضاً ص ٦٠، ٦١.

اتبعوه وهم يظنون انه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله ، فكره ان يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون ، فلما كان السحر أمر أصحابه فاستقوا ماء واكثروا ثم ساروا حتى مربطن العقبة فنزل عليها فلقيه شيخ من بنى عكرمة يقال له عمرو بن لوزان فسأله أين يريد فقال له الحسين (ع) الكوفة فقال الشيخ انشدك لما انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف وان هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فأما على هذه الحالة التي تذكر فاني لا أرى لك ان تفعل فقال له يا عبد الله ليس يخفى على الرأي وان الله تعالى لا يغلب على أمره» (٥٣) .

ثم ارتحل الى الكوفة فلقى في الطريق واحداً من أهل الكوفة وأخبره عن غدرهم وتحاذلهم وجبنهم قائلاً :
ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن يكونوا عليك» (٥٤) .

ولما عارضه ورفاقه جيش الكوفة ورأى منهم عكس ما كتبوا وقالت رسلهم ، وتنكروا ما كتبوا اليه قال لبعض أصحابه :
اخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم الي ، « فأخرج خرجين مملوئين كتباً فنشرت بين يديه» (٥٥) .

فأنكروا عليه هذه الكتب والرسائل ، ثم سار حتى وصل كربلاء :
فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال :
اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا ، فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه . . . وكان جميع من حضر مقتل الحسين

(٥٣) الارشاد للمفيد ص ٢٢٣ ، اعلام الوری للطبرسی ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، جلاء العيون للمجلسي ج ٢ ص ٥٤٠ .

(٥٤) الارشاد ص ٢٢٢ .

(٥٥) اعلام الوری ص ٢٣٢ ، الارشاد ص ٢٢٥ ، جلاء العيون ص ٥٤١ - ٥٤٢ .

من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة، فلم يحضرهم شامي» (٥٦).

ثم يذكر اليعقوبى الشيعى المتحمس - كما يسميه وهوزن - «أن أهل الكوفة لما قتلوه، انتهبوا مضاربه وابتزوا حرمه، وحملوهن الى الكوفة، فلما دخلن إليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين، فقال على بن الحسين: هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا؟» (٥٧).

وهنا نريد أن نثبت ما ذكره وهوزن المستشرق الالماني المتعاطف على الشيعة:

ولم يكن جمهور أهل الكوفة حريصاً على مساعدة الحكومة، ولكنه مع ذلك لم ينضم إلى صف أعدائها. وحتى أولئك الذين بعثوا بالكتب إلى الحسين وأقسموا على الاخلاص له تخلوا عنه في المحنة ولم يقدموا له يد المعونة، وقصارى ما فعلوه أنهم راقبوا المعركة من بعيد ومصرعه الأخير ثم بكوا. وقليلون جداً هم أولئك الذين تجاسروا على اللحاق به ومشاركته في مصيره، مثل أبى ثمامة الصائدى خازن بيت المال، وابن عوسجة. وعدا هذا فإن بعض الذين شاركوه في مصرعه إما أنهم كانوا من أولئك الذين التقطهم عرضاً في الطريق أو من أولئك الذين دفعتهم الحمية الانسانية في اللحظة الأخيرة إلى الانضمام إليه وإن لم يكن لهم من قبل شأن به أو لم يكونوا من شيعته. وقد أبرز المؤرخون هذا التعارض بين المكلفين، الذين لم يعملوا شيئاً، وبين غير المكلفين الذين أخرجوا الأولين، أبرزوه وعرضوه أحياناً عرضاً درامياً. وما هو جدير بالاعتبار أن الأنصار أيضاً، لا القرشيون وحدهم، قد تخلوا عن الحسين، فلم يخرج من المدينة واحد منهم معه ولم يكن منهم بين شيعة الكوفة إلا أفراد قلائل

(٥٦) مروج الذهب ج ٣ ص ٦١.

(٥٧) تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٣٥.

جداً. والثورة التي قامت في المدينة سنة ٦٣ هـ لم تكن من أجل آل علي،
كما أن علي بن الحسين نفّض يديه منها.

وفي مقابل الجبناء وغير المخلصين كان أعداء الشيعة الصرحاء
وهم أتباع حكومة بنى أمية وموظفوها. ولم يكن الجدال يدور حول أمور
دينية إيمانية» (٥٨).

وعلى ذلك قال البغدادى :

روافض الكوفة موصوفون بالغدر، والبخل، وقد سار المثل بهم
فيهما، حتى قيل : أبخل من كوفى، وأغدر من كوفى، والمشهور من
غدرهم ثلاثة أشياء :

أحدهما : أنهم بعد قتل علي رضى الله عنه بايعوا ابنه الحسن، فلما
توجه لقتال معاوية غدروا به في سبابط المدائن، فطعنه سنان الجعفى في
جنبه فصرعه عن فرسه، وكان ذلك أحد أسباب مصالحة معاوية.

والثانى : أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضى الله عنه، ودعوه الى
الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم، وخرج إليهم، فلما بلغ
كربلاء غدروا به، وصاروا مع عبيد الله بن زياد يدا واحدة عليه، حتى
قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء.

والثالث : غدرهم يزيد بن علي بن الحسين بن أبى طالب بعد أن
خرجوا معه على يوسف بن عمر، ثم نكثوا بيعته وأسلموا عند اشتداد
القتال حتى قتل وكان من أمره ما كان» (٥٩).

فهؤلاء كانوا الشيعة، شيعة علي والحسن والحسين، وهذه هي
كانت معاملتهم لأئمتهم وقادتهم.

(٥٨) الخوارج والشيعة ص ١٣٤.

(٥٩) الفرق بين الفرق ص ٣٧.

ولقد فصلنا في ذلك القول لأنه بعد هذه الحادثة حصل في التشيع تطور كبير، وبدأ يتجه الى اتجاه ديني ويصنع بصبغة مذهبية بعد أن كان سياسياً بحتاً، يرى رأى علي وأولاده مقابل معاوية وبنى أمية. وبذلك صرح وهوزن بكل وضوح حيث يذكر مقتل الحسين وبعده قيام المختار بأسم الثأر، فيقول:

كان التشيع في الكوفة آنذاك قد لبس ثوباً جديداً. وقد عرفنا من قبل المعنى الذي كان يدل عليه في الأصل. لقد كان تعبيراً عن الاتجاه السياسى العام لمعارضة العراق لسلطان الشام. وفي بادىء الأمر كان الأشراف صفاً واحداً مع سائر الناس ويتولون قيادتهم. ولكن حينما أحرق الخطر تراجعوا واستلنوا لاغراء الحكومة (حكومة الأمويين في الشام) ثم استخدموا للقضاء على الثورات الشيعية. وبهذا انفصلوا عن الشيعة، فتحدد نطاق التشيع واتخذ شيئاً فشيئاً صورة فرقة دينية في تعارض مع الأرستقراطية ونظام العشائر، وأصبح بفضل استشهاد زعمائه وأوليائه ذا طابع مثالي خيالي. وكان أنصار سليمان بن صرد يرمون إلى الثورة على أرستقراطية العشائر في الكوفة. ولكن المختار كان أول من نفذ هذا الغرض وحققه عملياً. وإلى هذه الحركة اجتذب الموالي أيضاً. وهؤلاء كان اجتذابهم سهلاً لأنهم كانوا ذوى نزعة واضحة إلى الحكم الدينى، لا القومى الشعبوى، وإن كان العرب هم الذين كانوا يتولونه حتى ذلك الحين، كما كانوا - أعنى الموالي - يكرهون المتعصبين لسيادة العرب.

فلما ارتبطت الشيعة بالعناصر المضطهدة تخلت عن تربية القومية العربية وكانت حلقة الارتباط هى الاسلام. ولكنه لم يكن ذلك الاسلام القديم، بل نوعاً جديداً من الدين» (٦٠).

وبدأ التشيع يحمل الأفكار الأجنبية المدسوسة، كما بدأ يحصل فيه التفرق الكثير، «وصار مأوى وملجأ لكل من أراد هدم الاسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهوائهم، فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقال الشيعة: ان النار محرمة على كل شيعة الا قليلا، كما قال اليهود: لن تمسنا النار الا اياما معدودات، والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم: ان نسبة الامام الى الله كنسبة المسيح اليه، وقالوا: ان اللاهوت اتحد بالناسوت في الامام، وان النبوة والرسالة لا تنقطع أبدا، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي، وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية، وما في نفوسهم الا الكره للعرب ودولتهم، والسعى لاستقلالهم» (٦١).

كما نقل عن المقرئى أنه قال:

إن الفرس كانوا ذوى سعة وعلويد على جميع الامم وجلالة الخطر في أنفسهم بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الاحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكان العرب عند الفرس أقل الامم خطرا، تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق... فرأوا أن كيده على

الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى» (٦٢) .

ونرجع الآن الى تفرقهم واختلافهم بعد ذكرنا إياهم وخذلانهم مناصرة زعمائهم ومن كانوا يدعون حبهم وموالاتهم ، فبعد قتل الحسين رضى الله عنه افرقت الشيعة ثلاث فرق كما يذكر النوبختي :

الكيسانية

فلما قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت : قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقاً واجباً صواباً من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم . وكثرة أصحاب يزيد لعنة الله عليه حتى قتل وقتل أصحابه جميعاً باطل غير واجب لأن الحسين كان أعذر في القعود عن محاربة يزيد وطلب الصلح والموادة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية . وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدته يزيد بن معاوية حتى قتل وقتل ولده وأصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية و قتاله ومعه الكثير باطل فشكوا لذلك في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام وبقي سائر أصحاب الحسين على القول الأول بإمامته حتى مضى .

ثم افرقوا بعده ثلاث فرق : (ففرقة) قالت بإمامة محمد بن الحنفية وزعمت انه لم يبق بعد الحسن والحسين أحد أقرب إلى أمير المؤمنين عليه السلام من محمد بن الحنفية فهو أولى الناس بالامامة كما

كان الحسين أولى بها بعد الحسن من ولد الحسن فمحمد هو الامام بعد الحسين .

(وفرقه) قالت إن محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى هو الإمام المهدي وهو وصي علي بن أبي طالب عليه السلام ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر سيفه إلا بإذنه وإنما خرج الحسن بن علي إلى معاوية محاربا له بإذن محمد ووادعه وصالحه بإذنه وإن الحسين إنما خرج لقتال يزيد بإذنه ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلا وإن من خالف محمد بن الحنفية كافر مشرك وأن محمداً استعمل المختار بن أبي عبيد على العراقيين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين وثأره وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا وسماه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه ومذهبه فيهم فهم يسمون (المختارية) ويدعون : الكيسانية» (٦٣) .

ولقد ذكرنا قبل ذلك أن الكيسانية وجدت بعد قتل علي رضي الله عنه ولكن غلب هذا الاسم على المختارية، ومن الكيسانية تفرعت فروع كثيرة، وتفرقت فرق متعددة مثل الكرابية والحربية والرزازمية والبيانية والراوندية وأبو المسلمية والهاشمية والحارثية وغيرها الكثيرة الكثيرة (٦٤) .

ويجمع هذه الفرق كلها القول بإمامة محمد بن الحنفية والاعتقاد بالعقائد التي زرع بذورها السبئية وعبد الله بن سبأ، الغيبة والرجعة والتناسخ وغيرها، وفي ذلك قال شاعرهم :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيهم هم الأسباط ليس بهم خفاء

(٦٣) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٧-٤٨ .

(٦٤) انظر لمعرفة ذلك فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٨ وما بعد ومقالات الإسلاميين ص ٨٩ والفرق
الفرق ص ٣٨ وما بعد، والخور العين ص ١٥٧ وما بعد، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص
والتبصير للأسفرائيني، مقدمة ابن خلدون ص ١٩٩ وما بعد ط. مصر .

فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
 وسبط لا يذق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
 تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل وماء (٦٥)
 وقد أجاب على هذه الأبيات البغدادي في كتابه (الفرق بين
 الفرق) (٦٦).

وقال أحد الكيسانيين أيضا:

ألا حي المقيم بشعب رضوى وأهد له بمنزله السلاما
 أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما
 وعادوا فيك أهل الأرض طرا مقامك عنهم سبعين عاما
 لقد أمسى بجانب شعب رضوى تراجعته الملائكة الكلاما
 وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما
 وإن له به لمقيل صدق وأندية تحدثه كراما (٦٧)
 وأجابه البغدادي أيضا بقوله:

لقد أفنيت عمرك بانتظار لمن وارى التراب له عظاما
 فليس بشعب رضوى من إمام تراجعته الملائكة الكلاما
 ولا من عنده غسل وماء وأشربة يعل بها الطعاما
 وقد ذاق ابن خولة طعم موت كما قد ذاق والده الحماما
 ولو خلد امرؤ لعلو مجد لعاش المصطفى أبدا وداما (٦٨)

والجدير بالذكر أن من الكيسانية انتقلت الإمامة إلى بنى العباس
 لأن بعض فرقها اعتقدت انتقال الامامة من أبي هاشم بن محمد بن
 الحنفية إلى محمد بن علي بن العباس، ومنه إلى ابنه ابراهيم، ومن

(٦٥) الفرق بين الفرق ص ٤١ .

(٦٦) انظر ص ٤٢ .

(٦٧) فرق الشيعة ص ٥١ .

(٦٨) الفرق بين الفرق ص ٤٣ .

ابراهيم الى أبى العباس ، ومن أبى العباس الى أبى جعفر المنصور
المؤسس للدولة العباسية (٦٩).

ومن بين هذه الفرق كلها اشتهرت فرقة المختار بن أبى عبيد
الثقفى لما كان له من صولة وجولة باسم القصاص بدم الحسين رضى الله
عنه ، وقد ذكر المختار هذا ، الكشى فى (رجاله) عن محمد بن مسعود
قال : حدثنى ابن أبى علي الخزاعي قال : [حدثنى] خالد بن يزيد
العمري عن الحسن بن زيد عن عمر بن علي : أن المختار أرسل إلى علي
بن الحسين «ع» بعشرين ألف دينار فقبلها وبني بها دار عقيل بن أبى
طالب ودارهم التى هدمت . قال : ثم انه بعث إليه بأربعين ألف دينار
بعدما أظهر الكلام الذى أظهره فردها ولم يقبلها ، والمختار هو الذى دعا
الناس إلى محمد بن علي بن أبى طالب ابن الحنفية وسموا الكيسانية ،
وهم المختارية ، وكان لقبه كيسان ولقب بكيسان لصاحب شرطته المكنى
أبا عمرة وكان اسمه كيسان . وقيل انه سمى كيسان بكيسان مولى علي
بن أبى طالب «ع» وهو الذى حمله على الطلب بدم الحسين ودله على
قتله ، وكان صاحب سره والغالب على أمره ، وكان لا يبلغه عن رجل
من أعداء الحسين «ع» أنه فى دار أو موضع الا قصده وهدم الدار بأسرها
وقتل كل من فيها من ذى روح ، وكل دار بالكوفة خراب فهى مما هدمها ،
وأهل الكوفة يضربون به المثل فاذا افتقر انسان قالوا «دخل أبو عمرة بيته»
حتى قال فيه الشاعر :

ابليس بما فيه خير من أبى عمرة

يغويك ويطغيك ولا يعطيك كسرة (٧٠)

كما ذكره التوبختى الذى نقلنا عنه آنفا :

(٦٩) انظر فرق الشيعة ص ٦٩ ، مقدمة ابن خلدون ص ١٩٩

(٧٠) رجال الكشى ص ١١٧ .

ولقد ذكره وهوزن أيضاً بالتفصيل ، ولعل الحديث عنه أطول حديث في كتابه نقطع منه هذا الجزء لتصوير الرجل وتحليله الذى حلل به شخصيته :

كان المختارينعت بأنه سحار (الطبري ج ٢ ص ٧٣٠ س ١٣) ، وأنه «الدجال» (الطبري ص ٦٨٦ س ٧) ، ويوصف عادة بـ«الكذاب» . وهذا الوصف لا لأنه زعم أنه مكلف من قبل ابن الحنفية ، بل لأنه تبدى على أنه نبي . حقاً إنه لم يسم نفسه بهذا الاسم ، ولكنه أتى أفعالاً من شأنها أن تعطى عنه هذه الفكرة ، فكرة أنه نبي . وكان يتكلم وكأنه جالس فى الحضرة الإلهية ، يعلم الغيب ، ويسجع سجع الكهان بطلاقة ومهارة . ويريد أن يفرض شخصيته على الناس ، وأفلح فى هذا أيضاً وإن كان نجاحه لدى الخاصة والعقلاء أقل منه لدى العامة والدهماء . وطالما حالفه النصر اتسعت دوائر المؤمنين به . فلما منى بالهزيمة أدبرت عنه الدنيا . وراحت الروايات تطلق سهامها على ذكره بعد مقتله . فى البدء كانت تدمه دون أن تشوه صورته . ولكنها راحت بعد ذلك فى مرحلة متأخرة تنعته بنعوت أملاها الحقد . وهذه النعوت نفسها هى التى تسود الصورة التى كونتها عنه الأجيال التالية . ودوزي لا يستخدم غيرها لرسم الصورة التى عملها للمختار فى كتابه «مقالة فى تاريخ الاسلام» : فيقول عنه إنه هو الذى أمر بإطلاق الحمام البيض ، وأنه كان خارجياً ثم زبيرياً ثم شيعياً ، وأنه ابتدع القول بالبداء فى الله كيما يبرر تقلبه هو من مذهب الى مذهب . ولكن لا يحق للمرء أن يجعله معرضاً للسخرية من أجل أن يفهمه على حقيقته . ولحسن الحظ كان لنشر «تاريخ» الطبرى الفضل فى وضع حد لهذا النحو من تصوير الرجل .

فإن كان لابد من الإجابة عن السؤال : هل كان المختار نبياً صادقاً أو متنبئاً كاذباً؟ - فلا مناص من تعديله إلى هذه الصيغة : أكان المختار مخلصاً أم غير مخلص؟ قد يأخذ عليه المرء أنه استعان بالتنبؤ للوصول إلى الحكم . ولكن هذا المأخذ عينه قد يؤخذ على محمد ، وعلى المرء أن يلاحظ أن الإسلام دين سياسى وأن أى نبي مسلم لابد أن يسعى إلى الحكم . ولكن ما هو أشد من ذلك المأخذ خطراً وأكبر وزناً هو أنه تستر وراء شبح وناطور خيالى (هو محمد بن الحنفية) لم يعرف عن أمره شيئاً ولم يشأ أيضاً أن يعلم عن أمره شيئاً . فلم يكن ضميره نقياً من هذه الناحية ، ولكن الظروف فى ذلك الحين لم تسمح له - بوصفه مسلماً وشيعياً - أن يظهر باسمه هو الخاص ، بل كان عليه أن يخلق لنفسه مركز «أمين» للمهدى المستتر . . . وإن المختار اتخذ نقطة ابتدائه من بدعة غريبة غامضة اختط بها المختار وهى «السبئية» . والسبئية كانت قد اتخذت اتجاهها أنشأ سيطر على طبقات واسعة بحيث اضطرت الشيعة بوجه عام إلى اتخاذ موقف أشد حدة بإزاء الإسلام السني وازداد إبراز الخلافات بين الشيعة والسنة . والسبئية يسمون أيضاً «الكيسانية» وكان كيسان زعيماً للموالى ، فإن كان فى نفس الوقت زعيماً للسبئية ، فيستنتج من هذا أن السبئية والموالى كانوا شيئاً واحداً تقريباً (ص ٦٢٣ س ١٤ ، ص ٦٥١ س ٢) . واعتماداً على هذا الاستنتاج مضى البعض فزعم أن التشيع كمذهب دينى إيرانى الأصل ، لأن غالبية موالى الكوفة كانوا إيرانيين . قال دوزى (فى كتابه المذكور آنفاً ، ص ٢٢٠ وما يليها) : «كانت الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية ، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربى ، الذى يحب الحرية ، وبين الجنس الفارسى الذى اعتاد الخضوع كالعبيد . لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي أمراً

غير معهود ولا مفهوم ، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة في الحكم ، لهذا اعتقدوا أنه ما دام محمد لم يترك ولداً يرثه ، فإن علياً هو الذي كان يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل علي . ومن هنا فإن جميع الخلفاء - ما عدا علياً - كانوا في نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة . وقوي هذا الاعتقاد عندهم كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية ، فكانوا في الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم . وهم قد اعتادوا أيضاً أن يروا في ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته . فالطاعة المطلقة «للإمام» الذي من نسل علي - كانت في نظرهم الواجب الأعلى ، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب ، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيراً رمزياً وأن يتجاوزها ويتعدها . لقد كان «الأمام» عندهم هو كل شيء ، إنه الله قد صار بشراً . فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات - ذلك هو الأساس في مذهبهم» وعلى نحو مشابه يتحدث أ . ملر في كتابه المذكور سابقاً ج ١ ص ٣٢٧ ، ويضيف إلى هذا أن الفرس كانوا - تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل - يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسد لروح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك من الآباء إلى الأبناء . أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين - فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين ، فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه» (٧١) .

وأما عقائدهم الباقية فإنها لمبسوطة موجودة في كتب الفرق ، ولقد ذكرنا ما فيها الكفاية وتفي بالمطلوب . ولقد طولنا الكلام في هذه الفئة من

الشيعة وهذا الرجل لأنه هو وطائفته هم تركة السبئية الحقيقية ، ومنهم أخذ بالأفكار وتمسك بالآراء من جاء من الشيعة بعدهم ، وعندئذ بدأ التشيع الأصلي يذوب ، والشيعة الأولى ينقرضون إلا القليل القليل . وعلى رأسهم أولاد علي وبنو هاشم ، وبدأت أفكار السبئية تتسرب إليهم وتتغلب عليهم ، خصوصا شهادة حسين رضى الله عنه جعلت المواليين لعلي وأولاده ، وحتى بعض الطالبين أيضا يحسون بالحرمان الكبير واليأس الكثير ، ويجدون أنفسهم تواقفة إلى الانتقام وخصوصا قلب نظام الحكم القائم المتهم بقتل الحسين وأهله في كربلاء ، وبدأ بعض الجهلة والمغفلين ينقمون كل ما يتصل بالحكام ويغضون كل ما يرى برأيهم وحتى العقائد والمعتقدات ، فلما رأى هؤلاء أن ولاية الأمر يعظمون أبا بكر وعمر وعثمان وبقية أصحاب النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين بدوا يتبرؤون منهم ويتكلمون فيهم . لا لأنهم يجدون عليهم شيئا ، بل كرها لكل ما يسمعون على المنابر وفي المحارب . وعلى ذلك نقل الذهبي عن شيخ الاسلام ابن تيمية :

كان السلف متفقين على تقديم أبى بكر وعمر حتى شيعة علي رضى الله عنه . وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبى العباس بن مسروق : حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير عن سفيان عن عبد الله بن زياد بن حدير قال : قدم أبو اسحاق السبيعي الكوفي ، قال لنا شمر بن عطية : قوموا إليه ، فجلسنا إليه ، فتحدثوا . فقال أبو اسحاق : خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما ، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ، ولا والله ما أدري ما يقولون . . . وعن ضمرة عن سعيد بن حسن قال : سمعت ليث بن أبى سليم يقول : أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبى بكر وعمر أحدا . وقال أحمد بن

حنبل حدثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن سلمة عن مسروق قال: حب
أبى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة. ومسروق من أجل تابعى
الكوفة وكذلك قال طاوس... وقد روى ذلك عن ابن مسعود. وكيف
لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن
أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم
عمر. وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقاً. وقد
روى البخارى عنه فى صحيحه من حديث الهمدانيين - الذين هم
أخص الناس بعلى حتى كان يقول:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلى بسلام
فقد رواه البخارى من حديث سفيان الثورى وهو همدانى، عن
منذر وهو همدانى عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبى: يا أبت من خير
الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بنى أو ما تعرف؟ فقلت: لا.
قال: أبو بكر. فقلت: ثم من؟ قال: عمر. وهذا يقوله لابنه بينه وبينه،
ليس هو مما يجوز أن يقوله تقية. ويرويه عن أبيه خاصة. وقاله على
المنبر. وعنه أنه كان يقول: لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر
إلا جلده حد المفتري» (٧٢)

«وكتب محب الدين الخطيب فى الهامش هذا نص تاريخى عظيم فى
تحديد تطور التشيع، فان أبا إسحق السبيعى كان شيخ الكوفة وعالمها،
ولد فى خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمر حتى
توفى سنة ١٢٧، وكان طفلاً فى خلافة أمير المؤمنين علي. وهو يقول عن
نفسه: رفعنى أبى حتى رأيت علي بن أبى طالب يخطب أبيض الرأس
واللحية. ولو عرفنا متى فارق الكوفة ثم عاد فزارها لتوصلنا إلى معرفة

الزمن الذى كان فيه شيعة الكوفة علويين يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبى بكر وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليا ويخالفونه فيما كان يؤمن به ويعلمه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبى رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفته على أمته فى أتقى وأطهر أزمانها. ومن العجيب أن الخوارج والإباضية ثبتوا على عقيدتهم الأولى فى أبى بكر وعمر كما كانوا عليه مع علي إلى مدة الحكم، والشيعية نقضوا هذه العقيدة وعصوا فيها إمامهم بعد القرن الأول، أى فى أواخر حياة أبى اسحاق السبيعي» (٧٣).

هذا وبلغ الأمر بعد تطور الشيعة إلى حد أنهم بدءوا ينكرون المسلمات والأسس التى عليها يقوم المذهب الإسلامى الحنيف والشرعية السماوية السمحاء. فقط لأن الحكام يتمسكون بها ويعتقدونها، مثل القرآن، الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة رسول الله التى جعلها الله بيانا لهذا القرآن (٧٤).

ثم وبعد شهادة الحسين رضى الله عنه كثرت الخزعبلات والخرافات فى الشيعة حتى إن المخلصين من الأشراف ومن الشيعة الأولى حاولوا إقامة السد فى طريق هذه السخافات ومنع الناس عن اعتناقها ولكنهم فشلوا فى ذلك، ثم اضطروا الى التبعاد عنها وعن التشيع بعدما قنطوا ويئسوا من رجوع القوم الى الحق وانتهائهم عن الغى والضلالات، فهذا هو ابن الأشتري إبراهيم يذكره وهوزن ضمن تسلط المختار على الشيعة وامتناع إبراهيم عن الانضمام اليه حيث يقول:

فكان على المختار أن يكسب رجلا آخر فى الكوفة نفسها لا يستطيع من دونه أن يلقي رؤساء الشيعة نجاحاً ضد الأشراف والوالى.

(٧٣) أيضاً، الهامش ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٧٤) ولقد فصلنا القول فى هذا فى كتابنا (الشيعة والقرآن) و (الشيعة والسنة) من أراد معرفة ذلك

فليرجع اليهما.

هذا الرجل هو إبراهيم بن الأشتر زعيم قبيلة النخع من مذحج . وكان بارعاً ماكرأً مستقل الرأي ، وكان كأبيه مخلصاً لعلي ، وكان على اتصال بابن الحنفية . ولكنه لم يكن يؤمن بالتشيع على الصورة التي استحال إليها في ذلك العهد . لم يشأ الانضمام إلى سليمان بن صرد كما لم يرغب في أن يعرف شيئاً عن المختار . ولم تفلح المحاولات في اكتسابه . وأخيراً وصله كتاب يطلب فيه ابن الحنفية نفسه منه أن يعترف بالمختار بن أبي عبيد . ولكنه تضايق من كون ابن الحنفية يلقب نفسه في هذا الكتاب بلقب «المهدي» وهو أمر لم يعهد منه ، فحاك في صدره الشك في صحته . ولكن الذين قدموا بالكتاب ، والمختار نفسه أكدوا صحة الكتاب ، إلا اثنين لفتا نظره بتحفظهم ، وهما : عامر بن شراحيل الشعبي الراوى الفقيه المحدث الكبير . وأبوه شراحيل . فانتحى بعامر ناحية وسأله هل يشك في أمانة هؤلاء الشهود على صحة الكتاب . فقال عامر الشعبي : معاذ الله فإنهم «سادة القراء ومشايخه المصروف وفسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً!» (الطبرى ٢/٦١٢) . فسأله ابن الأشتر أن يكتب له أسماءهم وكتب محضراً صورياً بما وقع . فلما اطمأن قلبه بهذا امثل لما ورد في الكتاب ووضع نفسه في خدمة المختار بن أبي عبيد» (٧٥) . ولما تقلب المختار وبدأ يظهر ما كان يكنه من الأفكار السبئية من عداوة السلف الصالح والطعن في أصحاب رسول الله ﷺ :

أخذوا يعتبرون على المختار أنه تأمر عليهم بغير رضى منهم ولا بأذن من ابن الحنفية وأنه أظهر هو وسبئيته (ببدع ابتداعها في الاسلام) البراءة من أسلافهم الصالحين» (٧٦) .

«واحتل هؤلاء الأشراف المراكز الرئيسية في الكوفة وحاصروا

لمختار في القصر والمسجد وقطعوا الاتصال بينه وبين الخارج . وحتى
يفسد عليهم تدبيرهم اقترح عليهم أن يبعثوا من قبلهم وفدا الى ابن
الحنفية ويرسل هو من قبله وفدا اليه لسؤاله في تأييد ابن الحنفية له ،
ولكن لم ينجح في هذا التدبير^(٧٧) .
ويقول :

كان المختار في الذروة ، وكان أيضا أمام الهاوية . فالشيعة العرب
من الجيل القديم كانوا لا يثقون به حتى اعتزلوه جانبا^(٧٨) .
وهذا القدر يكفي لبيان الصراع الذي حدث بين الشيعة في التطور
والتغير من المنهج الأول القديم ، وبدأ الشيعة أكثرهم يعتقدون بمثل
هذه الخرافات والسخافات عن الحمايات البيض بأنها ملائكة ، وعن
الكرسي المقدس والنبوءات وأخبار الغيب .

ثم حصلت التفرقة في الشيعة مرة ثانية بعد قتل المختار:
ففرقة قالت بإمامة علي بن الحسين ، وكان يكنى بأبي محمد ويكنى
بأبي بكر وهي كنيته الغالبة عليه فلم تزل مقيمة على إمامته حتى توفي
بالمدينة في المحرم في أول سنة أربع وتسعين وهو ابن خمس وخمسين سنة ،
وكان مولده في سنة ثمان وثلاثين وأمّه أم ولد يقال لها سلافة وكانت تسمى
قبل أن تسبى جهانشاه وهي ابنة يزجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز بن
هرمز وكان يزجرد آخر ملوك فارس .

(وفرقة) قالت انقطعت الإمامة بعد الحسين إنما كانوا ثلاثة أئمة
مسمين بأسمائهم استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصى
اليهم وجعلهم حججاً على الناس وقوماً بعده واحداً بعد واحد فلم يثبتوا
إمامة لأحد بعدهم .

(٧٧) أيضا ص ١٥٦ .

(٧٨) الخوارج والشيعة ص ١٥٩ .

(وفرقة) قالت إن الإمامة صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن والحسين فهي فيهم خاصة دون سائر ولد علي بن أبي طالب وهم كلهم فيها شرع سواء من قام منهم ودعا لنفسه فهو الإمام المفروض الطاعة بمنزلة علي بن أبي طالب واجبة إمامته من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس كلهم فمن تخلف عنه في قيامه ودعائه الى نفسه من جميع الخلق فهو هالك كافرو من ادعى منهم الإمامة وهو قاعد في بيته مرخي عليه ستره فهو كافر مشرك وكل من اتبعه على ذلك وكل من قال بإمامته» (٧٩).

وفرق أخرى كثيرة، منها من قالت بإمامة أبناء الحسن ومن قالت بغيره.

ومنهم من ذهب الى إثبات النبوة بعد النبي ﷺ لغيره، ومنهم من أوجب الالهية لغير الله عز وجل كما ذكرهم ابن حزم في فصله:
فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي ﷺ فرق، فمنهم الغرابية وقولهم ان محمدا ﷺ أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وان الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي الى علي، فغلط جبريل بمحمد..
وفرقة قالت بنبوة علي، وفرقة قالت بأن علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضى الله عنهم وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن أنبياء كلهم.

وفرقة قالت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة.

وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن
(٧٩) فرق الشيعة للنوختي الشيعي ص ٧٤.

الحنفية فقط . وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول أن يدعى النبوة لنفسه وسجع أسجاعا وأنذر بالغيوب عن الله تعالى واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بإمامة محمد بن الحنفية .

وفرقه قالت بنبوة المغيرة بن سعيد . . . وقالت فرقة منهم بنبوة منصور العجلي وهو الملقب بالكسف ، وكان يقال إنه المراد بقول الله عز وجل : وإن يروا كسفا من السماء ساقطا . . . والقسم الثانى الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى لعنه الله أتوا الى علي بن أبى طالب فقالوا مشافهة أنت هوفقال لهم ومن هو قالوا أنت الله فاستعظم الأمر وأمر بنار فاججت واحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار الآن صح عندنا انه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله وفى ذلك يقول رضى الله عنه :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبراً يريد قنبراً مولاه وهو الذى تولى طرحهم فى النار نعوذ بالله من ان نفتتن بمخلوق أو يفتتن بنا مخلوق فيما جل أودق فان محنة أبى الحسن رضى الله عنه من بين أصحابه رضى الله عنهم كمحنة عيسى عليه السلام بين أصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العلانية منهم كان اسحاق بن محمد النخعى الأحمر الكوفى وكان من متكلميهم وله فى ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكى والفياض لما ذكرنا ، ويقولون ان محمداً رسول علي ، وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ان محمداً عليه السلام هو الله ، تعالى الله عن كفرهم . . . وفرقة قالت بالإلهية آدم عليه السلام والنبين بعده نبيا نبيا إلى محمد عليه السلام ثم بالاهية علي ثم بالاهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ووقفوا هاهنا واعلنت

الخطابية بذلك نهاراً بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في ازرواردية محرمين ينادون باعلى اصواتهم لبيك جعفر! لبيك جعفر قال ابن عياش وغيره كأنى انظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم ، ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بالاهية أبي سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وابنائهم بعده ، ومنهم من قال بالاهية أبي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور ، وقالت طائفة منهم بالاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده الى يومنا هذا ، وقالت طائفة بالاهية أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بنى اسد بالكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الالوف وقالوا هو اله وجعفر بن محمد اله الا ان أبا الخطاب اكبر منه وكانوا يقولون جميع اولاد الحسن ابناء الله واحباؤه وكانوا يقولون انهم لا يموتون ولكنهم يرفعون الى السماء واشبه على الناس بهذا الشيخ الذي ترون ، ثم قالت طائفة منهم بالاهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه كان من أصحاب أبي الخطاب لعنهم الله أجمعين ، وقالت طائفة بالاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعى الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله ايام المقتدر ، وقالت طائفة بالاهية محمد بن علي ابن الشلمغانى الكاتب المقتول ببغداد ايام الراضى وكان امر اصحابه ان يفسق الارفع قدراً منهم به ليولج فيه النور كل هذه الفرق ترى الاشتراك في النساء ، وقالت طائفة منهم بالاهية شباش المغيم في وقتنا هذا حياً بالبصرة ، وقالت طائفة منهم بالاهية أبي مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بالاهية المقنع الاعور القصار القائم بثار أبي مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتل لعنه الله ايام المنصور

واعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وافناهم الى لعنة الله ، وقالت
الرنودية بالاهية أبى جعفر المنصور ، وقالت طائفة منهم بالاهية عبد الله
ابن الخرب الكندى الكوفى وعبدوه وكان يقول بتناسخ الارواح وفرض
عليهم تسعة عشر صلاة فى اليوم والليلة فى كل صلاة خمسة عشر ركعة
الى ان ناظره رجل من متكلمى الصفرية واوضح له براهين الدين فاسلم
وصح اسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه واعلم اصحابه بذلك وظهر
التوبة فتبرأ منه جميع أصحابه الذين كانوا يعيدونه ويقولون بالاهيته
ولعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم الى القول بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد
الله بن جعفر بن أبى طالب وبقي عبد الله بن الخرب على الاسلام
وعلى مذهب الصفرية الى ان مات وطائفته الى اليوم تعرف بالحزبية
ومن السبائية القائلين بالاهية علي ، وطائفة تدعى النصرية وقد غلبوا فى
وقتنا هذا على جند الاردن والشام وعلى مدينة طبرية خاصة ومن قولهم
لعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولعن الحسن والحسين ابني علي رضى الله
عنهم وسبهم باقذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بانها وابنيها رضى
الله عنهم ولعن مبغضيهم شياطين تصوروا فى صورة الانسان وقولهم فى
عبد الرحمن بن ملجم الماردى قاتل علي رضى الله عنه عن علي ولعنة الله
على ابن ملجم فيقول هؤلاء ان عبد الرحمن بن ملجم الماردى افضل
اهل الارض واكرمهم فى الآخرة لانه خلص روح اللاهوت مما كان
يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره فاعجبوا لهذا الجنون واسألوا الله
العافية من بلاء الدنيا والآخرة فهى بيده لا بيد أحد سواه جعل الله حظنا
منها الاوفى ، واعلموا ان كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى
الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية فان من الصوفية من يقول
ان من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع ، وزاد بعضهم واتصل بالله

تعالى ، وبلغنا ان بنيسابور اليوم في عصرنا هذا رجلا يكنى ابا سعيد ابا الخير هكذا معاً من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلى في اليوم الف ركعة ومرة لا يصلى لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ونعوذ بالله من الضلال» (٨٠).

وقد ذكر هذه الفرق جلها كل من الأشعري والبغدادى والملطى والاسفرائينى وغيرهم من الأعلام.

وجل هذه الفرق حدثت بعد قتل الحسين رضى الله عنه وفي أيام علي بن الحسين الملقب بزين العابدين.

الشيعة بعد علي بن الحسين

توفى علي بن الحسين وهو على ولاء كامل ووفاء تام لحكام بنى أمية وخلفائه حتى انه تجنب مساعدة ومناصرة كل من قام ضدهم في المدينة أو في مكة (٨١).

الزيدية

وخلف علي بن الحسين أولادا كثيرين ، منهم محمد المكنى بأبى جعفر الباقر وزيد وعمر وغيرهم ، فاختلف الشيعة في أمر محمد بن علي وزيد بن علي ، فقوم اتبعوا محمدا وقوم منهم زيدا كما يذكر المؤرخ الشيعة :

إن الزيدية قالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين ، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب ، وخرج بالكوفة داعياً إلى الإمامة فقتل وصلب بالكناسة ، وقال الزيدية بإمامة

(٨٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١٨٣ وما بعد.

(٨١) انظر لذلك كتب التاريخ للشيعة والسنة.

ابنه يحيى من بعده، فمضى إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط، فخرج بالحجاز فقتل وعهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد، فوجه إليهم المنصور عساكره فقتل إبراهيم وعيسى . . . وذهب آخرون من الزيدية إلى أن الامام بعد يحيى هو أخوه عيسى، ونقلوا الإمامة في عقبه، وقال آخرون منهم إن الامام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه إدريس الذى فر إلى المغرب ومات هناك، وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس، وكان عقبه ملوك المغرب، وكان منهم الداعى الذى ملك طبرستان، وأخوه محمد، ثم قام بهذه الدعوة فى الديلم الناصر الأطروش منهم وأسلموا على يده (٨٢).

وأما النوبختى فكتب:

الزيدية، الأقوياء منهم والضعفاء. فأما الضعفاء منهم فسموا العجلية، وهم أصحاب هارون سعيد العجلي، وفرقة منهم يسمون البترية، وهم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حى وسالم بن أبى حفصة والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل وأبى المقدم ثابت الحداد وهم الذين دعوا الناس إلى ولاية علي عليه السلام ثم خلطوها بولاية أبى بكر وعمر فهم عند العامة أفضل هذه الأصناف وذلك أنهم يفضلون علياً ويشتون إمامة أبى بكر ويستقصون عثمان وطلحة والزبير ويرون الخروج مع كل من ولد علي عليه السلام يذهبون فى ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويشتون لمن خرج من ولد علي الإمامة عند خروجه ولا يقصدون فى الإمامة قصد رجل بعينه حتى يخرج، كل ولد علي عندهم على السواء من أى بطن كان.

(٨٢) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين ص ٧٠، ٧١، ٧٢، ومثل ذلك فى شيعة دراسلام

فارسى لمحمد حسين الطباطبائى ط قم. ص ٣٤.

وأما الأقوياء فمنهم أصحاب (أبى الجارود) وأصحاب (أبى خالد الواسطى) وأصحاب (فضيل الرسان) و«منصور بن أبى الأسود».

وأما (الزيدية) الذين يدعون (الحسينية) فانهم يقولون من دعا الى الله عز وجل من آل محمد فهو مفترض الطاعة، وكان (علي بن أبى طالب) إماماً فى وقت ما دعا الناس وأظهر أمره ثم كان بعد «الحسين» إماماً عند خروجه وقبل ذلك إذا كان بجانب معاوية ويزيد بن معاوية حتى قتل، ثم زيد بن علي بن الحسين المقتول بالكوفة، أمه أم ولد، ثم يحيى بن زيد بن علي المقتول بخراسان وأمّه ربيعة بنت أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم ابنه الآخر عيسى بن زيد بن علي، وأمّه أم ولد، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن وأمّه هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن العزى بن قصى، ثم من دعا الى طاعة الله من آل محمد صلى الله عليه وآله فهو إمام» (٨٣).

ولقد ذكر الشهرستانى عند ذكر فرق الشيعة واختلافهم فى الآراء: الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ساقوا الإمامة فى أولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت الإمامة فى غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين، وعن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا فى أيام المنصور، وقتلا على ذلك، وجوزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة. وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم

فتتلمذ في الاصول واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب، وإن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه، فاقتبس منه الاعتزال وصارت أصحابه كلها معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فقال: كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت الى أبي بكر لمصلحة رؤاها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة وتطيتب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبا وسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يحف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ. ألا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا: لقد وليت علينا فظا غليظا، فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظ له في الدين وفظاظة على الأعداء حتى سكنهم أبو بكر رضي الله عنه.

وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماما والأفضل قائم، فيرجع اليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا. ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجوز الخطاء على جده في قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم في القدر على

غير ما ذهب إليه أهل البيت . ومن حيث إنه كان يشترط الخروج شرطا في كون الإمام إماما حتى قال له يوما على قضية مذهبك والدك ليس بإمام فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج .

ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان . . . فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة ، قتله هشام بن عبد الملك ، ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها ، ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان ، وإبراهيم الإمام قتل بالبصرة . أمر بقتلهما المنصور ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش ، فطلب مكانه ليقتل فاخفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجبل لم يتحلوا بدين الاسلام بعد ، فدعى الناس دعوة إلى الاسلام على مذهب زيد بن علي ، فدانوا بذلك ونشأوا عليه ، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ولى أمرهم وخالفوا بنى أعمامهم من الموسوية في مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعن في الصحابة طعن الإمامية وهم أصناف ثلاثة : جارودية وسلمانية وبترية ، والصاحبة منهم والبترية على مذهب واحد .

الجارودية أصحاب أبي الجارود زعموا أن النبي ﷺ نص على علي عليه السلام بالوصف دون التسمية والامام بعده علي والناس قصرُوا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف . وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زيد بن علي فانه لم يعتقد بهذا الاعتقاد .

واختلف الجارودية في التوقف والسوق ، فساق بعضهم الإمامة من علي إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى علي بن الحسين زين

العابدين، ثم إلى زيد بن علي، ثم منه إلى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين: . . . والذين قالوا بإمامة محمد الإمام اختلفوا فمنهم من قال: إنه لم يقتل وهو بعد حي وسيخرج فيملاً الأرض عدلاً. ومنهم من أقر بموته وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن علي بن الحسين بن علي بن صاحب الطالقان. وقد أسرف في أيام المعتصم وحمل إليه فحبسه في داره حتى مات.

ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في أيام المستعين وحمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن ظاهر حتى قال فيه بعض العلوية:

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتك استلينك في الكلام
وعز علي أن ألقاك إلا وفيما بيننا حد الحسام
وهو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين زيد بن علي.

وأما أبو الجارود فكان يسمى سرحوب. سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنه. وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر» (٨٤) وذكر القاضي الثعمان الزيدية في ارجوزته بقوله:

وقالت الطائفة الزيدية مقالة لم تك بالمرضية
بأن كل قائم يقوم من نسل الحسين بن علي والحسن
بسيفه يدعوا إلى التقدم فهو الامام دون من لم يقم
منهم ومن كل امرئ في وقتته مستترا قد انزوى في بيته
واتبعوا زيدا على ما رتبوا من الدعاوى، واليه نسبوا
حتى إذا قتل قاموا بعده مع الحسين حين قام وحده

(٨٤) الملل والنحل ج ١ ص ٢٠٧ وما بعد، ومثل ذلك في مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٨ وما

بعد، ومقدمة ابن خلدون ص ١٩٧، الفرق بين الفرق ص ٢٩، والتبصير ص ٣٢، الفصل ج ٤ ص ١٧٩، ومقاتل الطالبين للأصفهاني الشيعي ص ١٢٧ وما بعد.

واتبعوا يحيى بن زيد إذ بدا ثم تولوا بعده محمدا
 أعنى ابن عبد الله من نسل حسن وكلهم ظل قتيلا مرتين
 فهؤلاء عندهم أئمة ومن يقوم بعدهم للأمة
 وكل من سواهم الرعية كسائر الأمة بالسوية (٨٥)
 وقبل أن تنتهى من الكلام فيهم نريد أن نذكر شيعة الكوفة
 وجنهم وتخاذلهم القديم، الكوفة التى وضعوا فيها روايات مختلفة كثيرة
 عن علي رضى الله عنه أنه قال :

كأنى بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظى ، تعركين بالنوازل ،
 وتركبين بالزلازل ، وانى لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء الا ابتلاه الله
 بشاغل أورماه بقاتل» (٨٦) .
 وقال :

انه يحشر من ظهورها يوم القيامة سبعون ألفا ، وجوهم على
 صورة القمر . وقوله عليه السلام : هذه مدينتنا ومحلتنا ، ومقر شيعتنا .
 وقول جعفر بن محمد عليه السلام : اللهم ارم من رماها ، وعاد من
 عادها .

وقوله عليه السلام : تربة تحبنا ونحبها» (٨٧) .

نذكر فى هذه الكوفة عبارتين عن إمامى الشيعة الكبار ، فان
 المسعودى روى أن زيد بن علي بن الحسين الذى استشهد فى سنة احدى
 وعشرين ومائة أو اثنتين وعشرين ومائة :

شاور أخاه أبا جعفر بن علي ابن الحسين بن علي ، فأشار عليه بأن
 لا يركن الى أهل الكوفة ، اذ كانوا أهل غدر ومكر ، وقال له : بها قتل

(٨٥) الارجوزة المختارة للقاضى النعمان ص ٢١٤ ط مونتريال - كندا .

(٨٦) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٣ ص ١٩٧ .

(٨٧) أيضا ص ١٩٨ .

جدك علي، وبها طعن عمك الحسن، وبها قتل أبوك الحسين، وفيها وفي أعماها شتمنا أهل البيت» (٨٨).

وأما الثاني فهو المفيد يكتب وهو يذكر زيد بن علي :
انه لم يكره قوم قط حد السيف الا ذلوا. فلما وصل الى الكوفة
اجتمع اليه أهلها فلم يزالوا به حتى بايعوه على الحرب، ثم نقضوا بيعته
وأسلموه فقتل، وصلب بينهم أربع سنين لا ينكر أحد منهم ولا يعينوه بيد
ولسان» (٨٩).

هذا كان أمر الزيدية (٩٠) وهؤلاء كانوا هم .
وهناك فرق أخرى افترقوا وتفرعوا الى فرق وفروع أخرى غير
الزيدية مثل الذين قالوا بامامة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن
المثنى بن علي بن أبي طالب المقتول بها، «وزعموا أنه القائم وأنه الامام
المهدي وأنه قتل، وقالوا إنه حي لم يمت مقيم بجبل يقال له العلمية وهو
الجبل الذي في طريق مكة، ونجد الحاجز عن يسار الطريق وأنت ذاهب
الى مكة وهو الجبل الكبير وهو عنده مقيم فيه حتى يخرج لأن رسول الله
صلى الله عليه وآله قال: القائم المهدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم
ابي، وكان أخوه «ابراهيم بن عبد الله بن الحسن» خرج بالبصرة ودعا
الى إمامة أخيه (محمد بن عبد الله) واشتدت شوكته فبعث اليه المنصور
بالخيل فقتل بعد حروب كانت بينهم، وكان (المغيرة بن سعد) قال بهذا
القول لما توفي أبو جعفر محمد بن علي وأظهر المقالة بذلك فبرئت منه
الشيعة اصحاب (أبي عبد الله جعفر بن محمد) عليهما السلام ورفضوه
فزعم أنهم رافضة وأنه هو الذي سماهم بهذا الاسم، ونصب بعض

(٨٨) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٦ .

(٨٩) الارشاد المفيد ص ٢٦٩ .

(٩٠) ولقد اخصرنا القول في الزيدية لقصدنا اصدار كتاب مستقل حول تاريخهم ومعتقداتهم إن

أصحاب المغيرة إماماً وزعم أن الحسين بن علي أوصى اليه ثم أوصى اليه علي بن الحسين ثم زعم أن أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام وعلى آبائه السلام أوصى اليه فهو الامام الى أن يخرج المهدي وأنكروا إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقالوا لا إمامة في بنى علي بن أبي طالب بعد أبي جعفر محمد بن علي وأن الامامة في (المغيرة بن سعيد) إلى خروج المهدي وهو عندهم (محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن) وهو حي لم يمت ولم يقتل فسموا هؤلاء (المغيرة) باسم المغيرة بن سعيد مولى خالد بن عبد الله القسري ثم ترقى الأمر بالمغيرة إلى أن زعم انه رسول نبي وأن جبرئيل يأتيه بالوحي من عند الله ، فأخذه خالد بن عبد الله القسري فسأله عن ذلك فأقربه ودعا خالداً اليه فاستتابه خالد فأبى أن يرجع عن قوله فقتله وصلبه وكان يدعى أنه يحيى الموتى وقال بالتناسخ وكذلك قول أصحابه إلى اليوم» (٩١).

وطائفة اعتقدت الإمامة لمحمد الباقر بن علي زين العابدين ، وقالوا إنه هو الإمام بعد أبيه بنص منه (٩٢).

وبعد وفاة محمد الباقر سنة أربعة عشرة بعد المائة اجتمعت الشيعة حول ابنه جعفر، البقية الذين بقوا على إمامته لأن البعض منهم رجعوا ومالوا عن إمامته كما ذكر النوبختي :

وأما الذين ثبتوا على إمامة علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ، ثم لعلي بن الحسين عليه السلام ثم نزلوا إلى القول بإمامة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين باقر العلم عليه السلام فأقاموا على إمامته الى أن توفي غير نفر يسير منهم فانهم سمعوا رجلاً منهم يقال له : «عمر بن رياح» زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة

(٩١) فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٢، ٨٣، ٨٤.

(٩٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٣٠٤.

فأجابه فيها بجواب ثم عاد اليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول فقال لأبي جعفر هذا خلاف ما أجبته في هذه المسألة العام الماضي فقال له ان جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشك في أمره وإمامته فلقى رجلاً من أصحاب أبي جعفر يقال له (محمد بن قيس) فقال له اني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف جوابه الأول فقلت له لم فعلت ذلك فقال فعلته للتقية وقد علم الله أني ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به فلا وجه لاتقائه إياي وهذه حالي فقال له محمد بن قيس فلعله حضرك من اتقاه فقال له ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته وقال لا يكون إماماً من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا في حال من الأحوال ولا يكون إماماً من يفتي تقية بغير ما يجب عند الله ولا من يرخي ستره ويغلق بابه ولا يسع الإمام إلا الخروج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمال بسببه الى قول البترية ومال معه نفر يسير» (٩٣).

الشيعة أيام جعفر بن الباقر

وفي أيامه كمل التطور في التشيع والتغير الجذري والتبدل التام الذي شمل عامة الشيعة، والذي كان بدؤه بعد مقتل الحسين رضي الله عنه وعلى أيدي السبئية، فانهم استطاعوا بعد ستين سنة من قتله وبعد تسعين سنة من نشأتهم فصل طائفة من الناس عن المسلمين في معظم

المعتقدات وجل العقائد، الطائفة الكاملة التي تنسب إلى التشيع لعلى وأولاده رضى الله عنهم بجميع فرقها وطوائفها مع اختلاف القادة والزعماء واتجاهاتهم ومطامعهم، أغراضهم وأهدافهم، من حيث استغلوا النعمة المتوارثة والغضب الشديد المتنقل من الآباء إلى الأبناء من المحن والآلام والأوجاع نتيجة معارضة الحكام ومخالفة ولاية الأمور، والمقاتلة ضدهم والخروج عليهم والتشريد والتقتيل، زيادة على ذلك الدسائس والمؤامرات التي تدبر ويحكم نسيجها من وراء الأستار والتسميم الذهني والفكري، والاختلاط مع الشعوب الأجنبية بأفكارها وآرائها، المهزومة والمتغلبة عليها وعلى بلادها وأمورها، والموتورة على الولاية وعساكرها الغازية المنصورة وجيوشها المظفرة المتغلبة، ثم واجتماع الفرس والموالى من البابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة والثقافات الراقية - حسب زعمهم - واحتياجهم إلى منظمة ثائرة على الحكم والحكام والناقمة على كل ما صدر منهم أو يصدر من الآراء والأفكار وحتى العقائد والمعتقدات. هذه الأشياء كلها جعلت التشيع يتقلب في قالب جديد، والشيعية تتكون كتلة مختلفة عن الحكام والآخرين بزمام الأمور اختلافا كاملا في جميع ما يذهبون اليه ويعتقدون به، وتشهد على ذلك رواية مروية عن جعفر أنه قال إن كل حكم يخالف العامة يؤخذ به ويترك ما يوافقهم، فسأله سائل:

جعلت فداك، أرايت ان كان فقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة، ووجدنا أحد الخبرين موافقا للعامة والآخر مخالفا لهم، بأى الخبرين يؤخذ؟

قال: ما خالف العامة ففيه الرشاد.

فقلت: جعلت فداك، فان وافقهما الخبران جميعا؟

قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل، حكاهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر» (٩٤).

فيجب أن يكون هناك خلافاً ويجب أن تكون مخالفة ولو على حساب القرآن والسنة، ولو على حساب الدين والمذهب. ولما كانت الأفكار السبئية والعقائد المختلفة منهم تناوى الإسلام وتعاليمه، وكانت تلك العقائد والأفكار المختلفة المخترعة صادرة من الذين ادعوا التشيع لعلّ كان الأجدر والأليق أن تتبنى ويتمسك بها لأنها تخالف معتقدات العامة وصدرت من الذين انتحلوا حب علي ومودته.

وبدأ الشيعة يتجاهرون وبدأت الشيعة تصوغ وتصنع في ضوء العقائد السبئية المسائل والفتاوى في العبادات والمعاملات، وتشرع في العقائد والمعاملات، وتنسبها إلى أئمة أهل بيت علي رضي الله عنه لتأسيس مذهب جديد وتكوين دين مستقل، له تشريعه وفقهه، وأصوله وأسس، وقواعده وقوانينه، منفصلة عن الدين الذي جاء به محمد ﷺ وقدمه للبشر كافة، واعتنقه أول من اعتنق به أصحابه الأخيار ورفاقه الكرام البررة، ونقلوه عنه وتعاليمه التي أعطاهم إياهم من القرآن وارشادات الرسول الناطق بالوحي. وصار التشيع قائماً على أقاويل الرجال وأفعالهم سواء صدرت هذه الأقوال منهم أم لا، ولكنها تكفي بأنها نسبت إليهم، وإن عارضها أو ناقضها أي هذه الأقوال والأفعال قول وفعل ثابت عنهم قالوا: لم يكن هذا الاتقية: وإن خالفها الكتاب المنزل من السماء قالوا: إن الكتاب حصل فيه التغيير والتبديل، وإن عارضتها السنة الثابتة قالوا: إنها لم تنقل إلا عن المرتدين - عياذاً بالله - لأن أصحاب الرسول كلهم ارتدوا بعده إلا ثلاثة (٩٥) فالقرآن مغير ومبدل،

(٩٤) الأصول من الكافي، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث ج ١ ص ٦٨.

(٩٥) انظر لتفصيل ذلك كتابنا (الشيعة والسنة) و(الشيعة وأهل البيت) و(الشيعة والقرآن).

والحديث رواه كفرة مرتدون ، فلا عبرة بهما . لأن القرآن والحديث يناصران العامة ونحن على خلاف ما يقوله العامة .

ولأجل ذلك نبه أولاد علي رضي الله عنه ، الطيبون منهم ، على كذب وافتراء هؤلاء المنتحلين المدعين حبهم كما روى عن جعفر بن الباقر - الامام السادس المعصوم عند الشيعة - أنه قال :
لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا» (٩٦) .

وعنه أيضا أنه قال :

إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ، فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس ، كان رسول الله أصدق الناس لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه ، وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله ، وكان الذي يكذب عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله ، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) قد ابتلى بالمختار ، ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي والبنان فقال : كانا يكذبان على علي بن الحسين (ع) ، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعا والسري وأبا الخطاب ومعمرا وبشار الاشعري وحمزة اليزيدي وصائب النهدي - أي أصحابه - فقال : لعنهم الله ، انا لا نخلو من كذاب يكذب علينا كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد» (٩٧) .

وعن حفيده علي الرضا - الإمام الثامن المعصوم حسب زعمهم - أنه قال : كان بنان يكذب على علي بن الحسين (ع) فأذاقه الله حر الحديد ، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على ابن جعفر (ع) فأذاقه الله حر الحديد ، وكان محمد بن بشر يكذب على ابن الحسن علي بن موسى

(٩٦) رجال الكشي ص ٢٥٩ تحت ترجمة أبي الخطاب .

(٩٧) أيضا ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

الرضى (ع) فأذاقه الله حر الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله (ع) فأذاقه الله حر الحديد، والذي يكذب على محمد بن الفرات (٩٨).

وعن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال :

لعن الله بنان البيان، وإن بنان لعنه الله كان يكذب على أبي، أشهد أن أبي كان عبدا صالحا» (٩٩).

وبدءوا يتبرءون منهم ويمنعون متبعيهم من الوقوع في شركهم وحبائلهم كما نقل الكشي عن جعفر أنه ذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب ف قيل : إنه صار اليهم يتردد وقال فيهم :

وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، قال هو الامام، فقال أبو عبد الله (ع) : لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبدا، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيئا قط، وإن عزيزا جال في صدره ما قالت اليهود فمحي الله اسمه من النبوة. والله لو أن عيسى أقربا قالت فيه النصارى لأورثه الله صمما إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول في أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على ضر شيء ولا نفع شيء.

محمد بن مسعود قال : حدثني علي بن محمد قال : حدثني محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن عيسى عن زكريا عن ابن مسكان عن قاسم الصيرفي قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : قوم يزعمون أني لهم امام، والله ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله كلما سترت ستره تكوه هتك الله سترهم، أقول كذا يقولون إنما يعني كذا، أنا إمام من أطاعني» (١٠٠).

(٩٨) أيضا ص ٢٥٦.

(٩٩) رجال الكشي ص ٢٥٥.

(١٠٠) رجال الكشي ص ٢٥٤، ٢٥٥.

ولكن باءت الجهود المخلصة بالفشل وزادت الشيعة في غلوائهم
 وغيرهم لكثرة ما وجد في ذلك الزمان من الكذابين ومن المنتحلين مؤدة
 أهل البيت والمدعين موالاتهم ومشايعتهم من أبى الخطاب وأبى البصير
 المرادى وزرارة بن أعين وجابر الجعفى ومغيرة بن سعيد والهشامين وأبى
 الجارود وغيرهم، فكثرت الآراء وتشعبت، وزادت الفرق وتفرقت،
 ذهب بعضها الى المذاهب البعيدة وزاد حتى على السبئية مؤسسي
 بنيانها وواضعى نواتها، وقربت البعض منها واحصرت على تلقى ما
 لقتنه السبئية وألقته اليهم، وقلل الأخذ بعض منها وأكثر البعض، ولقد
 أقر بذلك مؤرخ شيعى حيث قال :

ولم يتمكن الصادق - فى تلك الظروف القاسية التى ظهر فيها
 الزيدية - أن يناظرهم غالبا فى شىء من أمر الإمامة . لأنه كان يتكتم
 فيها، ويتقى ملوك عصره، ويحذر من وشاتهم وجواسيسهم الكثيرة، ومع
 تكتمه الشديد قد أحضره المنصور وقال له - قتلنى الله إن لم أقتلك أتلحد
 فى سلطانى ؟

فقال له الصادق (ع) : والله ما فعلت ولا أردت . وإن كان بلغك
 فمن كاذب» (١٠١) .

فمن الذين اختلفوا أول الأمر على جعفر وأخذوا عليه فى حياته
 من ذكرهم النوبختى :

وأما الفرقة الأخرى من أصحاب أبى جعفر محمد بن علي عليه
 السلام فنزلت إلى القول بإمامة أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام
 فلم تزل ثابتة على إمامته أيام حياته غير نفر منهم يسير فانهم لما اشار
 جعفر بن محمد إلى إمامة ابنه اسمعيل ثم مات اسمعيل فى حياة أبيه

رجعوا عن إمامة جعفر وقالوا كذبنا ولم يكن إماماً لأن الأمام لا يكذب ولا يقول ما لا يكون وحكموا على جعفر انه قال ان الله عز وجل بداله في إمامة اسمعيل فأنكروا «البداء» والمشية من الله وقالوا هذا باطل لا يجوز ومالوا الى مقالة (البرية) ومقالة سليمان بن جرير وهو الذى قال لأصحابه بهذا السبب أن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً وهما القول بالبداء وإجازة التقية ، فأما البداء فان أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتهما فى العلم فيما كان ويكون والاخبار بما يكون فى غد وقالوا لشيعتهم أنه سيكون فى غد وفى غابر الأيام كذا وكذا فان جاء ذلك الشئ على ما قالوه قالوا لهم : ألم نعلمكم أن هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التى علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت ، وإن لم يكن ذلك الشئ الذى قالوا انه يكون على ما قالوا لشيعتهم بد الله فى ذلك بكونه ، وأما التقية فانه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم فى الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين فأجابوا فيها وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم وكتبوه ودونوه ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد وتفاوت الأوقات لأن مسائلهم لم ترد فى يوم واحد ولا فى شهر واحد بل فى سنين متباعدة وأشهر متباينة وأوقات متفرقة فوقع فى أيديهم فى المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة وفى مسائل مختلفة أجوبة متفقة ، فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا اليهم هذا الاختلاف والتخليط فى جواباتهم وسألوهم عنه وانكروه عليهم فقالوا من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك؟ قالت هم أئمتهم : إنما أجبنا بهذا للتقية ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا لأن ذلك لنا ونحن نعلم بما يصلحكم وما فيه

بقاؤكم وكف عدوكم عنا وعنكم، فمتى يظهر من هؤلاء على كذب ومتى يعرف لهم حق من باطل، فمال الى سليمان بن جرير هذا لهذا القول جماعة من أصحاب أبى جعفر وتركوا القول بإمامة جعفر عليه السلام» (١٠٢).

وهنا آخران من أهل البيت ادعيا الإمامة في حياة جعفر وهما عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي، وهو الذى كان يقول: ولدنى رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين» (١٠٣).

والذى قال عنه الأصفهاني الشيعي :

كان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بنى هاشم والمقدم فيهم، وذا الكثير منهم فضلا، وعلمًا وكرما» (١٠٤).

والثاني ابنه محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، هو الذى كتب فيه الأصفهاني الشيعي :

وكان محمد بن عبد الله بن الحسن من أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه في زمانه، في علمه بكتاب الله، وحفظه له، وفقهه في الدين، وشجاعته، وجوده، وبأسه، وكل أمر يجمل بمثله، حتى لم يشك أحد أنه المهدي، وشاع ذلك له في العامة، ويأبى رجال من بنى هاشم جميعا، من آل أبى طالب، وآل العباس، وسائر بنى هاشم» (١٠٥).

وقد ذكر الكليني في (كافيه) ادعاءهما الإمامة زمن جعفر ودعوتها إياه إليهما حيث ذكر أن عبد الله بن الحسن دخل على جعفر بن الباقر وقال :

(١٠٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٤ الى ٨٧.

(١٠٣) مقاتل الطالبين للأصفهاني ص ١٨١.

(١٠٤) الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ج ١ ص ٢٠٥، مقاتل ص ١٨٠.

(١٠٥) مقاتل ص ٢٣٣.

قد علمت جعلت فداك أن السن لى عليك وأن فى قومك من هو
أسن منك ولكن الله عز وجل قد قدم لك فضلا ليس هو لأحد من قومك
وقد جئتكم معتمداً لما أعلم من برك، واعلم - فديتك - إنك إذا أجبتنى لم
يتخلف عنى أحد من أصحابك ولم يختلف على اثنين من قريش ولا
غيرهم، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنك تجد غيرى أطوع لك
منى ولا حاجة لك فى، فوالله إنك لتعلم أنى أريد البادية أو أهم بها
فأثقل عنها، وأريد الحج فما أدركه إلا بعد كد وتعب ومشقة على نفسى،
فاطلب غيرى وسله ذلك ولا تعلمهم أنك جئتنى، فقال له: إن الناس
مادون أعناقهم إليك وإن أجبتنى لم يتخلف عني أحد ولك أن لا تكلف
قتالا ولا مكروها، قال: وهجم علينا ناس فدخلوا وقطعوا كلامنا، فقال
أبى: جعلت فداك ما تقول؟ فقال: نلتقى إن شاء الله، فقال: أليس
على ما أحب؟ فقال: على ما تحب إن شاء الله من إصلاحك... فقال
له أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن عم إني أعيزك بالله من التعرض لهذا
الأمر الذى أمسيت فيه؛ وإني لخائف عليك أن يكسبك شرا، فجرى
الكلام بينهما، حتى أفضى إلى ما لم يكن يريد وكان من قوله: بأى شيء
كان الحسين أحق بها من الحسن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: رحم
الله الحسن ورحم الحسين وكيف ذكرت هذا؟ قال: لأن الحسين عليه
السلام كان ينبغي له إذا عدل أن يجعلها فى الأسن من ولد الحسن...
فقام أبى يجر ثوبه مغضبا فلحقه أبو عبد الله عليه السلام، فقال له:

أخبرك أنى سمعت عمك وهو خالك يذكر أنك وبنى أبىك
ستقتلون، فان أطعتنى ورأيت أن تدفع بالتى هى أحسن فافعل، فوالله
الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الكبير المتعال
على خلقه لوددت أنى فديتك بولدى وبأحبهم الى بأحب أهل بيتى

الي، وما يعدلك عندى شىء، فلا ترى أنى غششتك، فخرج أبى من عنده مغضباً أسفاً... ثم أتى محمد بن عبد الله بن حسن، فأخبر أن أباه وعمومته قتلوا - قتلهم أبو جعفر - إلا حسن بن جعفر وطباطبا وعلي بن إبراهيم وسليمان بن داود بن حسن وعبد الله بن داود، قال: فظهر محمد بن عبد الله عند ذلك ودعا الناس لبيعته، قال: فكنت ثالث ثلاثة بايعوه واستوثق الناس لبيعته ولم يختلف عليه قرشى ولا أنصارى ولا عربى، قال: وشاور عيسى بن زيد وكان من ثقاته وكان على شرطه، فشاوره فى البعثة إلى وجوه قومه، فقال له عيسى بن زيد: إن دعوتهم دعاء يسيراً لم يجيبوك، أوتغلظ عليهم، فخلني وإياهم فقال له محمد: امض إلى من أردت منهم، فقال:

ابعث إلى رئيسهم وكبيرهم - يعنى أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام - فإنك إذا أغلظت عليه علموا جميعاً أنك ستمرهم على الطريق التى أمرت عليها أبا عبد الله عليه السلام، قال: فوالله ما لبثنا أن أتى أبى عبد الله عليه السلام حتى أوقف بين يديه فقال له عيسى بن زيد: أسلم تسلم: فقال له عبد الله عليه السلام: أحدثت نبوة بعد محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال له محمد: لا ولكن بايع تأمن على نفسك ومالك وولدك ولا تكلفن حرباً، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما فى حرب ولا قتال ولقد تقدمت إلى أهلك وحذرتك الذى حاق به ولكن لا ينفع حذر من قدر، يا ابن أخى عليك بالشباب ودع عنك الشيوخ، فقال له محمد: ما أقرب ما بينى وبينك فى السن، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إني لم أعازك ولم أجدى لك لأتقدم عليك فى الذى أنت فيه، فقال له محمد: لا والله لا بد من أن تبائع، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما فى يا ابن أخى طلب ولا حرب وإني لأريد الخروج إلى البادية

فيصعدني ذلك ويثقل علي حتى تكلمني في ذلك الأهل غير مرة، ولا
 يمنعني منه إلا الضعف، والله والرحم أن تدبر عنا ونشقى بك، فقال له :
 يا أبا عبد الله قد والله مات أبو الدوانيق - يعني أبا جعفر - فقال له أبو عبد
 الله عليه السلام : وما تصنع بي وقد مات ؟ قال : أريد الجمال بك ، قال :
 ما إلى ما تريد السبيل ، لا والله مامات أبو الدوانيق إلا أن يكون مات
 موت النوم قال : والله لتبايعني طائعاً أو مكرهاً ولا تحمد في بيعتك ، فأبى
 عليه إباء شديداً وأمر به إلى الحبس ، فقال له عيسى بن زيد : أما إن
 طرحناه في السجن وقد خرب السجن وليس عليه اليوم غلق ، خفنا أن
 يهرب منه ، فضحك أبو عبد الله عليه السلام ، ثم قال : لا حول ولا قوة
 إلا بالله العلي العظيم أوتراك تسجنني ؟ قال : نعم والذي أكرم محمد
 صلى الله عليه وآله بالنبوة لأسجنتك ولأشدّدن عليك ، فقال عيسى بن
 زيد : أحبسوه في المخبأ - وذلك دار ربطة اليوم - فقال له أبو عبد الله عليه
 السلام : أما والله إني سأقول ثم أصدّق ، فقال له عيسى بن زيد : لو
 تكلمت لكسرت فمك ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أما والله
 يا أكشف يا أزرق لكأني بك تطلب لنفسك جحراً تدخل فيه وما أنت في
 المذكورين عند اللقاء وإني لأظنك إذا صفق خلفك ، طرت مثل الهيق
 النافر ، فنفر عليه محمد بانتهار : أحبسه وشدّد عليه واغلظ عليه ، فقال له
 أبو عبد الله عليه السلام : أما والله لكأني بك خارجاً من سدة أشجع إلى
 بطن الوادي وقد حمل عليك فارس معلم في يده طرّادة نصفها أبيض
 ونصفها أسود ، على فرس كميّ أقرح فطعنك فلم يصنع فيك شيئاً
 وضربت خيشوم فرسه فطرحته وحمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبي
 عمار الدثليين عليه غدبرتان مضافورتان ، وقد خرجتا من تحت بيضة ،
 كثير شعر الشاربين ، فهو والله صاحبك ، فلا رحم الله رمّته ، فقال له

محمد : يا أبا عبد الله ، حسبت فأخطأت وقام إليه السراقي بن سلخ الحوت ، فدفع في ظهره حتى أدخل السجن واصطفى ما كان له من مال وما كان لقومه ممن لم يخرج مع محمد» (١٠٦) .

هذا ما حصل في حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة وتحزبهم بأحزاب مختلفة وتشعبهم في فرق متعددة .

الشيعة بعد وفاة جعفر

وأما بعد وفاته سنة ثمان وأربعين ومائة حصل الاختلاف العظيم ، وافترق الشيعة الى فرق عديدة كثيرة ، ولقد عدها الكاتب الشيعي المشهور النوبختي . وهو الأوائل من كتب في الفرق من القوم ست فرق ، فقال :

فلما توفي أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام افتרכת الشيعة بعده ست فرق . . . ودفن في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده في البقيع . . . وأمّه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها اسماء (١٠٧) بنت عبد الرحمن بن أبي بكر (١٠٨) .

والفرق الستة التي عدّها ، الأولى منها :

الناووسية : وهي التي قالت إن جعفر بن محمد حي لم يموت ولا يموت حتى يظهر ويلى أمر الناس وأنه هو المهدي ، وزعموا أنهم رويوا عنه أنه قال : ان رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه فاني صاحبكم وأنه قال لهم : ان جاءكم من يخبركم عني أنه مرضني وغسلني وكفنتني فلا تصدقوه ، فاني صاحبكم صاحب السيف ، وهذه الفرقة

(١٠٦) الأصول من الكافي ، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٥٨ وما بعد .

(١٠٧) وعلى ذلك كان يقول : لقد ولدني أبو بكر مرتين (كشف الغمة للأربلي الشيعي ج ٢

ص ١٦١ .

(١٠٨) فرق الشيعة للنوبختي ص ٧٨ .

تسمى الناووسية وسميت بذلك لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له :
فلان بن فلان الناووس» (١٠٩) .

وزعم قوم أن الذى يتبدى للناس لم يكن جعفرا ، وإنما تصور
الناس فى تلك الصورة ، وانضم الى هذه الفرقة قوم من السبئية فزعموا
جميعا أن جعفرا كان عالما بجميع معالم الدين من العقلية والشرعيات ،
فاذا قيل للواحد منهم : ما تقول فى القرآن أوفى الرؤية أوفى غير ذلك من
أصول الدين أوفى فروعه؟ يقول : أقول فيها ما كان يقوله جعفر
الصادق ، يقلدونه» (١١٠) .

هذا ما حصل فى حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة وتحزبهم
بأحزاب مختلفة وتشعبهم فى فرق متعددة .

والفرقة الثانية : السمطية أو الشميطية : وهم القائلون إن الإمام
بعد جعفر بن محمد ابنه محمد بن جعفر ، وذلك لأن أباه جعفر وصي له فى
صباه ، وكان يقول : إنه يشبه أبى محمد الباقر وجدى رسول الله ، فجعل
هؤلاء الإمامة فى محمد بن جعفر وولده من بعده .

وهذه الفرقة تسمى السمطية وتنسب الى يحيى بن أبى السميط أو
أبى الشميط» (١١١) .

والجدير بالذكر أن محمد بن جعفر هذا خرج أيام المأمون ، ودعا
الناس الى نفسه :

وبايع له أهل المدينة بامرة المؤمنين» (١١٢) .

(١٠٩) أيضا ص ٨٧ ، ٨٨ .

(١١٠) الفرق بين الفرق ص ٦١ ، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٧ ، اعتقادات فرق المسلمين
والمشركين للرازى ص ٥٣ ، الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٣٠٢ ، الحور العين ص ١٦٢ ، التبصير
للسفرائينى ص ٤٠ ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٠ ، الخطط للمقريزى
ج ٤ ص ١٧٤ .

(١١١) انظر فرق الشيعة ص ٩٨ ، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٩ ، الفرق بين الفرق
ص ٦١ ، ٦٢ ، اعتقادات للرازى ص ٥٤ ، التبصير ص ٤١ ، الحور العين ص ١٦٣ ، الملل لابن حزم
ج ٢ ص ٣ .

(١١٢) مقاتل للاصفهاني ص ٣٥٧ ، الارشاد ص ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١٤ .

فحصلت بينه وبين جيوش المأمون بقيادة هارون بن المسيب معارك عديدة .

ثم وجه اليه هارون خيلا فحاصرت في موضعه ، لأنه كان موضعا حصينا لا يوصل اليه ، فلما بقوا في الموضع ثلاثا ونفذ زادهم ومأوهم ، جعل أصحابه يتفرقون ويتسللون يمينا وشمالا ، فلما رأى ذلك لبس بردا ونعلا ، وصار الى مضرب هارون فدخل اليه وسأله الأمان لأصحابه ، ففعل هارون ذلك» (١١٣)

وذكر المفيد بأنه كان يرى رأى الزيدية في الخروج بالسيف ، ولذلك اتبعه كثير من الزيدية الجارودية (١١٤)

والفرقة الثالثة : الفطحية : فلقد ذكرها الكشي تحت عنوان الفطحية بقوله :

هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد ، وسموا بذلك لأنه قيل إنه كان أفتح الرأس ، وقال بعضهم : كان أفتح الرجلين وقال بعضهم : إنهم نسبوا الى رئيس من أهل الكوفة يقال له : عبد الله بن فطيح ، والذين قالوا بإمامته عامة مشائخ العصاة وفقهائها ، مالوا الى هذه المقالة فدخلت عليهم الشبهة لما روى عنهم عليهم السلام انهم قالوا : الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى إمام . . . ثم إن عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يوما ، فرجع الباقر إن شأذا منهم عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى (ع) ورجعوا الى الخبر الذي روى : إن الإمامة لا يكون في الأخوين بعد الحسن والحسين (ع)» (١١٥) .

وذكر مثل هذا النوبختي الشيعي وزاد :

ومال الى هذه الفرقة جل مشائخ الشيعة وفقهائها ، ولم يشكوا في

(١١٣) مقاتل ص ٥٤٠ ، الارشاد ص ٢٨٦ .

(١١٤) الارشاد للمفيد ص ٢٨٦ .

(١١٥) رجال الكشي ص ٢١٩ .

أن الإمامة في محمد بن جعفر وفي ولده من بعده، فمات عبد الله ولم يخلف
ذكره» (١١٦).

وأما المفيد فقال :

وكان عبد الله بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل ولم يكن منزلته
عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متبها بالخلاف على أبيه
في الاعتقاد ويقال انه كان يخالط الحشوية ويميل الى مذهب المرجئة،
وادعى بعد أبيه الإمامة واحتج بأنه أكبر إخوته الباقين، فاتبعه على قوله
جماعة من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، ثم رجع أكثرهم بعد ذلك
الى القول بإمامة أخيه موسى عليه السلام لما تبيينوا ضعف دعواه وقوة أمر
أبي الحسن (ع) ودلالة حقه وبراهين إمامته وأقام نفريسير منهم على
أمرهم، ودانوا بإمامة عبد الله بن جعفر، الطائفة الملقبة
بالفطحية» (١١٧).

وقد ذكرهم الأربلي أيضا في كشف الغمة (١١٨).

ويسمون العمارية أيضا كما ذكره الأشعري في (مقالات
الاسلاميين) نسبة الى رئيس لهم يعرف بعمار (١١٩).

والجدير بالذكر أن الشيعة يروون روايات عن أئمتهم المعصومين
حسب زعمهم بأن الإمامة في أكبر الأبناء كما روى الكليني :
عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : ان الأمر في الكبير ما لم
تكن به عاهة» (١٢٠).

وبذلك استدل على إمامته «واحتج بأنه أكبر الاخوة الباقين فاتبعه

(١١٦) فرق الشيعة للنوبختي ص ٩٩.

(١١٧) الإرشاد ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(١١٨) ج ٢ ص ٣٩٣.

(١١٩) ج ١ ص ٩٩.

(١٢٠) كتاب الحجة من الكافي في الاصول ج ١ ص ٣٥٧.

على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام» (١٢١).

ثم ومع هذا كيف يعدلون عنه ولم يكن به عاهة؟

اللهم الا أنهم يذكرون أنه كان يخالف أباه في العقائد (١٢٢).

ونريد أن نلفت الأنظار الى أن ابن جعفر الآخر وهو محمد أيضا كان منكرا لإمامة أبيه جعفر ومخالفا لأفكاره وآرائه كما ذكره الطبرسي والمفيد (١٢٣).

والفرقة الرابعة: الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر - وأنكروا إمامة عبد الله وخطؤوه في فعله وجلسه مجلس أبيه وادعائه الإمامة (١٢٤).

فسنذكر تفاصيل واختلافات هؤلاء فيما بعد تحت أيام موسى الملقب بالكاظم.

الإسماعيلية

وأما الفرقة الخامسة والسادسة التي حدثت ونشأت من بين الشيعة فهي الإسماعيلية فأولا نذكرهم من الشيعة أنفسهم، فيقول النوبختي:

وفرقة زعمت أن الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر، وأنكرت موت اسماعيل في حياة أبيه وقالوا: كان ذلك على جهة التليس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبه، والإمام لا يقول الا الحق، فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يموت، (١٢١) الارشاد للمفيد ص ٢٨٥.

(١٢٢) كشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٣٩٣.

(١٢٣) انظر اعلام الوري ص ٢٩١، الارشاد للمفيد ص ٢٨٦.

(١٢٤) فرق الشيعة للنوبختي ص ١٠٠.

وهذه الفرقة هي الاسماعيلية الخالصة» (١٢٥).

ثم لهم فرق كثيرة نذكر بعضها باختصار، فذكر المفيد تحت عنوان: أولاد أبي عبد الله عليه السلام وعددهم وأسماءهم وطرف من أخبارهم:

وكان إسماعيل أكبر الاخوة وكان أبو عبد الله عليه السلام شديد المحبة له والبر به والاشفاق عليه وكان قوم من الشيعة يظنون انه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده إذ كان أكبر إخوته سناً وليل أبيه اليه وإكرامه له فمات في حياة أبيه عليه السلام بالعريض وحمل على رقاب الرجال الى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع.

وروى أن أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً وتقدم سريرته بغير حذاء ولا رداء وأمر بوضع سريرته على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة وكان يكشف عن وجهه وينظر اليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده وإزالة الشبهة عنهم في حياته.

ولما مات إسماعيل (رحمه الله) انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك فيعتقدده من أصحاب أبيه وأقام على حياته شذمة لم تكن من خاصة أبيه ولا من الرواة عنه وكانوا من الأبعاد والأطراف.

فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام وافترق الباقيون فريقين فريق منهم رجعوا عن حياة إسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل لظنهم ان الإمامة كانت في أبيه وأن الابن أحق بمقام الإمامة من الأخ.

وفريق ثبتوا على حياة إسماعيل وهم اليوم شذاذ لا يعرف منهم

أحد يومى اليه ، وهذان الفريقان يسميان بالإسماعيلية والمعروف منهم الآن من يزعم أن الإمامة بعد إسماعيل فى ولده وولد ولده الى آخر الزمان» (١٢٦).

وذكر مثل ذلك فى كتب الشيعة الأخرى مثل (شرح ابن أبى الحديد) و(أعيان الشيعة) و(الشيعة فى التاريخ). ولقد ذكر الإسماعيلية من السنة كل من الأشعرى والبغدادى والأسفرائينى والرازى والشهرستانى وغيرهم من المتقدمين ، كما ذكرهم كثير من المتأخرين السنة ولكن نذكر ما ذكره ابن خلدون ، فيقول : فأما الإسماعيلية فقالوا بإمامة إسماعيل الإمام بالنص من أبيه جعفر ، وفائدة النص عليه عندهم وإن كان قد مات قبل أبيه إنما هو بقاء الإمامة فى عقبه كقصة هارون مع موسى صلوات الله عليهما قالوا : ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة المستورين ، لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستر وتكون دعائه ظاهرين إقامة للحجة على الخلق ، وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته ، قالوا : وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبد الله المهدي الذى أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعى فى كتامة وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعد مصر كما هو معروف فى أخبارهم ، ويسمى هؤلاء نسبةً إلى القول بإمامة إسماعيل ويسمون أيضا بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أى المستور ، ويسمون أيضا الملحدة لما فى ضمن مقالتهم من الإلحاد ، ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا إليها الحسن بن محمد الصباح فى

آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق» (١٢٧).

وذكرهم الشهرستاني بقوله :

الإسماعيلية قالوا : إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نصا عليه باتفاق من أولاده إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه ، فمنهم من قال : لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس ، وعقد محضرا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة . ومنهم من قال : الموت صحيح ، والنص لا يرجع القهقري . والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره ، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل ، وهؤلاء يقال لهم : المباركية ، ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم ، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم» (١٢٨) .

ثم ساق أدلتهم لإثباتهم إمامة إسماعيل بن جعفر بقوله :
إسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص في بدء الأمر ، قالوا : لم يتزوج الصباقد على أمه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله في حق خديجة وكسنة علي في حق فاطمة ، وذكرنا اختلافهم في موته في حال حياة أبيه ، فمنهم من قال : إنه مات ، وإنما فائد النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة كا نص موسى الى هارون عليهما السلام ، ثم مات هارون في حال حياة أخيه ، وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منه الى أولاده فإن النص لا يرجع القهقري والقول بالبدأ محال ، ولا ينص الإمام على واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه ، والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة .

(١٢٧) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠١ .

(١٢٨) الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥ .

ومنهم من قال: إنه لم يمت لكن أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل، ولهذا القول دلالات: منها أن محمد كان صغيرا وهو أخوه لأمه مضى الى السرير الذي كان إسماعيل نائما عليه ورفع الملاءة فأبصره وهو قد فتح عينه وعدا الى أبيه مفزعا وقال: عاش أخى عاش أخى، قال والده: إن أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة قالوا: وما السبب في الإشهاد على موته؟. وعن هذا لما رفع إلى المنصور أن إسماعيل بن جعفر رأى بالبصرة مر على مقعد فدعى فبرىء باذن الله بعث المنصور الى الصادق أن إسماعيل في الاحياء، وانه رأى بالبصرة؟ أنفذ السجل إليه وعليه شهادة عامله بالمدينة.

قالوا: وبعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام، وإنما تم دور السبعة به، ثم ابتدئ منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسرون في البلاد ويظهرون الدعاة جهرا، قالوا: ولن تخلو الأرض قط من إمام حي، إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن يكون حجته مستورة، وإذا كان الإمام مستورا فلا بد أن يكون حجته ودعائه ظاهرين، وقالوا: إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع، والنقباء تدور أحكامهم على اثني عشر، قالوا: وعن هذا وقعت الشبهة للإمامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للأئمة، ثم بعد الأئمة المستورين كان ظاهر المهدي والقائم بأمر الله وأولادهم نصا بعد نص على إمام بعد إمام. ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية... وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيلا تأويلا، ولهم ألقاب غير هذا من القرامطة والمزدكية والملحدة، وهم

يقولون: نحن اسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم . . . ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته وقصر عن الالتزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصن بالقللاع، وكان بدؤ صعوده الى قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وذلك بعد أن هاجر الى بلاد إمامه وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه، فعاد ودعا الناس أول دعوة الى تعيين إمام صادق قائم في كل زمان وتميز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكته وهو أن لهم إماما وليس لغيرهم إمام» (١٢٩).

القرامطة

وتفرعت على الاسماعيلية فرق عديدة، المشهور منها:
القرامطة المنسوبون إلى حمدان الأشعث المعروف بقرمط لقصر قامته ورجليه وتقارب خطوه، في سنة أربع وستين ومائتين ٢٦٤ هـ، وكان ظهوره بسواد الكوفة، فاشتهر مذهبه بالعراق، وقام ببلاد الشام صاحب الجلال، والمدثر المطوق، وقام أبو سعيد الجنابي بالبحرين، وعظمت دولته ودولة بنيه حتى أوقعوا بعساكر الخلفاء العباسيين، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز، وانتشرت دعائهم بأقطار الأرض.
فدخل جماعة من الناس في دعوتهم، ومالوا إلى قولهم الذي سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام، وصرفها عن ظواهرها الى أمور زعموها من عند أنفسهم، فضلوا وأضلوا عالما كثيرا.
وقيل غير ذلك في تاريخ ظهور حمدان هذا وفي تسميته بقرمط، يقول الوطواط «ظهر في أيام خلافة المعتمد سنة ٢٧٨ هـ من سواد الكوفة

رجل أحمر العينين يسمى كرميته ، فاستثقلوا هذه اللفظة فخففوها وقالوا قرمط ، ثم ذكر أنواع تعاليمه وبدعه الفاسدة ، وذكر أن المعز الفاطمي وقائده جوهر قد حاربوا القرامطة حروباً دامية سنة ٣٦٢هـ .

ويقول ابن خلكان «والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف ، ولهم مذهب مذموم ، وكانوا قد ظهوروا في سنة ٢٨١هـ في خلافة المعتضد ، وقيل كان ظهورهم في سنة ٢٧٨هـ . ويرى أبو الفداء «أن ظهورهم كان في هذه السنة أى سنة ٢٧٨هـ في سواد الكوفة ، وأن الرجل الذى دعاهم إلى مذهبه كان شيخاً وقد ترض بقرية من سواد الكوفة ، فحملة رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين . فلما تعافى الشيخ المذكور سمي باسم ذلك الرجل الذى آواه ومرضه . ثم خفف فقالوا قرمط بكسر القاف . ودعا قوماً من أهل البادية ممن ليس لهم دين ولا عقل إلى دينه ، فأجابوه» .

ولا يهمننا أكان الرجل الذي دعا القرامطة هو نفس الرجل المسمى بقرمط أو غيره ولكنه سمي باسم قرمط؟ وإنما يهمننا أن نعرف تاريخ ظهورهم في أي سنة كان ، لنعرف أكان في زمن الأئمة من أهل البيت أم لا؟ وقد رأيت اختلاف الروايات في تحديد زمان ظهورهم . والأرجح أنه كان في سنة ٢٧٨هـ أى بعد انقضاء زمن الأئمة الميامين وفي أثناء الغيبة الصغرى للإمام الثانى عشر (١٣٠) .

وقد ذكرهم الأشعرى بقوله :

القرامطة يزعمون أن النبى ﷺ نص على بن أبى طالب ، وأن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ، وأن الحسن بن على نص على

إمامة أخيه الحسين بن علي ، وأن الحسين بن علي نص على إمامة ابنه علي بن الحسين ، وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن علي ، ونص محمد بن علي على إمامة ابنه جعفر ، ونص جعفر على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل ، وزعموا أن محمد بن اسماعيل حي الى اليوم ، لم يمت ، ولا يموت حتى يملك الأرض ، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به ، واحتجت في ذلك بأخبار رويها عن أسلافهم ، يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم» (١٣١) .

كما ذكرهم الآخرون :

ومنها المباركية وغيرها ، والموجود المشهور منها فرق ثلاثة :
الآغاخانية أو النزارية أتباع آغاخان ، والبهرة أو المستعلية والسليمانية .
ولكل واحدة منها عقائد وآراء متفقة في بعضها ومختلفة في البعض الاخرى منها ، ولنا ، فيهم ، في جميع فرقهم وعقائدهم ، آرائهم وأفكارهم والاسس التي قام عليها معتقداتهم ، وفي تاريخهم وفي بداية أمرهم كلام مستقل طويل ناقشنا فيه آراء المستشرقين والكتاب المصريين والاسماعيليين ، السوريين منها والهنديين ، وفندنا بعض الآراء التي ابتنوها عن هؤلاء القوم وأثبتنا أخطاءهم الفاحشة ، التاريخية منها والعقائدية ، كما أوردنا في بحثنا ذاك معلومات جديدة حقيقية عن معتقدات القوم الأصلية من كتبهم العتيقة القديمة ، المخطوطة منها والمطبوعة ، وأثبتنا فيه جهالات كثيرة للأسماء الكبيرة وللأشخاص المشهورة المعروفة وحتى من يتربع على زعامة الاسماعيلية ويدعى أنه من أكابرها . وهذا في كتاب مستقل (١٣٢) ولأجل ذلك تجنبنا إطالة القول في

(١٣١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٨ .

(١٣٢) وسيصدر هذا الكتاب عما قريب ان شاء الله بعد صدور هذا الكتاب ، وكنا ننوي اصداره قبل هذا حيث كنا قد جمعنا كل شيء عن الاسماعيلية ولكننا تأخرنا بعدما سمعنا بوجود بعض المخطوطات الاخرى التي لم نحصل عليها حتى الآن ، فأردنا أن لا ينقصنا شيء من ذلك ، ويكون

كتابنا هذا عنهم وعقائدهم ، واكتفينا بنقل الأقوال وسرد العبارات عن كتب في الفرق من الشيعة والسنة كيلا نخرج عن أصل الموضوع ولا يطول بنا الحديث .

الدروز

ومن الفرق التي تفرعت وخرجت من الاسماعيلية ، ومنها أخذت أفكارها وعقائدها طائفة الدروز ، وكانت نشأتها أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي تولى ملك مصر بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٦ وكان عمره آنذاك أحد عشر عاما ، واستقل به سنة ٣٩٠ بعد قتل أحد الأوصياء عليه (١٣٣) .

فاستغل صغر عمره وطموحه وشذوذه في المأكل والمشرب والسكن والقيام والهالة المقدسة التي كانت تحيطه بعض دعاة الاسماعيلية الملاحدة مرسلوا الفرس والمجوس ، فأحاطوا به وزينوا له فكرة ألوهيته وبوبيته ، وكان من أبرزهم حمزة بن علي أحمد الزوزني ومحمد بن اسماعيل الدرزي والحسن بن حيدرة الفرغاني وغيرهم المشهور بالأخرم أو الأجدع (١٣٤) . فذهبوا شأوا بعيدا في الانحراف والانحلال ، ويقول المؤرخون : إن بداية الدعوة الى الوهية الحاكم كانت سنة ٤٠٨ (١٣٥) .

ومن أهم عقائدهم ألوهية الحاكم كما ورد في مصحف الدروز ميثاق للدروزيين أن يقولوا : آمنت بالله ، ربي الحاكم ، العلي الأعلى ،

البحث كاملا شاملا وجامعا مايعا قدر الاستطاعة وما ذلك على الله بعزيز .
واننا لنرى بأن هذا الكتاب سيثير ضجة كبرى في الأوساط العلمية العالمية حيث اكتشفنا فيه بعض الحقائق المستورة التي لم يهتد اليها من اشتهر وعرف في العالم بتخصصه من المستشرقين والمصريين ، وحتى من الاسماعيلية أنفسهم ، كما كشفنا فيه النقاب عن بعض البدييات التي خفيت على هؤلاء الفئة من الناس . فهناك وفيه الملتقى ان شاء الله بالتفصيل .

(١٣٣) انظر سمط النجوم العوالي ج ٢ ص ٤١٤ .

(١٣٤) انظر طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص ٧٥ .

(١٣٥) أضواء على العقيدة الدرزية لأحمد فوزان ، طائفة الدروز لمحمد كامل حسين .

رب المشرقين ، ورب المغربين ، واله الأصليين والفرعين ، منشئ الناطق والأساس ، مظهر الصورة الكاملة بنوره ، الذي على العرش استوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، وآمنت به ، وهورب الرجعى ، وله الأولى والآخرة ، وهو الظاهر والباطن .

وآمنت بأولي العزم من الرسل ، ذوي مشارق التجلي المبارك حولها وبحاملي العرش الثمانية ، وبجميع الحدود ، وأومن غاملا قائما بكل أمر ومنع ينزل من لدن مولانا الحاكم ، وقد سلمت نفسي وذاتي وذواتي ، ظاهرا وباطنا ، علما وعملا ، وأن أجاهد في سبيل مولانا ، سرا وجهرا بنفسي ومالي وولدي وما ملكت يداي ، قولا وعملا ، وأشهدت على هذا الاقرار جميع ما خلق بمشارقي ومات بمغاري .

وقد التزمت وأوجبت على هذا نفسي وروحي بصحة من عقلي وعقيدتي ، واني أقر بهذا ، غير مكروه أو منافق ، واني أشهد مولاي الحق الحاكم ، من هو في السماء اله وفي الأرض اله ، وأشهد مولاي هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين المرتدين ، حمزة بن علي بن أحمد ، من به أشرقت الشمس الأزلية ، ونطقت فيه وله سحب الفضل : انني قد برئت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والاعتقادات قديمها وحديثها ، وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم الذي لا أشرك في عبادته أحدا في جميع أدواري» (١٣٦) .

ومن عقائدهم : التناسخ والحلول :

كلما مات انسان انتقلت روحه لمولود جديد (١٣٧) .

كما أن من أهم عقائدهم الغيبة والرجعة ، ويقولون بأن الحاكم بأمر الله غاب عن الأبصار ، وسيرجع في آخر الزمان وسيحل عند الركن

(١٣٦) مصحف الدرور : عرف العهد والميثاق ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(١٣٧) الدرور والثورة السورية لكريم ثاقب ص ٣٤ .

وغيره من العقائد المشتركة بينهم وبين الشيعة ، ولقد ذكرهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، هؤلاء والنصيرية ، فى جواب سائل سألته :

الدرزية هم أتباع هشتكين الدرزى ، وكان من موالى الحاكم أرسله الى أهل وادى تيم الله بن ثعلبة ، فدعاهم الى إلهية الحاكم ، ويسمونه البارى ، العلام ، ويحلفون به ، وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله ، وهم أعظم كفرا من الغالية ، يقولون بقدوم العالم ، وإنكار المعاد ، وإنكار واجبات الاسلام ومحرماته ، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركى العرب ، وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله ، أوجوسا . وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس ، ويظهرون التشيع نفاقا . والله أعلم .

فقال شيخ الاسلام ردا عليه : كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون ، بل من شك فى كفرهم فهو كافر مثلهم ، لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين ، بل هم الكفرة الضالون ، فلا يباح أكل طعامهم ، وتسبى نساؤهم ، وتؤخذ أموالهم . فانهم زنادقة مرتدين لا تقبل توبتهم ، بل يقتلون أينما ثقفوا ، ويلعنون كما وصفوا ، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ ، ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لثلاثي ضلوا غيره ، ويحرم النوم معهم فى بيوتهم ، ورفقتهم ، والمشى معهم ، وتشيع جنازهم اذا علم موتها . ويحرم على ولاية أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأى شىء يراه المقيم المقام عليه» (١٣٨) .

فهذه هى الفرق التى افرقت وحدثت ونشأت بعد موت جعفر بن

الباقر، وتفرقت آراؤهم واختلفت أقوالهم مع اتفاقهم على توارث الأفكار السبئية ..

فرق الشيعة أيام موسى الكاظم

ثم الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر أيضا تفرقوا الى فرق عديدة، في حياته وبعد مماته . كما ذكر النوبختي الشيعي :
ثم ان جماعة من المؤمنين بموسى بن جعفر لم يختلفوا في أمره فثبتوا على إمامته إلى حبسه في المرة الثانية، ثم اختلفوا في أمره فشكوا في إمامته عند حبسه في المرة الثانية التي مات فيها في حبس الرشيد فصاروا خمس فرق» (١٣٩).

وذلك في سنة ثلاث وثمانين ومائة .

فالفرقة الاولى قالت :

انه مات في حبس السندی بن شاهك وان يحيى بن خالد البرمكى سممه في رطب وعنب بعثهما اليه فقتله ، وإن الإمام بعد موسى على بن موسى الرضا فسميت هذه الفرقة القطعية ، لأنها قطعت على وفاة موسى بن جعفر وعلى إمامة علي ابنه بعده ولم تشك في أمرها ، ولا ارتابت ومضت على المنهاج الأول .

وقالت الفرقة الثانية : ان موسى بن جعفر لم يموت وانه حي ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملاها كلها عدلا كما ملئت جورا وأنه القائم المهدي . وزعموا أنه خرج من الحبس ولم يره أحد نهارا ولم يعلم به ، وأن السلطان وأصحابه ادعوا موته وموهوا على الناس وكذبوا ، وأنه غاب عن الناس واختفى . ورووا في ذلك روايات عن أبيه

جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : هو القائم المخمبها فان يدهده رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا فانه القائم» (١٤٠).

وسميت هذه الفرقة بالموسوية لانتظارها موسى بن جعفر» (١٤١).
كما تسمى المفضلية :

لأنهم نسبوا الى رئيس لهم يقال له المفضل بن عمر، وكان ذا قدر فيهم (١٤٢).

ويقال لهم الممطورة :

لأنهم لما أظهروا هذه المقالة قال لهم قوم : والله ما أنتم الا كلاب ممطورة يعنى أنهم من الكلاب المبتلة بالمطر من غاية ركافة هذه المقالة (١٤٣).

ولأن الناس يطردونهم ويتحرزون منهم (١٤٤).

وقد ذكرهم ابن حزم فى الفصل (١٤٥).

والفرقة الثانية قالت :

انه القائم وقد مات ، ولا تكون الامامة لغيره حتى يرجع فيقوم ويظهر، وزعموا أنه قد رجع بعد موته الا أنه مختف فى موضع من المواضع حتى يأمر وينهى ، وأن أصحابه يلقونه ويرونه . واعتلوا فى ذلك بروايات عن أبيه أنه قال : سمي القائم لأنه يقوم بعد ما يموت» (١٤٦).

والفرقة الثالثة قالت :

انه قد مات وانه القائم ، وان فيه شبها من عيسى بن مريم صلى

(١٤٠) أيضا ص ١٠١ .

(١٤١) الفرق بين الفرق ص ٦٣ .

(١٤٢) مقالات الاسلاميين للأشعرى ج ١ ص ١٠١ .

(١٤٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٤ .

(١٤٤) التبصير ص ٤١ .

(١٤٥) ج ٤ ص ١٧٩ .

(١٤٦) فرق الشيعة ص ١٠١ .

الله عليه وانه لم يرجع ولكنه يرجع في وقت قيامه فيملاً الارض عدلاً كما
ملئت جوراً، وان أباه قال: إن فيه شبهاً من عيسى بن مريم وإنه يقتل في
يدي ولد العباس فقد قتل» (١٤٧).

والرابعة قالت:

لا ندرى أهو حى أم ميت، لأننا قد روينا فيه أخباراً كثيرة تدل
على أنه القائم المهدي فلا يجوز تكذيبها وقد ورد علينا من خبر وفاة أبيه
وجده والماضين من آبائه عليهم السلام في معنى صحة الخبر، فهذا أيضاً
مما لا يجوز رده وإنكاره لوضوحه وشهرته وتواتره من حيث لا يكذب مثله،
ولا يجوز التوسط عليه، والموت حق والله عز وجل يفعل ما يشاء، فوقفنا
عند ذلك على إطلاق موته وعلى الاقرار بحياته، ونحن مقيمون على
إمامته لا نتجاوزها حتى يصح لنا أمره وأمر هذا الذي نصب نفسه مكانه
وادعى الإمامة يعنون على بن موسى الرضا، فان صحت لنا إمامته
كإمامة أبيه من قبله بالدلالات والعلامات الموجبة للإمامة بالاقرار منه
على نفسه بإمامته وموت أبيه، لا بأخبار أصحابه سلمنا له ذلك
وصدقناه» (١٤٨).

ومثل ذلك ذكر الرازي في اعتقادات فرق المسلمين
والمشركين (١٤٩) والأشعري في مقالات الاسلاميين (١٥٠) والمطلى في
التنبيه (١٥١) والاسفرائيني في التبصير (١٥٢) والبغدادى في الفرق بين
الفرق (١٥٣) والمفيد في الارشاد (١٥٤) والشهرستاني في الملل والنحل (١٥٥).

(١٤٧) أيضاً ص ١٠٢.

(١٤٨) أيضاً ص ١٠٣، ١٠٤.

(١٤٩) ص ٥٤.

(١٥٠) ج ١ ص ٨٨.

(١٥١) ص ٣٨.

(١٥٢) ص ٤٢.

(١٥٣) ص ٦٤.

(١٥٤) ص ٣٠٢.

(١٥٥) ج ٢ ص ٤، ٣، ٤. الهامش.

وكانت هناك فرقة أخرى سادسة وهي : البشرية ، ذكرها النوبختي بقوله : «البشرية» أصحاب محمد بن بشير مولى بني أسد من أهل الكوفة قالت ان موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وإنه حي غائب وأنه القائم المهدي في وقت غيبته استخلف على الأمر محمد بن بشير وجعله وصيه وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج اليه رعيته وفوض اليه أموره وأقامه مقام نفسه فمحمد بن بشير الامام بعده وأن محمد بن بشير لما توفي أوصى الى ابنه سميع بن محمد بن بشير فهو الامام ومن أوصى اليه (سميع) فهو الامام المفترض الطاعة على الامة إلى وقت خروج موسى وظهوره فما يلزم الناس من حقوقه في أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به الى الله عز وجل فالفرض عليهم اداؤه إلى هؤلاء إلى قيام القائم ، وزعموا أن علي بن موسى ومن ادعى الامامة من ولد موسى بعده فغير طيب الولادة ونفوسهم عن أنسابهم وكفروهم في دعواهم الإمامة ، وكفروا القائلين بإمامتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم ، وزعموا أن الفرض من الله عليهم إقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وأنكروا الزكاة والحج وسائر الفرائض ، وقالوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان ، واعتلوا في ذلك بقول الله عز وجل : اويزوجهم ذكرانا وانااثا (٤٢ : ٥٠) وقالوا بالتناسخ وأن الأئمة عندهم واحد إنما هم منتقلون من بدن الى بدن ، والمواساة بينهم واجبة في كل ما ملكوه من مال ، وكل شيء أوصى به رجل منهم في سبيل الله فهو لسميع بن محمد واوصيائه من بعده» (١٥٦).

ولقد ذكر محمد بن بشير هذا ، الكشي في رجاله بقوله :

أن محمد بشير لما مضى أبو الحسن «ع» ووقف عليه الواقعة جاء

محمد بن بشير- وكان صاحب شعيذة ومخاريق معروفًا بذلك فادعى أنه يقول بالوقف على موسى بن جعفر «ع» هو كان ظاهرًا بين الخلق يروونه جميعًا يترأى لأهل النور بالنور ولأهل الكدورة في مثل خلقهم بالإنسانية والبشرية اللحمانية، ثم حجب الخلق جميعًا عن إدراكه، وهو قائم فيهم موجود كما كان غير أنهم محجوبون عن إدراكه كالذي كانوا يدركونه .

وكان محمد بن بشير هذا من أهل الكوفة من موالى بنى اسد وله أصحاب، قالوا: إن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وإنه غاب واستتر وهو القائم المهدي، وأنه في وقت غيبته استخلف على الأمة محمد بن بشير وجعله وصيه واعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج إليه رعيته في أمر دينهم ودنياهم وفوض إليه جميع أمره وأقامه مقام نفسه، فمحمد بن بشير الامام بعده وكفروا القائلين بإمامتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وزعموا أن كل من انتسب إلى محمد فهم ثبوت وطروق وأن محمدًا هورب حل في كل من انتسب إليه وأنه لم يلد ولم يولد وأنه محتجب في هذه الحجب . وزعمت هذه الفرقة والمخسمة والعلياوية وأصحاب أبي الخطاب أن كل من انتسب إلى أنه من آل محمد فهو مبطل في نسبه مفتر على الله كاذب، وأنهم الذين قال الله تعالى فيهم أنهم يهود ونصارى في قوله: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق﴾ «محمد» في مذهب الخطابية و«على» في مذهب العلوية فهم ممن خلق . هذان كاذبون فيما ادعوا إذ كان محمد عندهم وعلى هورب لا يلد ولا يولد ولا يستولد، تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علوا كبيرا . وكان سبب قتل محمد بن بشير لعنه الله لأنه كان معه شعيذة ومخاريق فكان يظهر الواقعة أنه ممن وقف على على بن موسى «ع» وكان يقول في موسى بالربوبية ويدعى

لنفسه انه نبي ، وكان عنده صورة قد عملها واقامها شخصا كأنه صورة
ابى الحسن «ع» من ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها
فيها حتى صارت شبه صورة انسان ، وكان يطورها فاذا أراد الشعبذة نفخ
فيها فأقامها فكان يقول لأصحابه : ان أبا الحسن «ع» عندى فان أحببتم
أن تروه وتعلموا أنى نبي فهلتموا أعرضه عليكم ، وكان يدخلهم البيت
والصورة مطوية معه فيقول لهم : هل ترون فى البيت مقبيا أو ترون غيرى
وغيركم ؟ فيقول : فاخرجوا فيخرجون من البيت فيصير هو وراء الستر
بينه وبينهم ثم يقدم تلك الصورة ثم يرفع الستر بينهم وبينه فينظرون الى
صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبى الحسن لا ينكرون منه شيئا ،
ويقف هو معه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذة انه يكلمه ويناجيه
ويدنو منه كأنه يساره ، ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون ويسبل الستر بينه
وبينهم فلا يرون شيئا ، وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما
لم يروا مثلها فهلكوا بها ، فكانت هذه حاله مدة حتى رفع خبره الى
بعض الخلفاء أحسبه هارون أو غيره ممن كان بعده من الخلفاء أنه
زنديق ، فأخذه وأراد ضرب عنقه فقال له : يا أمير المؤمنين استبقنى فانى
أأخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها ، فأطلقه فكان أول ما أخذ له الدوالى
فانه عمد الى الدوالى فسواها وعلقها وجعل الزبيق بين تلك الألواح ،
فكانت الدوالى تمتلىء من الماء وتملى الألواح وينقلب الزبيق من تلك
الألواح وينقلب الزبيق من تلك الألواح فيتسع الدوالى لذلك ، فكانت
تعمل من غير مستعمل لها وتصب الماء فى البستان فأعجبه ذلك مع أشياء
عملها ، يضاهى الله بها فى خلقه الجنة فقواه وجعل له مرتبة ، ثم انه يوما
من الايام انكسر بعض تلك الألواح فخرج منها الزبيق فتعطلت
فاستراب أمره ، وظهر عليه التعطيل والاباحات (١٥٧) .

هذا وقد ادعى الامامة في عهده آخران من بنى عمومته . أحدهما حسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي . وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، فلقد ادعى الامامة أيام أبي موسى الهادي العباسي حفيد أبي جعفر المنصور (١٥٨) .

وبايعه على إمامته يحيى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وعبد الله الحسن الافطس ، وإبراهيم بن اسماعيل الطباطبائي ، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين ، وعبد الله بن اسحاق بن إبراهيم بن الحسن المثنى ، وعبد الله بن جعفر بن محمد ، وعبد الله بن جعفر بن الباقر ، وعبد الله وعمر ابنا اسحاق بن الحسن بن علي زين العابدين وغيرهم (١٥٩) .

حتى قال الاصفهاني :

ولم يتخلف عنه أحد من الطالبين الا الحسن بن جعفر بن حسين المثنى فانه استغفاه ولم يكرهه .

وموسى بن جعفر بن محمد - الامام السابع المزعوم عند الشيعة - قال غنيزة القصباني : رأيته موسى بن جعفر بعد عتمة وقد جاء الى الحسين صاحب فخ ، فانكب عليه شبه الركوع ، وقال : أحب أن تجعلني في سعة وحل من تخلفي عنك ، فأطرق الحسين طويلا لا يجيبه ، ثم رفع رأسه اليه ، فقال : أنت في سعة» (١٦٠) .

وقد ذكر هذا الكليني في (كافيه) حيث قال :

حدثنا عبد الله بن المفضل مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

قال :

(١٥٨) انظر مروج الذهب والطبري وابن كثير وغيرها من الكتب .

(١٥٩) انظر مقاتل الطالبين للأصفهاني الشيعي ص ٤٤٦ و ٤٥٦ .

(١٦٠) أيضا ص ٤٤٧ .

لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخ واحتوى على المدينة، دعا موسى بن جعفر الى البيعة، فأتاه فقال له: يا ابن عم لا تكلفني ما كلف ابن عمك أبا عبد الله، فيخرج مني مالا اريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد، فقال له الحسين: انما عرضت عليك أمرا فان أردته دخلت فيه، وان كرهته لم أحملك عليه والله المستعان» (١٦١).

والثاني الذي ادعى الامامة أيامه يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى. وقد ذكره الكيني أيضا حيث قال:

كتب الى موسى بن جعفر يدعوه: خبرني من ورد عليّ من أعوان الله على دينه ونشر طاعته بما كان من تحننك مع خذلانك، وقد احتجبتها واحتجبتها أبوك من قبلك، وقديما ادعيتكم ما ليس لكم ويسطتم أعمالكم الى ما لم يؤتكم الله، فاستهويتم وأضللتهم وأنا محذرك ما حذرك الله من نفسه، فكتب اليه ابو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: من موسى بن جعفر. . . ذكرت أني ثبتت الناس عنك لرغبتى عما في يديك. . . واحذرك معصية الخليفة (١٦٢) وأحثك على بره وطاعته وأن تطلب لنفسك أمانا قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان، فترّوح الى النفس من كل مكان ولا تجده، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله، فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله والسلام على من اتبع الهدى» (١٦٣).

فهذه هي الفرق الشيعية أيام موسى وبعده، وهذه هي عقائدهم وأفكارهم المثبتة من كتب الشيعة والسنة أيضا، والذي قيل: حمله الرشيد

(١٦١) الاصول من الكافي ج ١ ص ٣٦٦.

(١٦٢) انظر الى الصدق كيف يتطلع وحتى من الكذابين، امام معصوم للشيعة يمنع الناس عن معصية الخليفة العباسي والخروج عليه، فهل هناك شك بأنه لم يكن أولاد علي يدعون في أنفسهم ما ينسب اليهم هؤلاء القوم.

(١٦٣) الاصول من الكافي ج ١ ص ٣٦٧.

من المدينة وقد قدم اليها منصرفا من العمرة، ثم شحص هارون للحج وحمله معه، ثم انصرف على طريق البصرة، فحبسه عند السندی بن شاهك فتوفي في حبسه بغداد لخمس ليال بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وهو ابن خمس أو أربع وخمسين سنة، ودفن في مقابر قريش» (١٦٤).

الشيعة أيام علي بن موسى الملقب بالرضا

وحصل الاختلاف في الشيعة الذين اجتمعوا حول علي بن موسى الرضا ختن المأمون على ابنته بعد وفاته.

ففرقة قالت بأن الامام بعده أخوه احمد بن موسى بن جعفر: «أوصى اليه والى الرضا عليه السلام وأجازوها في أخوين. فهى: المؤلفة، فقطعوا على امامة علي بن موسى.

وفرقه منهم تسمى المحدثه، كانوا من أهل الأرجاء وأصحاب الحديث، فدخلوا فى القول بامامة موسى بن جعفر وبعده بامامة علي بن موسى، وصاروا شيعة رغبة فى الدنيا وتصنعا، فلما توفى علي بن موسى عليه السلام رجعوا الى ما كانوا عليه.

وفرقه كانت من الزيدية الأقوياء منهم والبصراء، فدخلوا فى امامة علي بن موسى عليه السلام عندما أظهر المأمون فضله وعقد بيعته تصنعا للدنيا واستكانوا الناس بذلك دهرا، فلما توفى علي بن موسى عليه السلام رجعوا الى قومهم من الزيدية (١٦٥).

وفرقه اخرى قالت:

ان الامامة بعد علي بن موسى عليه السلام لابنه محمد بن علي

(١٦٤) فرق الشيعة ص ١٠٥، ١٠٦.

(١٦٥) أيضا ص ١٠٧.

عليه السلام، ولم يكن لغيره (١٦٦).

وكانت هناك فرق أخرى غير هذه الفرق اتبعت فريقا من الطالبين الذين ادعوا الامامة في أيام الرضا ودعوا الناس اليهم، فمنهم محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب، وهو المعروف بابن الطباطبا.

ومحمد بن يحيى بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي.

ومحمد بن جعفر عم علي الرضا.

وابراهيم بن موسى بن جعفر أخو علي الرضا.

وحسين بن الحسن بن علي بن علي زين العابدين وغيرهم.

وقد ذكرهم جميعا ودعوتهم الناس اليهم وخروجهم على المأمون وتسلطهم على بعض المدن والناطق، ومعاركهم مع عساكر العباسيين من الشيعة، الأصفهاني في مقاتل الطالبين (١٦٧)، والمسعودي في كتابه مروج الذهب. ولقد نقل عنه خروج هؤلاء العلويين وادعاءهم الامامة بايجاز واختصار، فيقول:

وفي سنة تسع وتسعين ومائة خرج ابو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق، واشتد أمره، ومعه محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب، وهو ابن طباطبا، ووُثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود ابن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله، ووُثب بالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي عليهم السلام، وزيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، فغلبوا على البصرة.

وفي هذه السنة مات ابن طباطبا الذي كان يدعو اليه ابو السرايا،

(١٦٦) أيضا ص ١٠٦.

(١٦٧) ص ٥١٣ وما بعد.

وأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي .

وظهر في هذه السنة باليمن - وهي سنة تسع وتسعين ومائة - إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي ، وظهر في أيام المأمون بمكة ونواحي الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله ، وذلك في سنة مائتين ، ودعا لنفسه ، واليه دعت السبئية من فرق الشيعة وقالت بإمامته وقد افترقوا فرقا : فمنهم من غلا ، ومنهم من قصر ، وسلك طريق الإمامية ، وقد ذكرنا في كتاب «المقالات في أصول الديانات» وفي كتاب «أخبار الزمان» من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، في الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبين ، وقيل : إن محمد بن جعفر هذا دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد بن إبراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا ، فلما مات ابن طباطبا ، وهو محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه ، وتسمى بأمر المؤمنين ، وليس في آل محمد ممن ظهر لإقامة الحق ممن سلف وخلف قبله وبعده من تسمى بأمر المؤمنين غير محمد بن جعفر هذا ، وكان يسمى بالديباجة ؛ لحسنه وبهائه وظهر في أيام المأمون أيضا بالمدينة الحسين بن الحسن ابن علي بن علي بن الحسين بن علي ، وهو المعروف بابن الأفطس ، وقيل : انه دعا في بدء أمره الى ابن طباطبا ، فلما مات ابن طباطبا دعا الى نفسه والقول بإمامته وسار الى مكة فأتى الناس وهم بمنى ، وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي ، فهرب داود ، ومضى الناس الى عرفة ، ودفعوا الى مزدلفة بغير إنسان عليهم من ولد العباس ، وقد كان ابن الأفطس وافى الموقف بالليل ، ثم صار الى المزدلفة والناس بغير إمام

فصلى بالناس، ثم مضى الى منى، فنحروا ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة إلا القباطي البيض فقط. (١٦٨).

والجدير بالذكر أن على بن موسى هو الذى جعل المامون العباسى فيه ولاية العهد بعده:

وأمر المامون الحسن بن سهل والفضل بن سهل وزيريه أن يعرضا ذلك عليه فامتنع منه فلم يزالا به حتى أجاب ورجعا إلى المامون فعرفاه إجابته، فسرب بذلك وجلس للخاصة فى يوم خميس وخرج الفضل بن سهل فأعلم برأى المامون فى على بن موسى عليه السلام وانه قد ولاه عهده وسماه الرضا وأمرهم بلبس الخضر والعود لبيعته فى الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة، فلما كان اليوم ركب الناس على طبقاتهم من القواد والحجاب والقضاة وغيرهم فى الخضر، وجلس المامون ووضع للرضا عليه السلام وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه وأجلس الرضا (ع) عليهما فى الخضر وعليه عمامة وسيف، ثم أمر ابنه العباس بن المامون أن يبايع له أول الناس... فبايعه الناس ووضعت البذر وقامت الخطباء والشعراء، فجعلوا يذكرون فضل الرضا عليه السلام وما كان عليه من أمره... ثم قال المامون للرضا عليه السلام: اخطب الناس وتكلم فيهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ان لنا عليكم حقاً برسول الله ولكم علينا حقاً به، فاذا أنتم أدبتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم، ولم يذكر عنه غير هذا فى ذلك المجلس، وأمر المامون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسم الرضا عليه السلام، وزوج اسحاق بن موسى بن جعفر بنت عمه اسحاق بن جعفر بن محمد وأمره فحج بالناس وخطب للرضا عليه السلام فى كل بلد بولاية العهد» (١٦٩).

(١٦٨) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٤٣٩، ٤٤٠.

(١٦٩) الأرشاد للمفيد ص ٣١٠، ٣١١، اعلام الوري للطبرسى ص ٣٣٤.

ولكنه مات قبل أن ينال الخلافة ، في حياة المأمون .
«ولما توفي الرضا عليه السلام كتم المأمون موته يوما وليلة ثم أنفذ
الى محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وجماعة من آل أبي طالب الذين
كانوا عنده فلما حضروه نعاه اليهم وبكى وأظهر حزنا شديدا وتوجعا
وأراهم إياه صحيح الجسد ، قال يعز علي يا أخى ان أراك في هذه الحال
قد كنت أؤمل ان أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد ، ثم أمر بغسله وتكفينه
وتحنيطه وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى الى الموضع الذى هو
مدفون الآن ، فدفنه والموضع دار حميد بن قحطبة في قرية يقال لها سناباد
على قرربة من نوقان بأرض طوس . وفيها قبر هارون الرشيد وقبر أبى
الحسن عليه السلام بين يديه في قبلته .

ومضى الرضا علي بن موسى عليهما السلام ولم يترك ولدا نعلمه
إلا الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام وكانت سنة يوم وفاة
أبيه سبع سنين وأشهرًا» (١٧٠).

وكان ذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين وله يومئذ خمسة وخمسون
سنة ، وأمه أم ولد يقال لها أم البنين .

الشيعة أيام محمد بن علي الملقب بالجواد أو التقى

ولقد حصل الاختلاف الشديد بين الشيعة في امامة محمد بن علي
لأنه لم يكن بلغ الحلم عند وفاة أبيه ، ولذلك اختلف الشيعة في امامته
وتفرقوا عنه كما مر وقالوا :

لا يجوز الا امام إلا بالغا ولو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ

(١٧٠) الارشاد للمفيد ص ٣٠٤ ، اعلام الورى للطبرسى ص ٣١٣ ، عيون أخبار الرضا ج ٢
ص ٢٤٧ ، كشف الغمة ج ٣ ص ٧٢ ، جلاء العيون ج ٢ ص ٧٣٩ ، منتهى الآمال ص ١٠٤٩ .

لجاز أن يكلف الله غير بالغ فكما لا يعقل أن يحتمل التكليف غير بالغ
فكذلك لا يفهم القضاء بين الناس ودقيقه وجليله وغامض الأحكام
وشرائع الدين وجميع ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وما تحتاج إليه
الامة الى يوم القيامة من أمر دينها ودنياها طفل غير بالغ ولو جاز أن يفهم
ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجة لجاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن
حد البلوغ درجتين وثلاثاً وأربعاً راجعاً إلى الطفولية، حتى يجوز أن يفهم
ذلك من طفل في المهد والخرق وذلك غير معقول ولا مفهوم ولا متعارف.
ثم إن الذين قالوا بامامة ابي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم
السلام اختلفوا في كيفية علمه لحدثة سنه ضرورياً من الاختلاف: فقال
بعضهم لبعض: الامام لا يكون إلا عالماً وابو جعفر غير بالغ وأبوه قد
توفي فكيف علم ومن اين علم، فأجابوا:

فقال بعضهم: لا يجوز أن يكون علمه من قبل ابيه لأن أباه حمل
إلى خراسان وأبو جعفر ابن أربع سنين وأشهر ومن كان في هذه السن
فليس في حد من يستفرغ تعليم معرفة دقيق الدين وجليله ولكن الله عز
وجل علمه ذلك عند البلوغ بضروب مما يدل على جهات علم الإمام
مثل الإلهام والنكت في القلب والنقر في الأذن والرؤيا الصادقة في النوم
والملك المحدث له ووجوه رفع المنار والعمود والمصباح وعرض الأعمال لأن
ذلك كله قد صحت الأخبار الصحيحة القوية الاسانيد فيه التي لا يجوز
دفعها ولا رد مثلها.

وقال بعضهم: قبل البلوغ هو إمام على معنى أن الامر له دون
غيره إلى وقت البلوغ فإذا بلغ علم لا من جهة الإلهام والنكت ولا الملك
ولا لشيء من الوجوه التي ذكرتها الفرقة لأن الوحي منقطع بعد النبي
صلى الله عليه وآله بإجماع الامة ولأن الإلهام إنما هو ان يلحقك عند

الخاطر والفكر معرفة بشيء قد كانت تقدمت معرفتك به من الأمور
 النافعة فذكرته وذلك لا يعلم به الاحكام وشرائع الدين على كثرة
 اختلافها وعللها قبل أن يوقف بالسمع منها على شيء، لان أصح
 الناس فكرا وأوضحه خاطرا وعقلا وأحضره توفيقا لو فكر وهو لا يسمع
 بأن الظهر أربع والمغرب ثلاث والغداة ركعتان ما استخرج ذلك بفكره ولا
 عرفه بنظره ولا استدل عليه بكمال عقله ولا أدرك ذلك بحضور توفيقه ولا
 لحقه علم ذلك من جهة التوفيق أبدا، ولا يعقل أن يعلم ذلك إلا
 بالتوقيف والتعليم فقد بطل أن يعلم شيئا من ذلك بالاهاام والتوفيق،
 لكن نقول: أنه علم ذلك عند البلوغ من كتب أبيه وما ورثه من العلم
 فيها ومارسم له فيها من الاصول والفروع، وبعض هذه الفرقة تجيز
 القياس في الاحكام للامام خاصة على الاصول التي في يديه لأنه معصوم
 من الخطأ والزلل فلا يخطيء في القياس وانما صاروا الى هذه المقالة لضيق
 الأمر عليهم في علم الامام وكيفية تعليمه إذ ليس هو ببالغ عندهم.

وقال بعضهم: الامام يكون غير بالغ ولو قلت سنه لأنه حجة الله
 فقد يجوز أن يعلم وإن كان صبييا ويجوز عليه الاسباب التي ذكرت من
 الالهام والنكت والرؤيا والملك المحدث ورفع المنار والعمود وعرض
 الاعمال كل ذلك جائز عليه وفيه كما جاز ذلك عن سلفه من حجج الله
 الماضين، واعتلوا في ذلك بيحيى بن زكريا وأن الله آتاه الحكم صبييا
 وبأسباب عيسى بن مريم وبحكم الصبي بين يوسف بن يعقوب وامرأة
 الملك ويعلم سليمان بن داود حكما من غير تعليم وغير ذلك فانه قد كان
 في حجج الله ممن كان غير بالغ عند الناس» (١٧١).

وولد محمد بن علي هذا سنة خمس وتسعين ومائة بالمدينة، وقبض

ببغداد سنة عشرين ومائتين وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وأمه أم ولد يقال لها سميكة وكانت نوبية (١٧٢).

وكان متزوجا من ابنة المامون أم الفضل.

«فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن علي بن موسى والأخرى تحت أبيه علي بن موسى» (١٧٣).

وفي أيامه ادعى الإمامة واحد من الحسينيين وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٧٤).

«وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس، ثم حمله عبد الله بن طاهر إلى المعتصم، فحبسه في أزج اتخذ في بستان بسر من رأى، وقد تنوزع في محمد بن القاسم، فمن قائل يقول: انه قتل بالسم، ومنهم من يقول: ان ناسا من شيعة من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة، واتخذوا سلام من الحبال واللبود والظالقانية ونقبوا الأزج وأخرجوه فذهبوا به، فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - ومنهم خلق كثير يزعمون ان محمدا لم يموت، وأنه حي يرزق، وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا، وأنه مهدي هذه الأمة، وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان» (١٧٥).

(١٧٢) الارشاد للمفيد ص ٣١٦، اعلام الورى ص ٣٤٤، ٣٤٥، مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٤.

(١٧٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤١.

(١٧٤) مقاتل الطالبين ص ٥٧٧، أيضا الطبري وابن الاثير وغيرهما.

(١٧٥) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٥.

الشيعة في أيام علي بن محمد المكنى بأبي الحسن والملقب بالهادي أو النقي

ولما مات محمد بن علي خلف ابنه عليا وموسى ، وكان الأكبر منهما لا يتجاوز الثامنة من العمر حسب قول الشيعة ، وكانا من الصغر .
بمكان حتى «أوصى أبوهما علي تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق إلى عبد الله بن المساور إلى أن يبلغا» (١٧٦) الحلم» (١٧٧) .
فاختلف الشيعة في أمرهما ، فقوم قالوا بامامة محمد بن علي ، وقوم ذهبوا إلى امامة أخيه موسى بن محمد (١٧٨) .

النصيرية

وفي حياة علي بن محمد الهادي المكنى بأبي الحسن ظهرت من الشيعة فرقة اخرى ، فقالت :

بنوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري ، وكان يدعى أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري عليه السلام ، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا في أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل وأنه إحدى الشهوات والطيبات ، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئا من ذلك ، وكان يقوى أسباب هذا النميري محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، فلما توفي قيل له في علته وقد كان اعتقل لسانه : لمن هذا الامر من بعدك ؟ فقال : لأحمد ، فلم يدروا من هو ، فافترقوا ثلاث فرق ، فرقة قالت :

(١٧٦) ولا ندرى كيف يعتمد على صبي في أمور الدين من لم يعتمد عليه أبوه - وهو إمام معصوم عند الشيعة - في أمر دنياه .

(١٧٧) الكافي ج ١ ص ٣٢٥ .

(١٧٨) انظر فرق الشيعة ص ١١٣ .

انه (احمد) ابنه، وفرقة قالت: هو احمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وفرقة قالت: احمد بن ابي الحسين محمد بن محمد بن بشير بن زيد، فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء، وادعى هؤلاء النبوة عن أبي محمد فسميت النيمرية أو النصيرية (١٧٩).

ولقد ذكر الشهرستاني النصيرية في ملله، وذكر مذهبهم أنهم يقولون :

إن الله تعالى ظهر بصورة اشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص افضل من علي عليه السلام وبعده اولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم واخذ بأيديهم فعن هذا اطلقنا اسم الالهية عليهم، وانما اثبتنا هذا الاختصاص لعلي دون غيره لانه كان مخصوصا بتأييد من عند الله تعالى مما يتعلق بباطن الاسرار، قال النبي ﷺ انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وعن هذا كان قتال المشركين الى النبي ﷺ وقتال المنافقين إلى علي، وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم وقال لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم وإلا لقلت فيك مقالا وربما اثبتوا له شركة في الرسالة، اذ قال فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل، فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن، وقلع باب خير لا بقوة جسدانية من ادل الدليل على ان فيه جزء آلهيا وقوة ربانية، او يكون هو الذي ظهر الإله بصورته وخلق بيده وامر بلسانه، وعن هذا قالوا كان هو موجود قبل خلق السموات والارض، قال كنا اظلة على يمين العرش فسبحنا فسيحت الملائكة بتسييحنا فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الاظلال هي حقيقة وهي مشرقة بنور الرب تعالى اشراقا لا ينفصل عنها سواء كانت في

هذا العالم اوفي ذلك العالم، وعن هذا قال انا من احمد كالضوء من الضوء
يعني لا فرق بين النورين الا ان احدهما اسبق والثاني لا حق، به قال له
وهذا يدل على نوع شركة، فالنصيرية اميل الى تقرير الجزء الالهي
والاسحاقية اميل الى تقرير الشركة في النبوة» (١٨٠).

وذكر الرازي أن هذه الطائفة موجودة في حلب ونواحي الشام الى
يومنا هذا (١٨١).

ونحن نقول: أنها موجودة حتى اليوم في سوريا وتركيا، ويعرفون
بالعلوين.

وأما النصيرية فيقولون: إن محمد بن النصير النميري لم يدع
النبوة، بل انه كان بابا للامام الحادي عشر الحسن العسكري» (١٨٢).

ويقولون: إنه كان ينافسه رجل اسمه ابويعقوب اسحاق بن محمد
النخعي، فادعى هو الثاني هو الباب للحسن العسكري.

فالحاصل أن هؤلاء الذين يقولون ويصرحون بالوهية على، وكان
رسول الله هو رسوله هو كما يقولون:

ان عليا أرسل جابر بن يزيد الجعفي في قضاء غرض له، فلما أن
وصل الى الوضع المقصود رأى على بن أبي طالب جالسا على كرسى
من نور والسيد محمد (يعنى سيدنا محمدا) عن يمينه والسيد سلمان (يعنى
الصحابي الجليل سلمان الفارسي) عن شماله، ثم التفت جابر الى ورائه
فراه هكذا، ثم نظر عن يمينه فراه هكذا، ثم نظر الى السماء فراه في
السماء والملائكة حوله يسبحون بحمده ويسجدون له» (١٨٣).

(١٨٠) الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٢٦، ٢٥.

(١٨١) اعتقادات فرق المسلمين والمشرى للرازي ص ٦١.

(١٨٢) تاريخ العلوين للطويل ص ٢٠٢.

(١٨٣) الباكورة السليمانية ص ٨٧.

وقد دونوا لهم قرآنا مستقلا، ومنها هذه الآيات : ربنا آمنا بما أنزلت
 واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اشهد عليّ أيها الحجاب
 العظيم أشهد عليّ أيها الباب الكريم اشهد عليّ يا سيدى المقداد اليمين،
 اشهد عليّ يا سيدى أبو الدر الشمال بأن ليس إلهاً إلا علي بن أبي
 طالب الأصلع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمد، المحمود، ولا باب
 إلا السيد سلمان الفارسى المقصود، وأكبر الملائكة الخمسة الأيتام، ولا
 رأي إلا رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصبى الذي شرع
 الأديان في سائر البلدان، أشهد بأن الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية
 هي الغاية الكلية وهي الظاهرة بالنورانية وليس إله سواها وهي علي بن
 ابي طالب، وأنه لم يحاط ولم يحصر ولم يدرك ولم يبصر، أشهد بأنى نصيرى
 الدين جندبي الرأي جنبلاى الطريقة خصيبى المذهب جلى المقال
 ميمونى الفقه وافر الرجعة البيضاء والكرة الزهراء وفي كشف الغطاء
 وجلاء العماء وإظهار ما كتم وإجلاء ما خفي وظهور علي بن أبي طالب
 من عين الشمس قابض على كل نفس، الأسد من تحته وذو الفقار بيده
 والملائكة خلفه والسيد سلمان بين يديه والماء ينبع من بين قدميه والسيد
 محمد ينادي ويقول : هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه
 وعظموه وكبروه . هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه : اشهدوا علي يا
 أسيادي أن هذا ديني واعتقادي وعليه اعتمادي وبه أحيا وعليه أموت وعلي
 بن أبي طالب حي لا يموت بيده القدرة والجبروت، إن السمع والبصر
 والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا علينا من ذكرهم السلام» (١٨٤).

وغير ذلك من الخرافات .

«وتوفى على بن محمد هذا بسرمن رأى في رجب سنة أربع وخمسين

ومائتين ، وولد سنة اثنتى عشرة ومائتين ، وكان المتوكل قد أشخصه مع يحيى بن أكثم الى سرمن رأى ، فأقام بها وأمّه» (١٨٥).

هذا ولقد ادعى فى أيامه كثير من العلويين الامامة وبإيعهم خلق من الشيعة ومن أهل بيت على رضى الله عنه ، منهم يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على زين العابدين (١٨٦).

فاستولى على الكوفة وما حولها ، ولما قتل أيام المستعين العباسى رثاه كثير من الشعراء حتى قال الاصفهاني :

وما بلغنى أن أحدا ممن قتل فى الدولة العباسية من آل أبى طالب رثى بأكثر مما رثى به يحيى ، ولا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه» (١٨٧).

ووافق على ذلك ابن الأثير فى تاريخه الكامل (١٨٨).

وكذلك ادعى الامامة حسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن

الحسن المثنى :

ظهر ببلاد طهرستان وغلب عليهما وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد (١٨٩).

وكذلك حسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن على سنة احدى وخمسين ومائتين (١٩٠).

الشيعة فى أيام الحسن بن على العسكرى

ولما توفى ابو الحسن بن على الهادى افترقت الشيعة الى فرق

(١٨٥) الارشاد ص ٣٢٧ ، اعلام الورى للطبرسى ص ٣٥٥ ، كشف الغمة ج ٣ ص ١٦٦ ، جلاء العيون ج ٢ ص ٧٥٤ .

(١٨٦) مقاتل الطالبين للأصفهاني ص ٦٣٩ ، مروج الذهب ج ٤ ص ٦٣ .

(١٨٧) مقاتل الطالبين ص ٤٦٥ ، ويمثل ذلك فى مروج الذهب ج ٤ ص ٦٤ .

(١٨٨) ج ٥ ص ٣١٥ .

(١٨٩) مروج الذهب ج ٤ ص ٦٨ .

(١٩٠) أيضا ص ٦٩ ، ومقاتل الطالبين للأصفهاني ص ٦٦٥ .

«فرقة قالت بامامة ابنه محمد، وقد كان توفي في حياة أبيه بسر من رأى، وزعموا أنه حتى لم يمت واعتلوا في ذلك بأن أباه أشار اليه وأعلمهم أنه الامام من بعده، والامام لا يجوز عليه الكذب ولا يجوز البداء فيه فهو وان كانت ظهرت وفاته لم يمت في الحقيقة ولكن أباه خاف عليه فغيبه وهو القائم المهدي، وقالوا فيه بمثل مقالة أصحاب اسماعيل بن جعفر» (١٩١).
والجدير بالذكر أن محمدا هذا وهو المكنى بأبي جعفر كان وصى أبيه والخليفة بعده حسب تصريحات الشيعة ولكنه مات قبل أن يصل اليه الامامة وخلافة أبيه فشك القوم في أمره وامامة أبيه، فقال أبوه على الهادي المكنى بأبي الحسن:

بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليه السلام ما لم يكن يعرف له، كما بدا في موسى بعد مضي اسماعيل ما كشف عن حاله وهو كما حدثتكَ نفسك وان كره المبطلون، وأبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يحتاج اليه ومنعه آله الامامة» (١٩٢).

وفرقة قالت بامامة جعفر بن علي - وهو الملقب بجعفر الكذاب عند الشيعة، وقالوا:

أوصى اليه أبوه بعد مضي محمد وأوجب امامته وأظهر أمره وأنكروا امامة محمد أخيه وقالوا: انما فعل ذلك أبوه اتفاقا عليه ودفاعا عنه، وكان الامام في الحقيقة جعفر بن علي» (١٩٣).

وفرقة قالت بامامة الحسن العسكري ابن علي، وكان يكنى بأبي محمد (١٩٤).

وقال المفيد:

(١٩١) فرق الشيعة ص ١١٦، ١١٧.

(١٩٢) الاصول من الكافي، كتاب الحجة، باب الاشارة والنص على أبي محمد ج ١ ص ٣٢٧.

(١٩٣) النوبختي ص ١١٧، ١١٨.

(١٩٤) أيضا ص ١١٧.

وكان الإمام بعد أبي جعفر عليه السلام ابنه أبو الحسن على بن محمد (ع) لاجتماع خصال الامامة فيه وتكامل فضله وانه لا وارث لمقام أبيه سواه وثبت النص عليه بالامامة والاشارة اليه من أبيه بالخلافة» (١٩٥).

وتوفى يوم الجمعة سنة ستين ومائتين، وكان مولده بالمدينة في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ودفن في داره بسرمن رأى في البيت الذى دفن فيه أبوه، وأمه أم ولد يقال لها حديثه (١٩٦). وعمره يومئذ ثمانى وعشرون سنة. وقال النوبختى :

قيل : يقال لامه اصفان، وقيل : سليل وقيل غير ذلك .

وصلى عليه ابو عيسى بن المتوكل.

وكانت فى سنى امامته بقية ملك المعتز أشهراً، ثم ملك المهتدى أحد عشر شهراً وثمانية وعشرين يوماً، ثم ملك احمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل عشرين سنة وأحد عشر شهراً» (١٩٧).

وفى أيامه ادعى كثير من العلويين الامامة، منهم على بن زيد بن الحسين العلوى (١٩٨).

وكذلك الكثيرون الذين ذكرهم الاصفهانى فى مقاتل الطالبين والمسعودى فى مروج الذهب . وأما من السنة فذكرهم جميع المؤرخين .

الشيعة بعد وفاة الحسن العسكرى

مات الحسن العسكرى بدون خلف ولا عقب كما نص على ذلك

(١٩٥) الارشاد ص ٣٢٧.

(١٩٦) ايضاً ص ٣٣٥.

(١٩٧) اعلام الورى ص ٣٦٧.

(١٩٨) مقاتل الطالبين ص ٦٧٥، مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٩٤.

النوبختى :

توفى ولم ير له أثر، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقسم ميراثه أخوه جعفر وأمه» (١٩٩).

فأوجد موته خلافا شديدا في شيعته لأن التشيع بعد تطوره يوجب على مدعى الامامة أن يكون بعده عقب، وكذلك أن يكون عليه نص من الذى قبله، وهو الذى يقوم بتجهيزه وتكفينه، فكيف وهنا لا يرى له أثر فالتجؤ والتأويل ذلك الى سخافات عديدة، كل قوم حسب أهوائهم ومزاعمهم يهوون. فقال النوبختى :

فافترق أصحابه بعده بأربع عشرة فرقة، فرقة قالت : ان الحسن بن على حى لم يموت، وانما غاب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا تخلو من امام

وقالت الفرقة الثانية : ان الحسن بن على مات وعاش بعد موته وهو القائم المهدي لأننا روينا أن معنى القائم هو أن يقوم بعد الموت ويقوم ولا ولد له، لأن الامامة كانت تثبت لولده ولا أوصى الى أحد فلا شك أنه القائم

وقالت الفرقة الثالثة :

ان الحسن بن على توفى، والامام بعده أخوه جعفر واليه أوصى الحسن فلما قيل له ان الحسن وجعفر ما زالا متهاجرين متصارمين متعادين طول زمانهما وقد وقفتم على صنائع جعفر وسوء معاشرته له في حياته ولهم من بعد وفاته في اقتسام موارثه، قالوا : انما ذلك بينهما في الظاهر، وأما فى الباطن فكان متراضيين متصافيين لاختلاف بينهما ومن قوى امامة جعفر وأمال الناس اليه على بن الطاهر الخراز، وكان متكلماً محجاجاً وأعانتة على ذلك اخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزوينى .

وقالت الفرقة الرابعة :

ان الامام بعد الحسن جعفر وان الامامة صارت اليه من قبل أبيه ،
لا من قبل الحسن ، وان الحسن كان مدعيا باطلا ، لأن الامام لا يموت
حتى يوصى ويكون له خلف ، والحسن قد توفي ولا وصية له ولا ولد ،
والامام لا يكون من لا خلف له ظاهر ، معروف مشار اليه ، كما لا تجوز
أن تكون الامامة في الأخوين بعد الحسن والحسين كما نص عليه جعفر .
وأما الفرقة الخامسة : فانها رجعت الى القول بامامة محمد بن
على أخى الحسن المتوفى في حياة أبيه ، وأما الحسن وجعفر فانها ادعيا مالم
يكن لهما لأن جعفرا فيه خصال مذمومة وهو بها مشهور ، ظاهر الفسق
وغير صائن لنفسه ، معلن بالمعاصي ، ومثل هذا لا يصلح للشهادة على
درهم فكيف يصلح لمقام النبي صلى الله عليه وآله ؟ وأما الحسن فقد
توفي ولا عقب له . وقالت الفرقة السادسة :

ان للحسن بن على ابنا سماء محمدا وولد قبل وفاته بسنين ،
وزعموا أنه مستور ، لا يرى خائف من جعفر . وقالت الفرقة السابعة :
بل ولد بعد وفاته بثمانية أشهر ، وان الذين ادعوا له ولدا في حياته
كاذبون مبطلون في دعواهم ، لأن ذلك لو كان لم يخف غيره ولكنه مضى
ولم يعرف له ولد ، ولا يجوز أن يخفى ذلك وقد كان الحبل فيما مضى قائما
ظاهرا ثابتا عند السلطان وعند سائر الناس ، وامتنع من قسمة ميراثه من
أجل ذلك حتى بطل ذلك عند السلطان وخفى أمره ، فقد ولد له ابن
بعد وفاة أبيه بثمانية أشهر وقد كان أمر أن يسمى محمدا وأوصى بذلك وهو
مستور لا يرى .

وقالت الفرقة الثامنة :

انه لا ولد لحسن أصلا لأننا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم

نجده ولو جاز لنا ان نقول في مثل الحسن وقد توفي ولا ولد له أن له ولدا خفيا لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت عن غير خلف ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يقال خلف ابنا نبيا رسولا ، وكذلك في عبد الله بن جعفر بن محمد أنه خلف ابنا ، وأن ابا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير ابي جعفر احدهم الامام ، لأن مجي الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجبيء الخبر بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكرا من صلبه ولا خلف عبد الله بن جعفر ابنا ولا كان للرضا اربعة بنين ، فالولد قد بطل لا محالة ولكن هناك جبل قائم قد صح في سرية له وستلد ذكرا إماما متى ما ولدت فانه لا يجوز أن يمضي الامام ولا خلف له فتبطل الامامة وتخلو الارض من الحجة ، واحتج اصحاب الولد على هؤلاء فقالوا : انكرتم علينا امرا قلتم بمثله ثم لم تقنعوا بذلك حتى اصفتم اليه ما تنكره العقول ، قلتم أن هناك جبلا قائما فان كنتم اجتهدتم في طلب الولد فلم تجدوه فانكروتموه لذلك فقد طلبنا معرفة الجبل وتصحيحه أشد من طلبكم واجتهدنا فيه أشد من اجتهداكم فاستقصينا في ذلك غاية الاستقصاء فلم نجده فنحن في الولد أصدق منكم لأنه قد يجوز في العقل والعادة والتعارف أن يكون للرجل ولد مستور لا يعرف في الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه ، والامر الذي ادعيتموه منكر شنيع ينكره عقل كل عاقل ويدفعه التعارف والعادة مع ما فيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الجبل لا يكون اكثر من تسعة اشهر وقد مضى للجبل الذي ادعيتموه سنون وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بينة .

وقالت الفرقة التاسعة : ان حسن بن علي قد صحت وفاة أبيه وجده وسائر آبائه عليهم السلام ، فكما صحت وفاتهم بالخبر الذي لا

يكذب مثله فكذلك صح أنه لا امام بعد الحسن والأرض اليوم
بلا حجة الا أن يشاء الله فيبعث القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله
فيحيى الارض بعد موتها كما بعث محمد صلى الله عليه وآله على حين
فترة من الرسل .

وقالت الفرقة العاشرة :

ان أبا جعفر محمد بن على كان الميت في حياة أبيه وهو الذى كان
الامام بوصية من أبيه ، ثم أوصى هو الى غلام له صغير كان في خدمته
يقال له نفيس ، ثم بعد وفاته نقل هذا الغلام الوصية الى جعفر .

وقالت الفرقة الحادية عشرة :

قد اشتبه علينا الامر ، ولا ندرى من هو الامام ، وان الأرض لا
تخلو من حجة فتتوقف ولا نقدم على شىء حتى يصح لنا الأمر ويتبين .

وقالت الفرقة الثانية عشر :

ليس القول كما قال هؤلاء بل لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ،
ولو خلت لساخت الأرض ومن عليها . وأما هو خائف مستور بستر الله لا
يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه ، وليس علينا البحث عن أمره بل
البحث عن ذلك وطلبه محرم .

وقالت الفرقة الثالثة عشرة :

ان الحسن بن على توفى وانه كان الامام بعد أبيه وأن جعفر بن
على الامام بعده ، كما كان موسى بن جعفر اماما بعد عبد الله بن جعفر
للخبر الذى روى أن الامامة فى الأكبر من ولد الامام اذا مضى ، وأن
الخبر الذى روى عن الصادق عليه السلام أن الامامة لا تكون فى أخوين
بعد الحسن والحسين عليهما السلام صحيح لا يجوز غيره ، وانما ذلك اذا
كان للماضى خلف من صلبه فانها لا تخرج منه الى أخيه بل تثبت فى

خلفه، وإذا توفي ولا خلف له رجعت الى أخيه ضرورة لأن هذا معنى الحديث عندهم، وكذلك قالوا في الحديث الذي روى أن الامام لا يغسله الا امام، وان هذا عندهم صحيح لا يجوز غيره وأقروا أن جعفر بن محمد عليهما السلام غسله موسى وادعوا أن عبد الله أمره بذلك لأنه كان الامام بعده وان جاز أن لا يغسله لأنه امام صامت في حضرة عبد الله، فهؤلاء الفطحية الخلف الذين يميزون الامامة في أخوين اذا لم يكن الأكبر منهما خلف ولدا والامام عندهم جعفر بن علي على هذا التأويل ضرورة.

وأما الفرقة الرابعة عشرة فقالت :

ان الامام بعده ابنه محمد وهو المنتظر غير أنه مات وسيجيء ويقوم بالسيف ويملا الأرض قسطا وعدلا كم ملئت الأرض ظلما وجورا (٢٠٠). فهذه هي الفرق المشهورة للشيعة ذكرناها من كتب القوم أنفسهم مع سرد الروايات والعبارات من كتب السنة أيضا تأييدا وتوثيقا، لا أصلا واستدلالا، غير أن هنالك فرقا شيعية أخرى ذكرها أصحاب الفرق من السنة من البيانية والجناحية والرزامية والمقنعية والحلمانية والحلاجية والأزافرة وغيرهم، لم نذكرها لانقراضها ولعدم ورود ذكرها في كتب الشيعة وكى لا يقول قائل :

يعلم الله أن هذه الاسماء كلها لم نسع بها ولم نرها في كتب الشيعة وما هي الا مختلقة لا يقصد من ذكرها غير التشيع والتهجين، وهي أسماء بلا مسميات، ولم يذكرها أحد من المؤرخين، ولا نقلها من كتب في الملل والنحل من الشيعة كالشيخ أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي من أهل القرن الرابع في كتاب الفرق والمقالات المتكفل بذكر

فرق الشيعة وغيره (٢٠١).

وبقيت هناك فرقة أخرى ألا وهي : الاثنا عشرية أو الجعفرية أو الامامية فانها ذكرت ضمن الأربع عشرة فرقة التي افترقت بعد موت الحسن العسكري ، ولكن لما لها من أهمية ، وان هذا السرد الطويل لم يكن الا لأجلها ، لأنه عند اطلاق لفظ الشيعة لا يتبادر الى الذهن الآن الا هذه الفرقة . فنخصص لها بابا مستقلا في تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالسبئية وتوارثها جميع الأفكار الموجودة في الفرق البائدة من الغلاة والمتطرفين ، كما سنذكر الفرق التي تفرقت منها وهي موجودة حتى الآن . ونلفت ههنا أنظار القراء والباحثين الى أمر هام يجب الانتباه اليه وهو أن كل فرقة من فرق الشيعة التي ذكرناها في هذا الباب سيجد القارئ من مطالعة موجز المعتقدات والعقائد التي حملها اولئك ، أن كل واحدة منها أخذ حظا وافرا من السبئية أبناء اليهود ، واغترفت غرضا كثيرة من الأديان الباطلة الاخرى من النصرانية والمجوسية والأفكار المدسوسة من الهندوس والبابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم ، كما أن الشيعة بعد تطور التشيع الاول في جميع أدوارهم وعصورهم التزموا بقول الرجعة والغيبة والولاية والبراءة والوصاية والتوارث كما أرسخها مؤسس القوم عبد الله بن سبأ وشملته الماكرة .

(٢٠١) أعيان الشيعة للسيد محسن أمين القسم الأول الجزء الأول ص ٢٤ .

السِّقَّةُ الإِثْنَا عَشَرِيَّةُ

إن الطائفة الإمامية الذين قالوا بإمامة الموهوم الذي سموه محمد بن الحسن العسكري، يقول فيهم السمعاني في (الأنساب) :
الإمامية جماعة من غلاة الشيعة، وإنما لقبوا بهذا اللقب لأنهم يرون الإمامة لعلّي وأولاده ويعتقدون أنه لا بد للناس من إمام وينتظرون إماما سيخرج في آخر الزمان (١) .

وهي الطائفة التي تسمى بالاثني عشرية لاعتقادهم إمامة الاثني عشر من علي بن أبي طالب والحسن بن علي وإمامة أخيه الحسين وإمامة زين العابدين علي بن الحسين وإمامة محمد بن علي الباقر وإمامة جعفر بن محمد الصادق وإمامة موسى بن جعفر الكاظم وإمامة علي بن موسى الرضا وإمامة محمد بن علي الجواد وإمامة علي بن محمد الهادي وإمامة الحسن بن علي العسكري وإمامة محمد بن الحسن المهدي وهو الإمام الثاني عشر (٢) .

ويسمون أيضا : الجعفرية باعتبار أن مذهبهم في الفروع هو مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، ونسب مذهبهم في الفروع إليه باعتبار أن أكثره مأخوذ عنه (٣) .

(١) الأنساب للسمعاني .

(٢) الشيعة في التاريخ ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص ٢٠

ويسمون أيضا : الرافضة أو الروافض لرفضهم مناصرة أئمتهم ومتابعتهم وغدرهم بهم وعدم وفائهم لهم كما وصفهم على رضى الله عنه بقوله :

لو ميزت شيعة لما وجدتهم إلا واصفة ، ولو امتحتتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد (٤) .

وكما قال على بن الحسين الملقب بزين العابدين أنه لم يبق أحد من شيعة الحسين إلا ارتدّ تخاذلا وجبنا ورفضنا لنصرتهم إياه ، ألهم إلا الخمسة : أبو خالد الكابلي ويحيى ابن أم الطويل وجبير بن مطيع وجابر بن عبد الله وشبكة التي كانت زوجة الحسين (٥) .

ورفضهم مناصرة أئمتهم وخذلانهم إياهم وتركهم أوحادا في المعارك والحروب التي هم أسعروا نيرانها معروف ومشهور ، ولقد ذكرنا بعض الوقائع منها فيما سبق ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب (مقاتل الطالبين) للأصفهاني ، فإنه ليجد هناك المئات من أولاد على بن أبى طالب الذين دعوا إلى الخلافة والحكم ، ثم خذلوا ورفضوا من قبل الشيعة وقيل إنهم سموا بالروافض لرفضهم زيد بن على بن الحسين على مدحه أبابكر وعمر فقال زيد :

رفضونا اليوم ، ولذلك سموا هذه الجماعة بالرافضة (٦) .

وذكر الرازى مثل ذلك حيث قال :

إنما سموا بالروافض لأن زيد بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك ، فطعن عسكره فى أبى بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا

(٤) كتاب الروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٣٨ .

(٥) مجالس المؤمنين ص ١٤٤ ط . طهران .

(٦) ناسخ التواريخ للمرزة تقى خان الشيعى ج ٢ ص ٥٩٠ .

فارس . فقال لهم : - أى زيد بن على - رفضتمونى ؟ . قالوا : نعم ، فبقى عليهم هذا الأسم^(٧) .

وأما قول من قال :

الرافضة لقب ينزبه من يقدم عليا عليه السلام فى الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفى والانتقام ، وإذا هاجت هائجة العصبية لم يتوقف فى إطلاقه على كل شيعى^(٨) .

فليس إلا مبنيا على الجهل أو التجاهل فرارا من العار الذى لصق بهم أبدا الدهر لأنه ورد فى بخارى القوم :

عن محمد بن سليمان عن أبيه أنه قال : قلت لأبى عبد الله جعفر - الإمام السادس المعصوم حسب زعم الشيعة - : جعلت فداك فإننا قد نبزنا نبذاً أثقل ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاية دماءنا فى حديث رواه لهم فقهاؤهم ، قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : الرافضة ؟ قلت : نعم ، قال : لا والله ما هم سموكم ولكن الله سماكم به^(٩) .

ويسمون أنفسهم الخاصة وغيرهم العامة - فعل اليهود^(١٠) .
فهذه هى الاسماء المشهورة لهذه الطائفة ، فالقائلون بالغائب الموهوم يسمون بهذه الاسماء التى ذكرناها ، ثم إنهم تحيروا فى إثبات وجوده وولادته قبل ثبوت إمامته للشيعة وزعامته التشيع ، فاضطربت فيه أقوالهم وتضاربت فيه آراؤهم ، فقائل يقول : بأن أباه مات ولم ير له أثر ولم يعرف له ولد ظاهر^(١١) .

(٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشرىكين للرازى ص ٥٢ .

(٨) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص ١٧ .

(٩) كتاب الروضة من الكافى ج ٥ ص ٣٤ .

(١٠) أنظر أعيان الشيعة ج ١ ص ٢٠ .

(١١) فرق الشيعة للنوختى ص ١١٨ - ١١٩ .

وقائل قال :

كان منه الحمل في جارية له ولكنه بطل ذلك الحمل أو سقط كما ذكره الكليني في رواية طويلة له عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان أنه قال : إن الحسن العسكري لما مات :

صارت سرّ من رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل ، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن ، فذكر بعضهن أن جارية هنا بها حمل ، فجعلت في حجرة ووكّل بها تحرير الخادم وأصحابه ونسوه معهم ، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل (١٢) .

وقائل قال منهم : بل ولد لحسن بعده بثمانية أشهر (١٣) .

والآخرون قالوا : ولد ذلك الموهوم قبل وفاته بستتين :

فأما مولده بسرّ من رأى في ثالث وعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين (١٥) .

وقال قائلهم : كان مولده في سنة ست وخمسين (١٥) .

وقال قائل : لا بل ولد قبل وفاته بخمس سنوات :

وكان مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين (١٦) .

وهكذا اختلف في اسم الجارية التي قالوا إنها ولدته ، فقال

(١٢) كتاب الحجة من الكافي ج ١ ص ١٢٦ .

(١٣) فرق الشيعة ص ١٢٦ .

(١٤) كشف الغمة للاربعي ج ٣ ص ٢٢٧ .

(١٥) منتهى الآمال للعباس القمي ص ١١٩٨ الفارسي .

(١٦) الارشاد للمفيد ص ٣٤٦ ، اعلام الوري للطبرسي ص ٤١٩ .

قائلهم : إن اسمها نرجس (١٧) .

وقيل : اسمها صقيل أو صيقل (١٨) .

وقيل : حكيمة (١٩) .

وقيل غير ذلك .

وعلى ذلك قال ابن حزم :

وقالت القطيعية من الإمامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظاريون والعدد العظيم بأن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حي لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وهو عندهم المهدي المنتظر، ويقول طائفة منهم : إن مولد هذا الذي لم يخلق قط في سنة ستين ومائتين سنة موت أبيه، وقالت طائفة منهم : بل بعد موت أبيه بمدة . وقالت طائفة منهم : بل في حياة أبيه ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى وأنها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن أمه ويقرأ القرآن، وإن أمه نرجس، وأنها كانت هي القابلة، وقال جمهورهم : بل أمه صقيل، وقالت طائفة منهم : بل أمه سوسن . وكل هذا هوس، ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكراً ولا أنثى، فهذا أول نوك الشيعة ومفتاح عظيماهم وأخفها وإن كانت مهلكة (٢٠)

تم القصص التي اختلقت واخترعت لولادة هذا المولود الذي لم يولد قط وعن اختفائه عن الأعين، عن الخاصة والعامة وعن الأقارب والأباعد، وعدم علم أهل البيت وأهل الدار وعدم معرفتهم به . ثم

(١٧) الإرشاد للمفيد ص ٣٤٦ .

(١٨) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٢٧ .

(١٩) أيضاً .

(٢٠) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨١ .

وكيفية بلوغه إلى درجة الإمامة والاحاطة بجميع العلوم التي هي من خواص الإمامة ولوازمها عند القوم، كل ذلك جعل القوم ينسجون الاساطير ويبالغون في الأكاذيب لإثبات مدعاهم الذي لم يثبت ولن يثبت لأن حكاياتهم الجديرة أن توصف بأنها خرافات وخزعבלات هي نفسها تشهد على فشلهم وخذلانهم في إيجاد اللاموجود. ونسرد للقارىء بعض هذه الخرافات لكي يعرف ويعلم كذب القوم وحقيقتهم الأصلية. ولأهمية الموضوع أردنا بعض التفصيل وخاصة إنها - أى الاثنى عشرية - هي الطائفة الوحيدة التي تدعى التشيع الأصلى وكونهم الشيعة الأصليين وعلى وجود معدومهم يتأسس مذهبهم وتقوم ديانتهم .

ولقد ذكر مفسر الشيعة وعلم من أعلامهم، الذي يلقبونه بأمين الإسلام ومن علمائهم في القرن السادس من الهجرة أبو على الطبرسى في كتابه نقلا عن صدوق الشيعة وأحد أئمتهم في الحديث، الذي جعلوه في الصحاح الأربعة لهم، ابن بابويه القمى :

فمن الأخبار التي جاءت في ميلاده (ع) ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن يحيى العطار عن الحسين بن رزق الله عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة (عن حكيمة بنت محمد بن علي) بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : حدثني حكيمة بنت محمد بن الرضا (ع) قالت : بعث إلي أبو محمد الحسن بن علي (ع) فقال : يا عمه اجعلي إفطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان وإن الله تعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجة الله في أرضه، قالت فقلت له : ومن أمه ؟ . قال : نرجس، فقلت له : جعلني الله فداك ما بها أثر، فقال : هو ما أقول لك، قالت : فجئت فلما سلمت وجلست

جاءت تنزع خفى وقالت لى : ياسيدتى كيف أمسيت؟ . فقلت : بل أنت سيدتى وسيدة أهلى ، قالت : فأنكرت قولى وقالت : ما هذا ، فقلت لها : يابنية إن الله تعالى سيهب لك فى ليلتك هذا غلاماً سيداً فى الدنيا والآخرة ، قالت : فخجلت واستحييت ، فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعى فرقدت فلما كان فى جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتى وهى قائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة ثم اضطجعت ، ثم انتبهت أخرى وهى راقدة ، ثم قامت فصلت ونامت ، قالت حكيمة : وخرجت اتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان وهى نائمة ، قالت حكيمة : فدخلتنى الشكوك فصاح بى أبو محمد من المجلس فقال : لا تعجلى ياعمة فإن الأمر قد قرب ، قالت : فجلست فقرأت (الم السجدة) و(يس) فبينما أنا كذلك إذا انتبهت فرعة فوثبت إليها ، فقلت : اسم الله عليك ، ثم قلت لها : تحسين شيئاً؟ قالت : نعم ، فقلت لها : اجمعى نفسك واجمعى قلبك فهو ما قلت لك .

قالت حكيمة : ثم أخذتنى فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحس سيدى فكشفت الثوب عنها فإذا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضممته إلى فإذا أنا به نظيف منظم ، فصاح بى أبو محمد هلمى إلى ابنى ياعمة ! فجئت به إليه فوضع يديه تحت أليته وظهره ووضع قدميه على صدره ، ثم أدلى لسانه فى فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال : تكلم يابنى فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة (ع) إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم .

ثم قال أبو محمد : ياعمة ! اذهبى به إلى أمه ليسلم عليها واثينى

به فذهبت به فسلم ورددته ووضعت في المجلس .

ثم قال عليه السلام : يا عمّة إذا كان يوم السابع فائتينا ، قالت
حكيمّة : فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد وكشفت الستر
لأتفقد سيدي فلم أره فقلت له : جعلت فداك ما فعل سيدي ؟ . قال :
يا عمّة استودعناه الذي استودعت أم موسى ، قالت حكيمّة : فلما كان يوم
السابع جئت وسلمت على أبي محمد فقال : هلمى إلى ابني فجئت
بسيدي وهو في الخرقه ففعل به كفعلة الأولى ثم أدلى لسانه في فيه كأنها
يغذيه لبناً أو عسلاً ، ثم قال : تكلم يا بني فقال أشهد أن لا إله إلا الله
وثني الصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة حتى وقف
على أبيه (ع) ثم تلا هذه الآية (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ونرى
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (٢١) .

وروى مثل ذلك بزيادات كثيرة خاتمة محدثي الشيعة ملا باقر
المجلسي عن الكليني صاحب (الكافي) ، وعن ابن بابويه القمي ، وعن
شيخ الطائفة الطوسي ، وعن السيد مرتضى الذي لقبوه بعلم الهدى
وغيرهم (٢٢) .

ومؤرخ الشيعة ورجاليهم ومحدثهم عباس القمي في منتهى
الآمال (٢٣) .

وروى القوم عن كبار محدثيهم ، عن ابن بابويه القمي ، وعن شيخ
الطائفة الطوسي بأسانيد معتبرة معتمدة كما ذكروا خرافات كثيرة يخجل
الإنسان بذكرها ويمجّها العقل ويزدريها الفكر ولكن أنى لسانى

(٢١) اعلام الرورى للطبرسى ص ٤١٨ - ٤٢٠ ، روضة الواعظين للفتال النيسابورى الشيعى
ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢٢) جلاء العيون فارسى ص ٧٧٠ وما بعد .

(٢٣) ص ١٢٠٤ وما بعد .

أصحاب الرسول الحياء والخجل ، وما ورد فيه أن حكيمة تقول :
 بدأت أقرأ على نرجس : إنا أنزلناه في ليلة القدر، فأجابني الجنين
 من بطنها يقرأ بمثل ما أقرأ ، وسلم عليّ ، ففزعت لما سمعت ، فصاح بي
 أبو محمد عليه السلام : لا تعجبي من أمر الله إن الله تعالى ينطقنا صغارا
 بالحكمة ويجعلنا حجة في أرضه كبارا ، فلم يستتم الكلام حتى غيّبت
 عني نرجس ، فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب فعدوت نحو أبي
 محمد (ع) وأنا صارخة فقال لي : ارجعي ياعمة فإنك ستجدينها في
 مكانها قالت : فرجعت فلم ألبث إلى أن كشف الغطاء الذي بيني وبينها
 وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصري فإذا أنا بالصبي عليه
 السلام ساجداً لوجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء وهو
 يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدى رسول الله (ص) وأن أبى أمير
 المؤمنين ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه فقال : اللهم أنجز لى
 وعدى وأتم لى أمرى ، وثبت وطأتى وأملاً الأرض بى عدلاً وقسطاً
 فصاح بى أبو محمد (ع) وقال : ياعمة تناولى وهاتيه فتناولته وأتيت به
 نحوه فلما مثلت بين يدى أبيه وهو على يدى فسلم على أبيه فتناولوه
 الحسن (ع) منى والطير يرفرف على رأسه ويناوله لسانه فيشرب منه ثم
 قال : امض به إلى أمه لترضعه ورديه إلى قالت فتناولته أمه فأرضعته
 ورددته إلى أبى محمد والطير يرفرف على رأسه فصاح طير منها فقال له :
 احمله واحفظه ورده إلينا في كل اربعين يوماً فتناولوه الطير وطار به في جو
 السماء واتبعه سائر الطيور فسمعت أبا محمد يقول : أستودعك الذى
 اودعته أم موسى ، فبكت نرجس فقال : اسكتي فإن الرضاع محرم عليه
 إلا من نديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أم موسى وذلك قول الله عز
 وجل : ﴿ فرددناه إلى أمه كي تفر عينها ولا تحزن ﴾ ، قالت حكيمة : قلت

فما هذا الطير؟ قال هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويرببهم العلم قالت حكيمة : فلما أن كان بعد أربعين يوماً رد الغلام ووجهه إلى ابن أخى فدعاني فدخلت عليه فإذا أنا بصبي متحرك يمشى بين يديه فقلت ياسيدى هذا ابن ستين فتبسم عليه السلام ثم قال : إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشئون بخلاف ما ينشأ غيرهم وإن الصبى منا إذا أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة وإن الصبى منا ليتكلم فى بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد الله تعالى عند الرضاع وتطيف به الملائكة وتنزل عليه بالسلام صباحاً ومساءً قالت حكيمة : فلم أزل أرى ذلك الصبى فى كل أربعين يوماً إلى أن رأيته رجلاً قبل مضى أبى محمد بأيام قلائل فلم اعرفه فقلت لابن اخى (ع) من هذا الذى تأمرنى أن أجلس بين يديه؟ فقال لى : هذا ابن نرجس وهذا خليفتى من بعدى وعن قليل تفقدوننى فاسمعى وأطيعى» (٢٤) .

ومثل ذلك روى الطبرسى أيضاً فى أعلام الورى (٢٥) .

وزاد : حدثنى نسيم الخادم قال : قال لى صاحب الزمان وقد دخلت بعد مولده بليلة ، فعطست فقال : یرحمك الله ، قال نسيم : ففرحت بذلك فقال : ألا أبشرك بالعطاس؟ فقلت : بلى ، فقال : هو أمان من الموت إلى ثلاثة أيام» (٢٦) .

وابن الفتال قال :

لما ولد السيد عليه السلام قال أبو محمد : ابعثوا إلى أبى عمرو ، فبعث إليه فصار إليه ، فقال له : اشتر أربعة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف

(٢٤) جلاء العيون للمجلسى ص ٧٧٢ ، منتهى الآمال للقمى ص ١٢٠٦ ، روضة الواعظین ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٢٥) ص ٤٢٠ .

(٢٦) أعلام الورى ص ٤٢٠ .

رطل لحم وفرقه واحسبه .

قال على بن هاشم : وعق عنه بكذا وكذا شاة .

وروى أنه لما ولد السيد (ع) رأيت له نورا ساطعا قد ظهر منه وبلغ أفق السماء ، ورأيت طيورا بيضا تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير ، فأخبرنا أبا محمد بذلك فضحك ، ثم قال : تلك ملائكة السماء نزلت للتبرك بهذا المولود ، وهى أنصاره إذا خرج» (٢٧) .

ولعقل أن يعقل ويسأل : ولماذا الخوف ، ثم الدخول فى السرداب مادامت الملائكة حاميته وأنصاره ؟ .

ثم ولماذا كان البحث والتفتيش والتنقيب عن مولود للحسن العسكرى مادام أنه كان موجودا وقد بلغ الرشد وشب وترعرع ؟ .
ثم وكيف حاز تركة الحسن أخوه جعفر مع وجود من يكون وارثا له من أولاده ؟ .

ورابعا : ولماذا لم يشب ولم ينم الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ولهما من مكانة ومنزلة لا تخفى على أحد ؟ . كما أن الحسين حسب زعم القوم هو أب الأئمة الذين خلفوا بعده ومع وجود رسول الله آنذاك ، فكان صبيبا عندما غادر رسول الله الدنيا وحتى بروايات القوم ، ثم ومن غير المعدوم نمى هذا النمو وترعرع وشب بهذه العجلة ؟ فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

خامسا : وهل يصدق بهذه الأقاصيص التى لم يحسن واضعوها صناعتها وصياغتها شخص لديه شىء من التعقل وقليل من الفكر ؟ .
وهل حكايات الطير وغياب النرجس إلا الأباطيل التى يسامر بها

المسامرون ويحيون بها الليالى فى الأندية والمقاهى ؟ .

ثم وكيف خفى كل هذا على الهاشميين والأسرة العلوية مع من فيهم من أم الحسن وأخيه وعلى رأسهم نقيب الطالبيين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن الطومار الذى كان لديه سجل يدون فيه مواليد العلويين . وعلى ذلك لما ادعى أحد من الأدعياء أنه محمد بن الحسن العسكرى سنة ٣٠٢ وصل خبره إلى الخليفة المقتدر العباسى ، فأمر باحضار مشائخ آل أبى طالب ونقيهم للبت فى أمره ، فشهد الجميع على كذبه بدليل أن الحسن العسكرى لم يعقب ، فحبس الدعى وضرب شهر بين الناس (٢٨) .

فهذه القصص وهذه الخرافات بنفسها تشهد على فشل القوم فى إثبات المدعى .

هذا وزيادة على ذلك اختلاف الشيعة أنفسهم وذهاب أكثرهم إلى إمامة الآخرين ، والآراء المتعددة ، بعد يأسهم عن ولادة ابن الحسن العسكرى وعن وجوده بعده .

وأخيرا ننقل ذلك الخبر الموثوق ، المعتمد لدى القوم والمنقول فى أصح كتبهم ، فى (الكافى) ما هو فصل قاطع فى الموضوع ، وذلك ما رواه الكلينى عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان وهو شيعى مشهور معلن تشيعه وموالاته للحسن العسكرى أن الحسن العسكرى :

لما اعتل بعث السلطان إلى أبيه أن ابن الرضا قد اعتل ، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلا ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته ، فيهم تحرير فأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله ، وبعث إلى نفر من المتطبيين فأمرهم

بالاختلاف إليه وتعاهده صباحا ومساء ، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف ، فأمر المتطبين بلزوم داره وبعث إلى قاضى القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به فى دينه وأمانته وورعه ، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلا ونهارا ، فلم يزلوا هناك حتى توفى عليه السلام فصارت سر من رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل ، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن ، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت فى حجرة ووكل بها تحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم ، ثم أخذوا بعد ذلك فى تهيئته وعطلت الأسواق وركبت بنوهاشم والقواد وأبى وسائر الناس إلى جنازته ، فكانت سر من رأى يومئذ شبيها بالقيامة ، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبى عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه ، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بنى هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال :

هذا الحسن بن على بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطبين فلان وفلان ، ثم غطى وجهه وأمر بحمله من وسط داره ودفن فى البيت الذى دفن فيه أبيه .

ولما دفن أخذ السلطان والناس فى طلب ولده وكثر التفتيش فى المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التى توهم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل ، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وادعت أمه وصيته وثبت

ذلك عند القاضي» (٢٩) .

وذكر هذا الخبر جميع مؤرخى الشيعة ومؤلفيهم ومحدثيهم من المفيد فى الإرشاد (٣٠) والطبرسى فى أعلام الورى (٣١) والأربلى فى كشف الغمة (٣٢) والملا باقر المجلسى فى جلاء العيون (٣٣) وصاحب الفصول فى الفصول المهمة (٣٤) والعباس القمى فى منتهى الآمال (٣٥) .

فهذا هو الخبر الذى رواه جميع مؤرخى الشيعة ومحدثيها قد يهدم ما أرادوا بناءه على الأساطير والقصص والحكايات والخرافات من ولادة الثانى عشر المعلوم ونشأته وإمامته .

ثم ولقد أقرّ بهذه الحقيقة الناصعة كبار القوم وزعمائهم بأن الحسن العسكرى مات :

فلم يظهر ولده فى حياته ، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته ، وتولى جعفر بن على أخو أبى محمد (ع) وأخذ تركته ، وسعى فى حبس جوارى أبى محمد واعتقال حلائله . . . وحاز جعفر ظاهرا تركة أبى محمد عليه السلام واجتهد فى القيام عند الشيعة مقامه» (٣٦) .

ولماذا قالوا بولادة هذا المعلوم ؟

ثم ان القوم لم يضطروا إلى إيجاد هذا المعلوم واختلاق هذا الموهوم إلا فرارا من الاسئلة التى تطرح عليهم من قبل مخالفينهم وهربا من المآزق

(٢٩) كتاب الحجة من الكافى ص ٥٠٥ .

(٣٠) ص ٣٣٩ .

(٣١) ص ٣٧٧-٣٧٨ .

(٣٢) ج ٣ ص ١٩٨-١٩٩ .

(٣٣) تحت ذكر المهدي .

(٣٤) أيضا .

(٣٥) أيضا .

(٣٦) الارشاد للمفيد ص ٣٤٥ ، اعلام الورى للطبرسى ص ٣٨٠ ، كشف الغمة ج ٣

التي كانوا يقعون فيها حسب الأسس التي اخترعوها والقواعد التي ابتدعوها والأصول التي أوجدوها هم أنفسهم لبيان أوصاف الإمام وخصائله والشروط التي توجد فيه واللوازم التي تلزمه إياه، فإنهم قالوا :
ان الإمام لا يموت حتى يوصى ، ويكون له خلف (٣٧) .
وذكر الكليني عن جعفر أنه قال :

لا يموت الإمام حتى يعلم من يكون بعده ، فيوصى إليه» (٣٨) .
ثانيا : لا يكون إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب كما روى الكليني عن جعفر أنه قال :

لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا ، إنما جرت من على بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ ، فلا تكون بعد على بن الحسين إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب» (٣٩) .

وروى الكليني عن عيسى بن عبد الله بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال :

قلت لأبى عبد الله عليه السلام : إن كان كون - ولا أرانى الله - فبمن أئتم ؟ فأومأ إلى ابنه موسى ، قال : قلت : فإن حدث بموسى حدث فبمن أئتم ؟ قال : بولده ، قلت : فإن حدث بولده حدث وترك أخا كبيرا وابنا صغيرا فبمن أئتم ؟ قال : بولده ثم واحدا فواحدا . وفي نسخة الصوافي : ثم هكذا أبدا» (٤٠) .

(٣٧) فرق الشيعة للنوختي ص ١٢٣ .

(٣٨) الأصول من الكافي كتاب الحجة ، باب ان الإمام يعرف الإمام الذى يكون من بعده ج ١

ص ٢٧٧ .

(٣٩) أيضا ، باب اثبات الإمامة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب وانها لا تعود في أخ ولا عم ج ١

ص ٢٨٦ .

(٤٠) أيضا .

وتوثيقا لهذه القاعدة وتأكيذا لها نقلوا عن علي بن موسى الرضا أنه
سئل :

أتكون الإمامة في عمّ أو خال؟ فقال : لا ، قيل : ففى أخ؟ قال :
لا ، قيل : ففيمن؟ قال : فى ولدى ، وهو يومئذ لا ولد له» (٤١) .
ويقصد بذلك لا بد أن يولد له ولد لأن وجوده من أحد الأدلة على
صحة الإمامة .

ثالثا : ولا يكون إلا فى الكبير . كما روى الكليني عن علي بن موسى أنه
قال :

للإمام علامات ، منها أن يكون أكبر (٤٢) ولد أبيه» (٤٣) .
وكما رووا عن جعفر أنه قال :

ان الأمر فى كبير ما لم تكن فيه عاهة» (٤٤) .

ومثل ذلك قال علي بن موسى بن جعفر حينما سئل عن دلالة
صاحب هذا الأمر فقال :
الدلالة عليه الكبير» (٤٥) .

رابعا : قالوا : إن الإمام لا يغسله إلا الإمام . كما نقلوا عن علي
الرضا أنه قال :

إن الإمام لا يغسله إلا إمام من الأئمة عليهم السلام» (٤٦) .

خامسا : يستوى عليه درع رسول الله ﷺ كما رووا عن الباقر أنه
بين علامات الإمام فقال : ومنها : وإذا لبس درع رسول الله صلى الله
أيضا . (٤١)

(٤٢) وهذا هو الدليل القوى والحجة القاطعة للاسماعيلية بأن الإمام كان بعد جعفر اسماعيل ابنه
لأنه هو أكبر أبنائه .

(٤٣) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤٤) الأصول من الكافي كتاب الحجّة ، باب الأمور التى توجب حجة الإمام ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤٥) أيضا .

(٤٦) أيضا ، باب ان الإمام لا يغسله إلا إمام ص ٣٨٤ .

عليه وآله كان عليه وقفا، وإذا لبس غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليهم شبرا» (٤٧).

ومثل ذلك روى ابن بابويه القمي عن علي بن موسى الرضا - الإمام الثامن للشيعة - أنه قال :

ويستوى عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله» (٤٨).

وبذلك استدل جعفر بن الباقر على إمامة موسى ابنه - حسب زعمهم - كما يروى عبد الرحمن بن الحجاج أنه قال لجعفر :

جعلني الله فداك، قد عرفت انقطاعي إليك، فمن ولي الناس بعدك؟ فقال: إن موسى قد لبس الدرع وساوى عليه» (٤٩).

سادسا : ويكون عنده سلاح رسول الله كما روى الكليني عن علي بن موسى بن جعفر أنه قال :

والسلاح فينا بمنزلة التابوت في بني اسرائيل، تكون الإمامة مع السلاح حيث ما كان» (٥٠).

وبمثل ذلك قال جعفر :

يعرف صاحب هذا الأمر بثلاث خصال : لا تكون إلا فيه : هو أولى الناس بالذي قبله وهو وصيه وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله» (٥١).

سابعا : لا يكون الإمام إلا من يكون أشجع الناس وأعلم الناس، كما روى الكليني عن أبي الحسن أنه قال :

(٤٧) أيضا، باب مواليد الأئمة ج ١ ص ٣٨٩.

(٤٨) عيون أخبار الرضا، باب ما جاء عن الرضا في علامات الإمام ج ١ ص ٢١٣.

(٤٩) الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٠٨.

(٥٠) أيضا ص ٢٨٤.

(٥١) أيضا ص ٣٧٩.

نحن في العلم والشجاعة سواء» (٥٢) .

وكما روى الحر العاملي عن علي بن موسى بن جعفر أنه قال :
الإمام أحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل
ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا
اكتساب، بل اختصاص من الفضل الوهاب» (٥٣) .

وروى ابن بابويه القمي أيضا عن علي بن موسى بن جعفر أنه
قال :

للإمام علامات، يكون أعلم الناس وأشجع الناس» (٥٤) .
ثامنا : إن الإمام لا يحتلم ولا يجنب كما رووا ذلك عن علي بن
موسى بن جعفر» (٥٥) .

تاسعا : إن الإمام يعلم بما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليه
شيء، وعنده جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل ويعرفها على
اختلاف ألسنتها» (٥٦) .

وأشياء كثيرة كثيرة .

ولقد ذكر ابن بابويه القمي عن علي بن موسى بن جعفر أنه
قال :

للإمام علامات : يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى
الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد
الناس، ويولد مختونا، ويكون مطهرا، ويرى من خلفه كما يرى من بين
الأيضاص ٢٧٥ .

(٥٣) الفصول المهمة، باب يجب أن يكون الإمام أعلم الناس ص ١٤٢ ط . قم . إيران .

(٥٤) كتاب الخصال لابن بابويه القمي ج ٢ ص ٥٢٨ ط . طهران .

(٥٥) أنظر عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢١٣، كتاب الخصال ج ٢ ص ٥٢٨ .

(٥٦) الكافي للكليني، كتاب الحجة ج ١ ص ٢٢٧، ٢٦٠، الفصول المهمة للحر العاملي

يديه ، ولا يكون له ظلٌ ، وإذا وقع على الأرض من [بطن] أمّه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادة ، ولا يحتلم ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، ويكون محدثاً ويستوى عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا يرى له بول ولا غائط لأنّ الله عزّ وجلّ قد وكلّ الأرض بابتلاع ما يخرج منه ، ويكون له رائحة أطيب من رائحة المسك ، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم وأشفق عليهم من آبائهم ، وأمّهاتهم ، ويكون أشدّ الناس تواضعاً لله عزّ وجلّ ، ويكون آخذ الناس بما يأمرهم به وأكفّ الناس عما ينهى عنه ، ويكون دعاؤه مستجاباً حتّى لو أنّه دعا على صخرة لانشقت نصفين ، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذو الفقار ، ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة ، ويكون عنده الجامعة وهى صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر إهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتّى أرش الخدش وحتّى الجلدة ونصف الجلدة وثلاث الجلدة ، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام .

وفى حديث آخر إنّ الإمام مؤيد بروح القدس وبينه وبين الله عزّ وجلّ عمود من نور يرى فيه أعمال العباد وكلّما احتاج إليه لدلالة اطلع عليه» (٥٧) .

وأخيراً عن جعفر أنه قال :

لوبيقبت الأرض بغير إمام لساخنت» (٥٨) .

وقال :

(٥٧) كتاب الخصال للقمي ص ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

(٥٨) الأصول من الكافي ، باب ان الأرض لا تخلو من حجة ج ١ ص ١٧٩ .

لوم يبق من الأرض إلا اثنان فأحدهما الحجة» (٥٩) .

هذه هي الأسس الكبيرة التي وضعوا عليها بناء إمامة أئمتهم ، ولما وجدوا أن أكثر الذين يعتقدون فيهم الإمامة ولا تنطبق عليهم هذه الصفات ولا يصدق عليهم هذه الشروط حيث إن بعضهم ليس بأكبر ولد أبيه مثل موسى الكاظم والحسن العسكري ، وبعضهم لم يغسله إمام مثل علي بن موسى بن جعفر ، فإن ابنه محمد الجواد لم يتجاوز الثامنة من عمره آنذاك .

وكذلك موسى بن جعفر فإن ابنه علي الرضا لم يغسله لغيبه عنه عندئذ .

والجدير بالذكر أن محمد بن الرضا - الإمام الثامن من عندهم - كان بالمدينة حين وفاته (٦٠) .

وكذلك الحسين بن علي لم يثبت أنه غسّله ابنه علي زين العابدين لملازمته الفراش ولحيلولة عساكر ابن زياد دون ذلك .

وبعضهم لا يستوى عليه درع رسول الله مثل محمد بن علي الرضا ، فإنه لم يتجاوز الثامنة عند وفاة أبيه ، وكذلك ابنه علي بن محمد مات عنه وهو صغير .

ومنهم من لم يكن عنده سلاح رسول الله ، ولو كان عنده لما نازعه في الأمر أخوه زيد ، وكموسى بن جعفر حيث نازعه عبد الله الأفطح وغيره .

ومنهم من لم يكن أعلم الناس ، فكيف يكون الصبي أعلمهم ، وقد نقل عن القوم أنفسهم بأن من يظنونه إماما من الصبيان قد وكل أمرهم إلى الآخرين إلى أن يستأنس منهم الرشد والعلم ، وكذلك فقد

(٥٩) أيضا .

(٦٠) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤٩ .

شكّ كبار الشيعة وزعماءهم حتى في علم جعفر بن الباقر، فهذا هو زرارة بن أعين كبير رواة القوم، الذي قال فيه جعفر نفسه :
 رحم الله زرارة بن أعين، لولا زرارة ونظراؤه لاندurst أحاديث أبي» (٦١).

فهذا زرارة قال عن جعفر وأبيه :
 رحم الله أبا جعفر، فإن في قلبي عليه لفته» (٦٢).
 وقال فيه أيضا : وصاحبكم أيضا ليس له بصير بكلام الرجال» (٦٣)

ومثل ذلك حكموا في علم ابنه موسى، والقائل هو أبو بصير المرادى أحد الأركان الأربعة في رواية الحديث الشيعي، وأبو بصير هذا هو الذي بشره جعفر بن محمد بالجنة (٦٤).

فلقد ذكر الكشي عن شعيب الأقرقوفي أنه ذكر أبا الحسن عنده، فقال أبو بصير: أظن صاحبنا ماتناهي حكمه بعد، وفي رواية أظن صاحبنا ما تكامل علمه» (٦٥).

وأما الشجاعة فبعد الحسين بن علي لم يكن واحد منهم معروفا بهذا الوصف بين الناس حسب روايات الشيعة، بل كل ما نقل عنهم يدل على عكس ذلك، فلم يخرج واحد منهم ضد الحكام ولا السلاطين، بل خلاف ذلك، كان منهم من أقرب عبوديته لهم، ومنهم متخاذل عن نصرته بنى عمومته الخارجين على الأمراء والولاة، ومنهم متجنب محترز محتاط ومنهم داع إلى التزام الولاء والإطاعة لهم كما ذكرنا كل ذلك في الباب السابق.

(٦١) رجال الكشي ص ١٢٤.

(٦٢) أيضا ص ١٣١، تحت ترجمة زرارة ابن أعين.

(٦٣) أيضا ص ١٣٣.

(٦٤) أنظر رجال الكشي ص ١٥٢ تحت ترجمة أبي بصير المرادى.

(٦٥) أيضا ص ١٥٤.

وهذا كله حسب روايات القوم أنفسهم ، وما فعله الحسن وما قالوه له وفيه فمعروف ومشهور .

ومنهم من جاء النص بأنه كان يجنب ويحتلم كعلی بن أبی طالب والحسن والحسين ، ورووا النص عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد إلا أنا وعلى وفاطمة والحسن والحسين» (٦٦) .

وأما العلم بما كان وما يكون فلو كان كذلك لم يختلف أجوبتهم على السائلين لعلمهم أنهم من مخلصي شيعتهم ، لأنهم عند ذاك علموا بأنهم ليسوا من المخالفين كما ذكر ذلك النوبختي :

«عمر بن رياح» زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها بجواب ، ثم عاد إليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول ، فقال لأبي جعفر : هذا خلاف ما أجبته في هذه المسألة العام الماضي ، فقال له : ان جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشكك في أمره وإمامته فلقي رجلاً من أصحاب أبي جعفر يقال له (محمد بن قيس) فقال له : اني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سأله عنها في عام آخر فأجابني بخلاف جوابه الأول ، فقلت له : لم فعلت ذلك؟ فقال : فعلته للتقية ، وقد علم الله أني ما سأله عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به وقبوله والعمل به فلا وجه لاتقائه إياي وهذه حالي فقال له محمد بن قيس : فلعله حضرك من اتقاه؟ فقال : ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله ، فرجع عن إمامته وقال : لا يكون إماماً

من يفتى بالباطل على شىء» (٦٧) .

ومثل ذلك ذكر الكليني في (الكافي) عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر قال :

سألته عن مسألة فأجابني ، ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني ، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي ، فلما خرج الرجلان قلت :

يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه ؟ فقال : يا زرارة ، ان هذا خير لنا وابقى لنا ولكم ، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدّكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم .

قال : ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين ؟ قال : فأجابني بمثل جواب أبيه» (٦٨) .

وكذلك لو كانوا يعلمون الغيب لما قتل البعض منهم ومات الآخرون مسمومين حسب روايات القوم ، فانهم قالوا : لم يكن إمام إلا مات مقتولا أو مسموما (٦٩) .

لأنهم عند ذلك علموا بذلك .

وأما التكلم بجميع اللغات فليس إلا من الأساطير التي اختلقها القوم للضحك على عقول الناس .

فهذه هي الأشياء التي جعلت الشيعة في موقف حرج ومأزق لا يرجى منه الخروج .

(٦٧) فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٠ - ٨١ .

(٦٨) الأصول من الكافي ، كتاب العلم باب اختلاف الحديث ج ١ ص ٦٥ .

(٦٩) الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٧٥ ، عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢١٤ .

وعندما لم يولد مولود للحسن العسكري رأوا أن جميع قواعدهم قد انهارت ، وأسسهم قد انهدمت ، ولم يبق مجال للتأويل الذى كانوا يتأولون به فى السابق والسابقين ، ورأوا أنه لا مخلص ولا منجى منه إلا أن يوجدوا معدوما ليتخلصوا به فى المستقبل عن جميع الاسئلة التى تنجم عن عدم وجود تلك الأوصاف التى وضعوها كالعلامات للإمام ، هذا وزيادة على ذلك كانت إمامة الحسن العسكري معرضة للخطر حيث لم تنطبق عليه علامات كثيرة ، منها أنه لم يعقب ولم يخلف .

ثم ولم يوص إلى من بعده .

ولم يغسله إمام كذلك .

ولم يستوبعده على أحد درع رسول الله .

ومن لا يكون موجودا كيف يحكم عليه بأنه عالم وشجاع .

وأخيرا خلعت الأرض من حجة ، وبقيت بلا إمام ولم تسخ .

فحاروا واضطربوا ولم يجدوا جوابا لأن عدم وجود المولود للحسن

العسكري لم يكن ليقضى على إمامة الحسن العسكري فحسب ، بل

كان يتخطى إلى هدم إمامة الآخرين أيضا حيث إنهم هم الذين رسخوا

هذه القواعد التى - طالما انكسرت وانعدمت فى الكثيرين منهم - لأنه

بذلك يخطى نبوءاتهم ويغلط أقاويلهم وهم معصومون عن الخطأ

والزلل ، لا ينطقون إلا بما يُلهمون ، فهذا هو النوبختى وهو الشيعى

المتعصب المشهور ، من أكابر هذه الطائفة وعظماء هذه السلالة ، متكلم

فليسوف إمامى الاعتقاد^(٧٠) يصرّح بعجالة واضحة لا غبار عليها بأن

الشيعية تحيرّوا بعد موت الحسن وذهبوا إلى آراء مختلفة متعددة ، وتفرقوا

فرقا كثيرة متنوعة :

ففرقة قالت : إن الحسن حتى لم يمت وإنما غاب وهو القائم -
وسبب هذا القول؟ - ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا
تخلو من إمام .

وفرقه قالت : إن الحسن بن علي مات وعاش بعد موته . . . ولو
كان له ولد لصحّ موته ولا رجوع ، لأن الإمامة تثبت لخلفه وما أوصى
لأحد .

وفرقه قالت : إن جعفر هو الإمام لا الحسن ، وتوفى الحسن لا
عقب عليه ، وإن الإمام لا يموت حتى يوصى ، ويكون له خلف .
وفرقه قالت : إن الإمام بعد علي لم يكن جعفرًا لأن فيه خصالا
مذمومة وهوبها مشهور ، ولا الحسن لأنه قد توفى ، ولا يجوز أن يموت
الإمام بلا خلف ، ولذلك الإمام بعد علي هو ابنه محمد المتوفى في حياة
أبيه .

وفرقه قالت : إن الإمام بعد علي الحسن وبعد الحسن أخوه
جعفر ، وأما ما روى عن جعفر بأنه لا تكون الإمامة في أخوين بعد
الحسن والحسين عندما يكون للماضي خلف من صلبه ، وإذا لم يكن
رجعت إلى أخيه ضرورة .
وأقاويل كثيرة .

فعند ذلك اضطروا إلى أن يقولوا إن للحسن ابنا ، كيف يكون
امام قد ثبتت إمامته ووصيته وجرت أموره على ذلك وهو مشهور عند
الخاص والعام ، ثم يتوفى ولا خلف له .
وفرقه منهم ردّت عليهم وقالوا :

لا ولد للحسن أصلا لأننا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم
نجد له ولوجاز لنا أن نقول في مثل الحسن وقد توفى ولا ولد له أن له ولداً

خفياً لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت عن غير خلف ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يقال خلف ابناً وأن أبا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير أبي جعفر أحدهم الإمام لأن مجيء الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجىء الخبر بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكراً من صلبه ولا خلف عبد الله بن جعفر ابناً ولا كان للرضا أربعة بنين فالولد قد بطل لا محالة ولكن هناك حبل قائم قد صح في سرية له وستلد ذكراً إماماً متى ولدت فانه لا يجوز أن يمضى الإمام ولا خلف له فتبطل الإمامة وتخلو الأرض من الحجة .

وردت عليهم طائفة فقالوا : واحتج أصحاب الولد على هؤلاء فقالوا : انكرتم علينا أمراً قلتم بمثله ثم لم تقنعوا بذلك حتى أضفتم إليه ما تنكره العقول ، قلتم أن هناك حبلاً قائماً فإن كنتم اجتهدتم في طلب الولد فلم تجدوه فانكروتموه لذلك فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم واجتهدنا فيه أشد من اجتهدكم فاستقصينا في ذلك غاية الاستقصاء فلم نجد ف نحن في الولد اصدق منكم لأنه قد يجوز في العقل والعادة والتعارف أن يكون للرجل ولد مستور لا يعرف في الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه والأمر الذي ادعيتموه منكر شنيع ينكره عقل كل عاقل ويدفعه التعارف والعادة مع ما فيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الحبل لا يكون اكثر من تسع أشهر وقد مضى للحبل الذي ادعيتموه سنون وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بينة .

وفارقة قالت : ولد للحسن ولد بعده بثمانية أشهر ، وإن الذين ادعوا ولداً في حياته كاذبون مبطلون في دعواهم ، لأن ذلك لو كان لم يخف ولكنه مضى ولم يعرف له ولد ، وقد كان الحبل فيما مضى قائماً ظاهراً ثابتاً عند السلطان وعند سائر الناس ، وامتنع من قسمة ميراثه من أجل ذلك

حتى بطل بعد ذلك عند السلطان وخفى أمره فقد ولد بعد وفاته بثمانية أشهر وقد كان أمر أن يسمى محمدا وأوصى بذلك وهو مستورا لا يرى .
وأخيرا قالت الفرقة الثانية عشرة وهم الإمامية : ليس القول كما قال هؤلاء كلهم بل لله عز وجل حجة من ولد الحسن بن علي ، ولا تكون الإمامة في الاخوين بعد الحسنين ، ولو جاز ذلك لصح قول أصحاب إسماعيل بن جعفر ومذهبهم ، ولثبت إمامة محمد بن جعفر ، وأيضا لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ، ولو خلت لساخت الأرض ومن عليها .

وعلى ذلك نحن مقرّون بوفاة الحسن ، معترفون أن له ولدا قائما من صلبه وأنه مخفى ، وليس للعباد أن يطالبوا آثار ما سترت عنه ، ولا يجوز ذكر اسمه ، ولا السؤال عن مكانه ، وطلبه محرّم لا يحل ولا يجوز» (٧١) .

فهذه هي الحقيقة الناصعة التي تنبىء عن ضرورة إيجاد المولود للحسن العسكري مستغنية عن التعليق والتعقيب عليه .

بماذا أثبتوا إمامة أئمتهم؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن القوم لم يثبتوا إمامة أئمتهم مع ادعائهم النص والإشارة بأنه لا يكون الشخص إماما إلا حينما يكون منصوبا عليه من قبل إمام قبله وهو يشير إليه بأنه هو المنصوص ، ولقد بوّب القوم في كتبهم أبوابا مستقلة في هذا المعنى مثل الكليني وغيره فإنهم بوّبوا بعنوان «باب الإشارة والنص» لكل واحد من أئمتهم المزعومين ، ولكنه من العجائب أن أئمتهم أنفسهم من قبلهم لم يثبتوا إمامتهم بهذا حسب روايات القوم ولا بالشروط التي ذكروها من الوصية

(٧١) ملخص ما كتبه النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) ص ١١٩ وما بعد .

والكبر واستواء درع الرسول عليهم ووجود سلاح رسول الله عندهم وغسلهم آباءهم، وكونهم الأعلام والأشجع وإحاطتهم علم الغيب وغير ذلك من الأوصاف والخصائل التي جعلوها علائم للإمامة وشروطا لها، والتي ذكرناها آنفا، بل عكس ذلك إلتجئوا لإثبات مدعاهم إلى الشعبذات والنيرنجيات وفنون من السحر حسب زعم الشيعة، ولو عندهم الوصية وعليهم النص وإليهم الإشارة لما التجئوا إليها. فمثلا يذكرون أن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين جاءت إليه امرأة من شيعة علي والحسن والحسين، وقد بلغت من الكبر عتيا، فقالت :

أتيت علي بن الحسين عليهما السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن أرعشت وأنا أعدّ يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيت راکعا وساجدا أو مشغولا بالعبادة فيئست من الدلالة فأومأ إليّ بالسبابة فعاد إليّ شبابي» (٧٢).

ومثل ذلك ذكروا لما قتل الحسين أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين وقال له :

قتل أبوك رضى الله عنه وصلى على روحه ولم يوص وأنا عمك وصنو أبيك، وولادتي من علي عليه السلام في، سنّي وقديمي أحق بها منك في حدائتك، فلا تنازعني في الوصية ولا الإمامة ولا تحاجني . . . فردّ عليه علي بن الحسين - انطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم عليه ونسأله عن ذلك، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين لمحمد بن الحنفية : ابدأ أنت فابتهل إلى الله عز وجل وسله أن ينطق لك الحجر، ثم سل، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله، ثم دعا الحجر فلم يجبه . . . ثم دعا الله علي بن الحسين عليهما السلام . . .

(٧٢) الكافي في الأصول، باب ما يفصل به بين دعوى الحق والمبطل في أمر الإمامة ج ١ ص ٣٤٧.

فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة إلى علي بن الحسين» (٧٣).

وكما نقلوا عن موسى بن جعفر أنه لما حصل بينه وبين أخيه عبد الله - وكان أكبر ولد جعفر - خلاف في الإمامة :

أمر موسى بجمع حطب في وسط الدار وأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه، فلما صار إليه ومع موسى جماعة من الإمامية، فلما جلس موسى أمر بطرح النار في الحطب فاحترق ولا يعلم الناس السبب فيه حتى صار الحطب كله جمرًا، ثم قام موسى وجلس بثيابه في وسط النار وأقبل يحدث الناس ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لأخيه عبد الله: ان كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس» (٧٤).

وذكر الكليني قصة أخرى لإثبات إمامة موسى بن جعفر وأحقية بها من موسى وإسماعيل وغيرهما من إخوته الكبار بأن شخصا جاء إلى موسى بن جعفر فسأله عن الإمام من هو؟ فقال :

إن أخبرتك تقبل؟ قال: بلى جعلت فداك؟ قال: أنا هو، قال: فشيء أستدل به؟ قال: اذهب إلى تلك الشجرة - وأشار بيده إلى أم غيلان - فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي، قال: فأتيتهما فرأيتهما والله تحدد الأرض خذا حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها فرجعت» (٧٥).

وكذلك أثبتوا إمامة محمد بن علي الرضا أنه جاء إليه شخص

(٧٣) أيضا ج ١ ص ٣٤٨، اعلام الوري للطبرسي ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٧٤) كشف الغمة للأربلي ج ٣ ص ٣٧.

(٧٥) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٥٣، اعلام الوري للطبرسي ص ٣٠٢.

فقال: والله إنى أريد أن أسألك مسألة وانى والله لاستحيى من ذلك، فقال لى: أنا أخبرك قبل أن تسألنى، تسألنى عن الإمام؟ فقلت: هو والله هذا، فقال: أنا هو، فقلت علامة؟ فكان فى يده عصا فنطقت وقالت: إن مولاى إمام هذا الزمان وهو الحجة» (٧٦).

وهذا عارضوا أصولهم وأساسهم بأن الإمامة لا تثبت إلا بالنص والاشارة، ولا يكون الإمام إلا منصوباً، مشار إليه من الإمام الذى قبله حيث إن أئمتهم حسب رواياتهم لم يختلفوا مع أئمتهم ولم يحصل النزاع بينهم إلا لعدم وجود النص والوصية والاشارة وعدم شهرتها حتى بين أبناء أب واحد وإلا لما اضطروا إلى هذه الخزعبلات.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى النص الذى جعلوه مثبتاً لإمامة أئمتهم ليس إلا مجرد الدعوى ولا دليل قائم معه كما ذكر ابن حزم فى فصله راداً على الشيعة وعلى ادعائهم النص:

ان عمدة احتجاجكم فى ايجاب إمامتكم التى تدعيها جميع فرقكم انها هى وجهان فقط، أحدهما النص عليه باسمه والثانى شدة الفاقة إليه فى بيان الشريعة إذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد، فأخبرونى بأى شيء صار محمد بن على بن الحسين أولى بالإمامة من إخوته زيد وعمر وعبد الله وعلى والحسين فان ادعوا نصاً من أبيه عليه أو من النبى ﷺ أنه الباقر، لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ولم يكونوا أولى بتلك الدعوى من الكيسانية فى دعواهم النص على ابن الحنفية، وان ادعوا أنه كان أفضل من إخوته كانت أيضاً دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الإنسان فقد يكون باطنه خلاف ظاهره، وكذلك يسألون أيضاً ما الذى جعل موسى بن جعفر أولى بالإمامة من أخيه محمد

أو اسحاق أو علي؟ فلا يجدون إلى غير الدعوى سبيلاً، وكذلك أيضاً يسألون ما الذي خص علي بن موسى بالإمامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكراً؟ فلا يجدون شيئاً غير الدعوى، وكذلك يسألون ما الذي جعل محمد بن علي بن موسى أولى بالإمامة من أخيه علي بن علي وما الذي جعل علي بن محمد أولى بالإمامة من أخيه موسى بن محمد وما الذي جعل الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى أحق بالإمامة من أخيه جعفر بن علي؟ فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة الذي لا حياة لصاحبها، والتي لو ادعى مثلها مدع للحسن بن الحسن أو لعبد الله بن الحسن أو لأخيه الحسن بن الحسن أو لابن أخيه علي بن الحسن أو لمحمد بن عبد الله القائم بالمدينة أو لأخيه إبراهيم أو لرجل من ولد العباس أو من بنى أمية أو من أى قوم من الناس كان لساواهم فى الحماقة، ومثل هذا لا يشتغل به من له مسكة من عقل أو منحة من دين، ولوقلت أوراقاً من الحياء، فبطل وجه النص» (٧٧).

وعلاوة على ذلك يقول الإمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية أو الروافض - كما سباهم الله - ان الإمام لا يكون إلا معصوماً من الاخطاء ومنصوباً من قبل الله عز وجل، ولا يكون فى عنقه بيعة أحد غيره . أما كونه معصوماً من قبل الله عز وجل فلا يخلو كتاب من كتبهم التى تذكر مسألة الإمامة إلا وقد ذكروا فيه هذا، وهذا أمر مشهور مستغن عن ذكر مصدره ومرجعه .

وأما أن الإمام لا يكون فى عنقه بيعة أحد فكما ذكر الكلينى أن هشام بن سالم دخل على موسى بن جعفر بعد وفاة أبيه وهوباك حيران لا يدري إلى أين يتوجه ولا من يقصد، إلى المرجئة؟ . إلى القدرية؟ . إلى

الزيدية؟. إلى المعتزلة؟. إلى الخوارج؟. فقال له :

جعلت فداك فمن لنا من بعده؟. قال : إن شاء الله أن يهديك هداك ، قال : قلت : جعلت فداك فأنت هو؟. ما أقول ذلك ، قال : قلت في نفسي : لم أصب طريق المسألة ، ثم قلت له : جعلت فداك عليك إمام؟ قال : لا ، فداخلى شىء لا يعلم إلا الله عز وجل إعظاما له وهيبة أكثر مما كان يحلّ بى من أبيه إذا دخلت عليه» (٧٨) .

وقد ورد مثل ذلك في كثير من كتب الشيعة بأن الإمام لا يكون إماما وفي عنقه بيعة أحد .

هذا وإكمالا للبحث وإتماما للفائدة نلقى نظرة عابرة حول هذه الأوصاف ولوازم الإمامة الثلاثة ليشمل البحث جميع الجوانب المهمة في هذا المبحث ، فنقول :

إن العصمة التى جعلوها من خواص الإمام ولوازمه ، واحتجوا بها على إمامة أئمتهم بأنه لم يكن أحد معصوما غيرهم (٧٩) .

فإنها لم تثبت لهم أيضا ، وأحوالهم وأقوالهم تشهد على ذلك ، فإن عليا رضى الله عنه - وهو الإمام المعصوم الأول حسب زعم الشيعة - اختلف معه ابنه الأكبر حسن السبط - وهو الإمام الثانى المعصوم عند القوم - فى مسألة أخذه البيعة من الناس بعد استشهاد عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، وكما اختلف معه أيضا فى خروجه لمحاربة مطالبى دم عثمان كما مر ذكره فى الباب الثانى من هذا الكتاب . ويلزم من ذلك أن واحدا منهما كان مصيبا والثانى مخطئا أعنى الإمام الأول وهو على ، أو الإمام الثانى وهو الحسن ، لأن واحدا منهما يرى رأيا والثانى يخالفه فلا بد

(٧٨) الأصول من الكاى ، كتاب الحجة ، باب ما يفصل به بين دعوة الحق والمبطل فى أمر الإمامة

ج ١ ص ٣٥١-٣٥٢ .

(٧٩) أنظر منهاج الكرامة للحلى ص ٧١ وغيره .

من أن يكون أحدهما على صواب والآخر على خطأ .
ثم ولقد ثبت في التاريخ أن عليا رضى الله عنه صوّب رأى الحسن
بعد كارثة الجمل وتأسف على عدم أخذه برأى الحسن وتقيده به .
وثانيا : لقد أقر بصدور خطأ وامكان الوقوع فيه ، على رضى الله
عنه نفسه حيث قال :

لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل ، فإنى لست آمن أن أخطىء (٨٠)

وثالثا : لقد ذكر المؤرخون أن الحسن رضى الله عنه لما أراد الصلح
مع معاوية خالفه في ذلك مع من خالفه أخوه الحسين - وكلاهما إمامان
معصومان عند الشيعة - لكن الحسن لم يلتفت إلى رأى الحسين وصالح
معاوية وكان الحسين يبدى الكراهة من صلح الحسن مع معاوية
ويقول :

لو جزّ أنفى كان أحب إلى مما فعله أخى» (٨١) .

والظاهر أن واحدا منها كان مصيبا والآخر مخطئا .
هذا ومثل هذا كثير .

وأما كونه منصوبا من قبل الله عز وجل فأیضا ليس إلا دعوى مجردة
عن الدليل ، ولم ينزل الله به من سلطان ، ولكل أن يدعى بأن الله هو
الذى نصبه مادام أن الوحي منقطع ونزول جبريل على أحد مسدود .
وأما أن الإمام لا يكون إماما إلا ولا يكون في عنقه بيعة أحد فهذا
لم يتحقق ولا في واحد من أئمة القوم من على رضى الله عنه إلى الحسن
العسكرى ، اللهم إلا أن يقال في ذلك الموهوم المعدوم الذى لم يولد ، لأنه

(٨٠) الكافي في الأصول نقلا عن أعيان الشيعة لمحسن الأمين ج ١ ص ١٣٦ .

(٨١) أعيان الشيعة الجزء الأول - القسم الأول ص ٦٥ .

قد ثبت تاريخيا ومن كتب القوم أنفسهم بأن كل واحد منهم بايع أئمة زمانهم وخلفاءهم .

فإن الإمام الأول المعصوم حسب زعم الشيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه بايع أبابكر ثم عمر ثم عثمان (٨٢) .
كما بايع الحسن وهو الإمام المعصوم الثانى لدى الشيعة معاوية رضى الله عنه (٨٣) .

وكما بايعه الحسين أيضا وهو الإمام الثالث المعصوم (٨٤) .
وبايع على بن الحسين يزيد وأقرّ بعبوديته له حسب رواية الشيعة -
وهو الإمام المعصوم الرابع عند القوم (٨٥) .
وهلّم جرا .

فهذه هى حقيقة شروط القوم اللازمة للائمة ، المنفية فى أئمتهم
باعترافهم وإقرارهم وثبوتهم من كتبهم أنفسهم .
لماذا أوجبوا إمامة أئمتهم؟

إن الشيعة يقولون :

ان الإمامة واجبة وانها رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا لشخص
من الاشخاص نيابة عن النبى (ص) ، وإنما وجبت لأنها لطف واللفظ
واجب كما تقدم فى النبوة ، وانما كانت لطفاً لأن الناس إذا كان لهم رئيس
مطاع مرشد يردع الظالم عن ظلمه ويحملهم على الخير ويردعهم عن
الشرك كانوا أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وهو اللطف ، فالدليل
(٨٢) أنظر لتفصيل ذلك النصوص الثابتة من كتب القوم أنفسهم فى كتابنا «الشيعة وأهل البيت» .
ط . لاهور - باكستان .

(٨٣) مروج الذهب للمسعودى الشيعى ج ٢ ص ٤٣١ ، رجال الكشى ١٠٢ .

(٨٤) رجال الكشى ص ١٠٢ .

(٨٥) الكافى الكلينى ج ٨ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

الدال على وجوب النبوة يدل على وجوب الإمامة» (٨٦) .

ويقول السيد الزين :

أما الإمامة فهي واجبة . . . لأن الإمام نائب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حفظ الشرع الإسلامي وتيسير المسلمين على طريقه القويم ، وفي حفظ وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان والإمام موضح للمشكل من الآيات والأحاديث ومفسر للمجمل والمتشابه ويميز للناسخ من المنسوخ» (٨٧) .

وقال الحلّي :

إن الإمام يجب أن يكون حافظا للشرع لانقطاع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وآله وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة إلى يوم القيامة ، فلا بد من إمام منصوب من الله تعالى وحاجة العالم داعية إليه ولا مفسدة فيه فيجب نصبه . . . وأما الحاجة فظاهرة أيضا لما بيناه من وقوع التنازع بين العالم ، وأما انتفاء المفسدة فظاهر أيضا لأن المفسدة لازمة لعدمه ، وأما وجوب نصبه فلأن عند ثبوت القدرة والداعى وانتفاء الصارف يجب الفعل» (٨٨) .

فقالوا بهذه الأقوال إثباتا لإمامة أئمتهم مع أن الوجوه والأسباب والعلل التي بينوها لوجوب الإمامة هي التي تنفى إمامة أكثر أئمتهم ، بل إمامة جميعهم غير على رضى الله عنه حيث إن أئمتهم الاثنى عشر المزعومين لم يملكو الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا ولم يملكو ردع الظالم عن ظلمه وحمل الناس على الخير وردعهم عن الشر طبق روايات القوم أنفسهم ، فان واحدا منهم لم يولد على القول الصحيح ، ولو

(٨٦) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثانى ص ٦ .

(٨٧) الشيعة في التاريخ ص ٤٤- ٤٥ .

(٨٨) منهاج الكرامة للحلى ص ٧٢- ٧٣ .

سلمت ولادته تنازلا لم يملك الظهور خوفا على حفظه وبقائه فضلا عن حفظ الشرع الإسلامي وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان، والبعض الآخر مثل الإمام الحادي عشر والعاشر كانوا أطفالا صغارا حتى احتاج آبائهم أن يجعلوا القيمين عليهم وعلى أموالهم وودائعهم حتى يبلغوا الحلم لعدم قدرتهم على حفظ تركة الآباء وإراثهم، فمن لا يكون حافظا على تركته وماله وأمور دنياه أجدر أن لا يكون حافظا على أمور الآخرين، أمور دنياهم ودينهم .

ثم قد ثبت من كتب القوم أنفسهم أن أئمتهم كانوا يفتنون حتى خاصتهم وشيعتهم بخلاف ما أنزل الله وما بينه الرسول وخلاف ما كانوا يرونه في قلوبهم صيانة على أنفسهم وحفاظا على حياتهم كما مر سابقا عن جعفر وأبيه الباقر (وطالما كانوا يحلون الحرام ويحرمون الحلال لهذا الغرض) وكما رواه الكليني في كافيه عن موسى بن أشيم قال :

كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر الأول، فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يشرح بالسكاكين، فقلت في نفسي : تركت أبا قتادة بالشام لا يخطيء في الواو وشبهه، وجئت إلى هذا يخطيء هذا الخطأ كله فبينما أنا كذلك إذا دخل آخر فسأله عن تلك الآية، فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي» (٨٩).

وكما رواه أيضا عن محمد بن مسلم قال :

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة، فقلت له : جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة، فقال لي : يا ابن مسلم هاتها، ان

العالم بها جالس وأوماً بيده إلى أبي حنيفة، فقلت: رأيت كأنى دخلت داري وإذا أهلى قد خرجت على فكسرت جوزا كثيرا ونشرته على فتعجبت من هذه الرؤيا، فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتحاول أن تنال مالك في مواريث أهلك فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة.

قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت له: جعلت فداك انى كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يا ابن مسلم لا يسوءك الله فما يواطىء تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره، قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطىء؟ قال: نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ» (٩٠).

وأخيرا ننقل ما نقلناه سابقا وما رواه الكليني:

عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن مسألة فأجابني، ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فسأله فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت: يا بن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: يا زرارة إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم.

قال: ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين؟ قال: فأجابني بمثل جواب أبيه» (٩١).

فهل عن مثل هؤلاء يقال إنهم يحفظون ويحرسون الأحكام عن

(٩٠) كتاب الرضا من الكافي ج ٨ ص ٢٥٢.

(٩١) الأصول من الكافي، باب اختلاف الحديث ج ١ ص ٦٥.

الزيادة والنقصان، ثم والبقية الآخرون مثل الحسن تنازلوا عن رئاستهم
الدينية علنا وجهرا رغم أنوف المنكرين، وسلموا إليهم أمورهم وأمور
غيرهم الدينية، وقد اعترف بعضهم بعبوديتهم للآخرين حسب
روايات القوم عن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين، وبعضهم لم
ينلها أى الرئاسة الدينية مع جدّه وجهده لنيلاها وإدراكها كحسن السبط
رضى الله عنه حسب تصريحات القوم، فهذه حقيقة معتقدتهم فى الإمامة
ووجوبها، وعلى ذلك قال ابن حزم :

وأما وجه الحاجة إلى الإمامة فى بيان الشريعة فما ظهر قط من أكثر
أئمتهم بيان لشيء مما اختلف فيه الناس وما بايديهم من ذلك شيء إلا
دعاوى مفتعلة قد اختلفوا أيضاً فيها كما اختلف غيرهم من الفرق
سواء، إلا أنهم أسوأ حالا من غيرهم لان كل من قلد إنساناً كاصحاب
أبى حنيفة لأبى حنيفة وأصحاب مالك لمالك وأصحاب الشافعى
للشافعى وأصحاب أحمد لأحمد فان هؤلاء المذكورين اصحاباً مشاهير
نقلت عنهم اقوال صاحبهم ونقلوها هم عنه ولا سبيل إلى اتصال خبر
عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم إلى ان هذا قول موسى بن جعفر
ولا انه قول على بن موسى ولا انه قول محمد بن على بن موسى ولا انه
قول على بن محمد ولا انه قول الحسن بن على وأما من بعد الحسن بن
على فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة، واما من قبل موسى بن جعفر فلو جمع
كل ما روى فى الفقه عن الحسن والحسين رضى الله عنهما لما بلغ عشر
اوراق، فما ترى المصلحة التى يدعونها فى إمامهم ظهرت ولا نفع الله
تعالى بها قط فى علم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم، ولا ظهر منهم
بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سمو أحد ولا أمر منهم احد
قط بمعروف معلن، وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذلين المنتمين إلى

الإمامية، القائلين بان الدين عند أئمتهم، فما رأينا إلا دعاوى باردة وآراء فاسدة كأسخف ما يكون من الأقوال، ولا يخلو هؤلاء الأئمة الذين يذكرون من ان يكونوا مأمورين بالسكوت أو مفسوحاً لهم فيه، فان يكونوا مأمورين بالسكوت فقد ابيح للناس البقاء في الضلال وسقطت الحجة في الديانة عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الإسلام وهذا كفر مجرد، وهم لا يقولون بهذا، أو يكونوا مأمورين بالكلام والبيان فقد عصوا الله إذ سكتوا وبطلت إمامتهم، وقد لجأ بعضهم إذ سئلوا عن صحة دعواهم في الأئمة إلى أن ادعوا الالهام في ذلك فإذا قد صاروا إلى هذا الشغب فإنه لا يضيق عن أحد من الناس ولا يعجز خصومهم عن ان يدعوا أنهم ألهموا بطلان دعواهم ثم أن بعض أئمتهم المذكورين مات أبوه وهو ابن ثلاث سنين، فنسألهم من أين علم هذا الصغير جميع علوم الشريعة وقد عدم توقيف أبيه له عليها لصغره، فلم يبق إلا ان يدعوا له الوحي، فهذه نبوة وكفر صريح» (٩٢).

الشيخية

ثم افترقت الشيعة الاثنا عشرية إلى فرق كثيرة من أهمها الشيخية نسبة إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي البحراني المولود سنة ١١٦٦هـ (٩٣) المتوفى سنة ١٢٤٣هـ (٩٤).

وسمّاه الخوانساري «ترجمان الحكماء المتألهين ولسان العرفاء والمتكلمين، غرة الدهر وفيلسوف العصر، العالم لأسرار المباني والمعاني» وكتب في ترجمته :

لم يعد في هذه الأواخر مثله في المعرفة والفهم، والمكرمة والحزم،

(٩٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٤ ص ١٠٣-١٠٤.

(٩٣) دائرة المعارف الإسلامية الاردية ج ٢ ص ٨٢ ط. جامعة بنجاب - باكستان.

(٩٤) روضات الجنات للخوانساري ج ١ ص ٩٤.

وجودة السليقة، وحسن الطريقة، وصفاء الحقيقة، وكثرة المعنوية،
والعلم بالعربية، والأخلاق السنية، والشيم المرضية، والحكم العلمية
والعملية، وحسن التعبير والفصاحة ولطف التقرير والملاحاة، وخلوص
المحبة والوداد؛ لأهل بيت الرسول الأجداد، بحيث يرمى عند بعض أهل
الظاهر من علمائنا بالافراط والغلو؛ مع أنه - لاشك - من أهل الجلالة
والعلو .

ورد بلاد العجم في أواسط عمره، وكان بها في نهاية القرب من
ملوكها وأربابها . وكان أكثر مقامه فيها بدار العبادة يزد . ثم انتقل منها إلى
إصبهان، وتوقف فيها أيضاً برهة من الزمان .

ولما أراد أن يرجع إلى أصله الذي كان في وصل الحسين عليه
السلام وورد بلدة قرميسين - التي هي واقعة في البين - استدعى منه
الوقوف بها أميرها العادل الكبير المغوار المغيار محمد على ميرزا بن
السلطان فتحعلي شاه قاجار . فأجابه إلى ذلك - لما استلزمه من المصالح
أوصرف المهالك - إلى أن توفي الوالي المذكور في سفر منه إلى حرب
بغداد، وآل الأمر في تلك المملكة إلى الفتنة والفساد .

فارتحل منها إلى أرض الحائر الشريف، ليصرف فيها بقية عمره
الطريف، ويجمع أمره على التصنيف والتأليف، والقيام بحق
التكليف . . .

وقد يذكر في حقه أيضاً أنه كان ماهراً في أغلب العلوم، بل واقفاً
على جملة من الحرف والرسوم، وعارفاً بالطب والقراءة والرياضة
والنجوم، ومدّعياً لعلم الصنعة والأعداد والطلسمات ونظائرها من الأمر
المكتوم» (٩٥) .

ويذكر ان له من المؤلفات ما يقارب المائة (٩٦).
وقيل : أكثر من ذلك (٩٧).

وذكر عنه تلميذه السيد كاظم الرشتي :

إن مولانا رأى الإمام الحسن عليه السلام ذات ليلة وضع لسانه المقدس في فمه . فمن ريقه المقدس ومعونة الله ، تعلم العلوم . وكان في فمه كطعم السكر وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك ، ولما استيقظ أصبح في خاصته محاطاً بأنوار معرفة الله ، طافحاً بأفضاله ، منفصلاً عن كل ما هو مغاير لله ، وزاد اعتقاده في الله في نفس الوقت الذي ظهر فيه استسلامه لارادة العلى . وبسبب ازدياد شوقه والرغبة الشديدة التي استولت على قلبه نسى الأكل واللبس الا ما يسدّ به حاجته الضرورية» (٩٨) .

فالأحسائي هذا كان له بجانب الكتب والمؤلفات دروس في كربلاء وطوس وغيرها من البلاد الشيعية ، وفيها ينشر أفكاره وعقائده ومعتقداته ، فانه كان يقول :

إن الله تجلى في على وفي أولاده الأحد عشر . وإنهم مظاهر الله وأصحاب الصفات الإلهية والنعوت الربانية ، وهم أئمة الهدى ، يختلفون في الصورة متفقون في الحقيقة» (٩٩) .

وكان يقول :

إن الأئمة هم العلة المؤثرة في وجود المخلوقات ، وهم مظهر الإرادة الإلهية والمعبرون عن مشيئة الله ، ولولا هم ما خلق الله شيئاً . ولذلك فهم

(٩٦) دائرة المعارف الإسلامية ، اردوج ٢ ص ٨٣ .

(٩٧) هداية الطالبين لحاجي محمد كريم خان .

(٩٨) مطالع الأنوار للزرندي البهائي ص ٣ ، نقلاً عن كتاب دليل التحيرين وإرشاد المسترشدين

للسيد كاظم الرشتي .

(٩٩) مقدمة نقطة الكاف للمستشرق الانجليزى براؤن ص ١١٠ الفارسية ط . ليدن .

الغاية من الخلق، وكل ما يفعله الله فهو يفعله بواسطتهم، ولكن ليس لهم من ذاتهم قوة، وهم مجرد وسائط .

ولما كانت ذات الله لا تدرك وكانت لا تحيط بها أفهام جميع المخلوقات، فإن الإنسان لا يستطيع معرفتها إلا بتوسط الأئمة الذين هم في الحقيقة محال للذات العلية، ومن أخطأ في حقهم أخطأ في حق الله، واللوح المحفوظ هو قلب الإمام المحيط بكل السماوات وكل الأرضين، والأئمة هم أول المخلوقات والسابقون على كل شيء» (١٠٠) .

ثم كان يعتقد في الغائب المزعوم الثاني عشر :

أولا : أنه ميت، كما كان يقول :

إن المهدي الغائب المنتظر ظهوره عند الشيعة هو الآن من سكان العالم الروحاني غير هذا العالم الذي يسمونه بجابلقاء وجابر ساء» (١٠١) .
وإن الإمام روحى له الفداء لما خاف من أعدائه خرج من هذا العالم ودخل في جنة الهورقلياء» (١٠٢) .

ثانيا : كان يقول إن الراجع لا يكون ذلك ابن الحسن العسكري بل يكون أحد غيره الذي حلّ فيه روحه، كما قال :

وسيعود في هذا العالم بصورة شخص من أشخاص هذا العالم يعنى بطريق ولادة عامة الناس» (١٠٣) .

ثالثا : يكون ذلك الشخص هو نفس الإمام محمد بن الحسن العسكري ولو ولد من أب وأم آخرين جديدين :

(١٠٠) دائرة المعارف الإسلامية لأحمد الشنأوى ج ١٤ ص ١٢ ط . طهران .

(١٠١) دائرة المعارف للبستاني ج ٥ ص ٢٦ .

(١٠٢) الكواكب الدرية ص ٢٠ الفارسي . ط . القاهرة .

(١٠٣) أيضا ص ٢٠ .

انه المهدي بعينه وان ذلك الجسم اللطيف الروحاني قد ظهر في هذا الجسم الكثيف المادي» (١٠٤) .

رابعاً : يطلق عليه اسم القائم :

لانه يقوم بعدما يموت .

ولما سئل : أيقوم من القبر؟ .

أجاب : يقوم من قبره أى من بطن أمه ، وقال : ان جابلسا

وجابلسا منزل الموعود ومحل المنتظر في السماء لا في الأرض كما يعتقد ويظن أكثر الناس» (١٠٥) .

وكان ينكر المعاد والبعث الجسماني مطلقاً لأن الجسم يتكون من

العناصر الأربعة وبعد خروج الروح تنحل الأجزاء والعناصر، ولا تبقى لها أثر، فتصير إلى الفناء الابدى .

والشيء الذي يبقى ويعود هو الجسم اللطيف الروحاني هو جوهر

الجواهر عنده، والذي يسمونه الجسم الهورقليائي تبعاً للمصطلحات الكيماوية القديمة .

«فجوهر الجواهر هو الجسم الهورقليائي الذي يحشرويعاد،

والعناصر الباقية التي هي أعراض ولواحق فهي تنتشر وتنحل وتندمج في

أصلها كالماء في الماء والطين في الطين، والروح البالية أيضاً تفنى ويبقى

الجسم الأصلي الذي يظهر في عرض الجسم من الأبعاد الثلاثة» (١٠٦) .

ومن العقائد التي نشرها بين الناس أن الإمام المهدي يتجلى

ويظهر في كل مكان في صورة رجل يكون هو المؤمن الكامل أو الباب أو

(١٠٤) دائرة المعارف للبستاني ج ٥ ص ٢٦ .

(١٠٥) الكواكب ص ٢٠-٢١ .

(١٠٦) دائرة المعارف الإسلامية للارضية نقلاً عن مجلة (يغما) الفارسية رقم ١٦٢ ص ٨٢ .

الولى ، ولابد من الإيمان به .

فالأركان الأربعة التى هى أصل الدين وأصوله عندهم هى :

(١) التوحيد .

(٢) النبوة .

(٣) والإمامة .

(٤) والاعتقاد بالرجل الكامل (١٠٧) .

ولقد حلت هذه الشخصية فى عصر الأحسائى فى جسمه ، ولأجل ذلك يسمى ركننا رابعا أو الباب فالباب فى رأيه شخص حلّ فيه روح الباب ، والمهدى الذى حلّ فيه روح المهدى ، والإمام والنبي كذلك ، وهم مع ذلك مختلفون فى الصورة متحدون فى الحقيقة كما ذكرنا سابقا لأن الله تعالى هو المتجلى فى الجميع على اختلاف المراتب والمناصب .

وكان ينكر المعراج الجسمانى والروحى ، بل كان يقول ان رسول الله موجود فى كل مكان فى كل آن ، وعلى ذلك لا معنى لهذا القول انه كان فى الأرض وعرج به إلى السماء لأنه ليس بمقيّد فى مكان وزمان ، فمن رآه فى السماء رآه واللوأحق السماوية وعوارضها ملتصقة به» (١٠٨) .

وبعد أن مات الأحسائى تولىّ زعامة الشيخية ومنصبه ، تلميذه السيد كاظم الرشتى سنة ١٢٤٢ هـ ونهج منهجه وسلك مسلكه ، وصار ركننا رابعا للشيخية غير أنه زاد الطين بلّة حيث قال :

حلّ فيه روح الأبواب كما حلّ فى الأحسائى ولكن آن الآوان لانقطاع الأبواب ومحىء المهدى نفسه» (١٠٩) .

ويقول الشيخية :

(١٠٧) دائرة المعارف الإسلامية مادة احسائى ، والعقيدة والشرعة لجولد زهر ص ١٠٣ .

(١٠٨) فهرست لأبى القاسم إبراهيمى شيخ الشيخية ص ١٩٦ . ط . إيران .

(١٠٩) انظر الكواكب ص ٢٤ ط . فارسى .

العالم قديم بالزمان حادث بالذات ، لأن الأعراض لا يمكن أن توجد بدون الجوهر ، والصور لا يمكن أن توجد بدون محلّها . والأعراض حادثة زائلة توجد تارة وتنعدم تارة ، تأتي من العدم وتعود إلى العدم . أما الجوهر فليس شيئاً حادثاً زائلاً ، وعلى هذا فإن المادة في ذاتها حادثة . هي موجودة أبداً في المستقبل لا في الماضي وإلا لكان للحياة الأخرى نهاية وفنيت الجنة والنار ، والجنة هي محبة أهل البيت ، أهل بيت النبي عليه السلام ، الأئمة . والجنة والنار تحدثان بسبب أفعال الإنسان» (١١٠) .

ولقد ذكره الخوانساري في كتابه بقوله :

ان تلميذه العزيز ، وقدوة أرباب الفهم والتمييز ، بل قوة عينه الزاهرة ، وقوة قلبه الباهرة الفاخرة ، بل حليفه في شدائده ومحنه ، ومن كان بمنزلة القميص على بدنه ، أعنى السيد الفاضل الجامع البارع الجليل الحازم ، سليل الأجلة السادة القادة الأفاحم الأعظم ، ابن الأمير سيد قاسم الحسيني الجيلاني الرشتي ، الحاج سيد كاظم ، النائب في الأمور منابه ، وإمام أصحابه المقتدين به بالحائز المطهر الشريف إلى زماننا هذا» (١١١) .

وروّج هذا الرشتي أفكار شيخه وأدخل الكثيرين في مذهبه ومذهب الأحسائي ، وصارت فرقة مستقلة حتى دخل فيه الكثيرون من شيعة إيران وعربستان والعراق وأذربايجان والكويت (١١٢) ثم خلف الرشتي محمد كريم خان الكرمانى ابن ظهير الدولة حاكم كرمان ، ثم ابن محمد كريم خان محمد خان ، وبعده أخوه زين العابدين ، ثم ابن زين العابدين قاسم خان ابراهيمي .

(١١٠) دائرة المعارف العربية ج ١٤ ص ١٣ لأحمد الشتاوى ط . طهران .

(١١١) روضات الجنات للخوانساري ج ١ ص ٩٢ .

(١١٢) فهرست ج ١ ص ٢١٧ .

ومن الجدير بالذكر أن الباب على محمد الشيرازي أيضا كان من تلامذة السيد كاظم الرشتي ومن المعتنقين بأفكار الشيعة وكل من قبلوا دعوته كانوا من الشيعة الشيعة أيضا (١١٣) .

ومن الطرائف أن عامة الشيعة الاثني عشرية في باكستان والهند يعتقدون نفس الاعتقادات التي روجها الأحسائي والرشتي ولو أنهم لا ينسبون أنفسهم إلى الشيعة، فإنهم شيعة اعتقادا ولو أن بعضا من علمائهم تجاهروا بالقول إنهم يعتقدون اعتقاد الشيعة، وفتحوا مراكز لها في مختلف المدن، وفي باكستان لهم مركز كبير في ملتان وفي كراتشي أيضا، وأن أكثر المساعدات والإمدادات كتبها وما لا تأتي إليهم من دولة الكويت . ونكتفي بهذا القدر من البيان عن الشيعة مع أننا ننوي إصدار كتاب مستقل ولو في المستقبل البعيد ان شاء الله حول هذه الطائفة لما عمّ صيتها وكثر معتنقوها من الشيعة أنفسهم .

النوربخشية

وهناك طائفة أخرى توجد في وديان هملايا وكوهستان بليستان المتصلة بتبت الصينية، يدعى الشيعة الاثنا عشرية بأنها فرقة من فرقهم لأنهم يسمون أنفسهم الشيعة النوربخشية نسبة إلى محمد نوربخش القوهستاني من مواليد سنة ٧٩٥هـ، ويقولون :

أنه ولد في قاورين قصبة قوهستان، وكان أبوه هاجر من الأحساء، وقيل : إن أباه عبد الله ولد في الأحساء وجدّه محمد ولد في القطيف» (١١٤)

وكان محمد نوربخش مريدا لخواجه اسحاق الختلائي تلميذ السيد علي الهمداني الذي أعجب بقبلياته حتى لقبه بنوربخش بمعنى

(١١٣) انظر لذلك كتابنا (البابية) ط . ادارة ترجمان السنة لاهور باكستان، وكذلك كتابنا (البهائية) . ط . باكستان .

(١١٤) أنساب بيوتات سكان قاين ص ١٥٩ ط . طهران ١٣٦٩ .

واهب الأنوار» (١١٥) .

ويقولون : إن نسبه اكتشف عن طريق الكشف الصوفي بأنه علوى» (١١٦) .

ثم ادعى محمد نوربخش هذا بأنه هو المهدي الذي أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بمجيئه في آخر الزمان لأن اسمه يواطىء اسمه ، واسم أبيه يواطىء اسم أبيه فهو محمد وأبوه عبد الله ، وكذلك كنيته حيث سمي أحد أبنائه القاسم ، ولقبه أنصاره بالإمام والخليفة على كافة المسلمين (١١٧) .

وكان يقول : لقد كنت أخفى حالى ولكن وجب إظهارها لتقوم الحجة على الناس كافة على صورة تعرفهم بمظهر الكل والهادى إلى السبيل» (١١٨) .

وقد قام بالثورة العلنية الكبيرة ضد حكومة إيران آنذاك وقبض عليه ، ولما اطلق سراحه ذهب إلى كردستان وبدأ يثّ دعوته فيها فانقاد إليه سكانها ، وضرب النقود باسمه» (١١٩) .

ثم ألقى القبض عليه وأعلن على منبر هرات وهو في قيده يوم الجمعة سنة ٨٤٠هـ تنازله عن دعوى الخلافة وما يستتبعها ، ثم سير إلى كيلان ، ومن هناك إلى الرى ، وتوفي هناك سنة ٨٦٩هـ (١٢٠) .

وكان أتباعه موجودين آنذاك بكثرة في بلاد العراق وإيران .

ويظهر من هذا السرد الموجز السريع أن محمد نوربخش لم يكن

(١١٥) طرائق الحقائق للحاج معصوم على ج ٢ ص ١٤٣ .

(١١٦) مجالس المؤمنين للتستري ص ٣١٤ .

(١١٧) هامش ديوان شمس تبريزى ، نقلا عن الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للدكتور كامل

مصطفى الشيبى ص ٣٣٥ .

(١١٨) أيضا ص ٣٣٦ .

(١١٩) مجالس المؤمنين ص ٣١٤ .

(١٢٠) ملخص ما ذكره كامل مصطفى الشيبى في الفكر الشيعى ص ٣٣٣ .

اثنى عشريا لأن الاثنى عشرية لا يرون المهدي إلا ابن الحسن العسكري المزعوم، وهذا عكس هؤلاء يعدّ نفسه مهديا وأكثر من ذلك أنه ردّ في كتابه على من يزعم أن ابن الحسن العسكري هو المهدي الموعود، فقال :

وزعم بعض الناس أن محمد بن الإمام العسكري عليهما السلام هو المهدي الموعود وليس كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في محمد المهدي الموعود: يواطىء اسمه اسمي وكنيته كنيتي واسم أبيه اسم أبي، وقيل: اسم أمه اسم أمي، وفي هذا المهدي لا يواطىء شيئا منهم إلا اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم» (١٢١).

«والحقيقة أن محمد نوربخش لم يكن شيعيا اثنى عشريا، بل كان صوفيا من أصحاب وحدة الوجود، عرض لانتقال الولاية من آدم والأنبياء إلى أقطاب التصوف وأخرجها من التناسخ واصطلح لها اسم البروز بدلا منه، فكان وصول الروح إلى الجنين في الشهر الرابع عنده معادا إنسانيا يصل الوجود الإنساني بالوجود الحقيقي وجود الله، وربما كان في هذا عنصريفيد صدور النوربخشية عن الفلسفة الاشراقية كما يفترض الدكتور محمد علي أبوريان دون أن يجد مبررا واضحا يصحح افتراضه. وقد جاء في غزل نوربخش شعري متصل بوحدة الوجود قال فيه ما ترجمته :

سواء أكنّا هادين أم مهدين
فنحن بالمقارنة بالقدم أطفال مهديون
قطرة نحن من محيط الوجود
ولا عبرة بمدى طاقتنا من الكشف والشهود

فيا إلهي متى أعود من القطرة
ويا إلهي أبلغني بحر النور
وذكر نوربخش العشق على الصورة التي عبر عنها محمد بن عربي
في قوله :

ادين بدين الحب انى توجهت ركائبه، فالحب دينى وإيمانى
ولكنه أخذ الجانب السلبي من المسألة وعبر عنها بأبيات لطيفة منها

ما ترجمته :

منذ اليوم الذى استجلبت فيه طلعة حبيبى

غدوت متميزا من الخلائق أجمعين

وذلك أنى صرت مبرا من العقيدة والمذهب

والملة كلية وأصبحت ولا دين لى

وذكر استغراقه فى هذا العشق إلى الحد الذى اضاع معه كيانه

الشخصى فجعل يتساءل: أنا نوربخش نفسه أم من أنا؟» (١٢٢).

نعم لاشك فى ذلك أن الصوفيين لما تسلطوا على إيران وأجبروا

الناس على اعتناق التشيع على حد السيف أعلن النوربخشية

تشيعهم، ولذلك لما فتح إسماعيل الصفوى التستر كان يسأل الناس عن

عقيدتهم، فمن قال: نحن على مذهب نور الله الشيخ نوربخشى لم

يكن يتعرض لهم» (١٢٣).

وفر كثير من مريدى هذا الصوفى الوجودى إلى شبه القارة الهندية

ولجئوا إلى الجبال ومناطق منعزلة، فبقوا هناك على طريقتهم الصوفية .

وأكبر دليل على كون القوم غير الاثنى عشرية أن لهم فقها

خاصا، وكذلك كيان مستقل ومدارس مستقلة ولو أنهم يقومون ببعض

(١٢٢) الفكر الشيعى والزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبى ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(١٢٣) مجمع الأوصياء ص ٣٠٢، نقلا عن الفكر الشيعى ص ٣٤١ .

الأعمال التي يقوم بها الشيعة الاثنا عشرية من المآتم على الحسين، وغير ذلك ولكنهم يختلفون معهم في أشياء كثيرة أيضا، ومنها الإغراق في التصوف والسلسلة الصوفية التي تصل إلى السهروردي وجنيد البغدادي والسري السقطي، وكل هؤلاء ليسوا من الشيعة، وقد ذكر محمد نوربخش سلسلته الصوفية بعنوان السلسلة الذهبية، ونقلها من كتابه كما ذكرها :

محمد نوربخش . خواجه اسحاق الختلائي . حضرة امير الكبير السيد علي الهمداني . حضرة الشيخ محمد المزدقاني . حضرة الشيخ علاء الدولة السمناني . حضرة الشيخ عبد الرحمان الاسفراني . حضرة الشيخ أحمد الذاكر الجوزقاني . حضرة الشيخ علي اللالا . حضرة الشيخ نجم الدين الكبرى . حضرة الشيخ عمار ياسر البديسي . حضرة الشيخ أبو النجيب السهروردي . حضرة الشيخ أحمد الغزالي . حضرة الشيخ أبوبكر النساجي . حضرة الشيخ أبو علي الكاتببي . حضرة الشيخ أبو علي الرودباري . حضرة الشيخ جنيد البغدادي . حضرة الشيخ سري السقطي . حضرة الشيخ معروف الكرخي . حضرة الإمام علي الرضا (١٢٤) .

ثم ولقد ذكر محمد نوربخش هذا في كتابه عبارة صريحة تدل على عدم تشيعه وهو يذكر الوقائع التي حدثت بعد وفاة رسول الله ﷺ فداه أبواي وروحي فقال :

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايع الأنصار والمهاجرون أبا بكر رضي الله عنه على الإمامة بالاتفاق لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أمره بإمامة الصلاة الفريضة أيام مرضه ،

فبايع أصحابه كله على أبي بكر اتباعاً لأمره صلى الله عليه وآله وسلم لأن الصلاة عماد الدين وقوامه كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض ليالى وأياماً ينادى بالصلاة، فيقول عليه السلام: مروا أبابكر يصلى بالناس .

فلما قبض رسول الله عليه الصلاة وآله وسلم نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لدينا فبايعناه .

وذلك أن علياً عليه السلام لما رأى النزاع بين الصحابة بسقيفة بنى ساعدة في الخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه وقد نزع خاتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من يده المباركة، ففوض الخاتم إلى أبي بكر رضى الله عنه وقال: فاذهب إلى الناس وأدركهم واجمعهم على إمارتك فذهب إليهم أبو بكر ومعه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فكلم الناس عمر في إمارة أبي بكر ورضوا بإمارة أبي بكر رضى الله عنه واتفقوا كلهم ببركة خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبتدبير على المرتضى عليه السلام» (١٢٥) .

وعلى كل فهذه هي الطائفة الأخرى التى اختلف (١٢٦) . فى تشيعها، ونظن أن هذا القدر كاف فى هذا الموضوع .

(١٢٥) أيضاً ص ٥١-٥٢ .

(١٢٦) لقينى كثير من علماء الشيعة فى باكستان فسألتهم عن النوربخشيه فأكثروا قالوا بأنهم ليسوا من الاثنى عشرية ولكنهم يدعون التشيع الاثنى عشرى لجلب الأموال وحصول المنافع من شيعة الخليج والدول العربية الاثنى عشريين وشيعة إيران أيضاً ولقد رضى علماء الشيعة الايرانيين بادعائهم هذا لاستكثار عدد الشيعة، والا فهم ليسوا من الامامية الاثنى عشرية .
وقال البعض : انهم من الشيعة الاثنى عشرية ولكنهم من الفرقة التى ابتعدت عن الاثنى عشرية الخالص بنزعاتها الصوفية وبأفكارها المناوئة المختلفة للتشيع الاثنى عشرية .

الأخبارية والأصولية

وهناك اختلاف آخر حدث بين الاثني عشرية في القرون المتأخرة وهو اختلاف ما يسمى باختلاف الأخباريين والأصوليين، فافترقت الاثنا عشرية إلى فرقتين متحاربتين متعاديتين حملت إحداها على الأخرى وشنعت الأخرى على الأولى، وكثر النزاع حتى اتهم الأخباريون الأصوليين بالخروج عن التشيع الحقيقي الأصلي، وكتبت الكتب وألفت الرسائل وتحزبت الأحزاب، فقال الأخباريون: نعتقد بظاهر ما ورد به الأخبار، متشابهة كانت أم غير متشابهة فنجرى التشابهات على ظواهرها ونقول فيها ما قاله سلفنا» (١٢٧).

وبعبارة صريحة أكثر:

إن الأخباريين هم الذين يتمسكون بظواهر الحديث مقابل الأصوليين الذين يرون الأدلة العقلية من الأدلة الشرعية (١٢٨).

ومعناه أن الأخباريين لا يرون الأدلة الشرعية إلا الكتاب والحديث. والمعروف أن الحديث عند الشيعة ما نقل عن أحد أئمتهم المعصومين حسب زعمهم الاثني عشري ومن رسول الله أيضا، فكل ما نقل عن هؤلاء فهو حديث عندهم وهو حجة لأنه منقول عن معصوم وحجة، وما نقل عن الحجة حجة على اليقين، ثم لا ينظر عندهم أن هذا الحديث ما منزلته وشأنه مادام وجد في الأصول الأربعمئة ونقل منها، والأصول عند القوم الكتب التي ألفها وجمعها أصحاب الأئمة (١٢٩).

فمادام أصحاب الأئمة نقلوا هذه الروايات من الأئمة فإنها لا (١٢٧) موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية للشيخ التهانوي ج ١ ص ٩٣ ط. خياط بيروت.

(١٢٨) لغت نامه دهخدا ص ١٤٨٥ ط. طهران ١٣٤٩.

(١٢٩) أعيان الشيعة الجزء الأول، القسم الثاني ص ٩٣.

تحتاج إلى النظر والبحث والتحقيق والتفتيش ، لا عن السند لأنها من صاحب الإمام ولا عن المتن لأنه من الإمام ، وعقول الناس قاصرة عن إدراك كنه ما يقوله الإمام حسب رواية الإمام المعصوم الخامس عند الشيعة محمد الباقر :

إن حديث آل محمد صعب مستعصب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلانت له قلوبكم وعرفتوه فاقبلوه ، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد ، وإنما الهالك أن يحدث أحدكم شئ منه لا يحتمله ، فيقول : والله ما كان هذا والله ما كان هذا ، والإنكار هو الكفر» (١٣٠) .

وقد نقلوا عن موسى الكاظم - الإمام السابع المعصوم حسب زعمهم - أنه قال لأحد شيعته على بن سويد السائي :

ادع إلى صراط ربك فينا من رجوت إجابته ولا تحصر حصرنا ، ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا : هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه ، فإنك لا تدري لم قلناه ، وعلى أى وجه وصفناه ، آمن بما أخبرتك ولا تكشف بما استكتمتك» (١٣١) .

وعلى ذلك فإن الرجوع إلى دليل آخر من الأدلة العقلية ليس إلا جهل وضلال في نظر هؤلاء وإذا لم يوجد في المسألة شئ فعليها الأرجاء حتى يأتى فيه خبر عن إمام من الأئمة كما رووا عن جعفر بن الباقر أنه سئل عن رجل اختلف عليه رجلان في دينه من أمر كلاهما يرويه ، أحدهما يأمر بأخذه والآخر ينهاه عنه كيف يصنع ؟ فقال : يرجئه حتى

(١٣٠) الأصول من الكافي ج ١ ص ٤٠١ ، باب ما جاء أن حديثهم صعب مستعصب .

(١٣١) رجال الكشي ص ٣٨٦ ط . كربلاء .

يلقى من يخبره فهو في سعة حتى يلقاه» (١٣٢) .

وذكر ابن بابويه القمي عن علي بن موسى - الإمام الثامن المعصوم عنده - أنه قال :

وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردّوه علينا، فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا» (١٣٣) .

وإن رجع إلى شيء آخر ضلّ وأضلّ كما نقلوا عن موسى الكاظم عن محمد بن حكيم أنه قال :

«قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : جعلت فداك فقهنّا في الدين وأغنانا الله بكم عن الناس حتى إن الجماعة منا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما منّ الله علينا بكم، فربّما ورد علينا شيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيء فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به ؟

فقال : هيهات هيهات في ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم، قال : ثم قال : لعن الله أبا حنيفة» (١٣٤) .
وأيضاً :

عن سمعة بن مهران عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت : أصلحك الله إنا نجتمع فتتذاكر ما عندنا فلا يردّ علينا شيء إلا وعندنا فيه شيء مسطر وذلك مما أنعم الله به علينا بكم، ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء فينظر بعضنا إلى بعض، وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه ؟

(١٣٢) الأصول من الكافي، كتاب فضل العلم ج ١ ص ٦٦ .

(١٣٣) عيون أخبار الرضا للقمي - نقلاً عن الكافي في الأصول، الهامش ص ٦٦ .

(١٣٤) الكافي في الأصول ج ١ ص ٥٦ .

فقال : ومالككم وللقياس؟ إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس، ثم قال : إذا جاءكم ما تعلمون، فقولوا به ، وإن جاءكم ما لا تعلمون فيها - وأهوى بيده إلى فيه - ثم قال : لعن الله أبا حنيفة كان يقول : قال علي وقلت أنا، وقالت الصحابة وقلت، ثم قال : أكنت تجلس إليه؟ فقلت : لا ولكن هذا كلامه، فقلت : أصلحك الله أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس بما يكتفون به في عهده؟ . قال : نعم وما يحتاجون إليه يوم القيامة، فقلت : فضاع من ذلك شيء؟ فقال : لا هو عند أهله» (١٣٥).

هذا هو مذهب الأخبارية من الإمامية، أى العمل بالأخبار المنقولة عن المعصومين حسب زعمهم أو المنسوبة إليهم بدون النظر إلى شيء آخر .

وأما الأصوليين فرأوا أن هناك دليل العقل ومنه البراءة الأصلية والاستصحاب وغيرها، ومثل للبراءة الأصلية السيد محسن أمين في كتابه بقوله :

البراءة الأصلية فيما لا نص فيه بوجوب ولا تحريم بعد الفحص لاستقلال العقل بقبح العقاب بلا بيان، ومنه قولهم عدم الدليل على كذا فيجب انتفائه وهذا يكون مع الشك في الوجوب، ومثل له المحقق في المعبر بقولنا : ليس الوتر واجبا لأن الأصل براءة العهدة، ومنه أن يختلف الفقهاء في حكم بالأقل والأكثر فنقتصر على الأقل كما يقول بعض الأصحاب في عين الدابة نصف قيمتها، ويقول الآخر : ربع قيمتها، فيقول المستدل : ثبت الربع إجماعا، فينتفى الزائد نظرا إلى البراءة الأصلية ويكون مع الشك في التحريم كالشك في حرمة التدخين وحرمة

شرب قهوة البنّ، فيقال: لم يقيم دليل على التحريم والأصل براءة الذمة» (١٣٦).

ثم ذكر الأخباريين ومذهبهم بقوله:

الأخبارية الإمامية أنكروا البراءة الأصلية وأوجبوا الاحتياط في مواردّها للأخبار الآمرة بالاحتياط الحائثة عليه المحمولة على الاستحباب أو مورد العلم بالتكليف والشك في المبرىء المعارضه بقولهم عليهم السلام: كل شيء فيه حلال وحرام فهو لك حلال حتى تعرف الحرام منه فتدعه وأمثاله» (١٣٧).

وكذلك ذكر مغنية «أن الأخباريين ينكرون الاستصحاب في الحكم الشرعي الكلي» (١٣٨).

واتهم الأخباريون الأصوليين:

ان الباعث لهم على الاختراع هذه القواعد الأصولية والأدلة الأربعة الشرعية هو أنسهم بكتب المخالفين للإمامية بلا ضرورة داعية إليه وبدون قيام حجة حاکمة» (١٣٩).

فألف كل فئة كتباً كثيرة لتأييد مسلكهم، فمن الأخباريين ألف محمد أمين بن محمد شريف الاسترا آبادي كتابه المشهور (الفوائد المدنية).

وردّ عليه نور الدين العاملي بكتابه (الفوائد المكية في مداحض حجج الخيالات المدنية ونقض أدلة الأخبارية) (١٤٠).

(١٣٦) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثاني ص ١٨.

(١٣٧) أيضاً.

(١٣٨) علم أصول الفقه في ثوبه الجديد لمحمد جواد مغنية ص ٣٥٤ ط. دار العلم. بيروت.

(١٣٩) الفوائد المدنية في الرد على القائل بالاجتهاد والتقليد في الاحكام الالهية لمحمد امين ط. طهران.

(١٤٠) انظر لذلك كتاب الذريعة للطهراني ج ١٦ ص ٣٥٩.

وردّ عليه أيضا السيد دلدار على اللكهنوي بكتاب سّمَاه (أساس الأصول)، وهذا الكتاب موجود بين أيدينا طبع في الهند، وذكره صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٤١).

ثم ردّ عليه ميرزه محمد عبد النبي النيسابوري الهندي الشهير بالأخبارى بكتاب سّمَاه (معاول العقول لقلع أساس الأصول) ودافع فيه عن (الفوائد المدنية) وعنّف القول على مؤلف الأساس، وهذا الكتاب موجود مطبوع أيضا، وقد ذكره صاحب الذريعة في كتابه (١٤٢).

ثم ردّ عليه السيد نظام الدين حسين والسيد أحمد على وغيرهم بكتاب (مطارق الحق واليقين لكسر معاول الشياطين) وقد ذكر هذا الكتاب الطهراني في موسوعته (١٤٣).

فهاتان هما فرقتان أخريان انبثقتا عن الشيعة الاثني عشرية أيضا، ويعدّ من أعيان الطائفة الأخبارية الحر العاملي صاحب (وسائل الشيعة)، والنورى الطبرسى صاحب (مستدرک الوسائل)، ومحمد حسين كاشف الغطاء، ونعمت الله الجزائري وغيرهم. ومن أعيان الطائفة الثانية فى الآونة الأخيرة السيد دلدار على، والطباطبائى، ومحسن الحكيم، والخواجى، وشريعت مدارى، والخمينى، وغيرهم.

أهم كتب الشيعة الاثني عشرية ورجالاتهم

وأهم كتب الشيعة الاثني عشرية فى الحديث :
(الكافى) للكلينى - وهذا الكتاب يشتمل على أقسام ثلاثة :
الأصول والفروع والروضة : القسم الأول يشتمل على العقائد،

(١٤١) ج ٢ ص ٥٠٤ .

(١٤٢) ج ٢١ ص ٢٠٧ .

(١٤٣) ج ١ ص ٣٨ .

والقسم الثانى على الأحكام ، والثالث على الخطب والمكاتيب وعلى الحكم والآداب ، ويقولون : فيه ١٦١٩٩ حديثا .

الثانى : (من لا يحضره الفقيه) لابن بابويه القمى ، وفيه ٦٥٩٣ حديثا .

الثالث : (تهذيب الأحكام) لابی جعفر الطوسى ، وفيه ١٣٥٩٠ حديثا .

الرابع : (الاستبصار) وهذا أيضا للطوسى ، وفيه ٦٥٣١ حديثا .

وهذه هى كتب الحديث الأربعة التى يطلق عليها الصحاح الأربعة الشيعية .

وهناك كتب أخرى فى الحديث منها :

(الأول) : الوافى تأليف الشيخ محمد بن مرتضى المدعوبملا محسن الكاشى جمع فيه ما فى الكتب الأربعة من أحاديث الأصول والفروع ورتبها وبوبها وشرح بعض ما يلزمه الشرح والتفسير من المهمات وبين بعض وجوه الجمع بين المتعارضات وله نحو مائتى مصنف .

(الثانى) : وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة تأليف الشيخ محمد بن الحسن بن الحر العاملى جمع فيه ما فى الكتب الأربعة وغيرها فى الفروع خاصة من ثمانين كتابا كانت عنده وسبعين نقل عنها بالواسطة ورتبه وبوبه على ترتيب كتب الفقه أحسن ترتيب وشرح بعض المهمات وجمع المتعارضات فصار كتابه هذا هو المعول والمرجع ولم يرزق الوافى ما رزقته الوسائل من الحظ لان ترتيبها أسهل مع ان تفسيرات الوافى اوفى وله مع ذلك الحظ الوافى لكن حظ الوسائل اوفى وبقية الكتب الأربعة يرجع إليها أيضا (١١٠٤) .

(الثالث) : بحار الأنوار في أحاديث النبي والأئمة الاطهار تأليف

الشيخ محمد باقر ابن الشيخ محمد تقى المعروف بالمجلسى فى ستة وعشرين مجلداً ضخماً كثير منها وحده عشرات المجلدات ويستغرق نسخه فقط العمر فضلاً عن تأليفه جمع فيه فنوناً من العلم جلها فى غير الأحكام الفرعية وقليل منها فى الفروع ومن جملة توارىخ النبى والزهراء والأئمة الاثنى عشر صلى الله عليه وعليهم ، وأحوالهم ومناقبهم وما أثر عنهم من المواعظ والحكم والآداب جمعه من كل ما عثر عليه بدون انتقاء كما هو شأن البحار، ولم ينقل فيه من الكتب الأربعة المتقدمة إلا قليلاً لأن غرض مؤلفيها الأهم الفروع وغرضه الأهم غيرها فهو أجمع كتاب فى فنون الحديث وأنواع العلوم ومتفرقات الأخبار يستمد منه العالم والمؤلف والواعظ وتستخرج منه الدرر والجواهر، فالمحمدون الثلاثة الأولون مع المحدثين الثلاثة الآخرين هم الذين حفظوا أخبار أهل البيت وآثارهم من الضياع وجمعوها ورتبوها والأولون منهم انتقوها واختاروها بحسب أسانيدها وكذا الأولون من الآخرين (١١١٠) .

(الرابع) : العوالم فى الحديث تأليف المحدث المتبحر المولى عبد

الله بن نور الله البحراني فى مائة مجلد ولم يرزق من الحظ ما رزق البحار (اوائل المائة الثانية) .

(الخامس) : الشفا فى حديث آل المصطفى جامع كبير يشتمل

على عدة مجلدات للمتضلع فى الحديث الشيخ محمد الرضا بن الفقيه الشيخ عبد الله التبريزى فرغ منه (١١٥٨) .

(السادس) : جامع الأحكام فى الحديث تأليف السيد عبد الله

الشيرى فى خمسة وعشرين مجلداً كبيراً مؤلفه من أكثر الناس تأليفاً (١٢٤٢) .

(السابع) : مستدركات الوسائل تأليف المحدث المتتبع البصير بالحديث والرجال الميرزا حسين النوري المعاصر جمع فيه ما فات صاحب الوسائل ورتبه على أبوابها في قريب من مجلداتها لكنه أدرج فيه الفقه الرضوى الذى لم يثبت أنه تصنيف الإمام الرضا (ع) وكثيراً مما هو من هذا القبيل مما لم يكن معتبر الاسناد عند صاحب الوسائل فليس هو في الحقيقة استدراكا عليه في كثير مما فيه وأفاد في آخره فوائد رجالية لا توجد في غيره والظاهر ان معظمها مأخوذ من جامع الرواة للحاج محمد الاردبيلي معاصر المجلسي (١٣٢٠) (١٤٤).

ويدعى الشيعة أن الكتب التى تشتمل على الأحاديث المروية من المعصومين حسب زعمهم تزيد على ستة آلاف وست مائة كتاب (١٤٥).
وأما شيخهم المفيد فقال :

صنف الإمامية من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد أبى محمد الحسن العسكري أربع مائة كتاب تسمى الأصول ، قال : فهذا معنى القول : له أصل» (١٤٦).

هذا في الحديث ، وأما في الرجال فلهم (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) لأبى عمرو ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى ، والمعروف برجال الكشى - من علماء القرن الرابع .

والثانى : (كتاب الرجال) لأبى العباس أحمد بن على النجاشى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، المعروف برجال النجاشى .

والثالث : (كتاب الرجال) لشيخ الطائفة أبى جعفر الطوسى المتوفى سنة ٣٦٠ ، والمعروف برجال الطوسى .

(١٤٤) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثانى ص ١١٣-١١٤ .

(١٤٥) أيضا ص ٩٣ .

(١٤٦) أيضا .

والرابع : (كتاب الفهرست) للطوسي أيضا .
 وهذه الكتب الأربعة هي الأصول ، وعليها المعول عند القوم (١٤٧)
 وهناك كتب أخرى : مثل (معالم العلماء) لابن شهر آشوب
 المازندراني المتوفى سنة ٥٨٨ هـ .
 و (خلاصة الأقوال في الرجال) للحسن بن مطهر الحلبي المتوفى

٧٢٦ هـ .

- و (منهج المقال) للهمامقاني .
- و (روضات الجنات) للخوانساري .
- و (الكنى والألقاب) للقمي ، وغيرها .
- ومن كتبهم في التفسير المشهورة :
- (تفسير العياشي) .
- و (تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي) .
- و (تفسير القمي) .
- و (تفسير مجمع البيان) للطبرسي .
- و (تفسير البرهان في تفسير القرآن) .
- و (تفسير الصافي) .
- و (نور الثقلين) للحويزي .
- و (منهج الصادقين) لملا فتح الله الكاشاني .
- ومن أهم كتبهم في الفقه :
- (شرائع الإسلام) لجعفر بن الحسين الحلبي .
- (جامع المقاصد) لعبد العالي الكركي المتوفى ٩٣٧ هـ .
- و (المسالك) لزين الدين العاملي .

(١٤٧) انظر مقدمة رجال الكشي لأحمد الحسيني ص ٤ .

وكذلك (شروح اللمعة الدمشقية) .

ومن أهم كتبهم فى التاريخ :

(تاريخ اليعقوبى) .

و (مروج الذهب) و (أخبار الزمان) للمسعودى .

و (ناسخ التواريخ) لمبرزه تقى خان معاصر ناصر الدين

القاجارى .

وأهم كتبهم (نهج البلاغة) الذى يعدّونه أقدس كتاب عندهم

ويدعون أنه كتاب مشتمل على خطب ومكاتيب على رضى الله عنه ،

جمعه شريف الرضى ، ومن شروحه الهامة :

شرح ابن أبى الحديد المعتزلى الشيعى ، وشرح ابن الميثم وغيرها

من الشروح .

وأما أعيانهم فهم مؤلفو هذه الكتب التى ذكرناها آنفا ، وقد ذكرنا

تراجهم فى هذا الكتاب وفى الكتب الأخرى التى ألفناها حول هذه

الطائفة من الناس .

وبهذا يعرف الشيعة الاثنا عشرية بالإيجاز والاختصار ، وفيما

أوردناه كفاية لمن أراد ذلك .

ونلحق هذا الباب بابا آخر لبيان صلة الاثنى عشرية بالعقائد

السبئية وغيرهم من المنحرفين الضالين ، والمؤامرين الماكرين ضد

الإسلام ومؤسسى الفرقة والاختلاف بين المسلمين .

السِّمَةُ الْإِنْعَاشِيَّةُ وَالْعَقَائِدُ السَّبَائِيَّةُ

إننا ذكرنا السبئية وقائدها عبد الله بن سبأ فيما مضى بالتفصيل ، ونضطر إلى أن نعيد ذكر السبئية والأفكار التي حملوها والعقائد التي روجوها بين الناس وعارضها علىّ وأولاده الطيبون منهم رضوان الله عليهم ، وردّوا عليها ، وقاوموها بكل عنف وشدة ، ولكنها تسرّبت فيما بعد بين الذين يزعمون أنهم شيعتهم والموالون لهم باسم حب أهل البيت - وأهل البيت منها براء .

نضطر إلى إعادتها لوضع النقاط على الحروف ولإثبات أن الشيعة وخصوصا الاثنى عشرية منهم الذين يعدّون أنفسهم معتدلين ، وقد يخدع بهم الكثيرون من المغفلين من الناس ، ليسوا إلا ورثة أولئك القوم الذين ضلّوا وأضلّوا ، ولا يوجد في أيديهم إلا تركتهم التي تركوها للفرقة والاختلاف بين المسلمين ولإبعاد بعض الناس عن العقائد الصحيحة التي نزلت من السماء وجاء بها جبرئيل ، وبلغها رسول الله ﷺ ، وكلام الله ، القرآن ، وسنة رسول الله الثابتة ، خالية من ذكرها وتذكرتها .

ونحاول في هذا الباب أيضا أن لا نكون إلا منصفين ، ولا نلزم

القوم مالا يلتزمون به ، ولا ننسب إليهم مالا يثبتونه في كتبهم أنفسهم ، كما تعودنا ذلك بفضل الله ، وكما لاحظ القارئ في هذا الكتاب وفي غيره .

وتجنبنا لسرد العبارات التي سقناها من قبل - نلخص ما كان يقوم به من المخططات ويروجه عبد الله بن سبأ وما كانت تنشره السبئية من عقائد وآراء ، ثم نقارن تلك العقائد والآراء بأفكار الشيعة الاثني عشرية الموجودين حاليا وعقائدهم ، وهل هي موجودة فيهم أم لا ؟ . فنقول :

أولا : قيام السبئية بتكوين جمعيات سرّية يهودية باسم الإسلام تحت راية عبد الله بن سبأ .

ثانيا : إظهار الحب والولاء والمشايع والموالات لعلی وأولاده والانضمام إلى شيعتهم .

ثالثا : الحقد والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ والبراءة من أبي بكر وعمر وعثمان خلفاء نبي الله في أمته ، الثلاثة الراشدين المهديين ، والطعن فيهم وتفسيرهم وتكفيرهم .

رابعا : تأليب الناس وتحريضهم على عثمان واتهامه بتهم باطلة لإيقاع الفرقة بين الأمة الواحدة والشقاق في المسلمين ، والتشنيع على العمال ، وتشويه سمعة الحكام ، وخصوصا الذين قادوا المعارك الحاسمة وفازوا فيها .

خامسا : ترويج العقائد اليهودية والنصرانية والمجوسية بين المسلمين ، التي لا تمت إلى الإسلام بصلة ، لا قريية ولا بعيدة . والكتاب المنزل من السماء على محمد ﷺ خال منها ، وكذلك تعليقات الرسول الناطق بالوحي نزيهة وبريئة من التلوث بها مثل قولهم بالصياغة والولاية والعصمة والرجعة وعدم الموت وملك الأرض والحلول والاتحاد

وتأليه الخلق واتصافهم بصفات الله وجريان النبوة بعد محمد ﷺ ونزول
الوحى .

فهذه هى الأفكار السبئية التى اقتبسناها من عبارات الشيعة
وأئمتهم حول عبد الله بن سبأ والعقائد التى دعوا إليها وروجوها بين
المسلمين، والعبارات والنصوص التى سردناها فى الباب الثانى حيث
ذكرنا عبد الله بن سبأ والسبئية بالتفصيل . وهذه هى خلاصة أقوالهم
التي قالوها والأعمال التى قاموا بها، والآن لنضع النقاط على الحروف
ونقول :

أما الأول : أى تكوين اليهود جمعيات تحت قيادة عبد الله بن سبأ
للدس والفتنة فلا نحتاج لإثباتها إلى أى شىء بعدما أثبتناها من أئمة
الشيعة فى الفرق والرجال والتاريخ والنقد، غير السنة، وتصريحاتهم
وبعدما أطنبنا القول فيه فيما مرّ .

والثانى : أى أظهار الحب والولاء والموالة لعلی وأولاده، فهذا هو
الذى جعله الشيعة شعاراً لهم وما أكثر ما قالوه فى هذا وتقولوا به على
علیّ وأولاده - كذباً وزوراً - حتى جعلوا الدين كله موالة لعلیّ وأولاده
دون الإيمان بالقرآن والسنة، بل ودون الإيمان بالله ورسوله والامثال
بأوامرهما والتجنب عن النواهى، وبدون العمل الصالح والسعى إلى
المكارم والفضائل والحسنات، فلقد قالوا فيما قالوا وما أكثره وما أشنع .
عن أبى جعفر أنه قال :

هل الدين إلا الحب»^(١) .

فالحب هو الدين، لا الصلاة ولا الزكاة ولا الحج ولا الصوم ولا
غير ذلك من العبادات التى أمر الله باتيانها وأدائها، ولا الأمر بالمعروف

(١) كتاب الروضة من الكافى للكلينى، باب وصية النبي لأمر المؤمنين ج ٨ ص ٨٠ ط طهران .

والنهي عن المنكر، ولا التجنب للبغى والفحشاء، ولا التقييد بالقيود في المعاملات، ولا المراعاة التي أمر بها الإنسان للتعایش مع ذويه وعشيرته وجيرانه ومجتمعه، ولا الحقوق ولا الفرائض، ولا الواجبات ولا المحرمات، فإن الدين هو الحب وحده .

وهو الإيمان أيضا كما نقلوه عن أبي جعفر محمد الباقر - الإمام الرابع المزعوم :

حبنا إيمان وبغضنا كفر» (٢) .

لا الإيمان بالله ولا بالرسول ولا بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين، ولا بالكتاب المنزل عليه ولا بالتعاليم التي منحها لأصحابه وتلاميذه لأنه ما أرسل الرسل وما نزلت الكتب ولم يأت الأنبياء إلا للدعوة إلى عليّ وأولاده وحبيهم والموالة لهم .

ولقد ذكر المفسر الشيعي الكبير البحراني في مقدمة تفسيره الكبير عن واحد من أصحاب عليّ، حبة العوفي أنه قال :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن الله عز وجل عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض، «أقربها من أقربها وأنكرها من أنكرها، أنكرها يونس فحبسه في بطن الحوت حتى أقربها» (٣) .

وذكر عن (البصائر) عن محمد بن مسلم أنه قال :

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله أخذ ميثاق النبيين على ولاية عليّ، وأخذ عهد النبيين على ولاية عليّ» (٤) .

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك كما قال :

وفي كنز الفوائد نقلا من خط الشيخ الطوسي من كتاب مسائل

(٢) الاصول من الكافي ج ١ ص ١٨٨ .

(٣) بصائر الدرجات ج ٢ ص ١٠ ط ايران نقلا عن تفسير البرهان، مقدمة ص ٢٥ .

(٤) ايضا ص ٢٦ .

البلدان عن جابر الجعفي عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال دخل سلمان على علي ، فسأله عن نفسه؟ فقال : يا سلمان ! أنا الذي دعيت الأمم كلها إلى طاعتي فكفرت فعذبت في النار وأنا خازنها عليهم حقا أقول يا سلمان انه لا يعرفني أحد حق معرفتي إلا كان معي ، أخذ الله على الناس الميثاق لي فصدق من صدق وكذب من كذب ، قال سلمان : لقد وجدتكم يا أمير المؤمنين في التوراة كذلك وفي الإنجيل كذلك بأبي أنت وأمي يا قتيل كوفة ! أنت حجة الله الذي تاب به على آدم ، وبك أنجى يوسف من الحب ، وأنت قصة أيوب ، وسبب تغير نعمة الله عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أتدرى ما قصة أيوب؟ . قال : الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين ، قال : لما كان عند الانبعاث للمنطق شك أيوب في ملكي فقال : هذا خطب جليل وأمر جسيم ، فقال الله : يا أيوب ! أتشك في صورة أقمته انا ، إنني ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له وصفحته عنه بالتسليم عليه بأمرة المؤمنين فانت تقول خطب جليل وأمر جسيم فوعزتي لاذيقنك من عذابي أوتتوب إلي بالطاعة لأمر المؤمنين ثم ادركته السعادة بى يعني انه تاب واذعن بالطاعة لعلي عليه السلام» (٥) .

وغير هذا أيضا :

ففي سرائر ابن ادريس من جامع البزنطى عن سليمان بن خالد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

ما من نبى ولا من آدمى ولا من إنسى ولا جنى ولا ملك في السماوات والأرض إلا ونحن الحجج عليهم ، وما خلق الله خلقا إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه ، فمؤ من بنا وكافر جاحد حتى

السموات والأرض» (٦) .

وتتمة هذا الخبر في مناقب ابن شهر آشوب عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : عرض الله أمانتى على السموات السبع بالشواب والعقاب فقلن ربنا لا تحملنا بالشواب والعقاب لكننا نحملها بلا ثواب ولا عقاب ، وان الله عرض ولايتى وأمانتى على الطيور فأول من آمن بها البزاة البيض والقنابر ، وأول من جردها اليوم والعنقا فلعنهما الله من بين الطيور ، فأما اليوم فلا تقدر أن تطير بالنهار لبغض الطير له ، وأما العنقا فغابت فى البحار لا ترى ، وان الله عرض أمانتى على الأرض فكل بقعة آمنت بولايتى جعلها طيبة زكية وجعل نباتها وثمرها حلواً عذباً وجعل ماءها زلالاً وكل بقعة جحدت إمامتى وأنكرت ولايتى جعلها سبخاً وجعل نباتها مرّاً وعلقماً وجعل ثمرها العوسج والخنظل وجعل ماءها ملحاً اجاجاً» (٧) .

وأما بخاريهم الكليني فروى فى صحيحه عن أبى عبد الله جعفر - الإمام السادس عندهم - أنه قال :

ولايتنا ولاية الله التى لم يبعث نبيا قط إلا بها» (٨) .

وعن أبيه أبى جعفر - محمد الباقر - أنه قال :

والله إن فى السماء لسبعين صفاً من الملائكة ، لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم ، وانهم ليدينون بولايتنا» (٩) .

وعنه أيضاً أنه قال :

(٦) ايضاً ص ٢٦ .

(٧) ايضاً .

(٨) كتاب الحجّة من الكافي ج ١ ص ٤٣٧ .

(٩) ايضاً ص ٤٣٧ .

ان الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ (١٠) .
وأخيراً روى الكليني عن إمامه المعصوم، عن أبي الحسن أنه

قال :

ولاية على عليه السلام مكتوبة في صحف جميع الأنبياء» (١١) .

وكما روى أيضاً عن سالم الحنط قال :

قلت لأبي جعفر عليه السلام : أخبرني عن قول الله تبارك
وتعالى : نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان
عربي مبين، قال : هي الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام» (١٢) .

وكذلك سئل أبو جعفر عن قول الله عز وجل : ولو أنهم أقاموا
التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم، قال : الولاية» (١٣) .

وابنه جعفر قال :

ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، إن هذا لفي الصحف الأولى
صحف إبراهيم وموسى» (١٤) .

وروى الكليني عن الصومالي :

عن أبي جعفر عليه السلام قال : أوحى الله إلى نبيه صلى الله
عليه وآله : فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم،
قال : إنك على ولاية علىّ، وعلىّ هو الصراط المستقيم» (١٥) .

وإن لم يأت العبد بولاية على لم يسأله عن شيء، وأمر به إلى

(١٠) ايضاً ص ٤٣٨ .

(١١) كتاب الحجة من الكافي ج ١ ص ٤٣٧

(١٢) ايضاً، باب فيه نكت من التنزيل في الولاية ج ١ ص ٣١٢ .

(١٣) ايضاً ص ٤١٣ .

(١٤) ايضاً ص ٤١٨ .

(١٥) ايضاً ص ٤١٧ .

وعلى ذلك قال البحراني مفسر الشيعة :

إن الله لم يبعث نبيا قط إلا بعد ما أقرب بالولاية لأهل البيت، وإن بعثة الأنبياء كانت لذلك أيضا» (١٦) .

وإن هذه الموالاة هي سبب دخول الجنة والنجاة من النار. لا الأعمال ولا الحسنات، فمن وإلى عليا وأولاده فهو من أهل الجنة، وغيره يدخل النار ولو صام وصلى كما نقلوا عن أبي جعفر أنه قال :
سواء علي من خالف لنا أهل البيت لا ييالي صلى أو صام، أو زنى أو سرق، إنه في النار، إنه في النار» (١٧) .

وكذبوا على رسول الله أنه قال لعليّ رضي الله عنه :
من أحببك كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا ييالي مات يهوديا أو نصرانيا» (١٨) .

وكذلك روى صدوقهم - وهو كذوبهم :
قال رسول الله (ص) : يا علي إن الله تعالى قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبي شيعتك ومحبي محبي شيعتك، فابشر» (١٩) .

وذكر العياشي في تفسيره عن أبي عبد الله جعفر أنه قال :
المؤمنون بعليّ هم الخالدون في الجنة وإن كانوا في أعمالهم مسيئة» (٢٠) .

وحب علي حسنة لا تضر معها سيئة (٢١) وبغضه معصية لا تنفع

(١٦) انظر البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني، مقدمة ص ٣٣٩ ط إيران .

(١٧) أيضا، الفصل الثاني في بيان فرض ولاية أهل البيت ص ٢١ .

(١٨) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٨ . ط طهران .

(١٩) أيضا ج ٢ ص ٤٧ .

(٢٠) تفسير العياشي ج ١ ص ١٣٩ .

(٢١) ويجب الانتباه أنه لم يروهذه الروايات الا الرضا عن الدجالون من الشيعة الذين ينقلون عن

وأخيرا ما كذبه على رسول الله ﷺ أنه قال :

سمعت الله عز وجل يقول :

على بن أبى طالب حجتى على خلقى ، ونورى فى بلادى وأمينى
على علمى ، لا أدخل النار من عرفه وإن عصانى ، ولا أدخل الجنة من
أنكره وإن اطاعنى» (٢٣) .

فالقضية واضحة بأن طاعة الله ليست بطاعة ، ومعصية الله ليست
بمعصية مادام الحب والولاء لعلى وأولاده موجود ، وهذا ما كان يقصده
اليهودية البغضاء لابعاد أمة محمد ﷺ عن الشريعة السماوية التى لا
تفرق بين شخص وشخص ، ولا تجعل مدار العز والشرف إلا على
العمل والتقوى كما قال جل من قائل :

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (٢٤) .

وقال : ﴿أزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين﴾ (٢٥) .

وقال : ﴿لقد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون .

والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم
لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير
ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم

دجاجة كذابين مثلهم ، وقد وردت هذه الروايات بطرق الشيعة الكذابين أيضا فى بعض كتب السنة
الذين لم يلتزموا بإيراد الروايات الصحيحة ، ولم يلزموا أنفسهم تنقيد الرواة وتنقيح أحوالهم ، فلا يعتمد
على تلك الروايات لأنها منقولة ومروية من الشيعة لترويج باطلهم ونشر أباطيلهم . والله الحمد والمنة ان
عند السنة معيارا قويا ومحكما صالحا لتنقية هذه الروايات وتنقيحها لتمييز الحق من الباطل ، كما عندهم
أصول وضوابط وقواعد لنقد الرجال جرحا وتعديلا ، فلا تقبل الروايات والرواة عندهم الا الصادقة عن
الصدق ، ولا يلتفت الى الضعاف والضعفاء والوضع والوضاع ، والى الأكاذيب والكذبة .

(٢٢) منهج الصادقين ج ٨ ص ١١٠ .

(٢٣) البرهان ، مقدمة ص ١٣ .

(٢٤) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢٥) سورة الشعراء الآية ٩٠ .

لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿٢٦﴾.

وقال : ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ ﴿٢٧﴾.

وقال : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ﴿٢٨﴾.

وقال : ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره اليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى. وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾ ﴿٢٩﴾.

وقال : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين. في جنات يتساءلون. عن المجرمين. ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخاضعين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ ﴿٣٠﴾.

نعم الشريعة التي لم تفرق بين شخص وشخص لحسبه ونسبه، فلم تفرق بين أبى لهب بأنه يدخل الجنة لأنه عم النبي ﷺ، ولم تقتصر على البيان بأنه من أهل النار بل قرن ذكره باللعن في الكتاب الذي يبقى أبد الدهر حيث قال :

﴿تبت يدا أبى لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى نارا ذات لهب. وامراته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد﴾ ﴿٣١﴾.

ولم تفرق تلك الشريعة السمحاء بين بلال وغيره لأنه حبشى وغير

(٢٦) سورة المؤمنون الآية ١ الى ١١.

(٢٧) سورة الزلزال الآية ٨، ٧.

(٢٨) سورة الأنعام الآية ١٦٤.

(٢٩) سورة الليل الآية ٩.

(٣٠) سورة المدثر الآية ٣٨ الى ٤٨.

(٣١) سورة تبت.

عربى وقرشى وغير مكى ، جاء مكة وهو مملوك لغيره ، بل بُشِّر بالجنة بلسان الناطق بالوحى لأن أعماله أهلتة لذلك .

وهم الذين كانوا يرون الإيمان بالله وبالرسول وبالكتاب الذى نزل عليه والأعمال الصالحة حسب أوامر الله وأوامر الرسول ﷺ سببا لدخول الجنة كانوا يقومون ليلا ويصومون نهارا ، ويرفعون رأيات الجهاد ، وينزل عليهم النصر من فوق السماء ، ويؤيدهم ملائكة الرب وجنود الرحمان ، وهم الذين كانوا يرون الجنة تحت ظلال السيوف لإحقاق الحق وإبطال الباطل ولإظهار دين الله على الدين كله ، وهم الذين كانوا يقهرون سلاطين الأمم وملوكها وجبابرة الأرض وطغاتها ، وهم الذين أمامهم فلول اليهودية وجيوش النصرانية وعساكر المجوسية ، وهم الذين أريد بهم وبأخلافهم أن يبعدوا عن هذه الشريعة الحية المحيية الأموات ، والباعثة فيهم الأرواح ، أرادوا إماتة هذه الأمة المقدامة لردهم عن دينهم وإبعادهم عن تعاليم الإسلام الحقيقية ، عن الإيمان والعمل والجد والجهد والجهاد ، فقالوا : لا يحتاج لدخول الجنة وإرضاء الرب إلى كل هذه المشقة والعناء ، بل يكفى لها حب أشخاص والولاية لهم ، ففازوا فى مقاصدهم الخبيثة بعض الفوز وانطلت مكائدهم على بعض السذج الغفلة من الناس ، والمغرورين والمخدوعين بأسماء أشخاص لم يكونوا إلا عباداً لله المتقين ، العاملين المؤمنين . فبدل أن يكون أمام أعينهم أن أول ما يسأل العبد عنه الصلاة ، كى يصلوا ويجتهدوا فى التقرب إلى الله بالركوع والسجود والقيام إليه قالوا :

قال أبو الحسن عليه السلام - الإمام الثامن عندهم - : أول ما

يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت» (٣٢) .

وعلى ذلك جعلت الولاية أهم من الصلاة والزكاة وعن كل شئ :
كما ذكرناه آنفاً، وكما ورد في الكافي للكليني عن أبي جعفر أنه قال :
بنى الإسلام على خمس، على الصلاة والزكاة والصوم والحج
والولاية، ولم ينأد بشيء كما نودى بالولاية» (٣٣).

بل وهى المقصود كما كذبوا على النبى ﷺ أنه قال :
أتانى جبريل عليه السلام وقال : يا محمد ربك يقرئك السلام
ويقول : فرضت الصلاة ووضعتها عن المريض، وفرضت الصوم
ووضعتها عن المريض والمسافر، وفرضت الحج ووضعتها عن المقل المدقع،
وفرضت الزكاة ووضعتها عن من لا يملك النصاب، وجعلت حب على
بن أبى طالب عليه السلام ليس فيه رخصة» (٣٤).
ولذلك جعلوها مدار الكفر والإيمان كما هو ظاهر من هذه الروايات
وكما بيناه آنفاً .

وأما من قال من الشيعة المعاصرين (٣٥) بأن الاعتقاد بالولاية ليس
بالضرورى وأنه بعدم الاعتقاد بها لا يخرج عن كونه مسلماً ليس إلا خداعاً
وتزويراً، ولا يتفوه بمثل هذه الكلمات إلا فى كتب الدعاية والإيقاع
السذج من المسلمين فى شراكتهم وحبائلهم وإلا فهم لا يعتقدون بمثل
هذه الاعتقادات كما ذكر، وصرح به أئمة الشيعة .

ولقد ذكر السيد البحرانى عن عديد من أئمة الشيعة بأن هذه
العقيدة اليهودية التى أوجدها وأنشأها عبد الله بن سبأ اليهودى لتعطيل
الشريعة وإبعاد المسلمين عنها هى مدار الإيمان وهى مدار النجاة، والمنكر
(٣٣) الكافي فى الأصول، باب دعائم الاسلام ج ٢ ص ١٨ .

(٣٤) البرهان، مقدمة ص ٢٢ .

(٣٥) ألا وهو الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى كتابه (أصل الشيعة وفروعها)
ص ١٠٣، ١٠٤ الطبعة التاسعة بيروت ١٩٦٠م، وكذلك السيد نجمن الأمين فى كتابه (أعيان الشيعة)
ج ١ ص ٦٩ .

بها لا يعد مؤمنا . ونذكر ههنا عن إمامهم وشيخهم المفيد أنه ذكر في كتاب المسائل :

اتفقت الإمامية على أن من ينكر إمامة إمام وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض طاعته فهو كافر ضال مستحق الخلود في النار . . . وقال : لا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسل مخالفا للحق في الولاء ، ولا يصلى عليه» (٣٦) .

ونقل مثل ذلك عن بابويه القمي شيخ الطائفة الطوسي ، والملا باقر المجلسي ، والسيد شريف المرتضى وغيرهم من الكثيرين مثله .
وأما البغض والحقد لأصحاب النبي ﷺ والطعن فيهم والعيب عليهم وشتمهم فصار من لوازم مذهب الشيعة ، وقلما يوجد كتاب من كتبهم إلا وهو ملئ بالطعن والتعريض بهم ، بل ولقد خصص أبواب مستقلة لتكفير وتفسيق أصحاب النبي ﷺ ، ولا يذكرهم أحد من القوم إلا ويسبق ذكرهم بالشتيمة ويلحق بالسباب . ولقد مثلنا لهذا في كتابنا (الشيعة والسنة) في الباب الأول منه ، كما فصلنا القول في هذا الخصوص في كتابنا (الشيعة وأهل البيت) في الباب الثاني منه ولا نريد أن نعيد ما ذكرناه هناك تجنباً للإطالة . فليرجع القارئ في معرفة ذلك إلى هذين الكتابين . ونقتصر على ما كتبه إمام شيعة اليوم السيد الخميني في كتابه (كشف الأسرار) وهو موع كونه رجلا سياسيا - والسياسة تتطلب بعض الملاينة والمهادنة والمراعاة للآخرين - يذكر بكل صراحة ووضوح :

أن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا خلفاء رسول الله ﷺ ، بل وأكثر من ذلك أنهم غير وأحكام الله وحللو حرام الله ، وظلموا أولاد الرسول ، وجعلوا قوانين الرب وأحكام الدين (٣٧) .

(٣٦) البرهان ، مقدمة ص ٢٠ .

(٣٧) ملخص ما قاله السيد الخميني في كتابه (كشف الاسرار) ص ١١٠ وما بعد ط فارسي .

وبعد ذلك يذكر عقيدته وعقيدة الشيعة في الإمامة، فيقول تحت عنوان: لماذا لم يذكر اسم الإمام في القرآن صريحا :

ولقد ظهر مما ذكر أن الإمامة أصل من الأصول المسلمة الإسلامية بحكم العقل والقرآن، وأن الله قد ذكر هذا الأصل المسلم في عديد من مواضع القرآن، فيمكن أن يسأل سائل: مادام هذا فلماذا لم يذكر اسم الإمام في القرآن لكي لا يقع خلافات وحروب حوله كما وقعت، فالجواب على ذلك بوجوه، وقبل حل هذا الإشكال نريد أن نقول جهرا: إن كل الخلافات التي حلت بين المسلمين في جميع أمورهم وشئونهم لم تقع بينهم إلا من أثر يوم السقيفة، ولو لم يكن ذلك اليوم لم يكن بين المسلمين خلاف في القوانين السماوية، فنقول: لو ذكر اسم الإمام في القرآن فرضا لم يكن يرفع النزاع بين المسلمين لأن الذين لم يدخلوا في الإسلام إلا طمعا في الرئاسة وتجمعوا وتحزبوا لئيلها لم يكونوا مقتنعين بنصوص القرآن وآياته، ولم يكونوا منتهين عن أطماعهم وأغراضهم، بل كان من الممكن أن يزدادوا في مكرهم ويصلوا إلى هدم أساس الإسلام لأن الطامعين في الرئاسة والطالبين لها لورأوا مقصودهم لا يحصل باسم الإسلام لشكلوا آنذاك حزبا معارضا للإسلام ومخالفه، وأنذاك لم يكن لعلي بن أبي طالب أن يسكت فكان من نتيجة ذلك أن يحصل النزاع والخلاف الذي يقلع جذرة الإسلام ويقطع دابره، وعلى ذلك كان ذكر اسم علي بن أبي طالب في القرآن خلاف مصلحة أصل الإمامة .

وأیضا لو كان اسم الإمام مذكورا في القرآن لم يكن مستبعدا من الذين لم يكن علاقتهم بالإسلام والقرآن غير الدنيا والرئاسة، الذين جعلوا القرآن وسيلة لاجراء نياتهم الفاسدة لم يكن مستبعدا منهم أن يحذفوا تلك الآيات من القرآن ويحرقوا كتاب الله ويبعدوه عن أنظار الناس

إلى الأبد .

وأيضاً لو لم يحدث من هذا شيء على الفرض والتقدير لم يكن من غير المتوقع من ذلك الحزب الطامع الحريص على الرئاسة أن يختلفوا حديثاً كاذباً على رسول الله أنه قال قبيل وفاته إن الله خلع على بن أبي طالب من منصب الإمامة وجعل الأمر شورى بينكم .

ولا ينبغي لأحد أن يقول : لو ورد ذكر الإمام في القرآن لما استساغ الشيخان أن يخالفاه، ولو خالفاه فرضاً لم يقبله المسلمون وقاموا ضدهما، فنحن نقول : إنه لا ينبغي القول بهذا، لاننا نعرف أنها خالفا صريح القرآن جهراً وعلناً والناس لم يردوا عليهما، بل قبلوا مخالفتها للقرآن» (٣٨) ثم مثل بأمثلة كثيرة حسب زعمه لإثبات مخالفة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما القرآن بعنوان «مخالفة أبي بكر النصوص القرآنية» و«مخالفة عمر قرآن الرب» (٣٩) .

وأخيراً قال بعد ذكر هذه المخالفات المزعومة :

ويعلم بهذا كله مخالفة أبي بكر وعمر القرآن في حضور المسلمين ولم يكن هذا الأمر ذا بال عندهم، بل كانوا هم معهما وفي حزبهما مناصرين مساعدين لهما في نيل المقصود، ويعرف بهذا كله أنه لو ورد ذكر الإمام في

(٣٨) كشف الأسرار للسيد الخميني (٥) ص ١١٢، ١١٣، ١١٤ ط فارسي .

(٣٩) انظر ص ١١٤ و ١١٧ - كشف الأسرار .

(*) والفروض أن يسمى هذا الكتاب كشف أسرار الخميني، لا كشف الأسرار للسيد الخميني لأنه فعلاً يكشف الأسرار عن هذا الرجل زعيم الشيعة ومصلح الأمة كما يزعمه بعض المغفلين والسذج من أهل السنة في مختلف بقاع الأرض من العالم الإسلامي وغير الإسلامي . وأتني أن يقوم بترجمة هذا الكتاب أحد من العارفين، يكون له معرفة باللغة الفارسية فينقله إلى اللغات العالمية الأخرى حتى تكون أسرار السيد الخميني مكشوفة عندهم .

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب لازال يطبع في إيران ويوزع من قبل الحكومة الإيرانية في الداخل والخارج بدون أي تغيير وتبديل فيه، وواعجباً للموجدين للأعداء، الذين يختلفونها من عند أنفسهم، والكتاب المؤلف حي لا ينطق ببنت شفة في هذا الموضوع، وكيف ينطق وهذه هي العقائد التي يبتنى عليها مذهبه ومسلكه، وهذه هي الأسس التي يقوم عليها دينه وموقفه، وإن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار .

القرآن لم يكونوا تاركين للرئاسة لقول الله عز وجل ، ولا معطين له أى اهتمام ، وكما أن أبابكر الذى كان خداعه ظاهرا وزائدا استطاع أن يحرم ابنة رسول الله من ارثها الثابت بالقرآن والعقل باختلاق حديث مكذوب ، لم يكن مستبعدا من عمر أن يقول بأن الله أوجبريل أو الرسول أخطأوا فى ذكر اسم الإمام فى القرآن وآياته ، ولذلك لا ينظر إليه ولا يعمل به ، وأنداك قام حزب السنة وتابعوه على قوله وتركوا القرآن مهجورا ، كما أنهم تابعوه فى جميع التغييرات التى أتى بها فى دين الإسلام ورجحوا قوله على القرآن وآياته وقدموه على أحاديث رسول الإسلام وأقواله» (٤٠) .

وهناك كثير وكثير من هذا القبيل .

فهذه هى عقيدة القوم فى أبى بكر وعمر وعثمان وفى أصحاب رسول الله ﷺ رضى الله عنهم ورضوا عنه ، قد ذكرناها من رجل سياسى بارز يعد نائب الإمام الغائب عند الشيعة ، ومصلح الأمة عند بعض السنة طبق ما تورثه من السبئية وعبد الله بن سبأ ، وعليها يقاس عقيدة الآخرين من القوم الذين لم يمارسوا السياسة ولم يستلموا الزعامة الدينية والدنيوية ولم يتسلطوا على البلاد التى يسكنها كثير من السنيين الذين لا يحتاجون إلى المداينة والمراعاة .

وأما الطعن فى عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، واللعن عليه وعلى عماله فإنها أمور لا تحتاج إلى البيان وخصوصا بعد ما ذكرنا فى الباب الأول والثانى من المثالب والمطاعن المنقولة من كتب القوم أنفسهم بذكر الصفحات والمجلدات ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليهما وإلى كتابنا (الشيعة والسنة) و(الشيعة وأهل البيت) .

والجدير بالذكر أن كتب الشيعة الاثنى عشرية لا يخلو كتاب من

كتبهم سواء كان فى التفسير أو الحديث أو التاريخ أو السيرة أو الرجال أو الكلام أو العقائد أو غير ذلك من نفس المطاعن التى كان يرددها السبئيون ضد عثمان رضى الله عنه وحكومته وعماله ، لا فرق بين هؤلاء وأولئك إلا الاضافات والزيادات التى اختارها شيعة اليوم ولم تكن معروفة أيام السبئية .

وأما الوصاية والغيبة والرجعة التى نادى أول من نادى بها عبد الله بن سبأ وشلته ، وكذلك العقائد الأخرى المنافية للإسلام ، والأجنبية على المسلمين ، والمروجة من قبل اليهودية والمجوسية من اتصاف الخلق بأوصاف الخالق وتأليه العباد ، والحلول ، والاتحاد ، والتناسخ ، وجريان النبوة بعد محمد ﷺ ونزول الوحي على أحد ، وإتيان الكتاب وغيرها من الأمور هى عين تلك العقائد التى انتقلت إلى شيعة اليوم وإلى الشيعة الاثنى عشرية خاصة .

وعلى ذلك قال كبير الشيعة فى الرجال المامقانى فى كتابه (تنقيح المقال) :

إن ما كان يعد يومئذ غلوا صار يعد الآن من ضروريات المذهب» (٤١) .

وصحيح ما قاله المامانى ، فإنه لم يكن يعرف هذه الأمور فى التشيع الأول لدى الشيعة الأولى فإن القوم أخذوها من السبئية وجعلوها عقائد لهم ومعتقدات ، وملثوا بها كتبهم ورسائلهم فقالوا : إن عليا رضى الله عنه كان وصى رسول الله ﷺ واختلقوا لذلك روايات موضوعة كثيرة . منها ما رواه الكلينى فى كافيه عن جعفر أنه قال :

كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبي صلى

الله عليه وآله حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبى طالب فلم تزل معها حتى وضعت فقالت أحدهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ قالت: هذا النور الذى قد سطع ما بين المشرق والمغرب، فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبوطالب فقال لهما: مالكما من أى شىء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذى رأت، فقال لها أبوطالب: ألا أبشرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما انك ستلدين غلاما يكون وصى هذا المولود» (٤٢).

وأیضا ما اختلقوه بأنه لما نزل قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين:

دعاهم رسول الله (ص) فأكلوا ولم يبين فى الطعام الا أثر أصابعهم وكانوا نحوا من أربعين رجلا وشربوا شنة من قدح كفاهم جميعا وزاد عنهم. فلما فرغوا قال لهم فى آخر كلامه: انى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به فأیکم يؤزرانى على أمرى هذا على أن يكون أخى ووصى وخليفتى فيکم؟ فسکتوا جميعا، فقام على (ع) وقال: أنا یارسول الله أو ازرك عليه، فأخذ رسول الله (ص) برقبته وقال: ان هذا أخى ووصى وخليفتى فيکم فأسمعوا له وأطيعوا، فقاموا يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرک أن تسمع لابنک وتطيع» (٤٣).

ثم قالوا بنفس ما قاله عبد الله بن سبأ وبألفاظه كذبا على أبى جعفر محمد الباقر أنه قال:

وأیم الله لقد نزل الروح والملائكة بالأمر فى ليلة القدر على آدم، وأیم الله ما مات آدم إلا وله وصى وكل من جاء بعد آدم من الأنبياء قد

(٤٢) الروضة من الكافى للكلینى ج ٨ تحت عنوان اخبار أبى طالب بولادة علي وأنه وصى النبى ص ٣٠٢.

(٤٣) الارشاد المفید ص ١١، اعلام الوری للطبرسى ص ١٦٢، الصافى ج ٢ ص ٢٢٧، تفسیر القمى ج ٢ ص ١٢٤، نور الثقلين ج ٤ ص ٦٧، منهج الصادقین ج ٦ ص ٤٨٧، أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص ٢٠٩.

أتاه الأمر فيه ووضع له وصياً من بعده، وأيم الله إن كان النبي ليؤمر فيما يأتيه من الأمر في تلك الليلة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله أن أوصى إلى فلان» (٤٤).

وعن جعفر أنه قال :

أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى ولده هارون . . . فلم تزل الوصية في عالم بعد عالم حتى دفعوها إلى محمد صلى الله عليه وآله .

فلما بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وآله، أسلم له العقب من المستحفظين وكذبه بنو إسرائيل ودعا إلى الله عز وجل وجاهد في سبيله، ثم أنزل الله جل ذكره عليه أن أعلن فضل وصيك، فقال: رب ان العرب قوم جفاة، لم يكن فيهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي ولا يعرفون فضل نبوات الأنبياء عليهم السلام ولا شرفهم، ولا يؤمنون بي إن أنا أخبرتهم بفضل أهل بيتي، فقال الله جل ذكره: ولا تحزن عليهم وقل سلام فسوف تعلمون فذكر من فضل وصيه ذكراً فوق النفاق في قلوبهم، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ما يقولون، فقال الله جل ذكره: يا محمد ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بغير حجة لهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم ويستعين ببعضهم على بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئاً في فضل وصيه حتى نزلت هذه السورة، فاحتج عليهم حين أعلم بموته، ونعيت إليه نفسه، فقال الله جل ذكره: ﴿فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب﴾ يقول: إذا

فرغت فانصب علمك، وأعلن وصيك فأعلمهم فضله علانية، فقال صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه - ثلاث مرات - ثم قال: لابعثن رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار يعرض بمن رجع، ويجبن أصحابه ويجبنونه، وقال صلى الله عليه وآله: على سيد المؤمنين، وقال: على عمود الدين، وقال: هذا هو الذى يضرب الناس بالسيف على الحق بعدى وقال: الحق مع على أينما مال» (٤٥).

وعنه أيضا أنه قال :

ان الوصية نزلت من السماء على محمد كتابا، لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد هذه وصيتك فى أمتك عند أهل بيتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أى أهل بيتى يا جبرئيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريته، ليرثك علم النبوة كما ورثه إبراهيم عليه السلام وميراثه لعلى عليه السلام وذريته من صلبه، قال: وكان عليها خواتيم، قال: ففتح على عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما فيها، ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثانى ومضى لما أمر به فيها، فلما توفى الحسن ومضى فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وتقتل واخرج بأقوام للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك، قال: ففعل عليه السلام، فلما مضى دفعها إلى على بن الحسين عليه السلام قبل ذلك، ففتح الخاتم الرابع فوجد فيها أن اصمت وأطرق لما حجب العلم، فلما توفى ومضى دفعها إلى محمد بن على عليه السلام ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فسر كتاب الله تعالى وصدق أباك وورث ابنك واصطنع الأمة وقم بحق الله

عز وجل وقل الحق في الخوف والأمن ولا تحش إلا الله، ففعل، ثم دفعها إلى الذي يليه» (٤٦).

وأخيراً ما رواه عن أبي جعفر قال :

لما أن قضى محمد نبوته، واستكمل أيامه، أوحى الله تعالى إليه أن يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب، فاني لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء» (٤٧).

هذا عين ما قاله عبد الله بن سبأ والسبئية : أن يوشع بن نون وصى موسى وعلى وصى رسول الله، وإن إمامة على لفرض من الله عز وجل (٤٨).

الغيبة

وأما القول بالغيبة والرجعة فلقد تلقفه الشيعة من السبئية منذ تطور التشيع وانقراض الشيعة الأولى فلقد قالوا في كل من زعموا إمامته من على رضى الله عنه إلى الغائب الموهوم الذى لم يولد، ولقد ذكرنا فيما مر أقوالهم في واحد واحد من أئمتهم ونقتصر ههنا على ما يقوله الشيعة الاثنا عشرية في غائبهم الموهوم، فيقولون : إنه ولد للحسن العسكرى ولد، على اختلاف مقولاتهم في ذلك كما سبق ذكره في الباب السابق، ثم يقولون : أنه غاب عن الأعين، وله غيبتان : الغيبة الصغرى والغيبة

(٤٦) أيضاً، باب ان الأئمة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون الا بعهد من الله ج ١ ص ٢٨٠.

(٤٧) أيضاً، باب الاشارة والنص على أمير المؤمنين ج ١ ص ٢٩٣.

(٤٨) انظر لذلك رجال الكشي ص ١٠٩ ط كربلاء - العراق، فرق الشيعة للنوبختي

ص ٤٣، ٤٤ ط النجف - العراق، تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ١٤٣، ط. إيران وغيرها من الكتب.

الكبرى . كما كذبوا على جعفر انه قال :

للقائم غيبتان : إحداهما قصيرة والأخرى طويلة ، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعة ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه» (٤٩) .

وعنه أيضا أنه قال :

لصاحب هذا الأمر غيبتان : إحداهما يرجع منها إلى أهله ، والأخرى يقال : هلك ، في أى واد سلك ؟ قلت : كيف نصنع إذا كان كذلك ؟ قال : إذا ادعاها مدع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله» (٥٠) .
وعن أبيه مثله (٥١) .

«أما غيبته الصغرى منها فهى التى كانت فيها سفرأوه موجودين وأبوابه معروفين ، لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن على فيهم فمنهم أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى ، ومحمد بن على بن بلال ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمان ، وابنه أبو جعفر محمد بن عثمان ، وعمر الأهوازى ، وأحمد بن اسحاق ، وأبو محمد الوجنانى ، وإبراهيم بن مهزيار ، ومحمد بن إبراهيم فى جماعة أخرى ربما يأتى ذكرهم عند الحاجة إليهم فى الرواية عنهم ، وكانت مدة هذه الغيبة اربعاً وسبعين سنة ، وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى باباً لأبيه وجده من قبل وثقة لهما ، ثم تولى الباقية من قبله وظهرت المعجزات على يده ، ولما مضى لسبيله قام ابنه محمد مقامه رحهما الله بنصه عليه ، ومضى على منهاج أبيه فى آخر جمادى الآخرة من سنة اربع أو خمس وثلاثمائة ، وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بنى نويخت بنص أبى جعفر محمد بن عثمان

(٤٩) كتاب الحجة من الكافي ص ٣٤٠ ، كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعمانى ص ١٧٠ ط مطبعة الصدوق طهران .

(٥٠) كتاب الحجة من الكافي ص ٣٤٠ .

(٥١) كتاب الغيبة للنعمانى ص ١٧٣ .

عليه ، وأقامه مقام نفسه ، ومات في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة ،
وقام مقامه أبو الحسن علي بن محمد العمري بنص أبي القاسم عليه ،
وتوفي لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

فروى عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكنى أنه قال : كنت
بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها علي بن محمد السمرى فحضرت
قبل وفاته بأيام فخرج وأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته : بسم الله الرحمن
الرحيم يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت
ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص لأحد يقوم مقامك بعد
وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى
ذكره ، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً ،
وسيأتي شيعتى من يدعى المشاهدة ، ألا فمن يدعى المشاهدة قبل
خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم .

قال : فانتسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده ، فلما كان اليوم
السادس عدنا إليه وهو بنفسه فقيل له : من وصيك؟ قال : لله أمر هو
بالغه ففضى ، فهذا آخر كلام سمع منه ثم حصلت الغيبة الطولى التى
نحن فى أزمانها ، والفرج يكون فى آخرها بمشيئة الله تعالى» (٥٢) .

وأما أين يستقر غائبهم وماذا يعمل فيقولون : إنه مستقر فى
سرداب سامراء كما يروى القطب الراوندى «أن العباسيين بعثوا عسكرياً ،
فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن ، فاجتمعوا على بابه
وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج وأميرهم قائم حتى يصل العسكر
كلهم ، فخرج من السكة على باب السرداب ومر عليهم ، فلما غاب قال

الأمير: انزلوا عليه فقالوا: أليس هو قد مر عليك؟ فقال: ما رأيت وقال:
ولم تركتموه؟ قالوا: انا حسبنا أنك تراه» (٥٣).

أو بالمدينة (٥٤).

أو في مكة (٥٥).

أوبرضوى - الجبل الذى يقولون فيه أنه غاب فيه محمد بن الحنفية
كما نقلنا عن السيد الحميرى شاعر الشيعة أنه قال :

تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل وماء (٥٦).
ويقولون : فى ذى طوى. كما يذكر النورى الطبرسى :

ان للشيعة دعاء مشهورا روه عن الأئمة عليهم السلام يعرف
بدعاء الندبة، أمروا بقراءته فى الأعياد الأربعة، وفيه ما يخاطب به إمام
زمانه الحجة عليه السلام :

ليت شعرى استقرت بك النوى بل أى أرض تقلك أو ثرى
أبرضوى أم غيرها، أم بذى طوى (٥٧).

أو فى اليمن بواد يقال له شمروخ (٥٨).

أو الجزيرة الخضراء (٥٩).

وأما الجزئرى فقد ذكر قصة طويلة غريبة عجيبة أنه يذكر الجزر
التي مسيرة مدنها سنة :

لا يوجد فى أهل تلك الخطط والضياع غير المؤمن الشيعى

الموحد، القائل بالبراءة والولاية... سلاطينهم أولاد إمامهم يحكمون

(٥٣) كتاب الخرائج للرواندى نقلا عن كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار للنورى
الطبرسى ص ٢١١ ط طهران، الفصول المهمة ص ٢٩٣ ط منشورات الاعلمى طهران.

(٥٤) الكافي فى الاصول، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٢٨، الفصول المهمة ص ٢٩٢.

(٥٥) كشف الأستار ص ٢١٥.

(٥٦) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٧٣.

(٥٧) كشف الأستار ص ٢١٥.

(٥٨) الانوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٦٥.

(٥٩) بحار الانوار للمجلسى ج ١٣ باب جزيرة الخضراء.

بالعدل وبه يأمرون ولوجع أهل الدنيا لكانوا أكثر منها على اختلاف الأديان والمذاهب» (٦٠) .

وكذلك يقولون : إنه في جابلقاء أو في جابلساء وغيرها من الخرافات .

وأما ماذا يعمل فيقولون :

إنه يشهد الموسم (الحج) فيراهم ولا يرونه» (٦١) .

ويروون أن خادمة إبراهيم بن عبدة قالت :

كنت واقفة مع إبراهيم على الصفا فجاء عليه السلام حتى وقف على إبراهيم وقبض على كتاب مناسكه وحدثه بأشياء» (٦٢) .

ويكذب آخر - وهو أبو عبد الله الصالح - فيقول :

إنه رآه عند الحجر الأسود والناس يتجاذبون إليه وهو يقول : ما بهذا أمروا» (٦٣) .

ويقول الآخر :

شاهدت سيما (اسم رجل من أتباع السلطان) أنفا بسر من رأى وقد كسر باب الدار، فخرج عليه ويده طبرزين فقال له : ما تصنع في دارى؟ فقال سيما : ان جعفرًا زعم أن أباك مضى ولا ولد له، فان كانت دارك فقد أنصرفت عنك، فخرج عن الدار» (٦٤) .

ويحكى الآخر :

كنت حاجا مع رفيق لى ، فوافينا إلى الموقف فإذا شاب قاعد عليه

(٦٠) انظر الانوار النعمانية لمحدث الشيعة الجزائرى، باب نورى ولادة عليه السلام ج ٢ ص ٥٨ وما بعد .

(٦١) الاصول من الكافى، كتاب الحج، باب فى الغيبة ج ١ ص ٣٣٨ .

(٦٢) ايضا، باب فى تسمية من رآه ص ٣٣١ .

(٦٣) ايضا .

(٦٤) ايضا .

إزار ورداء، وفي رجليه نعلٌ صفراء، قومت الازار والرداء بمائة وخمسين ديناراً وليس عليه أثر السفر، فدنا منا سائل فرددناه، فدنا من الشاب فسأله، فحمل شيئاً من الأرض وناولته، فدعا له السائل واجتهد في الدعاء وأطال، فقام الشاب وغاب عنا، فدنونا من السائل فقلنا له ويحك ما أعطاك؟ فأرانا حصاة ذهب مضرسة، قدرناها عشرين مثقالاً، فقلت لصاحبي: مولانا عندنا ونحن لا ندرى، ثم ذهبنا في طلبه فدرنا الموقف كله، فلم نقدر عليه، فسألنا كل من حوله من أهل مكة والمدينة، فقالوا شاب علوى يحج، في كل سنة ماشياً» (٦٥).

ثم يحكون وينسبونه إلى علي الرضا أنه قال:

لا يرى جسمه ولا يسمى اسمه» (٦٦).

كما نقلوا عن الحسن العسكري أنه قال:

إنكم لا ترون شخصه، ولا يحل لكم ذكره باسمه، قيل: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمد» (٦٧).

ويقول الأربلي:

إنه حي موجود، يحل ويرتحل، ويطوف في الأرض ببيوت وخيم وخدم وحشم وإبل وخيل وغير ذلك» (٦٨).

ثم حكى قصة أن شمس الدين الهرقلي قال:

حكى لى والدى أنه خرج فيه - وهو شاب - على فخذة الايسر توتة (بشرة متقرحة) مقدار قبضة الإنسان، وكانت في كل ربيع تشقشق ويخرج منها دم وقيح، ويقطعه ألمها عن كثير من أشغاله؛ وكان مقيماً بهرقل، فحضر الحلة يوماً ودخل إلى مجلس السعيد رضى الدين على بن

(٦٥) ايضاً ص ٣٣٢.

(٦٦) ايضاً ص ٣٣٣.

(٦٧) ايضاً، باب النہی عن الاسم ص ٣٣٢، ٣٣٣.

(٦٨) كشف الغمة للأربلي ج ٣ ص ٢٨٣.

طاوس رحمه الله وشكا إليه ما يجده منها ، وقال : أريد أن أداويها فاحضر له أطباء الحلة وأراهم الموضع ، فقالوا : هذه التوتة فوق العرق الاكلحل وعلاجها خطر ومتى قطعت خيف ان ينقطع العرق فيموت ، فقال له السعيد رضى الدين قدس روحه : أنا متوجه إلى بغداد وربما كان أطبائها اعرف وأحذق من هؤلاء فاصحبني فاصعد معه واحضر الاطباء فقالوا كما قال أولئك فضاق صدره ، فقال له السعيد : ان الشرع قد فسح لك في الصلوة في هذه الثياب وعليك الاجتهاد في الاحتراس ولا تغرر بنفسك فالله تعالى قد نبى عن ذلك ورسوله فقال له والدى : إذا كان الأمر على ذلك وقد وصلت إلى بغداد فأتوجه إلى زيارة المشهد الشريف بسر من رأى على مشرفه السلام ، ثم أنحدر إلى أهلى فحسن له ذلك ، فترك ثيابه ونفقته عند السعيد رضى الدين وتوجه ، قال : فلما دخلت المشهد وزرت الأئمة عليهم السلام ونزلت السرداب واستغثت بالله تعالى وبالإمام عليه السلام وقضيت بعض الليل في السرداب وبت في المشهد إلى الخميس ، ثم مضيت إلى دجلة واغتسلت ولبست ثوبا نظيفا ، وملائت ابريقا كان معى ، وصعدت أريد المشهد .

فرأيت أربعة فرسان خارجين من بات السور ، وكان حول المشهد قوم من الشرفاء يرعون اغنامهم فحسبتهم منهم فالتقينا فرأيت شابين أحدهما عبد مخطوط وكل واحد منهم متقلد بسيف وشيخاً منقباً بيده رمح والآخر متقلد بسيف ، وعليه فرجية ملونة فوق السيف وهو متحنك بعذبتة ، فوقف الشيخ صاحب الرمح يمين الطريق ووضع كعب في الأرض ، ووقف الشبان عن يسار الطريق ؛ وبقي صاحب الفرجية على الطريق مقابل والدى ، ثم سلموا عليه فردّ عليهم السلام ، فقال له صاحب الفرجية : أنت غداً تروح إلى أهلك؟ فقال : نعم ، فقال له

تقدم حتى أبصر ما يوجعك؟ قال: فكرهت ملاستهم وقلت في نفسي أهل البادية ما يكادون يحترزون من النجاسة وأنا قد خرجت من الماء وقميصي مبلول، ثم انى بعد ذلك تقدمت إليه فلزمني بيده ومدنى إليه وجعل يلمس جانبي من كتفى إلى أن أصابت يده التوتة فعصرها بيده، فأوجعني ثم استوى في سرجه كما كان فقال لى الشيخ: أفلحت يا إسماعيل، فعجبت من معرفته باسمي، فقلت: أفلحنا وأفلحتم إن شاء الله؛ قال: فقال لى الشيخ: هذا هو الإمام، فتقدمت إليه فاحتضنته وقبلت فخذه.

ثم أنه ساق وأنا أمشى معه محتضنة فقال: ارجع، فقلت: لا أفارقك أبداً، فقال: المصلحة رجوعك، فأعدت عليه مثل القول الأول؛ فقال الشيخ: يا إسماعيل ما تستحي يقول لك الإمام مرتين ارجع وتحالفه؟ فجبهني بهذا القول، فوقفت فتقدم خطوات والتفت إلى وقال: إذا وصلت بغداد فلا بد أن يطلبك أبو جعفر يعنى الخليفة المستنصر رحمه الله؛ فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه وقل لولدنا الرضى ليكتب لك إلى على بن عوض، فإننى أوصيه يعطيك الذى تريد ثم سار وأصحابه معه، فلم أزل قائماً أبصرهم إلى أن غابوا عني وحصل عندى أسف لمفارقتهم فقعدت إلى الأرض ساعة مشيت إلى المشهد، فاجتمع القوام حولى وقالوا: نرى وجهك متغير أوجعك شىء؟ قلت قلت لا قالوا أخاصمك أحد؟ قلت: لا ليس عندي مما تقولون خبر لكن أسألكم هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم فقالوا: هم من الشرفاء أرباب الغنم، فقلت: لا، بل هو الإمام عليه السلام، فقالوا: الإمام هو الشيخ أو صاحب الفرجية فقلت: هو صاحب الفرجية فقالوا: أريته المريض الذى فيك؟ فقلت: هو قبضه بيده واوجعني؛ ثم كشف رجلى

فلم ار لذلك المرض أثراً فتداخلى الشك من الدهش، فأخرجت رجلى الأخرى فلم أر شيئاً» (٦٩).

كما حكى ان أبا عطوة كان به أدرة، وكان زيدي المذهب، وكان ينكر على بنيه الميل إلى مذهب الإمامية، ويقول: لا أصدقكم ولا أقول بمذهبكم حتى يجيئ صاحبكم يعنى المهدي، فيبرأني من هذا المرض، وتكرر هذا القول منه فيينا نحن مجتمعون عند وقت عشاء الآخرة إذا أبونا يصيح ويستغيث بنا؛ فأتيناه سراعاً فقال: ألقوا صاحبكم فالساعة خرج من عندي، فخرجنا فلم نر أحداً، فعدنا إليه وسألناه فقال: أنه دخل إلى شخص، وقال: يا عطوة فقلت: من أنت؟ فقال: أنا صاحب بنيك قد جئت لابرئك مما بك، ثم مد يده فعصر قروتي ومشى ومددت يدي فلم أر لها أثراً قال لي ولده: وبقي مثل الغزال ليس به قلبه واشتهرت هذه القصة وسألت عنها غير ابنه فاخبر عنها فاقربها والاختبار عنه عليه السلام في هذا الباب كثيرة، وأنه رآه جماعة قد انقطعوا في طرق الحجاز وغيرها فخلصهم، وأوصلهم إلى حيث أرادوا (٧٠).

فهذا هو غائبهم، وهذه هي الأساطير والقصص التي يحكونها عن غيبته.

الرجعة

وأما الرجعة فقال بها الشيعة الاثنا عشرية طبق ما قاله عبد الله بن سبأ بفرق أنه قال في علي رضي الله عنه وهؤلاء قالوا في معدومهم، والجدير بالذكر أن هذه العقيدة من العقائد التي فشت وانتشرت في جميع

٦٩) كشف الغمة للأربلي ج ٣ ص ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، انتهى الآمال للعباس القمي ص ١٢٤٤.

٧٠) كشف الغمة للأربلي ج ٣ ص ٢٨٧.

فرق الشيعة في مختلف العصور غير الشيعة الأولى كما ذكرناها في الأبواب السابقة .

ثم لم يكتف الشيعة الاثنا عشرية بالقول إن معدومهم الغائب هو الذى سيرجع ، بل قالوا أكثر من ذلك وهو أنه يرجع ، ويرجع الآخرين من الشيعة وأئمتهم وأعدائهم حسب زعمهم ، وهناك روايات وأكاذيب لا تعد ولا تحصى فى هذا المعنى ، وقد صنف فى هذا الخصوص كتب مستقلة عديدة ، فنختار من الأساطير المضحكة والقصص المبكية أخبارا قليلة لوضع النقاط على الحروف ولتمييز الحقائق عن أن القوم ماذا يقولون وبماذا يعتقدون ، وإلى أى حد ينقمون قوم رسول الله وقبيلته ، أصحابه وأزواجه ، أمته وشريعته التى جاء بها من الله عز وجل ، والقرآن الذى نزل عليه ، والأمر الذى أعطاه متبعيه والمؤمنين به .

عقيدة الشيعة التى توارثوها من اليهودية وعملاء اليهودية عبد الله بن سبأ وطائفته ، وتناقلوها جيلا بعد جيل ، والتى قال عنها كبيرهم وخاتمة محدثيهم الملا باقر المجلسى صاحب (بحار الأنوار) بعد سرد الأخبار الكثيرة عن الرجعة :

اعلم يا أخى أنى لا أظنك ترتاب بعد ما مهدت وأوضحت لك بالقول فى الرجعة التى أجمعت عليها الشيعة فى جميع الأعصار ، واشتهرت بينهم كالشمس فى رابعات النهار . . . وكيف يشك مؤمن بأحقية الأئمة الأطهار فيما تواترت عنهم من مائتى حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام فى أزيد من خمسين من مؤلفاتهم (٧١) .

فيروى القوم عن الحسين بن على بن أبى طالب أنه قال :

لوم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدى فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما» (٧٢) .
وكذبوا على نبي الله ﷺ أنه قال :

القائم من ولدى اسمه اسمي وكنيته وكنيتي ، وشماله شمالي ،
وسنته سنتي ، يقيم الناس على ملتي وشريعتي ، يدعوهم إلى كتاب الله
ربي ، من أطاعه أطاعني ، ومن عصاه عصاني ، ومن أنكر غيبته فقد
أنكرني ، ومن كذبه فقد كذبنى ، ومن صدقه فقد صدقني ، إلى الله
أشكو المكذبين لى فى أمره ، والجاحدين لقولى فى شأنه والمضلين لأمتى
عن طريقته ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» (٧٣) .

من يكون المهدي؟

فلقد كذب الشيعة على الحسن بن على رضى الله عنهما أنه لما
صالح معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته ، فقال :
ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله ، الذى عملت خير لشيعتي مما طلعت
عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أنى امامكم ومفترض الطاعة
عليكم وأحد سيدى شباب أهل الجنة بنص من رسول الله على؟ قالوا :
بلى ، قال : أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام
الجدار كان ذلك سخطاً لموسى إذ خفى عليه وجه الحكمة فى ذلك وكان
ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا
ويقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذى يصلى روح الله عيسى
بن مريم خلفه ، فإن الله عز وجل يخفى ولادته ، ويغيب شخصه لئلا
يكون لأحد فى عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخى الحسين بن

سيدة الإمام، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير» (٧٤) .
ومثل ذلك ما رواه عن جعفر أنه قال :

من أقرب بجميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن أقرب بجميع الأنبياء وجحد محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبوته، فقليل له : يا ابن رسول الله فمن المهدي من ولدك؟ قال : الخامس ولد السابع يغيب عليكم شخصه ولا يحل لكم تسميته» (٧٥) .

منزلته وشأنه

وروا في مقامه وشأنه عن علي بن الحسين أنه قال :
في القائم من سنن من ستة من الأنبياء عليهم السلام : سنة من نوح ، سنة من إبراهيم ، سنة من موسى ، سنة من عيسى ، سنة من أيوب ، سنة من محمد ، فأما من نوح فطول العمر ، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس ، وأما من موسى فالخوف والغيبة ، وأما من عيسى فاختلف الناس فيه ، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى ، وأما من محمد فالخروج بالسيف . . . والقائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا : لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة . . . ومن ثبت على موالاتنا في غيبته أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر» (٧٦) .

وأيضا كما روى النعماني في (غيبته) أنه قال بأن مهديهم يكون

مسندا ظهره إلى بيت الحرام ويقول :

(٧٤) اعلام الوري للطبرسي ص ٤٢٧ .

(٧٥) اعلام الوري للطبرسي ص ٤٢٩ .

(٧٦) اعلام الوري للطبرسي ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

أنا بقية من آدم ، وذخيرة من نوح ، ومصطفى من إبراهيم ،
وصفوة من محمد» (٧٧) .

ويقول :

أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم» (٧٨) .

ويكون جبرئيل بين يديه (٧٩) .

ويقولون :

نظر موسى بن عمران في السفر الأول إلى ما يعطى قائم آل محمد
من التمكين والفضل ، فقال موسى : رب اجعلنى قائم آل محمد ، فقليل
له : ان ذاك من ذرية أحمد ، ثم نظرفى السفر الثانى فوجد فيه مثل ذلك .
فقال مثله ، فقليل له مثل ذلك ، ثم نظرفى السفر الثالث فرأى مثله ، فقال
مثله ، فقليل له مثله (٨٠) .

ومتى يرجع ؟

فيروى الكلينى فى كافيهِ عن الأصبغ بن نباتة أنه قال :
أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته متفكرا ينكت فى
الأرض ، فقلت يا أمير المؤمنين مالى أراك متفكرا تنكت فى الأرض ،
أرغبة منك فيها؟ فقال : لا والله ما رغبت فيها ولا فى الدنيا يوما قط
ولكنى فكرت فى مولود يكون من ظهري ، الحادى عشر من ولدى ،
هوالمهدى الذى يملأ الأرض عدلا قسطا كما ملئت جورا وظلما ، تكون له
غيبة وحيرة ، يضل فيها أقوام ويهتدى فيها آخرون ، فقلت : يا أمير
المؤمنين وكم تكون له الحيرة والغيبة؟ قال : ستة أيام أو ستة أشهر أو ست

(٧٧) كتاب الغيبة للنعمانى ، ايضا بحار الانوار للمجلسى ج ١٣ ص ١٧٩ .

(٧٨) الفصول المهمة ص ٣٢٢ .

(٧٩) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٧٤ .

(٨٠) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٤٠ .

سنين، فقلت: وإن هذا لكائن؟ فقال: نعم كما أنه مخلوق وأنى لك بهذا الأمر يا أصبغ أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبرار هذه العترة» (٨١).

وروى أيضا عن أبي جعفر الباقر أنه قال:

يأثبات أن الله تعالى قد كان وقت هذا الأمر في سبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفت قناع السر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتا عندنا ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (٨٢).

وروى ابنه جعفر أنه قال:

وقد كان لهذا الأمر وقت كان في سنة أربعين ومائة فحدثتم به وأذعتموه فأخره الله عز وجل» (٨٣).

وروا عن أبي جعفر أنه قال:

ليس بين القائم عليه السلام وقتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة» (٨٤).

وذكر أيضا رواية عن ابنه جعفر أنه قال:

إذا هدم حائط مسجد الكوفة مما يلي دار ابن مسعود فعند ذلك زوال ملك القوم وعند زواله خروج القائم» (٨٥).

والمعروف أن النفس الزكية قتل ومضى على قتله آلاف الليالي، كما هدم حائط مسجد الكوفة وقد مضى على هدمه مئات السنين ولكن لم يكن لموهوم أن يخرج.

(٨١) الأصول من الكافي، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٣٨.

(٨٢) الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٦٨.

(٨٣) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٩٢ ط طهران.

(٨٤) الارشاد المفيد ص ٢٦٠.

(٨٥) أيضا.

وروا عن إسحاق بن عمار أنه قال :
قال لى أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا إسحاق إن هذا الأمر قد
أخر مرتين» (٨٦) .

وهكذا كان الشيعة يعلّلون بالأمانى بخروج قائمهم ورجوع
مهديهم كما أقر بذلك إمامهم السابع موسى بن جعفر. كما رواه الكليني
فى (كافيته) والنعمانى (٨٧) فى (غيبته) كى لا يرجع الشيعة عن تشيعهم ،
فهذا هو النص :

عن يقطين أنه قال لابنه على بن يقطين :
ما بالنا قيل لنا فكان ، وقيل لكم فلم يكن - يعنى أمربنى
العباس - ؟ فقال له على : ان الذى قيل لكم ولنا كان من مخرج واحد ،
غير أن أمركم حضر (وقته) فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم ، وإن أمرنا
لم يحضر فعللنا بالأمانى ، فلو قيل لنا : إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى
مائتى سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ولرجع عامة الناس عن
الإسلام ، ولكن قالوا : ما أسرع وما أقرب ، تألفا لقلوب الناس وتقريبا
للفرج» (٨٨) .

ولقد نقل الجزائرى عن المجلسى أنه كان يرى وقت خروجه أيام
الدولة الصفوية مستدلا من الأحاديث الثلاثة ، فهذه هى عبارته :
اعلم أنه قد وردت أخبار مجملة وقد نقلها الأصحاب على إجمالها

(٨٦) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٨٧) «هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر الكاتب النعمانى ، وكان من كبار محدثى الامامية
فى أوائل القرن الرابع ، وانه من تلامذة ثقة الاسلام محمد بن اسحاق بن يعقوب الكلينى ، كان مؤلفا
جيد النظر ، حسن الاستنباط وافر السهم فى معرفة الرجال وأحاديثهم ، ومن أهم مؤلفاته كتاب الغيبة ،
قال فيه النجاشى :

النعمانى شيخ من أصحابنا ، عظيم القدر ، شريف المنزلة ، صحيح العقيدة ، كثير الحديث»
(مقدمة كتاب الغيبة ص ١١ ، ١٢) .

(٨٨) الكافى للكلينى كتاب الحجة ، باب كراهية التوقيت ج ١ ص ٣٦٩ ، كتاب الغيبة للنعمانى
ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ - واللفظ له .

ولم يتعرضوا لبيان معناها وذلك أنها أخبار متشابهة يجب علينا الاذعان لها من باب التسليم ؛ ولما انتهت النوبة إلى شيخنا المحقق رئيس المحدثين وخاتمة المجتهدين المولى المجلسى صاحب كتاب بحار الأنوار أدام الله أيام إفاداته ؛ وأجزل في الآخرة مثوباته وسعاداته ، توجه إلى إيضاحها وتفسيرها ، وطبق بعضها على وقت تعيين ظهور الدولة الصفوية أعلى الله منار بنائها ، وشيد رفيع أركانها ، وطبق البعض الآخر على تعيين وقت ظهور مولانا صاحب الزمان عليه ألف سلام فلننقل تلك الأخبار على وجهها ثم نذكر ما أفاده سلمه الله تعالى من البيان والإيضاح .

الحديث الأول : ما رواه الشيخ الأجل المحدث محمد بن إبراهيم النعمانى فى كتاب الغيبة بسنده إلى أبى خالد الكابلى عن الباقر عليه السلام أنه قال كأنى يقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء ؛ قال أدام الله أيامه أنه لا يخفى على أهل البصائر أنه لم يخرج من المشرق سوى أرباب السلسلة الصفوية وهو الشاه إسماعيل أعلى الله مقامه فى دار المقامة ؛ وقوله عليه السلام لا يدفعونها إلا إلى صاحبكم : المراد به القائم عليه السلام ، فىكون فى هذا الحديث إشارة إلى اتصال دولة الصفوية بدولة المهدي عليه السلام ؛ فهم الذين يسلمون الملك له عند نزوله بلا نزاع وجدال .

الحديث الثانى : ما رواه النعمانى أيضا فى ذلك الكتاب باسناد معتبر إلى الصادق عليه السلام قال بينا أمير المؤمنين عليه السلام يحدث فى الوقائع التى تجرى بعده إلى ظهور المهدي عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام : يا أمير المؤمنين فى أى وقت يطهر الله الأرض من

الظالمين؟ فقال عليه السلام: لا يكون هذا حتى تراق دماء كثيرة على الأرض بلا حق، ثم إنه عليه السلام فصل أحوال بنى أمية وبنى العباس في حديث طويل اختصره الراوى، فقال أمير المؤمنين عليه السلام إذا قام القائم بخراسان وغلب على أرض كوفان وملطان، وتعدى جزيرة بنى كاوان وقام منها قائم بجيلان، وأجابته الأبروالديلم، وظهرت لولدى رايات الترك متفرقات في الاقطار والحرمات، وكانوا بين هنات وهنات إذا خربت البصرة وقام أمير الأمرة؛ فحكى عليه السلام حكاية طويلة ثم قال إذا جهزت الألوف وصفت الصفوف، وقتل الكبش الخروف هناك يقوم الآخر ويشور الثائر ويهلك الكافر؛ ثم يقوم القائم المأمول والإمام المجهول له الشرف والفضل، وهو من ولدك يا حسين لا ابن مثله، يظهر بين الركنين في ذريسير يظهر على الثقلين ولا يترك في الأرض الا دينين؛ طوبى لمن أدرك زمانه ولحق أوانه وشهد أيامه .

قال ضاعف الله أيام سعادته: جزيرة بنى كاوان جزيرة حول البصرة، وأهل الأبر جماعة في قرب استر آباد، والديلم هم أهل قزوین وما والاها؛ والحرمات الأمكنة الشريفة، قوله هنات وهنات أى حروب عظيمة ووقائع كثيرة في وقت خراب البصرة؛ والمراد بالقائم المأمول هو المهدي عليه السلام، والمراد بالركنين ركننا الكعبة وهو الركن والحطيم الذى هو محل خروجه عليه السلام، وقوله ذريسير المراد به الجماعة القليلة وهم عدد شهداء بدر، وقوله يظهر على الثقلين يعنى به انه عليه السلام يغلب على الجن والإنس سميا به لأنها يثقلان الأرض بالاستقرار فوقها؛ أولأنهما أشرف المخلوقات السفلية والعرب تسمى الشريف ثقلا لحلمه ورزاقته، وقيل إنما سميا به لأنها قد ثقلا بالتكاليف فهما ثقلان بمعنى مثقلان؛ وقوله الا دينين جمع أدنى وهم أرذال الناس وأدناهم والمراد بهم

الظالمون الكافرون، ثم قال سلمه الله تعالى : الظاهر ان المراد بأهل الخروج من خراسان هم أمراء الترك مثل جنكيز خان وهلاكو خان، والمراد بالخارج من جيلان هو الشاه المؤيد الشاه إسماعيل، ومن ثم أضافه عليه السلام إلى نفسه وسماه ولده، والمراد بأمير الأمرة اما ذلك السلطان المذكور أو غيره من السلاطين الصفوية؛ وقوله وقتل الكبش الخروف الظاهر انه إشارة إلى المرحوم صفى ميرزا فان أباه وهو المرحوم الشاه عباس الأول قد قتله، وقوله يقوم الآخر المراد به المرحوم الشاه صفى فإنه أخذ دمه، وأول من قتله هو الذى باشر قتل أبيه صفى ميرزا؛ وقوله عليه السلام ثم يقوم القائم المأمول إشارة أيضا إلى اتصال الدولة الصفوية بالدولة المهدوية على صاحبها السلام .

الحديث الثالث : رواه الشيخ الأجل محمد بن مسعود العياشى وهو من ثقات المحدثين فى كتاب التفسير عن أبى لبيد المخزومى عن الباقر عليه السلام بعدما ذكر ملك شقاوة بنى العباس قال : يا أبا لبيد! ان حروف القرآن المقطعة لعلماء جما، إن الله تعالى أنزل الم ذلك الكتاب، فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره وثبتت كلمته وولد يوم ولد؛ وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين؛ ثم قال وتبينه فى كتاب الله فى الحروف المقطعة إذا عدتها من غير تكرار، وليس من الحروف المقطعة حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند إنقضائه، ثم قال الألف واحد، واللام ثلثون، والميم اربعون، والصاد تسعون فذلك مائة وواحد وستون؛ ثم كان بدو خروج الحسين بن على عليه السلام الم الله، فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند المص؛ ويقوم قائمنا عند إنقضائها بالر؛ فافهم ذلك وعه واكتمه .

قال ذلك المحقق أيده الله تعالى : قوله عليه السلام من الألف

السابع المراد به من إبتداء خلق أبينا آدم عليه السلام ، ثم قال أيده الله تعالى : إن هذا الحديث في غاية الاشكال ؛ وقد ذكرنا له وجوهاً في كتاب بحار الأنوار ولنذكر هنا وجهاً واحداً ولكنه مبني على تمهيد مقدمة : وهي أن المعلوم من كتب الحساب المعتمدة أن حساب أبجد له إصطلاحات مختلفة ، ومناط حساب هذا الحديث على إصطلاح أهل المغرب ، وقد كان شائعاً بين العرب في الأعصار السابقة ، وهو هذا صغفص قرست تخذ ظغش ، فالصناد عندهم ستون ، والضاد تسعون ، والسين ثلثمائة والظاء ثمانمائة والغين تسعمائة ، والشين ألف وباقي الحروف على موافقة المشهور .

إذا عرفت هذه المقدمة فاعلم أن تاريخ ولادة نبينا صلى الله عليه وآله يظهر من جميع فواتح السور ولكن بإسقاط الحروف المكررة مثلاً الم والروحم وغيرها من المكررات لا يؤخذ منه بالحساب إلا واحد ؛ وكذلك الحروف المبسوطة مثل ألف را لا يحسب منه الا ثلاثة وكذا لام را ونحو ذلك وحينئذ فألف لام ميم ألف لام ميم صاد ألف لام را ألف لام ميم را كاف ها ياعين صاد طا ها طا سين ياسين صاد حا ميم حا ميم عين سين قاف قاف نون ، إذا عددت حروفها تكون مائة وثلثاً من وقت خلق أبينا آدم عليه السلام إلى وقت ولادة النبي صلى الله عليه وآله يكون على وفق هذا الحديث ستة آلاف سنة ومائة وثلثون (ثلث سنين ظ) والأول من كل ألف سنة تاريخ ، وأول كل سابع من آلاف مائة وثلث سنين يكون قد مضت ؛ وعدد هذه الحروف أيضاً يكون مائة وثلثة على ما عرفت ، فيكون الم الذي في أول سورة البقرة إشارة إلى مبعث نبينا صلى الله عليه وآله ، وقوله عليه السلام وليس حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند إنقضائه واضح على هذا ؛ وذلك أول دولة بنى هاشم

ابتدأواها من عبد المطلب ومن ظهور دولة عبد المطلب إلى ظهور دولة نبينا صلى الله عليه وآله إحدى وسبعين سنة تقريباً عدد الم بحساب أبجد على ترتيب القرآن بعد الم البقرة والم آل عمران ، وهو إشارة إلى خروج الحسين عليه السلام فانه من ابتداء رواج دولة النبي صلى الله عليه وآله إلى وقت خروج الحسين عليه السلام إحدى وسبعون سنة تقريباً ، وأيضاً بحسب ترتيب سور القرآن المص وهو إشارة إلى خروج بنى العباس فانهم من بنى هاشم أيضاً وإن كانوا غير محقين في أمر الخروج وبحساب أبجد على طريق المغاربة مائة وواحد وثلاثون ، ومن أول بعثة النبي صلى الله عليه وآله إلى وقت ظهور دولتهم مائة وواحد وثلاثون وإن كان إلى زمان بيعتهم أكثر .

ويحتمل أن يكون ابتداء هذا التاريخ من وقت نزول سورة الأعراف فيكون مطابقاً لوقت بيعتهم وعلى حساب المص على طريق المغاربة يبنى الحديث المروى في كتاب معانى الأخبار وسنذكره إن شاء الله تعالى ، وأما كون قيام القائم عليه السلام مبني على حساب الر فالذى يخطر ب خاطرى ان الر قد وقع في القرآن في خمسة مواضع وينبغى ان يحسب بقرينة أنه عليه السلام لم يتعرض لبيان كما تعرض لبيان الم ومجموعه ألف ومائة وخمس وخمسون سنة تقريباً من سنة تحرير هذه الرسالة ، وهو سنة ألف وثمان وسبعون من الهجرة فيكون قد بقى من وقت خروجه عليه السلام (سبعة وسبعون ظ) خمس وستون سنة لما كان مبدأ هذه التواريخ من أوائل البعثة ؛ هذا محصل كلامه سلمه الله تعالى» (٨٩) وقد مضى خمس وستون سنة وسبع وسبعون سنة وأكثر على ذلك

الوقت ولم يأن لقائهم أن يرجع ، وليس لمعدوم أن يوجد .

وما أحسن ما قاله القائل :

ما آن للسرداب أن يلد الذى صيرتموه بزعمكم إنسانا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العناء والغيلانا
كيف يرجع وأين يرجع ؟

فيعتقد القوم أن جعفرأ قال :

ينادى باسم القائم فى يوم ستة وعشرين من شهر رمضان ، ويقوم
فى يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على (ع) لكأنى به
يوم السبت العاشر من المحرم قائما بين الركن والمقام ، جبرئيل بين يديه
ينادى بالبيعة له فتسير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيا حتى
يبايعوه ، فيملأ الله به الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما» (٩٠) .

ثم بينوا كيف يجتمع الشيعة للقائم فقالوا :

إذا أذن الإمام ، دعا الله باسمه العبرانى (٩١) فاتيحت (فانتخب)
له صحابته الثلاثمائة والثلاثة عشر ، قزع كقزع الخريف . فهم أصحاب
الالوية . منهم من يفقد عن فراشه ليلا فيصبح بمكة . ومنهم من يرى
يسير فى السحاب نهارا يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبته . قلت :
جعلت فداك أيهم أعظم إيمانا؟ قال : الذى يسير فى السحاب نهارا . . .
وهم المفقودون ، وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿أيما تكونوا يأت بكم الله
جميعا﴾ (٩٢) .

ويروى الطوسى شيخ الطائفة :

ينادى منادى من السماء باسم القائم ، فيسمع من بين الشرق

(٩٠) اعلام البورى للطبرسى ص ٤٥٩ ، ومثله فى الارشاد للمفيد ص ٣٦٢ ، ٣٦١ .

(٩١) ألا يدل هذه اللفظة على معنى متوارث عن القوم الذين يتكلمون بالعبرانية .

(٩٢) الغيبة للنعمانى ص ١٦٩ نقلا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

والغرب فلا يبقى راقد الا استيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على
رجليه فزعا من ذلك الصوت ، وهو صوت جبرئيل الروح الأمين» (٩٣) .
وزاد النعماني :

فلا يبقى شيء من خلق الله فيه إلا سمع الصيحة ، فتوقظ النائم
ويخرج إلى صحن داره ، وتخرج الأذراع من خدرها ، ويخرج القائم مما
يسمع وهي صيحة جبرئيل» (٩٤) .

وقد رووا عن المفضل بن عمر أنه قال : قلت لجعفر بن الباقر :
ففى أى بقعة يظهر المهدي؟ قال لا تراه عين وقت ظهوره إلا رآته
كل عين وذلك أنه يغيب آخر يوم من سنة ست وستين ومائتين ولا تراه عين
أحد حتى يراه كل أحد ، ثم يظهر بمكة ووالله يامفضل كأني أنظر إليه
داخل مكة وعليه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسه عمامته
وفى رجله نعل رسول الله المخصوفة ، وفى يده عصا النبي صلى الله عليه
وآله يسوق بين يديه أعزراً عجافاً حتى يصل بها نحو البيت حتى لا يعرفه
أحد قال المفضل : ياسيدى كيف يظهر؟ قال : يظهر وحده ويأتى البيت
وحده إلى الكعبة ويحج عليه الليل ، وإذا نامت العيون وغسق الليل نزل
إليه جبرئيل وميكائيل والملائكة صفوفاً ، فقول له جبرئيل ياسيدى قولك
مقبول وأمرك جار ، فيمسح يده على وجهه ويقول الحمد لله الذى
صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر
العاملين ، ويقف بين الركن والمقام ويصرخ صرخة يامعشر نقبائى وأهل
خاصتى ومن خلقهم الله لظهوري على وجه الأرض إيتونى طائعين ،
فترد صيحته عليهم وهم على تجايرهم وعلى فرشهم فى شرق الأرض
وغربها ، فيسمعونه فى صيحة واحدة فى أذن كل رجل فيجيئون نحوه ولا

(٩٣) الغيبة للنعماني ص ٢٥٤ .

(٩٤) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٧٤ .

يمضى لهم الا كلمحة بصر حتى يكونوا كلهم بين يديه بين الركن والمقام ، فيأمر الله عز وجل بنور فيصير عمودا من الأرض إلى السماء يستضيء به كل مؤمن على وجه الأرض ، ويدخل عليه نور في جوف بيته فتفرح نفوس المؤمنين بذلك وهم لا يعلمون بظهور قائمنا ، ثم يصبحون وقوفاً بين يديه وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر» (٩٥) .

ويقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة :

يامعشر الخلائق ألا من أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فهأنا ذا آدم وشيث ، ألا من أراد أن ينظر إلى إبراهيم وولده إسماعيل فهأنا ذا إبراهيم وإسماعيل ، ألا من أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فهأنا ذا عيسى وشمعون ، ألا من أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين فهأنا ذا محمد وأمير المؤمنين ، ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فهأنا ذا الحسن والحسين ألا من أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين فهأنا ذا الأئمة ، أجيئوا مسألتي فإنني أنبئكم بما نبئتم به أو لم تنبأوا به ، ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع مني ، ثم يتدنى بالصحف التي أنزلها الله لآدم وشيث ، فتقول أمة آدم وشيث : هذه والله الصحف حقاً ، ولقد رأينا ما لم نعلمه فيها وما كان أسقط منها وبدل وحرف ، ثم يقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم حقاً ، ثم يقرأ التوراة والإنجيل والزبور ، فيقول أهل التوراة والإنجيل والزبور : هذه والله التوراة الجامعة والإنجيل الكامل ، وإنها أضعاف ما ترى فيها ، ثم يتلو القرآن فيقول المسلمون : هذا والله القرآن وما حرف وما بدل» (٩٦) .

ويكون في صورة شاب مؤثق ابن اثنتين وثلثين سنة كما كذبوا عن

(٩٥) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٨٢ .

(٩٦) الأنوار النعمانية ص ٨٣ ، ٨٤ .

جعفر أنه قال :

لوقد قام القائم لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شابا مؤنقا لا يثبت عليه الا من قد أخذه الله ميثاقه في الذر الأول - وفي رواية : القائم يعمر عمر الخليل عشرين ومائة سنة يدري به ، ثم يغيب غيبة في الدهر ويظهر في صورة شاب مؤنق ابن اثنتين وثلاثين سنة» (٩٧) .

فببإيعه أول من ببإيعه جبرئيل كما روى الطبرسى وغيره .
إن جبرئيل يأتيه ويسأله ويقوله :

إلى أى شىء تدعو؟ فيخبره القائم ، فيقول جبرئيل : فأنا أول من ببإيع ، ثم يقول له : مد كفك ، فيمسح يده على يده» (٩٨) .
وذكر البحرانى : أن جبرئيل ينزل على الميزاب في صورة طائر أبيض حتى يكون أول من خلق الله جبرئيل (٩٩) .
وهذا مع قولهم :

أتى جبرئيل (ع) إلى رسول الله (ص) يعودده . فقال : السلام عليك يا محمد هذا آخر يوم أهبط فيه إلى الدنيا . وعن عطاء بن يسار أن رسول الله (ص) لما حضر أتاه جبرئيل فقال : يا محمد الآن أضعده إلى السماء ، ولا أنزل إلى الأرض أبدا . وعن أبى جعفر (ع) قال : لما حضرت النبى الوفاة . . . إلى أن قال : فعند ذلك قال جبرئيل : يا محمد ، هذا آخر هبوطى إلى الدنيا ، إنما كنت أنت حاجتى فيها (١٠٠) .
ولا جبرئيل وحده ، بل الملائكة الآخرون أيضا كما روى الجزائرى عن جعفر أنه قال :

إن القائم يسنده ظهره إلى الحرم ويمد يده فترى بيضاء من غير سوء ،

(٩٧) كتاب الغيبة للطوسى ص ١٨٩ .

(٩٨) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٠ - ٤٦١ ، الارشاد للمفيد ص ٣٦٤ ، روضة الواعظين

ج ٢ ص ٢٦٥ ، اكمال الدين لابن بابويه القمى وغيره .

(٩٩) تفسير البرهان ج ٢ ص ٨٢ .

(١٠٠) كشف الغمة للأربلى ج ١ ص ١٩ نقلا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور ص ٣٥٢ .

فيقول: هذه يد الله . . . فيكون أول من يقبل يده جبرئيل ، ثم يبايعه الملائكة ، ثم نجباء الجن ، ثم نقباء المؤمنين» (١٠١) .

ويؤيد هذا ما ذكره المفيد والطبرسي وابن الفثال والبحراني والنعماني وغيرهم كذبا على محمد الباقر أنه قال :
كأنى بالقائم على نجف الكوفة قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة ، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، والمؤمنون بين يديه وهو يفرق الجنود في البلاد» (١٠٢) .

ولا خمسة آلاف فقط ، بل ينحط عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكا . قلت : كل هؤلاء الملائكة؟ قال : نعم ، الذين كانوا مع نوح في السفينة ، والذين كانوا مع إبراهيم حين ألقى في النار ، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبنى إسرائيل ، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه . وأربعة آلاف ملك كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله مسومين ، وألف مردفين ، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدرين . وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين (ع) فلم يؤذن لهم في القتال . . . وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام إلى وقت خروجه عليه صلوات الله والسلام» (١٠٣) .

وأورد مثل ذلك النعماني في كتاب (الغيبة) (١٠٤) .
وزاد على ذلك أن الذي يحمل رأيته يوم ذاك يكون جبرائيل ،
ويكون عمودها من عمد عرش الله تعالى» (١٠٥) .

(١٠١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٨٣ .

(١٠٢) الإرشاد للمفيد ص ٣٦٢ ، اعلام الوري للطبرسي ص ٤٦٠ ، روضة الواعظين للفتال ص ٢٦٤ ، البرهان للبحراني ج ٢ ص ٨٢ ، كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٣٤ .

(١٠٣) كامل الزيارات لابن قولويه ص ١٢٠ .

(١٠٤) ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(١٠٥) انظر كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٠٩ .

«وأن أربعة الآلاف الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين فلم يؤذن لهم بقوا عند قبره شعثاً غبراً إلى يوم القيامة ورئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيعوه، ولا مريض إلا عادوه، ولا يموت ميت إلا صلوا عليه» (١٠٦).

وماذا يعمل بعد رجعته؟

ومن أكاذيب الشيعة الشنيعة والكره الذى توارثوه عن اليهودية والمجوسية الذين دمرت شوكتهم، وقضى على سلطانهم وملكهم من قبل مسلمى العرب وعلى أيدي قادتهم من قريش، ومن شدة نقتهم وخسدهم وحقدهم قالوا :

ان القائم يبدأ أول ما يبدأ بقتل قريش وصلبهم، الأحياء منهم والأموات، ويضع فى العرب السيف، فقالوا :
عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال :

لويعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس، أما أنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس : هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم» (١٠٧).

وروى المفيد والطبرسى عن جعفر أنه قال :

إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات، قلت : ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال : نعم منهم ومن مواليتهم» (١٠٨).

(١٠٦) ايضاً ص ٣١١.

(١٠٧) ايضاً ص ٢٣٣.

(١٠٨) الارشاد للمفيد ص ٣٦٤، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦١، ومثله فى كتاب الغيبة

للنعمانى ص ٢٣٥.

وأيضاً أنه سيف قاطع بين العرب، وعلى العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا يستتيب أحداً (١٠٩).

ومثل ذلك ما روه عن جعفر أيضاً أنه قال :

إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين قريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف، وما يستعجلون بخروج القائم؟ . . . وما هو إلا السيف، والموت تحت ظل السيف» (١١٠).

فانظر الحقد والوتر على العرب عامة وعلى قريش خاصة، وهل هناك شك بعد ذلك في يهودية القوم ومجوسيتهم، أو تأسيس اليهودية وتكوين العنصر الإيراني عقائدهم ومعتقداتهم .

وأخرج المجلسي في (البحار) عن جعفر أنه قال :

إن القائم يسير في العرب في الجفر الأحمر قال (أى الراوى، وهو رفيد مولى ابن هبيرة) قلت: جعلت فداك وما في الجفر الأحمر؟ قال: فأمر أصبعه على حلقة قال: هكذا، يعنى الذبح» (١١١).

وروى أيضاً عنه أنه قال :

إنه يخرج موتوراً غضباً أسفا . . . يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هوجاء . فأول ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة وينادى مناديه : هؤلاء سراق الله، ثم يتناول قريشاً فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف» (١١٢).

يحمى الأموات ويقتل أصحاب النبی

ولا يكتفى بقتل الأحياء منهم، ولا يروى عطشه دم هذا القدر من

(١٠٩) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٥ .

(١١٠) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٣٣، ٢٣٤ .

(١١١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ١٨١ .

(١١٢) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٠٨ .

الناس، بل يبدأ بالأموات - حسب أساطيرهم وأباطيلهم - فيحييهم ثم يقتلهم كما ذكروا أنه في عصره يحيى يزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلون حذو القذة بالقذة (١١٣) .

وليس هذا فحسب، بل جازفوا في القول حتى قالوا :

لوقام قائمنا رد بالخميراء (أى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما) حتى يجلدھا الحد ويتنقم لابنة محمد صلى الله عليه وآله» (١١٤) .

وأكثر من ذلك بلغوا في اللؤم والخبث والحقْد لحاملى رايات الإسلام ومعلنى كلمته ومبلغى رسالته ومدمرى حضارة اليهودية وشوكة المجوسية، إلى حد لم يتصوره العقل ولم ترض بها الإنسانية، فقالوا : إن القائم قال : ألا أنبئك بالخبر . أنه إذا فقد الصبى وتحرك المغربى وسار العمانى وبويع السفينانى يأذن الله لى فأخرج بين الصفا والمرورة فى الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سواء، فأجىء إلى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة وأحج بالناس حجة الإسلام، وأجىء إلى يثرب وأهدم الحجرة وأخرج من بها وهما طريان فأمرهما تجاه البقيع وأمر بالخشبين يصلبان عليهما فتورق من تحتها فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى، فينادى مناد من السماء : أبىدى، ويأرض خذى، فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد خلص قلبه بالإيمان . قلت : ياسيدى ما يكون بعد ذلك ؟ قال : الكرة الكرة الرجعة» (١١٥) .

(١١٣) انظر بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٩، تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٨٢، البرهان ج ٢ ص ٤٠٨، الصافي ج ١ ص ٩٥٩ .

(١١٤) تفسير الصافي ص ٣٥٩ مجلد كبير .

(١١٥) البرهان فى تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٠٧ .

وذكر هذا الجزائرى بالتفصيل والصراحة حيث قال : ان المفضل

بن عمر روى عن جعفر أنه قال :

ان بقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكعبة على بقعة كربلا ؛
 فأوحى الله عز وجل إليها أن أسكتى يا كعبة ولا تفخرى على كربلا فإنها
 البقعة المباركة التى قال فيها لموسى عليه السلام انى أنا الله ، وهى موضع
 المسيح وأمه وقت ولادته ؛ وانها الدالية التى غسل بها رأس الحسين بن
 على عليهما السلام ؛ وهى التى عرج منها محمد صلى الله عليه وآله ؛
 وقال له المفضل ياسيدى يسير المهدى إلى أين ؟ ، قال إلى مدينة جدى
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا وردها كان له فيها مقام
 عجيب ، يظهر فيه سرور المؤمنين وخزى الكافرين ، فقال المفضل
 ياسيدى ما هو ذلك ؟ قال يرد إلى قبر جده فيقول يامعشر الخلائق هذا قبر
 جدى ، فيقولون نعم يامهدى آل محمد ؛ فيقول ومن معه فى القبر فيقولون
 صاحباه (مصاحباه خ) وضجيعاه أبوبكر وعمر فيقول عليه السلام وهو
 اعلم الخلق من أبوبكر وعمر وكيف دفنا من بين الخلق مع جدى رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم وعسى أن يكون المدفون غيرهما فيقول
 الناس يامهدى آل محمد ما هيهنا غيرهما وانهما دفنا معه لأنها خليفته وآباء
 زوجته فيقول هل يعرفهما أحد فيقولون نعم نحن نعرفهم بالوصف ، ثم
 يقول هل يشك أحد فى دفنهما هنا ؟ فيقولون لا ، فيأمر بعد ثلاثة أيام ويحفر
 قبرهما ويخرجهما ، فيخرجان طريين كصورتهما فى الدنيا فيكشف عنهما
 أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نحزة فيصلبهما عليها ، فتتحرك
 الشجرة وتورق وترفع ويطول فرعها ، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما
 هذه والله الشرف حقاً ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما ؛ فينشر خبرهما فكل
 من بقلبه حبة خردل من محبتهما يحضر المدينة فيفتنون بهما فينادى مناد

المهدى عليه السلام هذان مصاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أحبهما فليكن في معزل ومن أبغضهما يكن في معزل فيتجزء الخلق جزئين، موال ومعاد؛ فيعرض على أوليائهما البراءة منهما، فيقولون يامهدى ما كنا نبرأ منهما وما كنا نعلم ان لهما عند الله هذه الفضيلة فكيف نبرأ منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتها وغضاضتها وحياة الشجرة بهما؛ بلى والله نبرأ منك ومن آمن بك ومن لا يؤمن بهما ومن صلبهما وأخرجهما وفعل ما فعل بهما، فيأمر المهدى عليه السلام ريحاً فتجعلهم كاعجاز نخل خاوية ثم يأمر بانزاهما فينزلا فيحييهما باذن الله ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالمهم في كل كور ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم وجمع النار لإبراهيم وطرح يوسف في الحب وحبس يونس في بطن الحوت، وقتل يحيى وصلب عيسى وعذاب جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسي وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسين عليهما السلام وإرادة إحراقهم بها، وضرب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها وإسقاطها محسناً، وسم الحسن وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبنى عمه وسبى ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمد، وكل دم مؤمن وكل فرج نكح حراماً وكل رباء أكل وكل خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا؛ كل ذلك يعدده عليهما ويلزمهما إياه ويعترفان به؛ ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت مظالم من حضر ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض تحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحاً فتسففهما في اليم نسفاً.

قال المفضل ياسيدي هذا آخر عذابهما؟ قال هيهات يامفضل والله ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيثار محضا وكل من محض الكفر محضا وليقتصن منها بجميع المظالم ثم يأمر بهما فيقتلان في كل يوم ليلة ألف قتلة ويردان إلى أشد العذاب» (١١٦).

ظلمه وقسوته

ومن قسوته أنهم ينقلون عنه عن جعفر أنه قال :
 بينا رجل على رأس القائم يأمره وينهاه إذ قال : أديروه، فيديرونه إلى قدامه، فيأمر بضرب عنقه، فلا يبقى في الخافقين شيء إلا خافه» (١١٧).

أنه يقتل المولى ويجهز على الجريح» (١١٨).

وذكروا في رواية :

بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله رحمة، وبعث القائم نقمة» (١١٩).

يدعو إلى أمر جديد وكتاب جديد

ومن عقائد الشيعة الاثني عشرية أن امامهم الموهوم وغائبهم المعدوم سيدعو الناس إلى كتاب جديد وأمر جديد، وقد نقلوا فيه روايات عديدة، منها ما رواها النعماني عن أبي جعفر - الإمام الخامس المعصوم عند الشيعة - أنه قال :

يقوم القائم بأمر جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا يستتيب أحدا» (١٢٠).

(١١٦) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٨٦، ٨٧.

(١١٧) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٩.

(١١٨) أيضا ص ٢٣٢.

(١١٩) تفسير الصافي ص ٣٥٩ مجلد كبير.

(١٢٠) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٣.

وعنه أنه سئل : أيسير بسيرة محمد ﷺ ؟

قال : هيهات يازرارة ما يسير بسيرته ، قلت : جعلت فداك لم؟
قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سار في أمته بالمن كان
يتألف الناس ، والقائم يسير بالقتل ، بذاك أمر في الكتاب الذي معه أن
يسير بالقتل ولا يستتيب أحدا» (١٢١) .

وروى أيضا عنه أنه قال :

فوالله لكأنى أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس بأمر جديد
شديد ، وكتاب جديد ، وسلطان جديد من السماء» (١٢٢) .

ومثل ذلك روى المجلسي في بحار الأنوار (١٢٣) .

وروا أيضا عن أبي عبد الله أنه سئل :

كيف سيرته؟ فقال : يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه
الجاهلية ويستأنف الإسلام الجديد» (١٢٤) .

وهذه الروايات واضحة في معناها تنبئ بما دست اليهودية الأئمة
من الدسائس الخبيثة بين الذين ينتسبون إلى الإسلام ، وتوضح معنى
هذه الروايات رواية أخرى التي أوردها النعماني والمجلسي وغيرهما عن
أبي جعفر أنه قال :

لوقد خرج القائم من آل محمد عليهم السلام لنصره الله بالملائكة
المسومين والمردفين والمنزلين والكروبيين ، ويكون جبرئيل أمامه ،
وميكائيل عن يمينه ، واسرافيل عن يساره والرعب يسير مسيرة شهر أمامه
وخلفه وعن يمينه وشماله ، والملائكة المقربون حذاه وأول من يتبعه محمد

(١٢١) أيضا ص ٢٣١ .

(١٢٢) أيضا .

(١٢٣) ج ١٣ ص ١٩٤ وما بعد .

(١٢٤) بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٩٤ .

صلى الله عليه وآله وسلم - وفي رواية يتبعه ، وفي أخرى : يبايعه - وعلى الثاني ومعه سيف مخترط ، يفتح الله له الروم والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر .

يأبأ حمزة لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك ، وسيف قاطع بين العرب ، واختلاف شديد بين الناس ، وتشتت في دينهم ، وتغير من حالهم حتى يتمنى المتمنى الموت صباحا ومساء من عظم ما يرى من كلب الناس ، وأكل بعضهم بعضا ، وخروجه إذا خرج عند الإياس والقنوط .

فياطوبى لمن أدركه وكان من أنصاره ، والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره وكان من أعدائه ، ثم قال : يقوم بأمر جديد ، وسنة جديدة ، وقضاء جديد على العرب شديد ، ليس شأنه إلا القتل ولا يستتيب أحدا ولا تأخذه في الله لومة لائم» (١٢٥) .

فهذه هي حقيقة الأمر ، وهذا هو أصل الشيعة الاثنى عشرية الذين يدعون بأنهم من الشيعة المعتدلين ، وينفون انتسابهم إلى عبد الله بن سبأ اليهودى وكونهم من أصل مجوسى إيرانى ، الناقمين على الإسلام ، والباغين على الأمة الإسلامية ، والطاعنين على أسلافهم وأعيانها ، والشائعين قوادها وسادتها ، وقد بينها من كتبهم أنفسهم ويعباراتهم هم .

رجعة الأئمة مع رجعة القائم

ثم إن الشيعة الاثنى عشرية لا يعتقدون برجعة القائم فحسب ، بل وأكثر من ذلك يعتقدون بأن أئمتهم يرجعون أيضا إلى الدنيا مثل رجوع قائمهم ، ويبقون ، ويملكون ، وينتقمون من الأعداء ويقتلونهم ،

كما روى المجلسي عن جعفر أنه قال :

أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي ،
وان الرجعة ليست بعمامة وهي خاصة ، لا يرجع إلا من محض الإيمان
محضا أو محض الكفر محضا» (١٢٦) .

وروا عن أبيه الباقر أنه قال :

إن أول من يرجع إلى الدنيا لجاركم الحسين بن علي عليه
السلام ، فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر» (١٢٧) .
ولا الحسين وحده فحسب ، بل يرجع معه سبعون رجلا من
أصحابه الذين قتلوا معه (١٢٨) .

وفي رواية أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفا من
الرجال ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدي عليه السلام ثلاث مائة سنة
وتسع سنين (١٢٩) .

ويرجع معه يزيد بن معاوية وأصحابه ليأخذ الحسين وأصحابه
ثأرهم منهم (١٣٠) .

ويساعد الحسين وأصحابه في أخذ ثأرهم وانتقامهم من يزيد
وعساكره سبعون نبيا ورسولا ويكون أحدهم إسماعيل ، كما حكى
الجزائري حكاية باطلة بقوله :

وفي الأخبار الكثيرة عن بريد العجلي أنه سأل الصادق عليه
السلام عن قول الله تعالى في إسماعيل انه كان صادق الوعد ما المراد

(١٢٦) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ٢١٠ ، الصافي ج ١ ص ٩٥٩ .

(١٢٧) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١١ ، البرهان ج ٢ ص ٤٠٧ ، الصافي ج ١ ص ٩٥٩ ، اثبات
الهداة للعامل ج ٧ ص ١٠٢ .

(١٢٨) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٨١ .

(١٢٩) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٩٨ ، ٩٩ .

(١٣٠) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨٢ ، البرهان ج ٢ ص ٤٠٨ ، الصافي ج ١ ص ٢٥٩ تحت

قوله تعالى : ثم ردنا لكم الكرة عليهم : ، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٩ .

بإسماعيل هذا أهو ابن إبراهيم؟ فقال عليه السلام :

لا بل هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى جماعة فكذبوه وسلخوا جلد وجهه ورأسه ، فبعث الله عليهم ملك العذاب وهو سطاثيل ، فأتى إلى إسماعيل وقال : إن الله أرسلنى إليك بما تأمر فى عذابهم ، فقال إسماعيل عليه السلام : لا حاجة لى فى عذابهم ، فأوحى الله سبحانه إليه : إن كان لك حاجة إلى فاطلبها ، فقال : يارب إنك أخذت علينا معاشر الأنبياء أن نوحدك ونقرب نبوة محمد صلى الله عليه وآله وبإمامة الأئمة عليهم السلام ، وأخبرت الخلائق بما يفعل الظالمون بولده الحسين ووعدت الحسين عليه السلام بالرجوع إلى الدنيا ليأخذ ثأره وينتقم من ظالميه ، فحاجتى يارب أن ترجعنى فى زمانه لأجل أخذ ثأرى وقتل من قتلنى ، فقبل الله حاجته وجعله من الذين يرجعون فى زمان الحسين عليه السلام ، وفى رواية أخرى أن الحسين عليه السلام يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفا من الرجال» (١٣١) .

وقالوا :

إن الأئمة الاثنى عشرية كلهم يرجعون إلى الدنيا فى زمن القائم مع جماعتهم (١٣٢) .

ويرجع علىّ ونبيّ أيضا

ولا يرجع الحسين وأصحابه ومعاوية ويزيد وأصحابه وسبعون نبيا ممن مضوا فى سالف الزمان وحدهم ، بل ويرجع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلىّ أيضا ، كما روى المجلسى عن بكير بن أعين أنه قال :

قال لى من لأشك فيه يعنى أبا جعفر (ع) أن رسول الله (ص)

(١٣١) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٩٨ .

(١٣٢) الصافى ج ١ ص ٣٤٧ .

وعليا سيرجعان» (١٣٣) .

ورروا عن جعفر أنه قال :

قال رسول الله (ص) : لقد أسرى بي ربي عز وجل ، فأوحى إلي من وراء حجاب ما أوحى وكلمني بما كلم به وكان مما كلمني به . . .
يا محمد ، عليّ آخر من أقبض روحه من الأئمة» (١٣٤) .
وليس هذا فحسب ، بل وأكثر من ذلك وأدهى وأمر أنهم يروون عن جعفر أنه قال :

لم يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا ردهم جميعا إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام» (١٣٥) .
وعنه أيضا أنه قال :

لا يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا رد إلى الدنيا من آدم فهلهم جرا حتى يقاتل بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام» (١٣٦) .
مع من فيهم سيد الأنبياء وإمام المرسلين .

كما روى الجزائري عن الباقر أنه قال : إن عليا رضى الله عنه خطب خطبة ذات يوم ، فحمد الله فيها وقال فيها ما قال ، ومنه :
وقد أخذ الله الميثاق مني ومن نبيه لينصرون كل منا صاحبه ، فأما أنا فقد نصرت النبي صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه ، وأما نصرته لى وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد ، لأنهم ماتوا قبل إمامتى وبعد هذا سينصروننى فى زمان رجعتى ، ويكون لى ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله لنصرتى الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معى ، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء ، والكفار الأموات ،

(١٣٣) بحار الأنوار للمجلس ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٤) بحار الأنوار للمجلس ج ١٣ ص ٢١٧ .

(١٣٥) نور الثقلين ج ١ ص ٣٥٩ ، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٦) العياشى ج ١ ص ٢٨١ تحت قول الله : لتؤمنن به ولتنصرنه ، البرهان ج ١ ص ٢٩٥ ،

بحار الأنوار ص ٢١٧ .

الذين يحييهم الله تعالى ، وأعجب وكيف لا أعجب من أموات يحييهم الله تعالى يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجا فوجا لبيك ياداعى الله ، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها حتى يقتلون الكافرين والجبارين والظالمين من الأولين والآخرين ، حتى يحصل لنا ما وعدنا الله تعالى» (١٣٧) .

ولا هذا فحسب ، بل عموما الرجعة حيث قالوا :
ليس أحد من المؤمنين قتل إلا سيرجع حتى يموت ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل» (١٣٨) .
وروى الطبرسى والمفيد :

إذا آن قيام القائم مطر الناس في جمادى الآخرة عشرة أيام من رجب مطرا لم ير الناس مثله ، فينبئ الله به لحوم المؤمنين في أبدانهم في قبورهم ، فكأننى أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون رؤوسهم من التراب» (١٣٩) .

وروى المفيد أيضا :
يخرج إلى القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلا ، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون» (١٤٠) .

دابة الأرض

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن دابة الأرض التى تخرج قبل قيام الساعة تكلمهم يكون عليا رضى الله عنه كما رووا عن جعفر أنه قال :
أتى رسول الله (ص) إلى أمير المؤمنين (ع) وهونائم في المسجد ،

(١٣٧) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٩٩ .

(١٣٨) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٩) اعلام الورى ص ٤٦٢ ، الارشاد للمفيد ص ٣٦٣ ، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٢٣ .

(١٤٠) الارشاد للمفيد ص ٣٦٥ ، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٤ .

وقد جمع رملا ووضع رأسه عليه، فحركه برجله ثم قال: قم يادابة الله . فقال رجل من أصحابه: يارسول الله أيسمى بعضنا بعضا بهذا الاسم؟ فقال: لا والله ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ . إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ثم قال: يا على، إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك» (١٤١) .

ثم إن عليا ليست له رجعة واحدة، بل له رجعات كثيرة كما ذكروا أنه قال في إحدى خطباته :

إن لى رجعة بعد رجعة، وحياة بعد حياة، أنا صاحب الرجعات وصاحب الصولات» (١٤٢) .

هذا ومثل هذا فإنه لكثير .

ومن غرائب الاعتقادات التي يعتقدها القوم أنهم يقولون: إن بعد قائمهم اثني عشر مهديا آخر، كما رووا عن جعفر عن آبائه عن على أنه قال :

قال رسول الله (ص) في الليلة التي كانت فيها وفاته : ياأبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة، فأملى رسول الله (ص) وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع . فقال: يا على، انه سيكون بعدى اثنا عشر إماما ومن بعدهم اثنا عشر مهديا . فأنت أول الاثنى عشر إماما . . . وساق الحديث، إلى أن قال: وليسلمها الحسن (يعنى الإمام العسكري عليه السلام) إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد صلى الله عليه وعليهم، فذلك اثنا عشر إماما . ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا . فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين . له ثلاثة اسامى : اسم كاسمى

(١٤١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ٢١٣ .

(١٤٢) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٩٩ .

واسم أبى، وهو عبد الله، وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، وهو أول المؤمنين» (١٤٣).

وروى الطوسي: انهم أحد عشر، كما حكى عن أبى حمزة عن أبى جعفر أنه قال له:

يا أبا حمزة ان منا بعد القائم أحد عشر مهديا» (١٤٤).

وإلى ذلك يشير رواية النعماني حيث يحكى عن أبى جعفر أنه قال:

والله ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعا، قال: فقلت له: ومتى يكون ذلك؟ قال: بعد موت القائم عليه السلام، قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتى يموت؟ فقال: تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته» (١٤٥).
ويؤيد ذلك أيضا دعاء شيعى يدعونه للمهدي، فيقولون في آخره:

الهم صل على ولاية عهده والأئمة من بعده، وبلغهم آمالهم وزد في آجالهم، وأعز نصرهم وتم لهم ما أسندت إليهم من أمرك لهم وثبت دعائهم، واجعلنا لهم أعوانا وعلى دينك أنصارا» (١٤٦).

وأخيرا نأتى برواية أوردها محدث القوم نعمت الله الجزائري عن جعفر أنه قال:

إن الشيطان لما قال: رب أنظرني إلى يوم يبعثون، قال: إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فيخرج الشيطان مع جميع عساكره وتوابعه من يوم خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهو آخر رجعة يرجعها

(١٤٣) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٣٧.

(١٤٤) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٨٥.

(١٤٥) كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٣٢.

(١٤٦) مفاتيح الجنان ص ٥٤٢.

أمير المؤمنين عليه السلام فقال الراوى : كم لأمر المؤمنين عليه السلام من رجعة؟ فقال : ان له رجعات ورجعات ، وما من إمام فى عصر من الأعصار إلا يرجع معه المؤمنون فى زمانه والكافرون فيه حتى يستولى أولئك المؤمنون على أولئك الكافرون فينتقمون منهم ، فإذا جاء الوقت المعلوم ظهر أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه وظهر الشيطان مع أصحابه ، فيتلاقى العسكران على شط الفرات فى مكان اسمه الروحا قريب الكوفة ، فيقع بينهم حرب لم يقع فى الدنيا من أولها وآخرها وكأنى أرى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا منهزمين حتى تقع أرجلهم فى الفرات فعند ذلك يرسل الله سحابة مملوءة من الملكة يتقدمها النبى صلى الله عليه وآله ويده حربة من نور ، فإذا نظر الشيطان أدبر فاراً ، فيقول له أصحابه إلى أين تفرو لك الظفر عليهم؟ فيقول إنى أرى مالا ترون إنى أخاف من عقاب رب العالمين ؛ فيصل النبى صلى الله عليه وآله ويضربه ضربة بالحربة بين كتفيه فيهلك بتلك الضربة هو مع جميع عساكره ، فعند ذلك يعبد الله على الإخلاص ويرتفع الكفر والشرك ، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا أربعين ألف سنة ويولد لكل واحد من شيعته ألف ولد من صلبه فى كل سنة ولد ، وعند ذلك يظهر البستانان عند مسجد الكوفة الذى قال الله تعالى مدهامتان ؛ وفيهما من الاتساع مالا يعلمه إلا الله تعالى» (١٤٧) .

وهذا آخر ما أردنا ذكره من خرافات القوم ومعتقداتهم انتخبناها من الكثير الكثير ولهم كتب مستقلة فى هذا الباب .

الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله

وكى لا يطول بنا الحديث نذكر فقط رواية واحدة تشتمل على خطبة على رضى الله عنه حسب زعم القوم وفيها كل ما يعتقده القوم عن الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله ، تعالى عما يقولونه علوا كبيرا ، يذكر الجزائرى هذه الخطبة فى كتابه المشهور رواية عن محمد الباقر أنه قال :

إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب خطبة ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه بالوحدانية ، وقال إن الله سبحانه قد تكلم بكلمة فصارت نوراً فخلق منه نور النبى ونورى ونور الأئمة وتكلم بكلمة أخرى فصارت روحاً فأسكنها فى ذلك النور وذلك النور مع تلك الروح ركبها فى أبداننا معاشر الأئمة ، فنحن الروح المصطفاة ونحن الكلمات التامات ونحن حجة الله الكاملة على الخلق ؛ فنحن كنا نوراً أخضر حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا مخلوق ولا مخلوقات ، وكنا نسيح الله ونقدسه قبل خلق الخلق ؛ فأخذ الله لنا العهد من أرواح الأنبياء على الإيمان بنا وعلى نصرتنا ؛ وهذا معنى قوله سبحانه ﴿ وإذ أخذ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ ، فقال عليه السلام يعنى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله ونصرة وصيه ؛ وهذه النصرة قد صارت قرية ؛ وقد أخذ الله الميثاق منى ومن نبيه لينصرون كل منا صاحبه ؛ فأما أنا فقد نصرت النبى صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه وأما نصرته لى وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد ، لأنهم ماتوا قبل إمامتى وبعد هذا سينصروننى فى زمان رجعتى ، ويكون لى ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله

لنصرتى الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معى ، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء والكفار الأموات الذين يحييهم الله تعالى ؛ واعجب وكيف لا أعجب من أموات يحييهم الله تعالى يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجاً لبيك لبيك ياداعى الله ، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها حتى يقتلون الكافرين الجبارين والظالمين من الأولين والآخرين ؛ حتى يحصل لنا ما وعدنا الله ثم تلا هذه الآية ﴿ثم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً﴾ .

قال عليه السلام يعنى يعبدوننى ولا يتقون من أحد لأن لى رجعة بعد رجعة ؛ وحيوة بعد حيوة ، انا صاحب الرجعات وصاحب الصولات وصاحب الانتقامات وصاحب الدولة العجيبة ، أنا حصن الحديد وأنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا أمين الله على علمه وصندوق سره وحجابه وصراطه وميزانه وكلمته ؛ أنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآياته الكبرى ، أنا صاحب الجنة والنار أسكن أهل الجنة فى جنتهم وأهل النار فى نارهم ، وأنا الذى أزوج أهل الجنة والى مرجع هذا الخلق فى القيامة وعلى حسابهم .

وأنا المؤذن على الاعراف وأنا الذى أظهر آخر الزمان فى عين الشمس ، وأنا دابة الأرض التى ذكرها الله فى الكتاب أظهر آخر الزمان ، ومعى عصا موسى وخاتم سليمان أضعه فى وجه المؤمن والكافر فتنقش فيه هذا مؤمن حقاً ، وهذا كافر حقاً ، وأنا أمير المؤمنين وإمام المتقين ولسان المتكلمين وخاتم أوصياء النبيين ووارثهم وخليفة الله على العالمين وأنا الذى علمنى الله علم البلايا والمنايا وعلم القضا بين الناس ، وأنا الذى

سخر لى الرعد والبرق والسحاب والظلمة والنور، والرياح والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم أيها الناس إسألونى عن كل شىء» (١٤٨).

فهذه الرواية ومثل هذه الرواية وإنما لكثيرة جدا موجودة منتشرة فى كتب القوم - يضاهائون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .

فهذه العقائد التى تتبناها الشيعة الاثنا عشرية، وتعتقدها، ويعتقدونها الإماميون والجعفرليون الذين يعدون من الشيعة المعتدلة وهى عين تلك العقائد التى وضع بذورها عبد الله بن سبأ، ونشرتها السبئية وروجتها بين الفئات الشيعية المختلفة، ولولا خوف الإطالة لأكثرنا الروايات التى وردت فى كتبهم المعتمدة الموثوقة لديهم، ولكننا نرى أن ما ذكر فيه الكفاية لمن أراد أن يتثبت ويتحقق، وكذلك لمن أراد أن يتبصر ويهتدى والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ونختم الكلام فى هذا الموضوع بنقل آراء بعض المستشرقين فى علاقة الشيعة بالسبئية أو بتعبير صحيح بالعقائد الأجنبية المدسوسة بين المسلمين، يهودية كانت أم إيرانية، التى لامت إلى الإسلام بصلة لا قريبة ولا بعيدة، فيقول المستشرق دوزى :

كانت الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربى، الذى يحب الحرية، وبين الجنس الفارسى الذى اعتاد الخضوع كالعبيد، لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي أمراً غير معهود ولا مفهوم، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة فى الحكم، لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد لم يترك ولداً يرثه، فإن علياً هو الذى

يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل علي . ومن هنا فإن جميع الخلفاء - ماعداً علياً - كانوا في نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة . وقوى هذا الاعتقاد عندهم كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية ، فكانوا في الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم . وهم قد اعتادوا أيضاً أن يروا في ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته . فالطاعة المطلقة «للإمام» الذي من نسل علي - كانت في نظرهم الواجب الأعلى ، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب ، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيراً رمزياً وأن يتجاوزها ويتعدها . لقد كان «الامام» عندهم هو كل شيء ، إنه الله قد صار بشراً . فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات - ذلك هو الأساس في مذهبهم» (١٤٩) .

وبمثل ذلك قال المستشرق ملر ، وزاد عليه «أن الفرس كانوا تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسيد لروح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك إلى الأبناء» (١٥٠) .

ويذكر هذه الآراء مستشرق ألماني متعاطف على الشيعة ولهوزن ، فيقول :

أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين - فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين ، فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه . بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك ، إذ تقول أن التشيع الواضح الصريح كان قائماً أولاً في الدوائر العربية ، ثم انتقل

(١٤٩) مقالة في تاريخ الإسلام للدوزي ص ٢٢٠ وما بعد .

(١٥٠) كتاب ملر ، ج ١ ص ٣٢٧ .

بعد ذلك منها إلى الموالى ، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الدوائر . وأولئك الذين كانوا يتواثبون حول الكرسي المقدس يذكرون أنهم « السبئية » (ص ٧٠٣ س ١٧ ، ص ٧٠٤ س ١١) ، ولم يكونوا من الموالى ، بل من العرب ، إذ كانوا من عشائر : نهد وخارف وثور وشاكر وشبام . وهؤلاء السبئية كانوا على علاقات سيئة بعشائرتهم نتيجة لمذهبهم الغريب ، خصوصاً شبام بالنسبة إلى قبيلة همدان ، بينما كانوا على علاقات وثيقة جداً بالمختار ، ومن أجله خاضوا النار ووشوا بقبائلهم . ونجد حديثاً عن بطانة من الشيعة العرب كانت تجتمع في منزلى امرأتين بارزتين . وتذكر أسماء بعض أفراد هذه البطانة ومنهم ابن نوف الهمداني الذي كان ينافس مولاه وأستاذه (المختار) في التنبؤ . لقد كان يصنع وحياً لدى الكرسي المقدس ، وكان أحد عمومة الأعشى ممن تأثر لهذا الوحى ، وكان أول سادن للكرسي هو موسى بن أبى موسى الأشعري ، ثم تلاه حوشب البرسمى . والبيئة هنا كلها يمنية . ويقال إن المختار قد أظهر الكرسي على أنه كرسي على بن أبى طالب . ولكن ثمت روايات أخرى تقول بعكس ذلك ، وهذه الروايات الثانية أقرب إلى التصديق . وعلى كل حال فقد كان الكرسي في حوزة اليمينين ، وأصله إنما يبحث لديهم . ولم يكن اختراعاً أبدعه الهوى ، بل مثله مثل الحجر الأسود كان قطعة وثنية وفي الأصل كرسي الله ثم كرسي على ، لأنهم ألهوا علياً . وكراسى الله الحالية هذه نجدها كثيراً ، وإن لم تكن عادة من الخشب .

ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان على والحسن وتنسب إلى عبد الله بن سبأ . وكما يتضح من اسمه الغريب ، فإنه كان أيضاً يمينياً ، والواقع أنه من العاصمة صنعاء . ويقال أيضاً إنه كان يهودياً . وهذا يقود بالقول بأصل يهودية لفرقة السبئية» (١٥١) .

ثم يقول :

يلوح أن مذهب الشيعة، الذى ينسب إلى عبد الله بن سبأ أنه مؤسسه، إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين. والدليل على هذا ما سأحاول هنا إيراد بطريقه عارضة دون أن أعير المسألة من الأهمية أكبر مما تستحق .

كان القدماء من أنصار على يعدونه فى مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين فى خلافته - فى سلك واحد، وكان يوضع فى مقابل الأمويين. المغتصبين للخلافة بوصفه استمراراً للخلافة الشرعية. وحقه فى الخلافة ناشئ عن أنه كان من أفاضل الصحابة وأنهم وضعوه فى القمة وتلقى البيعة من أهل المدينة، ولم ينشأ هذا الحق - أو على الأقل لم ينشأ مباشرة - عن كونه من آل بيت الرسول. ومع ذلك فيبدوا أن آل البيت أنفسهم قد ادعوا حق ميراث الخلافة عن رسول الله منذ البداية، وبعد وفاة على كانت المعارضة ضد الأمويين تنظر إلى أبناء على على أنهم المطالبون الشرعيون للخلافة. ولكن المسألة هنا كانت مقصورة على دعوى الخلافة. ولا بد أن نميز بين هذا وبين دعوى النبوة. وزعم أن النبوة لم تنته بمحمد، بل استمرت فى على وبنيه - كان هذا الزعم هو الخطوة الأخيرة .

إن الفكرة القائلة بأن النبى ملك يمثل سلطان الله على الأرض قد انتقلت من اليهودية إلى الإسلام. ولكن الإسلام السنى يقول إن محمداً خاتم النبيين، وبعد وفاته حلت محله الشريعة وهى أثر مجرد غير مشخص، ومعوّض عنه أقل قيمة بكثير جداً. فكان ذلك نقصاً ملموساً، فمن هنا تبدأ نظريات الشيعة. وكان المبدأ الأساسى الذى بدأ منه مذهبهم هو : أن النبوة، وهى المعرض الشخصى الحى للسلطة الإلهية، تنتسب بالضرورة إلى الخلافة وتستمر تحياً فيها. وقبل محمد

وجدت سلسلة طويلة متصلة من الأنبياء الذين يتلو بعضهم بعضاً، على نحو ما يقول اليهود - «سلسلة دقيقة من الأنبياء» .

وكما ورد في أصحاب ١٨ من سفر «ثنية الاشتراع» من أنه لم يخل الزمان أبداً من نبي يخلف موسى ومن نوعه . وهذه السلسلة لا تقف عند محمد . ولكل نبي خليفته إلى جانبه يعيش أثناء حياته (هذا الزميل الثاني) هو أيضاً فكرة يهودية) فكما كان لموسى خليفة هو يوشع ، كذلك لمحمد خليفة هو علي ، به يستمر الأمر . على أن كلمة «نبي» لم تطلق على عليّ وبنيه - بل أطلق عليهم أسماء «الوصي» أو «المهدي» أو «الإمام» عامة - ولكن إن لم يطلق الاسم فإن الحقيقة الفعلية كانت مقصودة بوصفهم عارفين بالغيوب وتجسيدات للخلافة عن الله» (١٥٢) .

وأخيراً يذكر :

وأقيم تأليه آل بيت الرسول على أساس فلسفي بواسطة مذهب «الرجعة» أو (تناسخ الأرواح) فالأرواح تنتقل بالموت من جسم إلى جسم ، وثمت بعث مستمر في المجرى الطبيعي للحياة الدنيا ، وهذا في تناقض حاد مع القول ببعث واحد عند زوال الدنيا . ويستفيد هذا المذهب أهمية عملية خصوصاً عن طريق رفعه إلى روح الله التي تحل في نفوس الأنبياء ، فهذه الروح تنتقل من نبي إلى نبي آخر بعد وفاة السابق . ولا يوجد في الوقت الواحد غير نبي واحد ، ويتتابعون حتى يبلغوا ألف نبي . وتبعاً لهذا فإن الأنبياء جميعاً بما يُبعث في كل منهم من روح الله ، والحق أن النبي الصادق الحق واحد يعود أبداً من جديد . وبهذا المعنى قالوا إن محمداً يبعث في عليّ وآل عليّ . وينون ذلك على الآية ٨٥ من السورة ٢٨ والآية ٨ من السورة ٨٢ . وهذا يذكر كثيراً

بالفكرة (المحتمل جداً أنها) يهودية، وإن كانت من البدع اليهودية، التي وردت في المواعظ المنحولة على كليمانس «Pseudoclementinen» فروح الله تتحد في آدم مع شخص إنسان يظهر بصفة النبي الصادق في صور متعددة وقد قدر له السيادة على الملكوت الدائم. راجع :

«Gieseler KG. (4. Aufl.)» (1,1,P.283).

ولكن المتأخرين قد فهموا - فيما يبدو - «الرجعة» على نحو آخر. فقد تصوروا على نحو ديكتيكي. فقالوا بفترة «غيبية» دورية للإمام الصادق، ثم سموها - في مقابل ذلك - ظهوره من جديد «رجعة». والمعنى الأصيل للرجعة يظهر جلياً من مرادفتها لتناسخ الأرواح. والسيد الحميرى يؤمن أيضاً برجعته نفسه، ومن أجل ذلك كانوا يسخرون منه ويشنعون عليه («الأغاني» ج ٧ ص ٨). كما يتضح أيضاً من كون كثير كان يعد جميع أبناء الحسن والحسين أنبياء صغاراً، لأنه كان يؤمن بالرجعة (الأغاني ٨/٣٤)، وكذلك من كون محمد كان ينظر إليه على أنه يرجع، خصوصاً في ورثة دمه (آله) ونبوته (١٥٣).

ثم نقل ما قاله أبو حمزة الخارجى في خطبة له على المنبر بالمدينة المنورة عن الشيعة نقلاً عن (الأغاني) أنه قال :

شيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب. قد قلدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم: غياً كان أو رشداً، أو ضلالة أو هدى. ينتظرون الدول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم أحدهم ما في داخل بيته، بل لا

يعلم ما ينطوى عليه ثوبه أو يحويه جسمه . ينقمون المعاصي على أهلها، ويعملون إذا ظهروا بها، ولا يعرفون المخرج منها . جفاة في الدين، قليلة عقولهم، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة» (١٥٤) .

وبمثل ذلك القول قال هشام بن عبد الملك الأموي في كتاب له إلى يوسف بن عمر :

إن عبادة الشيعة لله كانت عبادة لبني الإنسان . والنتيجة لذلك قيصرية بابوية معاً . كانوا يعترضون على إمامة السلطة القائمة، ولكن إمامتهم الشرعية القائمة على دم الرسول (ذرية آل البيت) لم تكن أفضل منها، إذ كانت تفضي إلى إهدار القانون وكسر الشريعة . فالإمام عندهم كان فوق النصوص الحرفية وكان يعلم الغيب، فمن اتبعه وأطاعه سقطت عنه التكاليف وخلا من المسؤولية» (١٥٥) .

ولأأس بنقل ما كتبه أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) عن الشيعة ولو أننا ذكرنا منه جزءاً فيما مر، فإنه قال :

والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شئت أهواؤهم ؛ فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقال الشيعة : إن النار محرمة على الشيعة إلا قليلاً، كما قال اليهود : لن تمسنا

(١٥٤) الخوارج والشيعة ص ١٧٥ .

(١٥٥) أيضاً ص ١٧٥ نقلاً عن الطبري ج ٢ ص ٨٨٢ .

النار إلا أياماً معدودات» ؛ والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه ، وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام ، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً ، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي ؛ وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام ؛ وتستتر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية ، وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم ، والسعي لاستقلالهم . قال المقرئ : «واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام ، أن الفرس كانت سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاضمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، وفي كل ذلك يظهر الله الحق . . . فرأوا أن كيده على الخيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستشباع ظلم عليّ ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى أخرجوهم عن طريق الهدى .

وقد ذهب الأستاذ (Wellhausen) إلى أن العقيدة الشيعية نبتت من اليهودية أكثر مما نبتت من الفارسية ، مستنداً بأن مؤسسها عبد الله بن سبأ وهو يهودي ، ويميل الأستاذ «دوذي Dozy» إلى «أن أساسها فارسي ، فالعرب تدين بالجرية ، والفرس يدينون بالملك ، وبالوراثة في بيت المال ، ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة ، وقد مات محمد ولم يترك ولداً فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب ، فمن أخذ

الخلافه منه كأبي بكر وعمر وعثمان والأمويين ، فقد اغتصبها من مستحقها . وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى إلهي ، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته وقالوا : إن طاعة الإمام أول واجب وإن إطاعته إطاعة الله .

والذي أرى - كما يدلنا التاريخ - أن التشيع لعلي بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام ، ولكن بمعنى ساذج ، وهو أن عليا أولى من غيره من وجهتين ، كفايته الشخصية ، وقربته للنبي ، والعرب من قديم تفخر بالرياسة وبيت الرياسة ، وهذا الحزب - كما رأينا - وجد من بعد وفاة النبي ﷺ ونما بمرور الزمان وبالمطاعن في عثمان ، ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية ، وأن كل قوم من هؤلاء كانوا يصبغون التشيع بصبغة دينهم ، فاليهود تصبغ الشيعة يهودية ، والنصارى نصرانية ، وهكذا . وإذا كان أكبر عنصر دخل في الإسلام هو عنصر الفارسي كان أكبر الأثر في التشيع إنما هو الفرس» (١٥٦) .

وهذا آخر ما أردنا ثبته في كتابنا هذا والله يهدينا إلى سبيل الرشاد ، ووفقنا لما يحبه ويرضاه من خدمة دينه ورفع كلمته والدفاع عن شريعته وحمله شريعته محمد وأصحابه وأهل بيته أجمعين ، وصلى الله على نبيه محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وعلى آله الطيبين ، وأصحابه الطاهرين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

صادر الكتاب ومراجعته

- ١- اثبات الوصية للمسعودي. ط : نجف
- ٢- اجمع الفصائح للملا كاظم. ط : ايران
- ٣- الاحتجاج للطبرسي. ط : قم ، ايران
- ٤- احقاق الحق للشوستري. ط : ايران
- ٥- الاخبار الطوال للدينوري. ط : بغداد
- ٦- ادوار علم الفقه لآل كاشف الغطاء. ط : بيروت ١٣٩٩ هـ
- ٧- الارجوزة المختارة للقاضي النعمان. ط : مونتريال. كندا ١٩٧٠ م
- ٨- الارشاد للمفيد. ط : ايران
- ٩- اساس الاصول للدلدار علي. ط : الهند
- ١٠- الاستبصار للطوسي. ط : طهران طبعة ثالثة ١٣٩٠ هـ
- ١١- اسرار الشهادة للدربندی. ط : ايران
- ١٢- الاشعثيات للاشعث الكوفي. ط : طهران
- ١٣- اصل الشيعة واصولها لآل كاشف الغطاء. ط : بيروت
- ١٤- اصول العقيدة لمهدي الصدر. ط : بيروت
- ١٥- اصول الفقه لمحمد رضا المظفر. ط : القطيف ، السعودية
- ١٦- الاعتقادات لابن بابويه. ط : طهران
- ١٧- اعلام الوری للطبرسي. ط : دارالكتب الاسلاميه ، طبعه ثالثه ، ايران
- ١٨- اعيان الشيعة لمحسن الامين. ط : بيروت
- ١٩- الاغانى للاصفهاني. ط : بيروت ، لبنان
- ٢٠- الامالى لابن بابويه القمي. ط : بيروت
- ٢١- الامالى للطوسي. ط : قم ، ايران
- ٢٢- امالى المرتضى. ط : بيروت ١٣٨٧ هـ
- ٢٣- الامام الصادق والمذاهب الاربعة لأسد حيدر. ط : بيروت
- ٢٤- أمل الآمل.
- ٢٥- امير المومنين لمحمد جواد الشري
- ٢٦- الانتصار للمرتضى. ط : نجف ، ١٣٩١ هـ
- ٢٧- أنساب بيوتات قاين. ط : طهران ، ايران
- ٢٨- الانوار النعمانية للجزائري. ط : تبريز
- ٢٩- الايقان للحلي.
- ٣٠- الايقاظ من الهجعة للحر العاملي. ط : قم ، ايران ١٣٨١ هـ
- ٣١- الباكورة السليمانية. ط : بيروت
- ٣٢- بحار الانوار للمجلسي. ط : قدیم ، ايران
- ٣٣- بشارة المصطفى لابي جعفر. ط : نجف
- ٣٤- تاريخ الامامية لعبد الله فياض. ط : بيروت ، لبنان
- ٣٥- تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفری. ط : قم ، ايران
- ٣٦- تاريخ ما بعد الظهور لمحمد الصدر. ط : بيروت
- ٣٧- تاريخ طراز مذهب مظفری. ط : ايران
- ٣٨- تاريخ العلويين للطويل. ط : بيروت
- ٣٩- تاريخ اليعقوبي. ط : بيروت ١٣٧٩ هـ
- ٤٠- تأسيس الشيعة للعلوم الاسلاميه للسيد حسن الصدر. ط : بيروت
- ٤١- تبصرة المعلمين لابن المطهر الحلي. ط : مجمع الذخائر الاسلاميه ، ايران
- ٤٢- تئمة المنتهى للعباس القمي. ط : ايران
- ٤٣- تحف العقول عن آل الرسول للمراني. ط : نجف ١٣٨٠ هـ

- ٤٤- تحفة الاحباب ط : ايران
 ٤٥- تفسير البرهان للبحراني. ط : قم ، ايران
 ٤٦- تفسير البصائر لرستكار. ط : ايران
 ٤٧- تفسير العياشي ط : ايران
 ٤٨- تفسير العسكري. ط : الهند ، القديم
 ٤٩- تفسير فرات الكوفي. ط : قم ، ايران
 ٥٠- تفسير القمي ط : نجف ١٣٨٦ هـ
 ٥١- تفسير الصافي للفيض الكاشاني. ط: كبير
 ايران
 ٥٢- تفسير الكاشف للمغنية. ط: بيروت
 ٥٣- تفسير مجمع البيان للطبرسي. ط : بيروت
 ٥٤- تفسير منهج الصادقين لفتح الله الكاشاني.
 ط : طهران ، ايران
 ٥٥- تفسير الميزان للطباطبائي. ط : بيروت
 ٥٦- تفسير نور الثقلين للحويزي. ط : قم ،
 ٥٧- تلخيص الشافي للطوسي. ط: ايران
 ٥٨- التنبيه والاشراف للمسعودي. ط : ايران
 ٥٩- جامع الرواة للاردبيلي للحائري. ط :
 قم ، ايران ١٤٠٣ هـ
 ٦٠- جامع السعادات للراقي. ط : بيروت
 ٦١- الجامع في الرجال للزنجاني. ط : قم ،
 ٦٢- جلاء العيون للمجلسي. ط: طهران، ايران
 ٦٣- حجة اثنا عشرى لحقو فارسي. ط: ايران
 ٦٤- حديقة الشيعة للمقدس الاردبيلي. ط :
 طهران ، ايران
 ٦٥- حق اليقين للمجلسي. ط : طهران
 ٦٦- حق اليقين في معرفة اصول الدين لعبدالله
 الشبر. ط : ايران
- ٦٧- حلية المتقين للمجلسي. ط : طهران
 ٦٨- حملة حيدري للمرزة بازل. ط : ايران
 ٦٩- حياة القلوب للمجلسي. طهران ، ايران
 ٧٠- الخلاصه للحلي.
 ٧١- دائرة المعارف الشيعية لحسن الامين.
 الطبعة الثانية ١٤٩٣ بيروت
 ٧٢- دعوة الحق وقول الصدق للصافي. ط :
 بيروت
 ٧٣- دلائل الصدق للمظفر.
 ٧٤- ذخائر العقبي. ط : بيروت
 ٧٥- ذرائع البيان للنجفي. ط : ايران
 ٧٦- رجال الكشي. ط : كربلاء
 ٧٧- رجال الطوسي. ط : نجف ، ١٣٨٠
 ٧٨- رجال النجاشي. ط : قم ، ايران
 ٧٩- رجال ابى داود.
 ٨٠- الرسائل للحميني. ط : قم ، ايران
 ١٣٨٥
 ٨١- روضة الواعظين للفتال النيسابوري. ط
 قم ، ايران
 ٨٢- روضة الصفا فارسي. ط : ايران
 ٨٣- روضات الجنات للخوانساري. ط : قم
 ٨٤- رياحين الشريعة للمحلاتي. ط : ايران
 ٨٥- رياض العلماء.
 ٨٦- الشافي للشريف المرتضى. ط : ايران
 ٨٧- شرائع الاسلام للحلي. ط : ايران
 ٨٨- شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد. ط
 بيروت
 ٨٩- شرح نهج البلاغة لابن الميثم. ط : ايران

- ٩٠- شرح نهج البلاغة للدنبلي. ط : ايران
 ٩١- شرح نهج البلاغة لعلی النقی. ط : ايران
 ٩٢- شرح نهج البلاغة للكاشاني. ط : ايران
 ٩٣- الشيعة في عقائدهم واحكامهم للقزويني.
 ط : الكويت
 ٩٤- الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين.
 ط : الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ
 ٩٥- الشيعة في الميزان للمغنية. ط : بيروت
 ٩٦- شيعة در اسلام للطباطبائي. ط : ايران
 ٩٧- الشيعة بين الحقائق والادهام لمحسن الامين.
 ط : الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٩٧ هـ
 ٩٨- الصافي للقزويني في شرح اصول الكافي.
 ٩٩- الصراط المستقيم للنباي. ط : الطبعة الاولى
 ١٣٨٤ هـ ايران
 ١٠٠- الصحيفة الكاملة لزين العابدين. ط :
 بيروت
 ١٠١- الصلح الحسن لآل ياسين. ط : ايران
 ١٠٢- الصلة بين التصوف والشيعة. ط : بغداد
 ١٠٣- الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف
 لابن طاووس. ط : قم ، ايران ١٤٠٠ هـ
 ١٠٤- طرائق الحقائق للحاج معصوم علي. ط :
 ايران
 ١٠٥- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.
 ١٠٦- عمدة الشيعة في الامامة لمحمد باقر
 الشريعتي. ط : قم ، ايران
 ١٠٧- علل الشرائع لابن بابويه القمي. ط :
 بيروت ، لبنان
 ١٠٨- علل الشرائع للصدوق. ط : بيروت
 ١٠٩- علم اصول الفقه للمغنية. ط : بيروت
 ١١٠- عين الحياة للمحلي. ط : ايران
 ١١١- عيون اخبار الرضا لابن بابويه القمي.
 ط : طهران ، ايران
 ١١٢- عيون الاخبار وفنون الآثار للقرشي. بيروت
 ١١٣- عيون اخبار الرضا لابن بابويه القمي.
 ط : طهران ، ايران
 ١١٤- الغارات للثقفی. ط : ايران
 ١١٥- فرق الشيعة للتوبختي. ط : كربلا ،
 ١١٦- الفصول المهمة للحر العاملي. ط : قم ،
 ١١٧- الفصول المهمة في معرفة الائمة لابن
 الصباغ. ط : ايران
 ١١٨- فضائل امير المؤمنين لمحمد حسن المظفر.
 ١١٩- فقه القرآن للراوندي. ط : قم ، ايران
 ١٣٩٩ هـ
 ١٢٠- فقه الشيعة للقزويني. ط : ايران
 ١٢١- الفكر الشيعي والترعات الصوفيه للشيبی.
 ط : بغداد ١٣٨٦ هـ
 ١٢٢- الفهرست للنجاشي. ط : نجف ،
 ١٢٣- الفهرست لابن النديم. ط : بيروت لبنان
 ١٢٤- فهرست لابی القاسم الابراهيمي. ط :
 ايران
 ١٢٥- الفوائد الرضوية للقمي. ط : ايران
 ١٢٦- الفوائد المدنية للاسترآبادي. ط : ايران
 ١٢٧- قرب الاسناد للحميري القمي. طهران ،
 ١٢٨- قصص الانبياء للراوندي. ايران
 ١٢٩- قصص الانبياء للجزائري. ط : بيروت
 ١٣٠- الكافي للكليني. ط : طهران ، ايران

- ١٣١ - كامل الزيارات لابن قلوبه. ط : ايران
 ١٣٢ - كتاب سليم بن قيس العامري. ط : بيروت ١٤٠٠ هـ
 ١٣٣ - كتاب الخصال لابن بابويه القمي. ط : طهران ايران ١٣٨٩ هـ
 ١٣٤ - كتاب الغيبة للطوسي. ط : ايران
 ١٣٥ - كتاب الغيبة للنعماني. ط : ايران
 ١٣٦ - كتاب كمال الدين والنعمة لابن بابويه. ط : طهران طبعه ثانيه ١٣٩٥ هـ
 ١٣٧ - كتاب الخرائج والجرائج للراوندي. ط : ايران
 ١٣٨ - كتاب المناقب لابن شهر آشوب. ط : قم ، ايران
 ١٣٩ - كتاب الخلاف للطوسي، ط : قم، ايران
 ١٤٠ - كتاب الرجال للحلي. ط : نجف ١٣٨١ هـ
 ١٤١ - كتاب الشيعة والسنة في الميزان لمؤلف مجهول. بيروت لبنان
 ١٤٢ - كتاب البلدان لليعقوبي. ط : مصر
 ١٤٣ - كشف الغمة للارديمي. ط : بيروت
 ١٤٤ - كتاب صفين لابن مزاحم. ط : بيروت
 ١٤٥ - كشف الاسرار عن وجه الغائب عن الابصار للنوري الطبرسي. ط : قم ١٤٠٠ هـ
 ١٤٦ - كتاب الزهد للاهوازي. ط : ايران ١٤٠٢ هـ
 ١٤٧ - لغت نامه دهخدا ط ! طهران .
 ١٤٨ - متشابه القرآن و مختلفه لابن شهر آشوب ط : قم ، ايران
- ١٤٩ - مجالس المؤمنين للشوشري ط : ايران
 ١٥٠ - المجالس السنية لابن شهر آشوب ط : ايران
 ١٥١ - مجمع البيان للطبرسي ط : بيروت لبنان
 ١٥٢ - المحاسن للبرقي ط : قم ايران الطبعة الثانية
 ١٥٣ - مدارج نهج البلاغة لكاشف الغطاء ط : بيروت
 ١٥٤ - مرآة العقول للمجلسي ط : قديم ايران
 ١٥٥ - مروج الذهب للمسعودي ط : بيروت
 ١٥٦ - المراجعات لشرف الدين الموسوي
 ١٥٧ - مستدرک الوسائل للنوري الطبرسي ط : مكتبة دارالخلافة ، طهران
 ١٥٨ - مصائب النواصب للشوشري ، ايران
 ١٥٩ - مشجر الاولياء لنور بخش ، باكستان
 ١٦٠ - مشارق انوار اليقين للبرسي ط : بيروت ١٩٧٨ م
 ١٦١ - مصحف الدروز
 ١٦٢ - معالم الاصول لجمال الدين ط : ايران
 ١٦٣ - معراج السعادة للترقي . ط : ايران
 ١٦٤ - معالم العلماء
 ١٦٥ - معاصر الاصول
 ١٦٦ - معجم المؤلفين للكحالة ط : بيروت
 ١٦٧ - مع الشيعة الامامية للمغنية ط : بيروت
 ١٦٨ - مفاتيح الجنان ط : ايران
 ١٦٩ - المقالات والفرق لسعد بن عبدالله القمي ط : طهران ١٩٦٣
 ١٧٠ - مقاتل الطالبين للاصفهاني ط : بيروت

- ١٧١ - مقتل أبي مخنف ط : بيروت
 ١٧٢ - من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي ، ط : طهران
 ١٧٣ - منار الهدى لعلی البحرانی
 ١٧٤ - منتهی الآمال للعباس القمي . ط : طهران ، ایران
 ١٧٥ - منهاج الكرامة للعلی . اوفست باكستان ١٣٩٦ هـ
 ١٧٦ - ناسخ التواريخ للميزره تقی خان ط : قديم ایران
 ١٧٧ - النجم الثاقب للتوری الطبرسی . ط : نجف
 ١٧٨ - نهاية الدراية
 ١٧٩ - نقد الرجال للتفرشی . ط : ایران
 ١٨٠ - نقد الرجال . ط : ایران
 ١٨١ - نهج البلاغة بتحقيق صبحی صالح ط : بيروت
 ١٨٢ - نهج البلاغة ، بتحقيق محمد عبده ط : مصر
 ١٨٣ - هوية التشيع لاحمد الوائلي ط : بيروت
 ١٨٤ - وسائل الشيعة للحر العاملي ط : بيروت
 كتب التاريخ والرجال والفرق للسنة
 ١٨٥ - اساس البلاغة للزمخشري المعتزلي
 ١٨٦ - اسد الغابة لابن الاثير
 ١٨٧ - ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء للشاه ولی الله
 ١٨٨ - الاصابة لابن حجر
 ١٨٩ - اصول الدين للبغدادی
 ١٩٠ - اضواء على العقيدة الدرزية لاحمد فوزان
 ١٩١ - اعتقادات فرق المسلمين والمشرکين للرازي ط : الازهر ، القاهرة ١٣٩٨ هـ
 ١٩٢ - الاكمال لابن ماکولا .
 ١٩٣ - الانساب للسمعانی
 ١٩٤ - انساب الاشراف للبلاذري
 ١٩٥ - البداية والنهاية لابن كثير ط : بيروت
 ١٩٦ - البایة للمؤلف
 ١٩٧ - البهائية للمؤلف
 ١٩٨ - التاريخ الصغير
 ١٩٩ - تاريخ بغداد للخطيب
 ٢٠٠ - تذكرة الحفاظ للذهبي
 ٢٠١ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانی ط : حيدر آباد ، دکن ، الهند
 ٢٠٢ - تقريب التهذيب
 ٢٠٣ - تاريخ ابن عساكر
 ٢٠٤ - تهذيب تاريخ ابن عساكر
 ٢٠٥ - تاريخ دمشق
 ٢٠٦ - تاريخ الامم والملوك للطبري ط : بيروت
 ٢٠٧ - تاريخ ابن خلدون ط : بيروت ١٣٩٩ هـ
 ٢٠٨ - تاريخ الخلفاء للسيوطي
 ٢٠٩ - تاريخ خليفه ابن خياط
 ٢١٠ - التبصير في الدين للاسفرائيني
 ٢١١ - تاج العروس للزبيدي
 ٢١٢ - تثبيت دلائل النبوة للهمداني
 ٢١٣ - جمهرة انساب العرب لابن حزم
 ٢١٤ - الحوز العين
 ٢١٥ - خلاصة تهذيب الكمال
 ٢١٦ - الخطط للمقرئزي

- ٢١٧ - دائرة المعارف الاسلاميه اردوط : لاهور
 ٢١٨ - سير أعلام النبلاء للذهبي
 ٢١٩ - السيرة لابن هشام
 ٢٢٠ - الشيعة والقرآن للمؤلف باكستان
 ٢٢١ - الشيعة والسنة للمؤلف
 ٢٢٢ - الشيعة واهل البيت للمؤلف
 ٢٢٣ - الصحاح للجوهري
 ٢٢٤ - الصواعق المحرقة لابن حجر المكي
 ٢٢٥ - الطبقات لابن سعد
 ٢٢٦ - طائفة الدروز لمحمد كامل حسين
 ٢٢٧ - العواصم من القواصم
 ٢٢٨ - الفصل بين الملل والنحل لابن حزم
 ٢٢٩ - فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية
 ٢٣٠ - فجر الاسلام لاحمد امين
 ٢٣١ - فتوح البلدان للبلاذري
 ٢٣٢ - القاموس للفيروز آبادي
 ٢٣٣ - كتاب الكنى ولاسماء للدولابي
 ٢٣٤ - كتاب الجرح والتعديل للرازي
 ٢٣٥ - كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي
 ٢٣٦ - كتاب المجروحين لابن حبان
 ٢٣٧ - الكامل لابن الاثير
 ٢٣٨ - كتاب المعبر للبغدادى
 ٢٣٩ - لسان الميزان لابن حجر
 ٢٤٠ - لسان العرب لابن المنصور الافريقى
 ٢٤١ - ميزان الاعتدال للذهبي
 ٢٤٢ - مقدمة ابن خلدون
 ٢٤٣ - منهاج السنة لابن تيميه
 ٢٤٤ - مقالات الاسلاميين للاشعري
 ٢٤٥ - الملل والنحل للشهرستاني
 ٢٤٦ - موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلاميه
 للتهانوى ط : بيروت
 ٢٤٧ - مختصر التحفة الاثني عشرية للالوسى
 ٢٤٨ - معجم مقاييس اللغة
 ٢٤٩ - المخصص لابن سيده
 ٢٥٠ - النهاية لابن الاثير
 ٢٥١ - النجوم الزاهرة للتغرى البردى
 ٢٥٢ - نسب قريش لمصعب الزبيرى
 ٢٥٣ - وفيات الاعيان لابن خلكان
 كتب المستشرقين
 ٢٥٤ - الخوارج والشيعة لولهوزن ترجمة عربى
 ٢٥٥ - عقيدة الشيعة لدونالدسن ترجمه عربى
 ٢٥٦ - العقيدة والشرعية لجولدزهر ترجمه عربى
 ٢٥٧ - مقالات فى تاريخ الاسلام للدوزى
 ٢٥٨ - كتاب المستشرق ملر
 ٢٥٩ - مقدمه نقطة الكاف للبراون ط : فارسى

فهرست الكتاب

المقدمة

ص - ٥

زيارتى لامريكا. الاخوة المؤمنون فيها ص ٩. محافل الخير وأندية التقوى.
الجيل الميمون. المحاضرات والخطب. أسباب الخلاف بين الامة.
إختلاف الشيعة مع المسلمين السنة. كتبى الثلاثة عن الشيعة وعقائدهم
ص ٧. ضرورة الكتابة عن تاريخ الشيعة وفرقها. مطالبة الاخوة والاستجابة
لها. قلة ما كتب عن تاريخ الشيعة وعن فرقها من كتبهم ومصادرهم.
من السنة ومن الشيعة ص ٨. عملى فى هذا الباب. منهجنا فى سرد الوقائع
وتبيين الحقائق. هذا الكتاب هو الرابع حول الشيعة. وبه تكمل السلسلة.
كتاب جديد من ايران رداً علينا ص ١٠. وهل فيه رد ؟ لفت انظار
القراء والباحثين. ميزة هذا الكتاب ص ١١. والكلمة الاخيرة.

ص - ١٣

الباب الاول : التشيع الاول والشيعة الاول

لفظة الشيعة ومعناها اللغوى. معناها الاصطلاحى. شيوع استعمالها.
شيعة على وشيعة معاوية. شروط معاوية للاعتراف بخلافة على ص ١٤
قتلة عثمان. الخلاف السياسى المحض. لا الخلاف الدينى. شيعة
آل محمد وشيعة بنى معاوية ص ١٥. العثمانية والعلوية. شيعة آل محمد
يشتمل العباسيين ايضا ص ١٦. الخلاف بين على ومعاوية لم يكن
خلاف الكفر والاسلام. على يقول : لانستزيد اصحاب معاوية ايماناً
ص ١٧. منعه اصحابه من سب اهل الشام. عثمان وشيعته هم الفائزون.
قاله الجعفر ص ١٨. حكم ابى العالية. متى وجد التشيع ومتى تكونت
الشيعة. آل الكاشف ص ١٩. الروايات الواهية ، وما قاله المظفرى.
المجازفة فى القول ، والرد من الكتاب والسنة ص ٢٠. تمسك القوم
بالاحاديث الموضوعة. مخالفة النقل والعقل. اضطراب آراء القوم
واقوالهم ص ٢٤. النوبختى. ابن النديم. الخوانسارى. والشيبى.
ومحسن الامين. والمظفرى. وغيرهم. الخلاف قبل مقتل عثمان وبعد

مقتله ص ٢٧. نوعية الخلاف. مدح بالغ لابي بكر وعمر من قبل علي.
ومن كتب الشيعة ، والسنة ايضا ص ٢٩ . تسمية على ابناؤه باسماء
الخلفاء الراشدين الثلاثة. وابنه الحسن ايضا. والحسين كذلك ص ٣٢.
صلح الحسن مع معاوية ، احدى شروط الصلح . مبايعة الحسن
والحسين وقائد جيشه القيس معاوية اميرا وخليفة ص ٣٤. اولاد علي
نكحوا وانكحوا بنى امية فعل الأكفاء ص ٣٤ . رملية بنت علي .
خديجة بنت علي . سكينه بنت الحسين . نفيسة بنت زيد بن الحسن .
والسنة من حفيدات الحسن بن علي ايضا . رواية الكافي عن
زين العابدين في حق يزيد ص ٣٧ . التشيع الاول لم يكن مدلوله
عقائداً مخصوصة ص ٣٧ . الشيعة الاولى لم تكن الا حزباً سياسياً يرى
رأى على دون معاوية في عصره وبعده كانوا مطاوعين لمعاوية . تردد
الحسن والحسين على معاوية ص ٣٨ . قبولهما الهدايا منه . وقبول
زين العابدين من مروان . ووفد عقيل على معاوية واخذه منه الهبات .
صلوات آل علي خلف الامويين ص ٣٩ . تطور التشيع وتغيير الشيعة
ص ٤٠ . محاولة اليهود والمنافقين والمجوس القضاء على الاسلام :
وعلى الخلافة الاسلامية . مطا عنهم على اصحاب النبى . براءة الشيعة
الاولى منهم . تحاذل الشيعة ومعاينة على اياهم ص ٤١ . الشيعة
ومخالفوهم ..

الباب الثانى : التشيع والسبأية

ص - ٤٥

الشيعة الاولى مع تحاذلهم لم يكونوا مختلفين مع الآخرين في العقائد .
المؤامرات والدسائس لتطوير التشيع وتبديل الشيعة الاولى ص ٤٧ .
عبدالله بن سبا والسبأية ص ٤٨ . ما قاله الطبرى وابن خلدون .
وابن الحجر . والاسفرائينى . سعى ابن سبا بالفتنة والفساد ص ٥١ .
الافكار اليهوديه المدسوسة ص ٥٣ . ما ذكره النوبختى . والكشى .
والحلى . والمما مقانى . والمرزا . والاستر ابادى . وابن ابى الحديد

وغيرهم . ومن السنة . البغدادى . والاسفرائينى . والرازى . وابن حزم .
والشهرستانى . وابن عساكر واحمد امين المصرى وغيرهم . انكار
بعض المتأخرين من الشيعة وجود ابن سبأ ص ٦٢ . ولماذا انكروا ؟
ومجرد الانكار بدون الدليل والبرهان . الرد على من انكر من الشيعة
انفسهم . من الزين ص ٦٣ . والمظفر . ومن محسن الامين . بعض العقائد
التي اختلقها وروجها . الرد عليه من قبل على . من ابن الحجر . ومن
الهمداني المعتزلى . ذكر بعض العقائد الاخرى من كتب الشيعة .
تأثر الشيعة من افكاره وآرائه . تبني البعض بعقائد اليهودية . شهادة
المستشرق وهوزن بان الشيعة لم تكن فرقة دينية في الاصل ص ٦٩ .
اعلان على بانه لا يفضل نفسه على الخلفاء الراشدين الثلاثة . واعلانه
براءته من قتل عثمان ص ٧٠ . محاربة على لمن يرى خلاف ذلك .
ومحاولة الحسن محاربتهم بعد ابيه . غلبة السبائية عليه ووضع الشيعة
الاحاديث الموضوعية المكذوبة . الخداع بعض الشيعة من السبائية
واعتناقهم عقائدها . اقرار النوبختى الشيعى بذلك ص ٧٤ . وشهادة
وهوزن ايضاً .

الباب الثالث : الشيعة ومطاعنهم على ذى النورين ، والسبائية وفتنهم ايامه

ص ٧٩ -

دين الشيعة الكذب . شكوى أئمة الشيعة عن اكاذيب الشيعة . رواية
المطاعن هم الشيعة ص ٨٠ . ولم يشهدوا الوقائع . وهم طرف في
الحوادث . الاربعة . ابو مخنف ص ٨١ . من كتب الشيعة . ومن السنة .
الواقدى ص ٨٥ . من كتب الشيعة والسنة . الكلبيان ص ٨٨ .
عند الشيعة وعند السنة . هؤلاء هم الاربعة ص ٩٤ . مخطط السبائية
لتفريق وحدة المسلمين ص ٩٤ . نشر العقائد اليهودية . ايرادات
السبائيين على ذى النورين ص ٩٥ . رد عثمان عليهم ص ٩٦ . خطبة
ذى النورين لتفنيد مزاعمهم ص ٩٨ . حوادث وفتن ص ١٠٠

محاصرة عثمان ص ١٠٢ . قتله ظلما وعدوانا ص ١٠٣ . استشهاده ص ١٠٤ . مطا عن الشيعة على ذى النورين ص ١٠٥ . الرد على طعن ايثار ذى القربى ص ١٠٨ . تنقيح المبحث . تولية الوليد بن عقبة ص ١١٣ . وسعيد بن العاص ص ١١٤ . قبول على هداياه ص ١١٥ . خطبة الوليد ام كلثوم بنت على ص ١١٦ . كرمه وشهامته . عبدالله بن العامر ص ١١٦ . شبيهه رسول الله . سخاوته وشجاعته . حسناته وفتوحاته . مروان بن الحكم ص ١١٨ . نقلة المطاعن السبائية . والمطاعن ص ١١٩ . شفاعاة الحسن والحسين له ص ١٢٠ . الحسن والحسين يصليان خلفه ص ١٢١ . ابنة على تزوج من ابن مروان ص ١٢١ . وحفيدات على من احفاد مروان ص ١٢٢ . الطعن الآخر ايثار عثمان اهله بالاموال . الرد عليها . قتلة عثمان ص ١٢٤ . ضرب ابن مسعود ص ١٢٦ . قضية عمار . امر ابى ذر ص ١٢٥ . عدم القصاص من ابن عمر ص ١٢٧ . الاذان الثانى ص ١٢٩ . دفاع على عن عثمان ص ١٣٠ . مقام عثمان وشأنه .

الباب الرابع : تطور التشيع الاول والشيعة الاولى ودور السبائية بعد مقتل عثمان عليه السلام وايام على عليه السلام ص - ١٣٥

المدينة بعد مقتل عثمان ص ١٣٦ . امتناع الصحابة عن قبول الخلافة ذهاب الناس الى على ص ١٣٨ . امتناعه عن قبول البيعة . اجباره على قبولها ص ١٣٩ . امتناع كبار الصحابة عن البيعة ص ١٣٩ . استتار قتلة عثمان وراء المبايعين لعلى ص ١٤٠ . اجتماع الصحابة الى على ومطالبتهم اقامة الحد فى قتلة عثمان ص ١٤١ . منع ابن عباس عليا عن اخذ البيعة ومنع الحسن اباه عن البقاء فى المدينة ص ١٤٢ . تجمعات السبائية ومطالبة الصحابة طردهم واقامة الحد فيهم ص ١٤٣ . اعتذار على عن ذلك ص ١٤٤ . قنوط الزبير والطلحة من اقتصاص عثمان وعزل على

معاوية ص ١٤٥ . سعى السبأية بالفتنة والفساد ص ١٤٦ .
 منع الحسن اباه عن الخروج الى محاربة اهل الشام وحرب الجمل
 ص ١٤٧ . تناقل اهل المدينة عن الخروج معه وكبار الصحابة
 ايضاً ص ١٤٨ . حرب الجمل وسعى السبأية في اسعار نارها .
 ص ١٤٩ . محاولة الصلح ص ١٥٣ . سعى السبأية لتتسيفه
 ص ١٥٤ . وقوع الكارثة وأسف على عليها صلاة على على
 قتلى الجمل من الطرفين ص ١٥٦ . تجهيز على عائشة بالادب
 والاحترام ص ١٥٧ . على لا يرى مخالف فيه كفارا ص ١٥٧ .
 خبث السبأين ص ١٥٨ . حرب الصفيين ص ١٥٩ . الشيعة
 الاولى ص ١٦٠ .

الباب الخامس : فرق الشيعة وتاريخها وعقائدها ص - ١٦٣

اجتماع الشيعة بعد على حول الحسن . بدعة السبأية في الغلو . افتراق
 الشيعة بعد على ص ١٦٤ . مجاهرة ابن سبأ بافكاره بعده . محاربة
 الحسن اباه وافكاره ص ١٦٦ . فتن السبأية ايامه ص ١٦٧ .
 خذلان الشيعة الحسن ص ١٦٨ . امارة معاوية ونصيحة على
 ص ١٧٠ . شيعة ساباط المدائن ص ١٧١ . جرحهم الحسن .
 صلحه مع معاوية ص ١٧١ . افتراق الشيعة عندئذ ص ١٧٢ .
 الكيسانية ص ١٧٤ . الشيعة ايام الحسين ص ١٧٢ . مكانية
 الكوفيين الحسين ص ١٧٧ . خروج الحسين الى الكوفة ومنعه
 ابن العباس ص ١٧٨ . وغيره ص ١٧٩ .

خبر مسلم بن عقيل ص ١٨٠ . الكوفيون ص ١٨٣ . وهم
 الذين قتلوا الحسين ص ١٨٤ . غدر شيعة الكوفة ص ١٨٥ .
 تطور التشيع ص ١٨٦ . الفرس ص ١٨٧ . الكيسانية ص ١٨٨ .
 المختار الثقفي ص ١٩١ . تغير الشيعة الاولى ص ١٩٥ .
 المختار وحروبه ص ١٩٧ . افتراق الشيعة بعد مقتل الحسين

ص ١٩٩ . الغرابية ص ٢٠٠ . المعتقدين بالوهية العباد ص :
 ٢٠١ . الشيعة بعد علي بن الحسين ص ٢٠٤ . الزيدية ص ٢٠٤ .
 الجارودية ص ٢٠٨ . معتقدات الزيدية ص ٢٠٩ . الشيعة ايام
 الجعفر ص : ٢١٣ . التطور التام والتغير الجزري ص ٢١٤ . افتراق
 الشيعة ايامه ص : ٢١٨ . مدعى الامامة غيره من اهل البيت
 ص ٢٢٠ . الشيعة بعد وفاة الجعفر ص ٢٢٤ . الناوسية .
 السمطية ص ٢٢٥ . الفتحية ص ٢٢٦ . الاسماعيلية ص ٢٢٨ .
 موفقهم وادلتهم ص ٢٣١ . القرامطة ص ٢٣٣ . الآغاخانية
 والبهرة . الدروز ص ٢٣٦ . عقائدهم ص ٢٣٧ . كلام ابن تيميه
 فيهم ص ٢٣٨ . فرق الشيعة ايام موسى بن جعفر ص ٢٣٩ .
 شك الشيعة في امامته . الموسوية ص ٢٤٠ . والفرقة الثانية والثالثة
 والرابعة والخامسة والسادسة البشرية ص ٢٤٢ . مدعى الامامة
 ايامه من اهل البيت ص ٢٤٥ . الشيعة ايام علي بن موسى
 ص ٢٤٧ . افتراق الشيعة ايامه . المؤلفة . المحدثه . الفرقة الثالثة .
 الرابعة . مدعى الامامة ايامه من اهل البيت . جعله وليا للعهد من قبل
 المأمون ص ٢٥٠ . الشيعة ايام محمد بن علي ص ٢٥١ . افتراق
 الشيعة في عصره . امام ولم يبلغ الحلم ص ٢٥٢ . اختلاف الشيعة
 فيه . مدعى الامامة ايامه من اهل البيت ص ٢٥٤ . الشيعة ايام علي
 ابن محمد ص ٢٥٥ . افتراق الشيعة عند ذاك . النصيرية ص ٢٥٥ .
 عقائد النصيرية ص ٢٥٦ . مدعى الامامة ايام محمد من اهل البيت
 ص ٢٥٩ . الشيعة ايام الحسن العسكري ص ٢٥٩ . افتراق الشيعة ايامه . الفرقة
 الاولى . الثانية مدعى الامامة ايامه . الشيعة بعد وفات الحسن ص ٢٦١ .
 افتراق الشيعة اربعة عشرة فرقة ص ٢٦٢ . الاولى . الثانية . الثالثة .
 الرابعة . الخامسة . السادسة . السابعة . الثامنة . التاسعة . العاشرة .
 الحادية عشرة . الثانية عشرة . الثالثة عشرة . الرابعة عشرة . الاثنا عشرية
 ص ٢٦٦ .

الباب السادس : الشيعة الاثنا عشرية

ص - ٢٦٩

اسماءهم . الاثنا عشرية . الجعفرية . الرافضة ص ٢٧٠ . الخاصة . الامام
 الثاني عشر . ولد . لم يولد . ص ٢٧٢ . ولد بعد وفاة والده . قبل وفاته .
 ولدته نرجس ص ٢٧٣ . صيقل . صقيل . حكيمة . وغيرها . حكايات
 غريبة في ولادته ص ٢٧٤ . قصص وخرافات . شهادة القوم انفسهم
 انه لم يولد ص ٢٨٠ . ولماذا قالوا بولادة هذا المعلوم ص ٢٨٢ . انهدم
 اركان المذهب وأسس الديانة ص ٢٨٣ . شروط الامامة ص ٢٨٤ .
 للامام علامات ص ٢٨٦ . ولم تكن هذه العلامات موجودة في واحد
 ص ٢٨٨ . شك الشيعة في علوم ائمتهم ص ٢٨٩ . عدم علم ائمتهم
 ص ٢٩٠ . فقدان جميع الشروط في حسن العسكري ص ٢٩٢ . افتراق
 الشيعة بعد موت الحسن . فرقة قالت ص ٢٩٣ . وفرق اخرى . ردود
 والجواب عليها ما بين الشيعة . لماذا أثبتوا امامة ائمتهم ص ٢٩٥ . حكايات
 وخرافات . قصص واساطير . امامة والعصمة ص ٢٩٩ . ولم يكن واحد
 منهم معصوم . الامام الاول . الثاني . الثالث . الامامة منصوبة
 ص ٣٠١ . والامام لا يبايع احدا . كلهم بايعوا ص ٣٠٢ . لماذا اوجبوا
 امامة ائمتهم ص ٣٠٢ . الامامة واجبة ص ٣٠٣ . الرد عليهم ص ٣٠٤ .
 الاكاذيب والاكاذيب . كلام ابن حزم ص ٣٠٦ . افتراق الاثنا عشرية .
 الشيخية ص ٣٠٧ . عقائدهم ص ٣٠٩ . النور بنحشية ص ٣١٤ . زعيمهم
 وعقائدهم ص ٣١٥ . الاخبارية والاصولية ص ٣٢٠ . زعماءهم
 وافكارهم . اهم كتب الشيعة الاثنا عشرية ورجالاتهم ص ٣٢٥ .

ص - ٣٣١

الباب السابع : الشيعة الاثنا عشرية والعقائد السبائية

العقائد السبائية ومخططات ابن سبأ ص ٣٣٢ . هل الدين الا الحب
 ص ٣٣٣ . لا الايمان ولا العمل . الولاية ص ٣٣٦ . القرآن والسنة
 ص ٣٣٩ . تقية بعض المعاصرين الشيعة ص ٣٤٢ . البغض لاصحاب
 رسول الله ص ٣٤٣ . عقيدة السيد الخميني ص ٣٤٤ . كتابه كشف

الاسرار ص ٣٤٥ . الوصاية . روايات باطلة . الغيبة ص ٣٥١ . الغيبة الكبرى والغيبة الصغرى . سفراء الغائب ص ٣٥٢ . توابع الامام ص ٣٥٣ . اين هو ص ٣٥٤ . وماذا يعمل ص ٣٥٥ . حكايات وخرافات . الرجعة ص ٣٥٩ . القائم . من يكون المهدي ص ٣٦١ . منزلته وشأنه ص ٣٦٢ . متى يرجع ص ٣٦٣ . اضاليل وابطال ص ٣٦٤ . ارهاصات وتخرصات . ليس لمعدوم ان يوجد ص ٣٧١ . كيف يرجع واين يرجع ؟ ص ٣٧١ . لا يبقى راقد الا استيقظ ص ٣٧٢ . يرجع عند البيت . اول من يبايعه جبرائيل ص ٣٧٤ . ثم الملائكة . والملائكة الكثيرون . وماذا يعمل بعد رجعه ص ٣٧٦ . يقتل العرب وقريش . يحيى الاموات ويقتل اصحاب النبي ص ٣٧٧ . ويجلدا المؤمنين ص ٣٧٨ . ويصلب ابا بكر وعمر ص ٣٧٨ . ما من ذنب الا وهو في اعناقهما ص ٣٨٠ . ظلمه وقسوته ص ٣٨١ . يدعو الى امر جديد وكتاب جديد ص ٣٨١ . جبرئيل امامه وميكائيل عن يمينه ومحمد يتبعه ص ٣٨٢ . رجعة الائمة مع رجعة القائم ص ٣٨٣ . رجعة الحسن ويزيد وانصارهما . ويرجع على ونبي ص ٣٨٥ . والانبياء ايضا ص ٣٨٦ . من لدن آدم الى سيد الانبياء . خرافات وخرافات . دابة الارض ص ٣٨٧ . على له رجعات وكرات ص ٣٨٨ . بعد القائم سيخرج اثنا عشر مهديا ص ٣٨٨ . خرافات الجزائر ص ٣٨٩ . الحلول والتناسخ . واتصاف الخلق باوصاف الله ص ٣٩١ . خطبة على المكذوبة . تشيع اليوم عين سبأية الأمس ص ٣٩٣ . رأى المستشرق دوزي ص ٣٩٣ . رأى المستشرق ملر ص ٣٩٤ . رأى المستشرق وهوزن ص ٣٩٤ . تأليه اهل البيت ص ٣٩٧ . رأى ابو حمزة ص ٣٩٨ . قول هشام بن عبد الملك ص ٣٩٩ . كلمة احمد امين الاخيرة .

ص - ٤٠٣

مصادر الكتاب ومراجعته

ص - ٤٠٩

فهرست الكتاب